نسعى للقياك ابقَ معنا، فما كلّفتنا رهقاً، ولا أصدعتنا زلقاً، ولا جرعتنا علقاً، لكنّك فضلّتَ دارَ القرار، بعدما تمكّنتَ من دنياك بالفرار، ونلتَ منها الاستعبارَ، ونجاةَ الاعتذار، فمُتّ موتَ العلماء، والعلماء لا يموتون إلاّ بالخُيلاء وسوف يعودون ويسألون المريدين، هل حافظتم على الأمانة للطّيبين ونقلتموها بالصّرامة للرّاغبين؟ ولكنّك مُتّ، وهكذا يموت الكبارُ، مَرفوعي الرأس للاعتبار لأنّهم سوف يُحيون من جديد، والمجمعيون من الخالدين، وأنت منهم ومُريد، فأنت الحيّ بيننا لا تليد. وأراه يشعر ويقول:

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر أنا جائع أنا ضائع أنا عاري
هي ستّة وأنا الضّمين لنِصْفها فكن الضّمين لنِصْفِها يا باري

ولا بدّ عليَ من الرّحيل، ورجائي أن ترعَوْا تلك الأيام بِطيب حديثكم، ولا تمدحوني إلاّ بما أنا أهل له، واسألوا ليَ الرّحمة، واطلبوها من أبواب السّماء بالرّأفة. وتتقطّع في داخلي الكلماتُ فهل أقول: إيهاً بعدها لمُسامر من النّاس، إلاّ قال قلبي آهاً. فقد أزفّ الوقتُ، وترحّلتْ مُهَجُ النّفوسِ عن الأجساد. وكأنّي به ذلك الشّاعر الذي قال:

إنّ الخيامَ التي قد جئتَ تطلبهم بالأمس كانوا هنا، والآن قد رحلوا

إخواني، رحلَ الذين نُحبّهم، وتَرْحَل بنا الدنيا مراراً؛ عندما يرحل صاحبُ الأخلاق، وكريمُ الطّبع وصاحبُ المقام العالي، والذي لم تغلق دونه أبوابُ العلم ولكنّه رحل، ورُفع الستّار فلا رادَ لقضائه. رحلتَ يا محمد عيسى وموسى، فكيف نَفِيكَ حقَّكَ؟ ونقول لك نمْ هانئاً بما حفرته من طريق، وبما تركته من فريق، وبما غرسته من فسائل، وسوف تصبح مشائل.

هذه كلمة المجلس باختصار، وفيها من مشمولات الابتصار، وفيها ما فيها من الاستيعاب وقد اقتضتها الظّروف على الاقتضاب، وتحياتي لكم يا إخوان، ولكلّ الأصحاب الذين جاؤوا يردّون الأفضال للسّابقين، وخيراً تفعلون مع الخيّرين والسّلام عليكم يا أصحابنا الميامين.

إعجاز نظم القرآن في اكتساب ملكة اللسان♥

ــ **الدّيباجة:** ليس من السّهل الحديث عن نظم القرآن الكريم في هذه الكلمة الافتتاحيّة المتّصفة بالعجالة، في موضوع يحمل جبالاً من المؤلّفات؛ فهناك كُتُبٌ عن إعجاز المناسبة في القرآن الكريم، وكتبٌ عن الإعجاز في الاختصار وعدم التّكرار والحذف والمجاز، وكتبٌ في تناسب الألفاظ في القرآن، وكتبٌ في اختلاف النّظم في العبارات ذات المعنى الواحد، وكتبٌ في تحدّي القرآن بالكلمة، وتحدّي القرآن بضمير الكلمة، وكتبٌ في توافق تفاصيل القصّة الواحدة في مواضعها المختلفة، وكتبٌ في الثّراء اللغويّ في القرآن الكريم... والحصيف من يستطيع أن يلخّص كلّ ذلك في بضع وريقات مع ما يضيف من جديد؛ حيث ملكة اكتساب اللسان تدخل في تعليميات اللغات، وتعمل على ترسيخ امتلاك اللغات بالمحاكاة أو بالتّعليم أو بالممارسة أو بالتّرويض، وكلّها من أفعال علم الديداكتيك. ولهذا أجدني في موقف ضيّق تجاه هذا الموضوع ولكنّي آمل أن أتقدّم ببعض المرغوب بما هو من المطلوب. وأعمل على تقديم ومضات بسيطات لعنوان هذا الملتقى الموسوم **(إعجاز نظم القرآن في اكتساب ملكة اللسان)**.

ــ **المقدّمة:** إنّ تنوّع الحصاد دلالة على تنوّع الغرض، فالأرض هي الأرض نفسها، ولكن لها أن تعطي الفواكه بأنواعها والخضار بأنواعها، فما تتقبّله التّربة من حرث وسقي وسماد يأتي منه الحصاد، وهكذا تكون ساحة اللغة مشابهة للأرض الزراعيّة المعطاء وما تنتجه من أنواع الخضار الغنّاء، وإذا اقتربنا الى حدٍّ المماثلة؛ فإنّ الأدب النّثريّ هو في واقعه أشبه بهذه التّربة فالشّاعر هو الشّاعر

♥ ــ ألقيت المحاضرة في الملتقى الأوّل حول (إعجاز نظم القرآن واثره في اكتساب ملكة اللسان) تنظيم مخبر اللغة العربيّة وآدابها، كليّة الآداب واللغات، بجامعة علي لونسي، البليدة، يومي 11-12 مارس 2019 .

كما أنّ التّربة هي التّربة، لكن الشّاعر الفذلكيّ من ينظّم قصيدة تفي بالغرض الشّعريّ. وهو القصد، وما انعقدت عليه النيّة لنظم القصيدة في المعني من ذات روح شاعرة؛ حاملة لذوات الحسن والجمال والدّلال؛ تفي بحقّ القصيدة، ولا بدّ فيها من اختيار المبنى الذي يقع على المعنى، وهذا ما ينطبق على الكلام البشريّ الانتقائيّ، فكيف الكلام على ما هو خارج من خالق ليفهمه المخلوق؟ ألا يكون أكثر اختراقاً واختياراً وانتقاءً ونظماً؟

ـ **القرآن الكريم واللغة العربيّة:** يقال: لولا القرآنُ ما كانت العربيّة، والقرآن كلام الله، جاء بلسان عربيّ مبين، لما لهذا اللسان من جينات تستطيع حمل معاني الكلام، وبما لهذه اللغة من دِفْق في الكلم والعبارات والمسكوكات؛ تجعلها تفي حقّ كلام تعجز عنه اللغات الأخر. القرآن كلام صادر من واضع الألفاظ والمعاني بحسب ما اقتضته حكمه البالغات، الّذي علّم آدم الأسماء كلّها، وأظهر بذلك شرف اللّغة العربيّة وفضلها وجعل علوم الدّين والدّنيا متعلّقة بفهمها ومعرفتها. ومن وراء ذلك كانت للعربيّة مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة؛ لأنّها لغة القرآن الكريم والسّنة النّبويّة الشّريفة، فنالت شرفاً عظيماً أكسبها الخلود والبقاء إلى يوم الدّين، فهي وعاء ثقافتنا ورمز هُويّتنا، وعنوان تقدّمنا ومصدر عزّتنا. ومن هنا وجب علينا المحافظة عليها وحمايتها والعمل على نشرها؛ لأنّ ذلك من صميم الذّود عن مقوّمات الشّخصيّة العربيّة الإسلاميّة، وعن خصوصيّات مجتمعاتنا في حاضرها ومستقبلها، كما أنّها تحقّق للفرد وظائف مختلفة؛ فهي وسيلة للتّعامل والتّفاعل مع الآخر، والتّوازن النّفسيّ، والتّكيّف الاجتماعيّ، وهي نافذته المطلّة على الماضي بأصالته، والحاضر بحداثته.

ـ **نظم القرآن:** في تعريف وجيز للنّظم هو رصانة البيان واستحكام التّأليف باعتباره لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضها ببعض، فتقوم له صورة في النّفس يتشكّل بها البيان. وهناك من يعرّفه بأنّه وضع كلِّ لفظ في موضعه اللائق به، بحيث لو أُبدلَ مكانه غيره، ترتّب عليه إمّا تبدّل

المعنى، أو ذهاب رونقه وسقوط البلاغة معه، وفي ذات الوقت هو رعاية قوانين اللغة... وعلى العموم، فإنّ القرآن نزل بلغة يتداولها العرب، وليست معجزة في ذاتها، بل في حمولتها الأسلوبيّة وما انتظمت فيه من مفردات سهلة غريبة، مألوفة وعرة عامّة نادرة، حسنة مستغربة. وجملة القول: إنّ القرآن جاء بنظم لم تكن العرب تألفه، حيث لا يَتَسَاوى في العلم بها أهلها وسائر النّاس. هو ديوان العرب قبل الشّعر، فقد خاطب العرب لما لم يوقفهم عليه، وما لا يدركون بفطرتهم اللغويّة بوجه التّصرّف فيه، وليس ذلك مما يستقيم به أمر، ولا هو عند العرب من معاني الإعجاز في شيء؛ لأنّ الوضع يُعجز أهلَه، وهم كانوا أهل اللغة.

نزل القرآن بهذه اللغة التي ارتقت بنظمه، وأصبحت فصيحة مِطواعة تُعبّر عمّا يحيط بها من ملموس وغير ملموس، في أساليب رائعة مُؤثّرة، وبما استجمع فيها من محاسن تلك الفطرة اللغويّة التي جعلت أهل الألسنة الأخرى يأخذون بها وعنها ولا يجدون لهم عنها مرغباً. لقد ألبسها القرآن بلاغة تحمل معاني الإعجاز ويتسلسل الأمرُ فيها حتى لا تُستبهم، وبذلك أضحت أفصح اللغات، وهو ما لم يكن في ذاتها قبل نزول القرآن بها. لقد جعل نظم القرآن منها شباب الحياة اللغويّة لتكون ليّنة طيّعة ذات كمال علميّ في الفروع وفي الفصول، وهو أمر مداره في البيان العربيّ جملة وتفصيلاً؛ لأنّ مبناه على أجراس الحروف واتّساقه، ومداره على الوجه الذي تؤدى به الألفاظ، التي تصنع الأساليب العالية ليصير الكلام في جزالته وفي قوّة أسره وصلابة معجمه قوياً لا يموت في ألسنة المستعملين. وذلك كلّها ما أكسبها الجنسيّة العربيّة الانمازية، وأدب الكلام بعد آداب الفطرة التي تتغيّر في هذا الخلق، على ما بين طوائفه من التّباين، وعلى الضّروب المختلفة من أساليب هذا التّباين وعلله.

وعلى قدر علوّ نظم القرآن كان العربيّ بالفطرة يفرّق بين الأساليب، وهي معجزة اجتماعيّة لسانيّة نهض بها الجُفاة من العرب؛ فنفضوا رمال الصّحراء على أشعة الشّمس؛ وهم كانوا بين داعٍ للصّنم وراعٍ للغنم، وعالِم على وهم، وجاهل

على فهم، وفحص من النّظر وبإدمان التأمّل وأخذِ النفس بالتردّد في أضيق ما بين الحرف والحرف لدقّة النّظم وبراعة التّركيب، إلى ما يبهر الفكرَ ويملأ الصّدر عجباً. انبهر العربيّ لهذا النّظم على وجه علميّ من حيث تأثيره في العقل الإنسانيّ، وكان معجزة التّاريخ العربيّ على الخصوص، وهذا بما حمله القرآن بنظمه اللغويّ من أصل النّهضة الإسلاميّة. وهكذا كانت اللغة العربيّة وسيلة على التّحقيق في استبقاء علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها، وإطلاق العقل في ما شاء أن يرتعَ منها، وأخذِهِ على ذلك بالبحث والنّظرِ والاستدلالِ والاستنباط، وتوفير مادة الرَّويّة عليه بما كان سبباً في طلب العلم للعمل ومزاولة هذا لذاك. وكان كلّ ذلك يتمّ تحت سريرة العربيّة القحّة الأعرابيّة التي جعل منها القرآن نموذجاً في البراعة الأسلوبيّة؛ والتي ألهمت المبدعين للتفنّن في رسم تُحف أدبيّة راقيّة سبق بها الإعجاز اللغويّ في سماء أسرار القرآن.

ـ **الإعجاز اللغويّ**: يدور كلامنا في ما اشتمل عليه النّظم الغريب المخالف لنظم كان موجوداً مألوفاً، ولنثر بسيط في مقاطعه ومطالعه وفواصله؛ فكان النّظم الجديد بدعاً من ترتيب الكلام غير المألوف، وبعضهم يقول: إنّ وجه الإعجاز في النّظم القرآنيّ في سلامة ألفاظه مما يَشين اللفظَ: كالتّعقيد والاستكراه ونحوهما مما عرفه علماء البيان، بل هناك من يقول: في صناعة المعاني، وهذا الرأيّ حسن مقبول؛ لأنّه يدلّ على وجه من الأوجه الجديدة التي وضّحها عبد القاهر الجرجاني في (دلائل الإعجاز) بأنّ القرآن معجز بالمعنى الذي يُفهم من لفظ الإعجاز في جمع الأصوات التي تؤدّيها الكلمة، وجعلها في جملة، ومن ثمّ توخّي معاني النّحو بين الجملة من تقديم وتأخير وحذف وحشو وإطناب... وهذه تفرغ مادتها إفراغاً من ذوبان تلك الحروف والكلمات؛ لتصير عنقوداً متكاملاً يؤدّي وظيفة اتّصال أعدّ لها، وهذه وظيفة التّحديّ القرآنيّ الذي يخالف الصّنعة البلاغيّة للبشر المبدع ويقول: " واعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ

الرّسوم التي رسمت، فلا تبخل بشيء منها". وهذا التّعريف الشّامل يوضح مدى العلاقة بين علم النّحو وعلم المعاني في تحديد نظرية النّظم. وكان العرب قد بالغوا لعهد القرآن مبلغهم من تهذيب اللغة، ومن كمال الفطرة، ومن دقّة الحسّ البيانيّ حتى أوشكوا أن يصيروا في هذا المعنى قبيلاً واحداً؛ باجتماعهم على بلاغة الكلمة وفصاحة المنطق، فجاء القرآنُ الكريمُ أفصحَ كلام وأبلغَه لفظاً وأسلوباً ومعنًى.

ــ **الملكة اللسانيّة:** ليست هبّة في عمومها، وتتنامى عبر الاستعمال الفصيح وتتربّى في محيط يتطلّب شروطاً لخّصها الباحثون في ما يأتي:

1ــ محاكاة اللغة من بيئتها الطّبيعيّة نطقاً ومثلاً وحكمة ومسكوكات.

2ــ حفظ القرآن الكريم وما يتبع ذلك من الحديث الشّريف والشّعر.

3ــ ترويض اللسان على أعلى النّصوص الأدبيّة في صورته المتقعّرة حال استعمالها.

4ــ تعليم الأوضاع اللغويّة النّحويّة في صورتها المنطقيّة المشهورة في اللغة.

5ــ التعرّف على تلك الأنماط اللغويّة ذات العلاقة بالتّرادف والنّادر والغريب وامتلاك المعرفة في الخصوصيات اللغويّة.

6ــ تعويد النّاشئة على الافتنان بالصُّور الأدبيّة البليغة، وعلى تلك المقامات التي تُعلي مقام اللغة العربيّة.

7ــ إحكام التفنّن في وجوه البلاغة.

ــ **الإلمام الديداكتيكي بمعطيات العصر:** لا يستقيم وضع اللغة العربيّة في امتلاكها أو ترسيخها إلاّ بربطها بآليات الحداثة، ومن الضّروري الوعي بمسألة التّفتّح على منطق اللغات من حيث التّمثيل والموازنة والتّعليل في حدود ما تقبله خصائص اللغة. فلا بدّ من تبصّر الأمر اللغويّ الذي يجمع كلّ اللغات في منطق وقانون ترتضيه كلّ اللغات. ولدينا معطياتنا من السّلف في منهجية تعليم العربيّة وهي لغتهم الثّانيّة. ولقد قدّم (ابن خلدون) منهجيّة أخذ اللغة الثّانيّة عن طريق المراس والصّناعة لتصبح منوالاً تدخل في قاموس المستعمل بالتّرويض والممارسة

فتصبح من جسم ذات اللغة الأولى، ولا تشكّل فُرقة للغة الأولى. وهناك مقترحات حديثة أبدع فيها (De Saussure/ دو سوسير) في دروسه من أنّ لكل لغة خصوصيات لا توجد في اللغات الأخرى، وينصح أن تُتعلّم في ذاتها ولذاتها، كما أنّ (Chomsky/ تشومسكى) وهو يتحدّث عن البُنى اللغويّة التي يجمعها منطق اللغة، يقول: تُدرك الفروق بسهولة عن طريق وعي اللغة في ذاتها، وارتباطها بأسلوبها مهما اختلفت الإشارات والكلمات. ومن وراء الكثير من الاقتراحات نريد رفعها إلى من يهمّه الأمر في التّربيّة والتّعليم؛ وهي خريطة تربويّة يمكن أن تفيد اللغة وتنقلها من لغة جافّة في القاموس، إلى لغة تعامل في الأساليب. ويمكن إجمالها في النّقاط التّاليّة:

1ــ امتلاك اللغة مبدؤه السّماع، ومراعاة قنوات السّماع اللغويّ الفصيح.

2ــ كلّ إنسان ناطق يحمل اللغة بالفطرة، وله ملكة المحاكاة التي تعمل على التّطوير.

3ــ ضرورة تنشئة الطّفل على سماع الكلام الفصيح، وتخيّر أفضل الأساليب.

4ــ احتذاء المناهج التّعليميّة الحديثة في طرائق التّدريس.

5ــ تعزيز التّجارب التّعليميّة النّاجحة.

وهناك أشياء ذات العلاقة بالتّدريس البحت، وهي من مستلزمات المعلّم الذي يجب أن يشرف على عمليات التّبليغ اللغويّ من حيث:

1ــ إتقانه للغة، تجويدًا لأصواتها، وإفصاحًا للنّطق بها، وسلامة من آفات النّطق، ومن طغيان بعض اللهجات العاميّة على لسانه، لأنّ الطّفل سيحاكي ما يسمعه، فإذا سمع اللفظَ مجوّدًا فصيحًا خاليًا من الآفات أدّاه أحسن الأداء، وإلاّ انطبع الفسادُ في ذهنه، وبَعُد عن الفصاحة بُعْدَ معلّمه عنها.

2- قراءة النّصوص الفصيحة والدعوة إلى حفظها، ثمّ حفظ بعض الآيات وبعض الأحاديث الشّريفة.

3ــ كثرة المطالعة وهي التي تُكسِب ملكةَ اللغة.

4ــ اتّخاذ المرجعيّة في حسن الأداء على طريقة أهل الفصاحة.

5ــ ضرورة التّدرج في تعليم النّحو، وتكون البداية من تعليم النّحو الوظيفيّ والبلاغة.

6- تعليم مبادئ التّجويد والتّمرّس فيه.

7- مزاولة الفصاحة قراءةً وكتابةً وكلامًا (الممارسة اللغويّة).

8ــ إعادة النّظر في طرائق ووسائل التّدريس.

9ــ توجيه وسائل الإعلام إلى حسن الأداء اللغويّ.

10ــ العمل على توجيه الطّلبة في دراسة نظْم القرآن وفق الهندسة اللغويّة ومنطق الحاسوب، وما يقتضه الإعجاز الرقميّ.

ــ **الخاتمة:** إنّ ما عرضته من مُلخّص في باب ملكة اللغة والفصاحة يؤلّف – في ظنّي- خطوات متكاملة، وليس ذلك بمانع من أن يأخذ الطّالب بما يتيسّر له من هذه الخطوات؛ ففي كلّ منها فائدة جليّة ونفع على حدة، ولكن الوضع الأمثل إنّما يكون بالأخذ بها جميعًا. وإنّي لأتطلّع من خلال هذا الملتقى وكلّ الفعاليات التي تقومون بها في مخبركم من الوصول إلى إدراك وفهم أسرار اللغة العربيّة التي لها مواصفات لا توجد في غيرها، ولِما اخْتيرت لتكون لغة كلام الله كان فيها السّر الذي لا يوجد في اللغات الأخرى. وعلينا الاعتزاز بها، والوعي بضرورة العمل على دفعها إلى تلبية المطالب العلميّة التي تتحدّانا بها اللغات الأجنبيّة، ولا يكون ذلك إلاّ بالاهتمام بتطويرها والعمل في ذاتها، ونخرج من صورة التّواكل إلى العمل ثمّ التّوكّل، وإلى التماس الأسباب، وضرورة المنافحة عنها فعلاً وعملاً، والتّباهي بها بالبرهان وساطع البيان. وإلاّ سيفرض علينا الزّمان فعل الانقراض؛ لأنّنا لم نكن في مستوى هذه اللغة العاليّة في كلّ الأزمان. واللغة من أهلها، فإذا كانوا مخلصين لها أخلصت لهم وطوّرتهم، وإذا أهملوها أهملوا مجدهم وهوّيهم، فناموا نوم المغفلين التّبع السّذج. وأختم بقول الرّافعي "**ما ذلّت لغةُ شعبٍ إلاّ ذلّ، ولا انحطّت إلاّ كان أمره إلى ذِهاب وإدبار**".

صناعة الكتاب في الجزائر♥

ــ **الدّيباجة:** ماذا عساني أقول، وأنا في هذه الولايــة الممتــدّة فــي التّــاريخ، وارجن/ ورقلة الحرّة، وقد ركبها التّاريخ وأعطته المناعة؛ بما له من روحانيــات ومعالم وقصور ومواقع أثريّة مصنّفة، وبطريقها التّجــاريّ فــي أعمــاق أفريقيــا الكبيرة، وهذا ما أكسبها الميزة السّياحيّة التي تحتكم إليها مــن قصــبات وينــابيع وبروج ومعالم قديمة... وكلّ ذلك يدلّ على بصمات الذين كانوا هنــا ذات وقــت وبعضهم مرّ من هنا دون عنت. ويشهد التّاريخ على انتفاضاتها الثّوريّة، وحركاتها الكثيرة، ويكفي أنّ الإلياذة ترمز لها بهذه الأبيات:

هنـــا العَبقريـــات والمُعجـــزات وصــرحُ الشّــموخ، وعــرش الجــلال
تبـــاركَ شـــعبٌ تحـــدّى العنـــاد فصـــامَ وأضْـــربَ ســـبعاً شـــدادا
وآنـــف أن يستســـيغ الحيـــا ة تجرعـــه ذِلّـــةً واضـــطهادا
وأقســـم أن لا يعـــيش النّهـــا رَ عمـــيلاً؛ يـــوفّر لليـــوم زادا
وبـــين النّخيـــل وبـــين الرمـــا ل عـــزائمُ تهـــزأ بالمســـتحيل

ومن خلال هذه الكلمة أنقل لكم تحايا المجلس الأعلى للغة العربيّــة إلــى كــلّ الفاعلين في السّاحة العلميّة والثّقافيّة في هذه المدينة والولايّة الشّامخة؛ علــى هــذا اليوم الدراسيّ الذي ينظّمه **مخبر النّقد ومصطلحاته**. ونتمنّى أن يتواصل هذا العمل بصورة دائمة؛ لتحريك تبادل المصالح العلميّة في المكتبات العموميّة التي تحتــاج إلى حركة دائمة؛ للعمل في الشّأن العامّ، والتّثقيف شأن عامّ. فبورِكت خطواتُكم في البدء وفي الختام.

1ــ متعلّقات حقيقيّة ذات العلاقة بالموضوع: من البدايــة نقــول: إنّ مســألة صناعة الكتاب في الجزائر ترتبط بمجموعة من العوامل التي تجعل العمليّة تســير

♥ ــ ألقيت الكلمة في المكتبة الرئيسيّة للمطالعة العموميّة بورڤلة، يوم 12 مارس 2019، تنظــيم مخبر النّقد ومصطلحاته، جامعة قاصدي مرباح.

باطّراد وعلى علاقات تكامليّة تواصليّة فكلّ غياب لآليّة يترك فراغاً ويسبّب التّعطيل، ولمّا نصل بعد إلى تواصل حلقات فعل الاهتمام بالكتاب كفعلنا لطقوس شرب القهوة، ولمّا تتربّى فكرة المطالعة فينا، ولم نكن نحن مرجعيات في تأسيس مكتبات داخل بيوتنا، كما لم يكن أمر الاهتمام بالكتاب يتعلّق بالمعاش، وتتربّى فينا أفكار التّثقيف في تحبيب القراءة، وإهداء الكتب في المناسبات، والمحافظة على المخطوطات... وفي المُحصّلة لا يمكن أن نصل ذلك المستوى الحضاريّ في الاهتمام بالكتاب إذا لم نرَ أنفسنا في المطارات وفي قاعات الانتظار وفي المحطات نقرأ، ونحن نسافر نحمل كتباً نقرأ ونقرأ ونقرأ، وهذا من المستوى الرّفيع الذي يحصل بانقراض الأميّة، هذا من جهة، ومن جهة ثانيّة هناك أزمة سوق الكتاب الأوّلي وهي أميّة الجيل الجديد فهم لا يقرؤون بالمرغوب، والكتاب ليس رفيقَهم المحبوب، وسبب ذلك التّكنولوجيا الحديثة، وتقنيات الاتّصال المتطوّرة التي غزت ذّهنيات بالمقلوب، فما العمل أمام الطفل الصّغير اليوم؛ وهو في السّادسة من عمره يحسن استعمال WhatsApp/ الواتساب واللويْحات الرّقمية والوسائط الإلكترونيّة وهو لم يقرأ كتابا في حياته. وفي هذا لا ننسى نموذج العائلة في تحبيب الكتاب لدى الطفل حتى قبل دخوله للمدرسة، لأنّ العلاقة يجب أن تُبنى منذ الصّغر حتى يكبر الطّفلُ والكتاب دائما بين يده. وهناك مسألة دعم الكتاب التي تجعل المجتمع يتعلّق بالكتاب مثل تعلّقه بالحليب، وهذا ما تعمل به تلك الدّول التي تنافس دول الغرب، والآن أصبحت لها الرّيادة في القضاء على الأميّة، وجعلت أبناءَها يعشقون الكتاب عشقهم لدورهم. وفي هذا المجال لا بدّ من الحديث عن المنافسة في مجال إنتاج/ صناعة الكتاب، وأن تكون لدينا مؤسّسات منافسة في إنتاج الكتاب بثمن بخس، ويكون التّنافس الشّريف في من يستقطب القارئ، وفي ذلك أن نستنهض التّنافس بين الشّركات مثل فعل: Hachette /CBS Cooperation/ News Farlag Grobe /Berson /Cooperation . وهناك ناشرون كبار يعملون على صناعة الكتاب من مثل: ريد ريد إلسفيير وبيرسون، وتومسونk وبرتلزمان

وفولترز كلور، وماكغروهيل إديوكيشن، وريدرز دايجست وسكولاستيك، ودي أغوستيني إديتوري، وهولتسبرينك، وجي آر بلانيتا. فهل يمكن أن يقع التّنافس عندنا لصناعة كتاب جيّد من بيئتنا ينافس كبرى الشّركات؟ وهل يمكن أن يقع التّنافس في عدد مطبوعاتها، وفي عدد مبيعاتها، فهل يمكن لدُورِ نشرنا دخول معترك التّنافس؟

2ــ قراءة في مدلول صناعة الكتاب: هل تساءلنا يوما كيف تُولد الأفكار وكيف يتمّ استدعاؤها؟ وما هي الأهداف التي ترمي إليها؟ وكيف يتمّ صياغة هذه الأفكار؟ وكيف يتمّ عرضها وتوصيلها للقارئ؟ كيف تتحوّل الأفكار العظيمة إلى كتاب؟ وكيف أصبحت هذه الأفكارُ مجسّدةً في أوراق جامعة؟ وربّما تأتي أفكار من نوع النّقد الذي يُخضِع الكتابَ للتّحليل أو المحاكمة من قبل القارئ. هي أسئلة مشروعة لأنّها من مخض مشمولات الصّناعة في مجال الكتاب بصورتها العامّة وتشمل الصّناعة آليات إجرائيّة، وخبرة تحوي سرّ الصّناعة الذي يشير أصلاً للقطاع الاقتصاديّ، من مثل الصّناعات التّحويليّة أو الاستخراجيّة، وما يتعلّق بتقديم الخِدْمات. وله مجالات تقنيّة في قضايا المحرّكات التّقنيّة أو في صناعة النّسيج أو في صناعة مواد التّغذيّة... وعندما نربطه بالكتاب يأتي الجانب الفنّي الذي يتعلّق بخصوصياته التي تدخل في سرّ الصّنعة/ صناعة النّشر تحت بند فنّ النّشر أو صناعة الكتاب. وله من أصحابه كثيرون من الكتّاب إلى المحرّرين والمدقّقين والمفهرسين والنّاشرين والمخرجين والبائعين والمكتبيين... هي سلسلة في هذا الفنّ تمرّ عليه هذه الصّنْعة؛ ليصل الكتابُ إلى قارئه بالصُّورة المرغوبة. ونجد المؤلّف يهب أفكاره للنّاشر، والنّاشر ينقلها إلى اللجنة العلميّة ومن ثمّ إلى آليات التّوضيب والإخراج والتّوزيع، وردّ فعل القارئ. هي حلقات مترابطة تجعل الكتاب يمرّ على مراحل بين الهيآت، وربّما بين البلاد أو القارات، وكنّا نقرأ ذات سنوات بأنّ الكتاب في الدّول العربيّة ينتجه المصريون، ويطبعه اللبنانيون، ويقرؤه العراقيون.

إخواني، لستُ هنا في موقع المختصّ للحديث عن مُضايقات النّشـــر، وترتيـــب الدّول العربيّة في آخر البلاد في صناعة الكتاب والتّرويج له، وفـــي ذات الوقـــت لستُ من أولئك الذين ينظرون إلى الكأس في نصفها الفارغ، وأتغاضى عن النّصف الممتلئ، وعن تلك الأعمال التي قدّمت من كثير من الدّول العربيّة التي أصـــبحت لها الرّيادة في صناعة الكتاب. كما لا نُغيّب دور الجزائر في هذا المجال، رغم أنّ صناعة الكتاب عندنا لم تُحظَ بالعناية المطلوبة، لأنّها لم تدخل بعد مجال الصّـــناعة والحِرْفة التي تكون محلّ منافسة. ولكن هي البداية، والطّريق تصنعه الأقدام، فـــلا يمكن أن تكون المنافسةُ أو الصّناعة إلاّ بتجسيد إقامة المعارض باستمرار، وأعتقـــد أنّ المعارض فرصةٌ يجب العمل على استمرارها؛ كي تزدهرَ صناعةُ الكتاب، وقد شهدت نمواً مطّرداً نتيجة برامج وزارة الثّقافة التي تدفع بحركة النّشـــر بصـــورة كبيرة، وهذا ما يسجّل عليها من خلال معارض الكتاب+ الاحتفائيـــات بالعواصـــم الثّقافيّة+ دور الثّقافة في مقرّ الولايات+ المكتبات العموميّة في كلّ الولايـــات+ دور الثّقافة في البلديات+ النّوادي الأدبيّة في التّجمعات السّكانيّة+ مقـــاهي الشّـــابكة... أرمادة من المؤسّسات العاملة على نشر الثّقافة والتّـــرويج للقـــراءة وللكتـــاب دون الحديث عن المكتبات الجامعيّة، ومكتبات الوزارات ومكتبات الولايات، ومكتبـــات المؤسّسات العلميّة والثّقافيّة، ومكتبات الخواص...

أيّها الحضور، لا أريد مواصلة الحديث في مجال ما هو من الواقع، وما هو من المستثمر فيه بقوّة كما لا أريد الحديث عن آليات التّوضي؛، وهذه المسألة يتـــدخّل فيها النّاشرون والمطبعيّون والفنّيون والبائعون، بقدر ما أريد الحديث عن **الكتـــاب التّعليميّ بصفة عامّة**، وشروط تحسينه وتجويده، وتوفير الظّروف المناسبة للفعـــل القرائيّ؛ بمعنى صناعة جيل يقرأ أو يتأبّط كتاباً، وهذا من منظور التّفريـــق بـــين الكتاب المصدر والكتاب التّكميليّ أو الثّقافيّ وكتاب الجيب، والنّظر إليه من حيـــث توفُّره بسعر زهيد، ومن حيث منافستُه للكتاب الإلكترونيّ. وأعتقد أنّ الأمور تُعالج بطريقة الأوليات والمستقبليات وهذا من منظور:

- وجود المكتبات ودور الثّقافة والمقاهي الأدبيّة؛
- توفير فضاءات التّواصل الاجتماعيّ بالمجان؛
- تسهيل مَهمّات الحصول على الكتاب الورقيّ دون مُضايقات بيروقراطيّة؛
- فتح المكتبات في أوقات الفراغ، وإلى ساعات متأخرّة من الليل؛
- إقامة معارض الكتاب وما يصحبها من المكتبات المتنقّلة؛
- تنشيط فعاليات ندوات حول القراءة؛
- إقامة مكتبات في التّجمعات والأماكن العموميّة بمسمّى (خُذْ كتاباً، واتْرُكْ كتاباً).

3ــ الرّهان على صناعة الكتاب التّعليمي: وهذا لما يشكّله من تأسيس وترسيس لثقافة القراءة كعنصر هامّ من عناصر المنهج الذي يحتاج للتّطوير باستمرار؛ وفقا للظروف وللعوامل المختلفة في تغيير الذّهنيات، ومن ثمّ الجودة تُعلّم الإبداع. والكتاب التّعليميّ مهمّ في نقل المعرفة والحقائق الأساسيّة والنّمو الشّامل للمتعلّمين. ويقع تركيزي على الكتاب التّعليميّ بما هو مطلوب أن يحويَه باعتباره مصدراً للتعلّم ومرجعاً ودليلاً للمصطلحات العلميّة المختلفة، وبما يحمله من تأكيد المرجعيات الوطنيّة وتعزيز الانتماء الوطنيّ، والتّعليم الذي يساير متطلّبات العصر، بكلّ البدائل التّعليميّة وجودة الإخراج. وقد يقول قائل هذه من مشمولات البرنامج، نقول: نعم ولكن، هي بدائل معاصرة تدخل في صناعة إنتاج الكتاب بحمولته الفكريّة، وما يحمله من تعزيز مهارات التّفكير، وتنوّع المستويات المعرفيّة وتنوّع البدائل التّعليميّة وكلّ ما يدخل في جودة الإخراج. وإنّ الحديث عن جودة صناعة الكتاب التّعليميّ يجرّنا إلى ربطه عن بناء المنهج وعن وسائل الإيضاح وأساليب التّعلّم بالكتاب التّعليميّ وعن أهميّة وجود مستند ومحكّ لتقويم ومراجعة الكتب التّعليميّة. وفي الأخير لا ننكر دور توفّر المواصفات الشّكليّة والفنيّة والتّحسينات لصناعة الكتاب التّعليميّ، وهي لازمة يجب العمل على تحبيب الكتاب التّعليميّ للمتعلّم؛ وبخاصّة في المراحل الأولى من التّعليم، وهذا يأتي مكمّلا لحسن استعمال علامات الوقف حيث

محالُها المناسبة. وعلى الصُّناع مراعاة مكوّنات الكتاب التّعليميّ من: أهداف ومحتوى ووسائل وتقييم وتقويم ووضع أنشطة وقوائم الكتاب، إلى جانب الغلاف الخارجيّ وكعبه، وحجمه، وحجم الكتاب، ونوع الورق، والتّجليد، وعناوين جانبيّة ونوع الخطّ، ومقاس الحرف والمسافات، والهوامش، والألوان، والخرائط وغيرها... ولا يخفى وجود المقدّمة ومفاتيح الكتاب وملاحقه وقوائم المحتويات، والمراجع والكشاف العامّ، ودليل المصطلحات.

4ـ الصّراع بين صناعة الكتاب الورقيّ والكتاب الإلكترونيّ: هي حركيّة آنيّة علميّة تأتي من أطراف متعدّدة، بظهور الكتاب الرّقميّ الذي أضحى منافساً للطّباعة وبرزت توقّعات بضعف الإقبال على الكتاب الورقيّ بأشكاله المتعدِّدة، كما برزت توقّعات حول نهاية صيغته الورقيّة التي رافقت الحضارة الحديثة ممّا يؤثّر سلباً على صناعة الكتاب، رغم أنّ الكتاب الورقيّ لم يتقهقر بالشّكل الذي كان منتظراً منه، ولا يزال الإقبال عليه لعدم المنافسة الكُفْأة للكتاب الإلكترونيّ، ويبقى سوق الكتاب الورقيّ يعرف الدّيمومة، ولكن لا يزال تَغيب عنه المِهْنِية. وبالفعل ازداد الإقبال على الكتاب الإلكترونيّ ذات سنوات، والإحصائيات الأخيرة لأعوام 2015– 2018 تقول بأنّ الكتاب الورقيّ يعيش نمواً في المعارض، ويلقى الشّراء أكثر من الكتاب الإلكترونيّ وهذا في كبرى المعارض: فرانكفورت+ القاهرة، وحتى في أوربا لم يثبت الكتاب الإلكترونيّ في المنافسة أمام الورقيّ. وتبقى المكتبات الافتراضيّة المجانيّة ينالها الإقبال بشكل مُطّرد، وتسجّل نسبة من المنخرطين بشكل منقطع النّظير، وهذا ما تقوله العدادات الرّقميّة، كما أنّ نسبة تحميل الكتب تعيش الزّيادة السّريعة، وهذا ما أثّر كثيراً على صناعة الكتاب الورقيّ.

ـ الخاتمة: يجدر بنا في الختام التطلّع إلى حال المرغوب في صناعة الكتاب وهو الكاتب التّعليميّ وهو الذي يؤصِّل لصناعة الكتاب القاعديّ، وفي نفس الوقت يُوجّه نحو مستقبل الكتاب المدرسيّ والاتّجاه نحو المنصّات الإلكترونيّة وغيرها من مستجدات العصر. ولكن لا يمكن أن تتحقّق هذه الأفكار في ظلّ نقص ثقافة القراءة

عندنا، فالأطفال عندنا هم الأقلّ قراءة في العالم، والقرّاء الصّغار اليوم هم القــرّاء الكبار في الغدّ، ولأجل هذا؛ فإنّ من نصوص قانون الكتاب الجديــد الــذي تبنّتــه الجزائر إجبار التّلاميذ في المدارس على قراءة ثلاثة (3) كتــبٍ فــي كــلّ ســنة دراسيّة؛ ابتداء من السّنة الأولى ابتدائي، والإسهام في جائزة تحدّي القراءة العربيّ وكذلك إجبار مديري المدارس على مرافقة تلاميذهم لزيارة معارض الكتاب. هــذه هي الأمور التي يجب تأكيدها لنقول: إنّنا شعب يقرأ، ويهتمّ بفعل الكتاب ولا يهــزأ ويقيم له الأعراس، وينشط من أجل أن يكون مثل الأجناس.

إخواني أنا سعيد بهذا اللقاء الذي نــروم أن يتواصــل، ونلتقــي فــي رحــاب الموضوعات ذات العلاقة بالرّقي الجمعيّ، فأنْعِمْ بكم أيّها الحضور! وأخــتم بقــول الشّاعر:

قُـــلْ للأحبّـــةِ فـــي الأعمـــاق ذكـــراكمُ

يمضـــي الزّمـــانُ ونـــبضُ القلـــبِ يَهْـــواكمُ

جـــاءتْ رســـائلُنا والشّـــوقُ يحملهـــا

لا خيـــرَ فينـــا إذا يومـــاً نَنْســـاكُمُ

يـــا مـــنْ ســـكنتمْ عُـــروشَ الـــرّوحِ فـــي شـــغَفٍ

لـــيس الوصـــالُ وِصـــالاً دون رُؤيـــاكمُ

التراثُ الإسلاميُ وسُؤالاتُ التجديدِ♥

ـالضّرورة الملحّةـ

ــ **الدّيباجة:** ماذا عساني أقول عن موضوع قديم مُتجدّد؛ قديم وقد كُتبت فيه كتابات كثيرةٌ وكبيرةٌ، وجديد باعتباره يمسّ مُعطيات التّغيّر وهو آليّة طبيعيّة وصفة من صفات البشر الذي يَتُوق إلى آفاق ومُعطيات تُوائم عصره؛ جديد باعتبار أنّ التّراث الإسلاميّ ثابتٌ في كَلِمِه مُتغيّرٌ في دلالاته؛ جديد لأنّ صفةَ الإعجاز في تراثنا الدّينيّ صلاحُه لكلّ زمان ومكان؛ جديد بتعدّد التّفاسير وتجدّدِها ومسايرتِها للحداثة؛ جديد باعتبار أنّ مُعطيات الرّاهن ليست هي مُعطيات الماضي... وأمام هذا فإنّ البحث في هذه المَسألة تعود بنا إلى ضرورة الوعْي بالمَسائل الدّينيّة التي تحتاج إلى جعلها تُناسب وضعَها الحاليّ، وقياسها قياس الحاضر على الحاضر، ولكن هناك من المَسائل التي لا تدخل في هذا الباب؛ فهناك من المَرجعيات التي تحيلنا دائماً إلى قياس الحاضر على الماضي في حدود الثّابت منها. وأمام هذه المُعطيات رأيتُ التّدخّلَ بهذه الكلمة المُقتضبة، وأسهم بالمُعطى العلميّ الذي أتحكّم فيه من خلال اطلاعي على أفكار تخصّ الموضوع. وستكون مُحدّدات كلمتي كما يلي:

1ــ التّراث الإسلاميّ: كلمة التّراث ما يتركه الإنسان لمن بعده، سواء كان مادياً أم معنوياً وردت مرّة واحدة في القرآن الكريم﴿ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴾ الفجر 19. بمعنى الميراث؛ أي تأكلون الميراث ولم تسألوا أهو من الحلال أم من الحرام؟ والتّراث هو الهُويّة الثّقافيّة للأمم، والتي من دونها تضمحل وتتفكّك، وقد تندمج ثقافياً في تيارات أخرى، ولكن كلمة **(التّراث الإسلاميّ)** تنحصر في ذلك

♥ ــ ألقيت الكلمة في المكتبة الوطنيّة يوم 17 مارس 2019م، بمناسبة عقد الملتقى الدّولي حول (التّراث الإسلاميّ وسؤالات التّجديد) لصالح مؤسّسة الأصالة، دائرة الدّراسات الإسلاميّة.

السّجل الكامل لنشاط المسلمين في الذّاكرة الجماعيّة منذ نزول القرآن، وما خلفه المسلمون من: لغة وقرآن وحديث وشعر وعمران وسلوك وقيم وإبداع... وكلّ ما يجعل المسلم ينماز بهويّة وخُصوصيّة تُميّزه عن غيره. ولقد ارتبط التّراثُ الإسلاميّ في البداية باللغة العربيّة؛ كلغة حاملة لكلام المُسلم (القرآن والحديث) فما لا يفهم به الإسلام فهماً جيّداً فهو من الواجب، ومُعظم ذلك التّراث تمثّل في المكتبات أثناء عصر التّدوين، ولكنّه تمدّد عبر لغات أخرى، وتوسّع عبر القارات الخمس، وأضحى التّراث الإسلاميّ يحمل مُكوّنات الفكر والوُجدان والسُّلوك عبر عديد اللغات والثّقافات، وله فِعْلُه وتأثيره في الماضي والحاضر. وهذا ما دعا البعض إلى وصف التّراث بالمُتّصل الحيّ والمُتفاعل مع اللغات والثّقافات. والعبرة في هذا أنّ المُجمل من معنى كلمة **(التّراث الإسلاميّ)** ما يميل إلى خصوصيّة إسلاميّة، وله من إسهامات القرآن/ الحديث ما يشكّل الصّورة الرّمزيّة للتّراث الإسلاميّ الذي أبدع فيه العربُ وغير العرب.

2ــ التّراث الإسلاميّ في الميزان: لا ننكر بأنّ نقوداً مُهمّة مَسّت **التّراث الإسلاميّ** من حيث المَنهج على الخصوص، ووقعت بعضُ الشّبهات في المعاني اللغويّة، وفي القراءات القرآنيّة وفي إقصاء الاحتجاج بالحديث لدى المدارس النّحويّة المؤسّسة للنّحو العربيّ، وفي اختلافات المفسّرين للنصّ الثّابت، وفي الاجتهادات المكانيّة والزّمانيّة، وفي عدم التّفريق بين الثّابت والمتحوّل، وانبرى أهل الاعجاز للرّد على بعضها، وظهرت فِرَق الاعتزال والظاهريّة والرافضة والكافرة والخارجة والمتزندقة... وتوالى ذلك بعد عصر الضّعف دعاة بعض المتصوّفة بتفاسير ودراسات سطحيّة محلّها اعتماد الأسجاع اللغويّة. وفي العصر الحديث أفكار التّنوير على يدّ (الأفغانيّ عبده+ أرسلان+ ابن باديس...) ضمن حركيّة معاصرة ترتبط العصر بالماضي في سياقات تطوّريّة ضمن نهضة منشودة دون ربطها بواقع الأميّة والتّخلّف. كما ظهرت إرهاصات أخرى ضمن دراسات تضع قياس الحاضر على الماضي محلّ شكّ؛ فنجد (علي عبد الرّازق) (محمد

نجيب زكي) (الطّاهر ابن عاشور) (رشيد رضا) (طه حسين) (محمد أركون) (نصر حامد أبو زيد) (طه عبد الرحمن) (محمد عابد الجابري) (حسن حنفي) (محمد شحرور) وغيرهم يدعون إلى أفق فكريّ جديد لقراءة التّراث؛ وفق معالم رؤيّة جديدة كي لا تلتبس الأفكار وتخرج من صورة النّمطيات التي لا تعالج وبدأت معالم هدْم الطابوهات وهزّ المُسلّمات، بل وصل البعضُ إلى رفْض التّقديس للتّراث الإسلاميّ بحجّة أنّ الوحي هو الذي فَجّرَه؛ لأنّ هذا التّراث ليس بوحيٍ؛ بل هو عمل إنسانيٌّ وإن ارتبط بالوحيِ. ويكادون يتّفقون في الدعوة إلى العقلانيّة في قراءة التّراث، أضف إلى ذلك ربط العلاقة بين القانون والأخلاق؛ باعتبار أنّ الوسطيّة الإسلاميّة تقوم على تأسيس القانون على الأخلاق، وتسديد الأخلاق بالقانون وربط القيَم بالعادات، وبعض الأحكام بعدم القطع... وهذه الأفكار كانت قبل هذا ظاهرة في أفكار (ابن حزم) في رسالة العلوم، وفي أفكار (ابن مضاء) في الردّ على النّحاة، وعند (أبي حامد الغزالي) في ميزان العمل، وفي كتاب الصّوفيّة في إلهامهم (للقشيري) وكتابات (ابن تيميّة) وقرأناها في الموافقات (للشّاطبي) وفي أفكار (ابن رشد) وإن لمّحوا لها بالمسكوت عنها، ولكنّهم كشفوا غطاءات كانت من المستور عند أهل الحديث، وبعض المفسّرين.

ويمكن القول بأنّ **التّراث الإسلاميّ** نال هزّاتٍ ارتداديّةً من قبل المُجدّدين في القرون ما بعد التّقعيد، وكانت نظراتهم تتعلّق في مضامين التّراث، ولم يُعمّقوا النّقدَ في الوسائل والآليات التي نتجت وتفرّعت عنها تلك المضامين، ووقع البعض منهم في إعادة صوْغ المضامين وفي سوء أدائها. أضف إلى ذلك أنّهم استعملوا المنهج التّراثيّ المنقول دون تأسيس لسياق حضاريّ مُغاير للنّمط الذي نما فيه **التّراث الإسلاميّ**، وقاعدة بعضهم أنّ كلّ وافدٍ مقبولٌ، وكلّ أصيلٍ مرفوضٌ؛ حتى تثبُتَ موافقتُه للوافد المنقول. وبعضهم يرى أنّ كلّ منقولٍ مرفوضٌ حتى تثبُت فائدتُه وكلّ مأصولٍ مقبولٌ حتى يُثبِتَ عدمَ فائدتِه... ومهما اختلفتِ الآراءُ وتباينت، نجد من كان يسير في ظاهر الأمر، ويعدّ كلّ مساس بالتّراث مساساً بقُدسيته، ودعوةٌ

إلى الفتنة. وما يهمّنا في واقعنا مآلات السّيرورة التّاريخيّة والعلميّة التي نمرّ بها بتوظيف هذا التّراث بوصفه قديماً لا يتناسب والواقع، أو قديماً يتمشّى وواقعَ الحال.

3ــ سؤالات التّجديد: غايتي من هذه الكلمة ليست الوقوف على وصف الحال بل طلب المآل وكيف يمكننا قراءة هذا التّراث في أسئلة التّجديد؛ وهي من معطيات الرّاهن، كيف نحافظ على تراثنا، ونُحوّله إلى بناء تراكميّ مَعرفيّ؛ يستجيب لقراءات الحاضر وآليات الحداثة؟ كيف نتملّك آليات المَنهج الذي يعمل على النّقلة النّوعيّة الفاصلة بين الثّابت والمُتغيّر؟ كيف نقرأ تراثنا ضمن مُتغيّرات الهُويّة؟ كيف يمكن التّعايش ضمن التّعدّدية الفكريّة واللغويّة؟ هي أسئلة التّجديد المَرغوب أن تكون مَحلّ إجابات –من قبل النّخبة الوطنيّة– وتُلبّي تطلُّعات الحاضر دون الإفراط في الماضي العميق؛ الذي جعلنا نقف نداً أمام هُويات غربيّة ناكرة، بل إنّ بعضَها قاتلةٌ. لا أملك وصفةً جاهزةً بل أملك أفكاراً شُتاتاً جمعتها من مُدوّنات العاملين على قراءة التّراث قراءة مُعاصرة؛ وقد يصلُح بعضُها لنمطيّة مُعاصرة تكون عنصراً من عناصر الاستجابة للمُعطى الحاضر، وتكون في ذات الوقت أحدَ تمثّلات بناء الحاضر دون الإفراط في الماضي.

وقبل اقتراح بعض الأفكار التي بصُرت بها، أدعو النّخبة العالمة، النّخبة المرجعيّة، النّخبة العاملة على الشّأن العامّ، النّخبة العضوة إلى حمْل أمانة التّأطير والتّوجيه والاحتواء لمتغيّرات تعرفها بلادنا على الخصوص من مثل: العيش معاً بسلام/ الوسطيّة/ التعدّديّة اللغويّة/ الهويّة الأمازيغيّة... وإنّه من قضايا الحفْر في الواقع الوطنيّ الذي يستدعي فتح حوار الاستماع للآخر في مَرجعيات قد يقع الصّدام حولها في مَبدأ الأمر، ولكن عندما يعلو الخطاب ويكون من نخبة عالمة تستطيع احتواء مَضمونه وتوجيهه وجهة التّواصل في الانتماء وفي تمطيط المسلّمات. وأدعو ذات النّخبة إلى صنع خطاب جديد؛ بتحصيل أسباب المَعرفة العاملة على الإرشاد والتّوجيه والتّغيير التّدريجيّ؛ وفق رُشديّة عقلانيّة تجعل

أرجلَنا في الماضي، تسير بتُؤدة مَضمونة إلى الحاضر وعلى الوجه الأنفع، وتكون جامعةً بين الأصالة والمُعاصرة.

4ــ الضّرورة الملحّة: من مُقتضيات هذا الموضوع أن نقول ما يمكن تطبيقُــه على الواقع وهذا هو عُمدة كلمتي، فالافتراضات لا تَبني إلاّ الأحلام الواهيّة، وكان من الضّروريّ إنزال الخطاب إلى ممكن المكان والزّمان والجيل، وجعلــه يتنــاغم ومعطيات التّغيير، وبلغة نقديّة تُناسب ذلك التّغيير، من مَعالم باطنيّــة وخارجيّــة. وفي هذا المجال لا بدّ من دراسة الظّاهرة اللغويّــة مــن زاويّــة أنّهــا مَوضــوع اللسانيات الحديثة؛ بمعنى دراستها لذاتها وفي ذاتها؛ لتســتجيبَ لآليــات الخطــاب التّجديديّ، بمَفهوم النّقد للنصّ المُنتج (التّراث) والنصّ القادم القائم (الجديد) وعلــى الفهم الجديد ومن ثمّ استقاء العلوم الإنسانيّة الأخرى كالفلســفة والتّــاريخ الأدبــيّ وعلم الاجتماع اللغويّ، ويتمّ كلّ هذا ضمن سياقات داخليّة وخارجيّة عــن الــنصّ كنصّ مُنتج يقبل التّفسير المَنهجيّ التّاريخيّ. وإنّنا نرى بعض القصور اللّغويّ سببه الجمود الفكريّ والمعرفيّ والتّقنيّ في اللغة كظاهرة لها مُحتوى وخصوصــيات لا تستجيب في بعض أبعادها اللغويّة عن هذه المَرحلة، وأصبحنا نســتلف/ نقتــرض/ نوظّف الكلمات الغربيّة من مثــل: الأنطولوجيّــة/ الابســتيمولوجيّة/ المناجمنــت/ البريستيج/ الديكور/ البريك فاست/ البراديم... وأمام هذا التّصحّر اللغويّ لا يمكــن للعربيّة أن تستجيب لآليات التّجديد؛ علماً أن نسبيّة اللغة كما يقــول Sapir تعــود لآلياتها ومتحدّثيها، وأنّ تخلّفها عن التّطوّر يثبت تخلّف مُتحدّثيها. ولهــذا خلصــت إلى تبنّي الضّرورات التّاليّة:

1/4ــ ضرورة العمل على تطوّر بنيات اللغة ضمن استراتيجيّة علم اللســانيات الحديث لإنتاج مُتوافقات لغويّة مُعبّرة عن راهن مــآلات التّجديــد، ضــمن الفهــم السّياقيّ للغة، وربطها بمناهج حديثة تكون مُعبّرة عن المَنطق اللغــويّ والســمْت النّحويّ والسّياق التّطوّريّ.

2/4ــ ضرورة التّجديد: وهذا يحتاج إلى تأصيل مَنهجيّ وإلى تنزيل واقعيّ من قبل النّخبة العاملة على الشّأن العامّ، وعليها التّرشيد والتّوجيه وتحديد الانتماء ووضع المَرجعيات وتوضيح مَفهوم التّجديد، وتحديد الفهم السّديد للنّص الدينيّ وفق ضوابطه رغم اختلاف الزّمان والمكان والإنسان الذي تَعاملَ وتَفاعلَ مع النصّ/ التّراث في سياقه؛ أي اصطباغ النصّ/ التّراث باللون الذي يُوافق حاجاتِ النّاس في واقع معيّن.

2/4ــ ضرورة التّفريق بين التّجديد والتّغيير، ومن الضّروريّ أن يكون التّجديد المُضيف لا التّغيير الذي يهدم كلّ الماضي تحت مسمّى التّجديد. وهذا لا يكون إلاّ بالتّجنيد النّخبويّ لتحديد معالم الطّريق في التّواصل المبنيّ على فهم الماضي ومتغيّرات الحاضر، والرّبط بينهما في حلقات متكاملة، وبأشكال مختلفة.

3/4ــ ضرورة وضع معالم طريق واضحة، وهي خُطى الأمّة العربيّة والإسلاميّة بالنّظر إلى رفْع التّحديّ، والإقرار بالصّحوة القويّة المُتمثّلة في تحقيق القديم/ التّراث على أنّه مُعطى قديم له صفة الدّيمومة، وأنّه يصلح للعصر الحاضر. وهنا من الضّروري تحديد آليات الدّيمومة والتّواصل في الهويّة في معناها الكبير: عربيّة إسلاميّة/ عربيّة إسلاميّة أمازيغيّة/ الانتماء والتكتّل/ مقام اللغات الوطنيّة.

4/4ــ ضرورة الاحتكام إلى المجال التّداولي الإسلاميّ روحاً ومَنهجاً، والتّحرّر من سُلطة مَنهجيّة غربيّة؛ تتنافى مع قراءة **تراثنا الإسلاميّ** فيه ولذاته، وتحديث المَنهجيّة التّراثية وتأهيلها لمُواصلة العطاء، واستئناف البناء، والدّعوة إلى قراءات ابستيمولوجيّة، واستثمارها في مُقرّرات الدّرس التّراثيّ الإسلاميّ.

5/4ــ ضرورة الخروج من التّخندق بين صفّ تقليديّ/ تقليدانيّ، وصف حداثيّ/ مُعاصر والتّحالف الجمعيّ من أجل الحفاظ على **التّراث الإسلاميّ** بالتّفريق بين ما هو من المُقدّس (القطع) وما هو من الفُروع والظّنيّات والاجتهاد (الاجتهاد حسب المُعطيات/ حسب الأزمنة والأمكنة/ حسب الأرضيّة المَعرفيّة للمُجتهد...).

6/4ــ ضرورة التّواصل لا الانقطاع، والتّواصل يعني ربط الماضي بالحاضر عن طريق استيعاب مَضمون التّراث الإسلاميّ وهضمه وتطـويره؛ لأنّ وظيفـة التّراث أن يفتح آفاقاً جديدة للأمّة، لا أن يغلق عليها الآفاق ويسجُنها في الماضي.

7/4ــ ضرورة الخروج من أفكار الخطابـات التّجزيئيّـة التّفاضـليّة **للتّـراث الإسلاميّ**، بالأخذ بالبعض ورفض البعض. والحال يقول: لا بدّ من الجمْـع بـين المضمون والوسيلة والمنطق، ضمن فكرة تجديد عطاء التّراث، واسـتئناف بنائـه بمقولة السّلف "**العبرةُ بِعُمُومِ اللفْظِ لا بِخُصُوصِ السّبَبِ**".

ــ **الخاتمة:** إنّ نقل **التّراث الإسلاميّ** إلى الأجيال المعاصرة ليس سهْلاً، فـإنّ احتمالَ التّحريف المتعمّد للقيَم التّراثيّة يُعتبر من أبرز الأخطار التي اقترنت بما تـمّ في هذا المجال؛ بسبب الغزو الثّقافيّ الذي تعرّضت له الحضارة العربيّة الإسلاميّة والذي أدّى إلى إحلال قيَم ثقافيّة جديدة تتّصل بالحضارة الغربيّة، ولا ترتكز إطلاقاً على جذورنا الثّقافيّة. وهنا يجب التّماهي مع **تراثنا الإسلاميّ** الذي يتعلّق بالتّعـايش المُفضيّ إلى حَرَكيّة التّاريخ في صورة (لكم ديـنُكم ولـيَ ديـني/ لسـتَ علـيهم بِمُسَيْطِر)... ومن هنا ندعو من يهمّه الأمر إلى قراءة صريحة مُتبصّرة مـن قبـل نُخبتنا وعلمائنا ومُختصّينا في **المَوروث الإسلاميّ** المَكتوب والشّفاهيّ كيفما كانـت طبيعتُه والعمل على بناء النّظريات التي تقرأه قراءةً غير تجزيئيّةٍ ولا تفاضـليّةٍ. ونلتمس من علمائنا العمل على قتل **التّراث الإسلاميّ** فهماً واستيعاباً **أوّلاً**، ومن ثـمّ تقديم خُطَط تحيينيّة **ثانياً**؛ ليعيش **تراثُنا الإسلاميّ** الحاضرَ، **وثالثاً** ليجيب عن أسئلة التّعايش العالميّ ضمن مُعطى التّثاقف، **ورابعاً** الخروج من أنفاق الماضي؛ بإدراك مخارج العصر؛ دون التّجني على هذا **التّراث الإسلاميّ** ودون التّمـاهي/ الإفـراط العبوديّ الذي يجعله يعيش الانعزال والانكفاء في المجلّدات التي لا تُعطـي نتيجـةً ولا تُؤكِل خبزاً.

التربيّة الروحيّة وتحدّيات العولمة♥

ــ **الدّيباجة:** ما أحوجَنا اليوم، ونحن في هذا اللقاء الصّوفيّ؛ للحديث عن آليات التآلف البينيّ بخصوص التّربيّة الرّوحيّة في الفكر الصّوفيّ؛ لتكون لنا مرجعيّة في مُدوّناتنا الدّراسيّة، والبحث من خلالها عن سُبل تعزيز ثوابت الهُويّة والقيَم الوطنيّة ضمن العمل على تعزيزها بالتّماهي والتّنامي في أطرها: التّربويّة+ التّعليميّة+ العُرفيّة+ العاداتيّة+ الهُويّاتيّة+ المقدّس منها من الثّابت عن المتحوّل في ظلّ عالم إلغاء الهُويّات، وإيجاد عالم نمطيّ يراه البعض قَدَراً مُقدّرا. وكان علينا الانغماس فيه دون فرْض الخصوصيات. ومن خلال هذا اللقاء الصّوفيّ العلميّ نروم من المختصّين العمل على إبراز كيفيّة التّماهي مع العولمة دون الذّوبان، كيف نكون أبناءَ عصرنا في مِصرنا؛ بالمحافظة على الخُصوصيات، وتعزيز خطاب الكرّة الأرضيّة التي نحن جزء منها، ونكون فيها أعضاءَ مُستفيدين مُضيفين بصماتنا العربيّة الإسلاميّة الأمازيغيّة.

أيّها الحضور، أمام هذا الطّرح؛ أركّز تفكيري في هذا البحث حول التّربيّة الرّوحيّة في معانيها الكبرى؛ دون الخوض في المؤثّرات الكثيرة لجميع أبعاد الحياة التّربويّة في الجوانب الإنسانيّة السّياسيّة والاقتصاديّة. فالتّربيّة تعني التّلقين الأخلاقيّ والأدبيّ في عمليات التّكيّف والتّفاعل بين الفرد ومحيطه في عمليات الحياة بما تحمله من ثابت ومُتغيّر؛ لأنّ التّربيّة أداة التّغيير، وهذا بهدف إعداد الفرد للحياة الفعّالة في المجتمع، بمراعاة كلّ الجوانب التي تجعله عضواً مُضيفاً كاملاً. إذاً تقوم التّربيّة على

♥ ــ الكلمة التي أُلقيت في الملتقى الدولي السّابع حول التّصوّف (التّربيّة الرّوحيّة وتحدّيات العولمة). ولاية غليزان في 19–20 مارس، 2019م، تنظيم: وزارة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف/ مديريّة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف وولاية غليزان.

نقلة نوعيّة تحسينيّة في ذات الفرد؛ بوضع آليات نهضويّة ضمن الثّوابت الرّوحيّة والأخلاقيّة والحضاريّة، ومتطلّبات المصالح المتغيّرة المستقبليّة.

1ــ التّربيّة الرّوحيّة: دعوني أكرّر ذات الكلام الذي سبق أن ألقيته هنا في غليزان في السّنة الماضيّة بخصوص ملتقى القيم الرّوحيّة، وقد وقع استهلالي بهذه العبارات "إنّ التّربيّة الرّوحيّة وسيلة مهمّة لتعزيز قيَم السّلم والأمن والطّمأنينة من خلال دعوات القرآن والسُّنة لهذه القيَم العُليا ومحاربة كلّ أشكال التّطرّف والتّعصب المذهبيّ، وكلّ انحراف وتمييع لثوابت الدين وأخلاق الإسلام. فلا مندوحةَ -أيّها الحضور- أن تتكثّف مجهوداتنا أفراداً ومؤسّسات للَعِب دورِ إرساءِ قيَم السّلم والأمن والتّسامح من خلال تعزيز وتفعيل القيَم الرّوحيّة والمبادئ الدّينية، وإصلاح الفرد والمجتمع، من خلال الأسرة والمساجد والزوايا والمدارس والجمعيات التي تعمل في هذا الإطار. وإنّ تربية الرّوح هي الفلاح من خلال ما تتيحه من صوفيّة الجانب الروحيّ، ومقامات ساميّة ومن دروس الوعي أولاً، إلى دروس الوعظ في بعض المقامات ثانياً؛ وهي كلّها كفيلة بسدّ الكثير من الفجوات، وهذا دورنا جميعاً لتوفير الاطمئنان للفرد والمجتمع. وإنّه ليس من الضّروريّ أن نستفيض في أمر معاني التّربيّة؛ بقدر ما نقول: إنّها تربيّة الجسد وتربيّة الرّوح، وتربيّة النّفس وتربيّة العقل وهناك تجديدات تربويّة تتمثّل في الاستجابات للتّحديدات المستقبليّة والأساليب الذّكيّة من أجل التّعامل مع المُتغيّر من مثل التّفجير المَعرفيّ وظهور التّكنولوجيّة الحديثة وسهولة الانتقال والاتّصال، ومُختلف التّطوّرات لمَجالات الحياة التي أفرزت تجديدات في السّياسة التّربويّة، أو ما يعرف بالتّحدّيات التي تواجهها التّربيّة المُعاصرة المُمثّلة في تطلّعات القرن الحادي والعشرين للتربيّة، والاعتراف بالواقع المعاصر، وتحدّي الانفتاح وتحدّيات المأسسة، والتّربيّة الأسريّة الحديثة... تِلكم جملة التّحدّيات التي تواجه التّربيّة الرّوحيّة في محيطنا العربيّ أمام وضع صعب لا يرحم فما هو السّبيل الأقلّ ضرراً لنكون في هذا المحيط عاملين على العيش بنفعيّة مستفيد+ مفيد. وهذه أكبر أزمة نواجهها ضمن المعطى المعاصر ويواجهها مسؤولو

النّظم التّربويّة؛ حيث سينتج عنها الغزو الفكريّ والثّقافيّ والفراغ الرّوحيّ والانجذاب اللغويّ، والهجرة إلى الغرب والانفتاح على عالم الفَسْبَكة والتّوْتَرَة، وفَبْرَكَة العقل المتخلّف بآليات وسائل الاتّصال، وما يصاحب ذلك من ارتفاع الأميّة وازدياد البطالة... فماذا نحن عاملون أمام هذا المُتغيّر العولميّ؟

2ــ العولمة خصام/ تماهي كلّي/ انخراط: تُعدّ العولمةُ أهمَّ ظاهرة تشهدها الحضارة الإنسانيّة والتّاريخ العالميّ في وقتنا الحاضر، وهي مصبّ لمجرى التّاريخ الذي طالما سارت به سننه ليصل بنا إلى تقدّم بشريّ في مختلف مجالات الحياة بطريقة أصبح الوجود الإنسانيّ شديد التّشابك والارتباط. ومَسارها التّرابط الكونيّ في رباط تكنولوجيّ اقتصاديّ ثقافيّ علميّ استهلاكيّ. ومن تحدّياتها الكبرى النّموذج المعرفيّ الغربيّ الماديّ المصادم العلوم الإنسانيّة وكذلك مع الأخلاق؛ علماً أنّ الأخلاق لها دور في تحقيق سعادة البشر، وفي صياغة البنيان الاجتماعيّ، ويقول (مالك بن نبي):"إنّ القيمة الأخلاقيّة لها أهميّتها في الحفاظ على البناء الاجتماعيّ والحضاريّ، إذ تحمي البُنيان الاجتماعيّ من التّفكّك، وتُعطيه قيمةً فوق أرضيّة وتدفع النفَس الحضاريّ إلى الاستمرار في الإنجاز، وتُزوّده بالمُبرّرات التي هي أسمي من الكسب الماديّ وحياة التّرف. ومن هنا ندرك سرّ القيمة الأخلاقيّة التي خصّ بها محمدﷺ الفضائل الخلقيّة؛ باعتبارها قوّة جوهريّة في تكوين الحضارات". ومن خلال هذا نرى بأنّ العولمة لها جانب إيجابيّ غير متوحّش، وآخر سلبيّ مُلغي للخصوصيات؛ وسنجد أنفسنا أمام خيارات ثلاثة، ومن الضّروريّ أخذ موقف، أو التزام الوسط الذي يقع فيه الانخراط دون تدمير الهويّة القوميّة/ الوطنيّة، وهو المَوقف الذي يمكن العيش ضمن النّطاق التّربويّ، والاستفادة من العولمة في جانبها التّكنولوجيّ؛ وهذا بمُراعاة شطب بعض التّصرّفات المُخلّة بسوء الأداء عند بعض المسلمين، من مثل: التّعصّب والتّمذّهب والطّائفيّة. وكان على التّربيّة الرّوحيّة غرس روح العلم والمنطق، وحبّ الرّياضيات، والفكر النّقديّ، وحريّة الرّأي، والتّحرّر من رواسب الماضي العقيم، والحفاظ على ثرواته الدينيّة والثّقافيّة؛ حيث الحياة المعاصرة

تفرض تشريعات جديدة ومناهج حديثة، فهل تكون التّربيّة الرّوحيّة مُلبّية لواقع الحال؟ إذاً ليس لدينا منفعة في خلق خصام مع العولمة، ولا نربح إذا تماهينا دون فرض الذّات، ولا يبقى أمامنا إلاّ الخيار الثّالث؛ وهو مع دخول العولمة بمراعاة الخُصوصيات/ فرض الذّات؛ بمعنى التّفاعل مع التّراث القوميّ واللغويّ والمقدّس الدينيّ والعُرف والعادات التي زكّاها الدين، والحاجات المعاصرة وأن نجعل التّربيّةَ المعاصرةَ ثروةَ استثمار في أولادنا؛ بزرع ثقافة المحافظة على الوسطيّة الرّوحيّة وبها يمكن بناء جيل جديد يتماهى مع القديم والحديث، ويقول (المهدي المنجرة): "إذا أحسّنا تربيّة أطفالنا، وانتقلنا بهم إلى مرحلة مُراهقة سليمة كانت مَرحلة الشّباب والنّضج سلسة لا تحتاج منّا للشّيء الكثير، لأنّ الشّباب وقتها سيكون قادرًا على تحمّل كافّة مسؤولياته وتصرّفاته فيعود ذلك كلّه بالنّفع على المجتمع؛ فإذا كان الشّاب قد نشأ نشأةً إسلاميّةً سليمةً؛ فإنّ هذه التّربيّة ستكون له الجدارَ المانعَ، والسُّورَ الواقيَّ من الوقوع في الخطأ أو المحظور".

ــ **دورنا المعاصر في المزج بين وسطيّة التّربيّة والعولمة غير المتوحشّة:** إنّه من الضّروريّ أن تكون لنا نقلة حديثة في مجال التّربيّة الحديثة؛ لأنّ أولادنا خلقوا لجيل غير جيلنا ولزمان غير زماننا؛ فعلينا مرافقتَهم مرافقةً نفعيّةً من خلال الإعداد التّربويّ الرّوحيّ من الطّفولة، ولا يتأتّى هذا إلاّ بجهودنا جميعاً، وبخاصّة المشايخ والأئمة والمعلّمين، فعليهم يقع التّأطير التّربويّ الذي يبدأ من تثبيت حبّ القرآن والحديث الشّريف، وسبل الطّاعة والاحترام وخصال تبادل المنافع بالخير، وقضاء المصالح المُرسلة بالرضا، وما يتبع ذلك من خُصوصيات يمكن تلخيصها في النّقاط التّاليّة:

ــ كلّنا مسؤولون عن الجانب الرّوحيّ الذي يجب التّعاون على بنائه في أولادنا وهو القاعدة التي تُمكّن أولادَنا العيشَ في عالم العصر بخُصوصيات المِصْر؛

ــ ضرورة غرس مبادئ التّربيّة الرّوحيّة على قواعدها المعروفة: التّدرّج في التّربيّة واتباع منهج القرآن الكريم، والثّقة بالله، والصّبر في السّيْر على المنهاج السّالك لرسول الله ﷺ؛

ــ غرس مبادئ الشّخصيّة المتوازنة الوسطيّة؛ بلا تقصير ولا شطط ولا غلّو؛

ــ إظهار فِعليّ تطبيقيّ لنماذج أخلاقيّة للاتباع في: حبّ العلم+ إتيان العبادة+ البذل+ الصّدق+ السّماحة+ التّواضع+ الفتوّة+ التّرفّع+ الطّاعة+ العمل+ التُّؤدَة+ الرّفق+ الاقتصاد؛

ــ تدريسهم للمواد التي تقيهم من شطط الذّوبان، وكان عليهم أن يكونوا على درايّة بتعزيز دينهم ولغة الدين ولغة الأجداد، في ثابت من المقدّس الذي لا يناقش؛

ــ عدم الدّعوة إلى الانعزال؛

ــ التّوجيه في اختيار الأصحاب.

خاتمة: إنّ العولمة واقع لا مَفرّ منه، فالعالم قرية، فلا يجب أن ننعزل بدعوى الخصوصيّة ولا ننظر إليها على أنّها فخّ مُخادع، ولكن علينا أن نتماهى فيها بمُراعاة خصوصياتنا التي تبدأ بالتّربيّة الواعيّة المُعتمدة على جذورنا الماضيّة؛ والمُتجذّرة في حضارتنا ومرجعيّاتنا؛ باعتماد القرآن والسّنة، وما تركه سلفنا الصّالح من مُتون علميّة صالحة لتتكيّف ومُعطيات الحاضر.

إنّ الإصلاح والتّحديث في مُجتمعنا يحتاج إلى جهود كبيرة تتجاوز الأطر التّقليديّة الرّاكدة للدّخول في عصر الحداثة الذي هو حاجة ضروريّة لا بدّ منها إذا أردنا أن نتقدّم في مِضمار العلم والتّكنولوجيّة وتحديث المُجتمع الذي يبدأ من البيت ومن الكتّاب والمدرسة. وأمّا رفض العولمة يعني رفض لجوهر الحداثة، ولقيمها التّنويريّة والعقلانيّة ورفض للتّقدّم والمساواة الاجتماعيّة. ولذا فإنّ التّربيّة الرّوحيّة تتطلّب منّا دخول عصر الحداثة من أجل أولادنا، والتّماهي فيها بالخُصوصيات، وهو خيار لا رجعةَ فيه، ومن يتخلّف يفوته القطارُ، ويصبح مُهمّشاً، وربّما يخرج من التّاريخ؛ لأنّ رياح التّغيير والإصلاح والتّحديث ستدخل المجتمعات ليس من أبوابها

الخلفيّة، وإنّما من أوسع أبوابها وتصبح مُمارسة لتغيير نمط الحياة وطرائق التّفكير والعمل والسّلوك بما ينسجم وروح العصر حبّاً أو كرهاً، وبالتّالي، سنكون مُستعدّين لتكوين القدرة على مُواجهة التّحدّيات التي فرضتها وتفرضها العولمةُ، وثورة المعلومات الإلكترونيّة والسّيطرة على الوجود الوطنيّ والعالميّ، وتحويل الإمكانات المُتاحة إلى قوّة ديناميكيّة مُبدعة؛ تستطيع التّحكّم بآلياتها المتعدّدة؛ علماً أنّ المعاصرة ليست وهماً، ولا تنزل علينا من السّماء؛ وإنّما هي مُشاركة وتفاعل وإنتاج، وإعادة إنتاج، وتنوير وإبداع؛ وكلّ ذلك يقوم على مُمارسة التّربيّة والحريّة والتّعدديّة والعدالة الاجتماعيّة التي من المُمكن أن توفّر فرصاً أكبر وأوسع لتحقيق سعادة الإنسان. وهذا ليس من المُستحيلات التي لا تأتي، بل تأتي عن طريق غرس التّربيّة الرّوحيّة في جانبيها: الرّوحيّ والماديّ، والمزج بينهما بسلسلة من التّداخلات؛ فما هو للرّوح للرّوح، وما هو للبدن للبدن، فلا رهبانيّة في الإسلام، ولا إسراف في مُتعة الأنام. وأسأل الله تعالى في الختام؛ أن يعصِمَنا من الزّلل، وأن لا يُمْقتنا لقولٍ نطقْنا به، ولم نفعلْه، وألاّ يجعل أعمارَنا مَرْتعاً للشيطان، وأن يجعلَنا من المُعينين والمُجاهدين فيه، والمُهتدين الى سبيله إنّه سَميعٌ مُجيبٌ.

المجامع اللغويّة والعلميّة والمؤسّسات الثقافيّة ودورها في تعزيز استعمال اللسان العربيّ♥

ـاقتراح مشروع النهوض بالعربيّةـ

ــ **الدّيباجة:** إنّ الحديث عن المجامع العلميّة واللغويّة والمؤسّسات ذات العلاقة بتطوير اللغة العربيّة حديث طويل ويحتاج إلى نظرة شاملة لمعطياتها الرّاهنة وآفاقها المستقبلية من حيث الرّاهن والمأمول، من حيث ما توفّر لها من الإمكانيات وما أنجزته من ملموسات. ولهذا رأيت أن أستفيض في خصوصياتها الكبرى تمشياً والمنهجيّة المطلوبة من حيث الوصف والتحّليل واقتراح البدائل. دون العودة إلى التّأريخ الذي لا يمتّ للموضوع بصلّة، وكان عليَ التركيز على سبل التعزيز والنّهوض، وذلك ما بصُرت به من خلال تقديم مشروع النّهوض وآمل أن يكون له القبول، أو يكون له صدى الرّجع من قبل المعنيين.

ــ **المقدّمة: مئة (100)** عامّ وتزيد مرّت على تأسيس هذه المجامع، مئة عامّ والحديث عن البدائل العربيّة المناسبة للمصطلحات الأجنبيّة، مئة عام والحديث نفسه عن الهويّة اللغويّة، **مئة عام** وفقهاء المجمع يفتون دون رجع الصّدى، **مئة عامّ** والحديث يتكرّر عن سلامة العربيّة وجعلها وافيةً بمطالب الآداب والعلوم والفنّون وملائمة لحاجات الحياة المتطوّرة ووضع المصطلحات العلميّة والتّقنيّة ودراستها وفق منهج محدّد، والسّعي لتوحيدها، **مئة عامّ** والكلام ذاته عن استصدار المعاجم الكبرى والدّوريات المتخصّصة والموسوعات والمعجم التّاريخيّ **مئة عامّ** والأعضاء يتناسلون وفي أجسامهم يتثاقلون، **مئة عامّ** والكلام عن عظمة العربيّة التي نقلت إلى الغرب علوماً ضخمة أفادوا منها في لغاتهم، **مئة عامّ** والمرافعات

♥ ــ ألقيت المحاضرة في الملتقى الوطنيّ حول (اللسان العربيّ بين الواقع والمأمول). الجلفة بلديّة حاسي بحبح، أكاديميّة حلول الدوليّة للتّدريب وأعداد برامج التّكوين للهيآت العموميّة والخاصّة والاتّصال، بتاريخ 23-24 مارس 2019م.

عن الانتقال من تحقيق المخطوطات إلى مواكبة التّطوّرات العلميّة العالميّة، **مئة عامّ** ونحن نحلم بالفتوحات التّقنيّة التي تحلّ قضايانا اللغويّة، مئة عامّ ونحن نحتفي بالأعياد الماسيّة والذّهبية للمجامع والمؤسّسات **مئة عامّ** مرّت فماذا أنتجت؟ **مئة عامّ** ويأتي الجديد، فهل المجامع والمؤسّسات تعيش مع الجديد؟

من بدهيات الأمور أنّ كثرة المجامع والمؤسّسات الثّقافيّة لها غايات علميّة بحثيّة وتعني في أصلها بوضع المصطلح، وتعمل على شؤون تطوير اللغة في جميع مجالات المعرفة الإنسانيّة كما تعكس مظاهر العناية التي تُوليها الشّعوب لنقل العلوم والمعارف والحضارات إلى لغاتها؛ لتحقيق النّهضة والتّقدّم والتّشجيع على الإبداع والتّأليف. كما تعني كثرة المجامع والمؤسّسات الثّقافيّة كثرة الرّوافد المنتجة، والتّنافس المُثمر، كما تعني كثرة المجامع والمؤسّسات تقديم الحلول النّوعيّة بفِعْل ذلك التّنافس... وفي ذات الوقت قد تعني الكثرة التّضارب والتّجاذب والغوغائيّة دون نتيجة، وربّما هذه الأخيرة تعني كثرة مجامعنا اللغويّة العربيّة ومؤسّساتنا في الوطن العربيّ، والتي أضاعت دمّ العربيّة بين الكثرة والتّقاعس، بين الكثرة وعدم الفعاليّة، بين الكثرة وسوء توزيع المهام، بين الكثرة وغياب التّفعيل بين الكثرة والشُّح الماديّ، بين الكثرة وسوء التّنسيق.

عواصمنا العربيّة كثيرة، ومؤسّساتنا عديدة، وبيوتات لغتنا متعدّدة؛ فمن بيت الحكمة بعاصمة المأمون، إلى بيت الحكمة في القيروان زمن إبراهيم الأصغر الأغلبيّ، وإلى دار الحكمة في القاهرة زمن الحاكم بأمر الله، وإلى المحاضرات والمناظرات في الفردوس المفقود، وإلى الصّالونات الأدبيّة في العهد الفاطميّ في مصر المعزّ، وإلى أقسام اللغة العربيّة أيام استقلال الدّول العربيّة. وقبل وجود الصّيغة المؤسّسية للمجامع حصلت البنيات الأولى في تأسيس المجمع اللغويّ للوضع والتّعريب بمصر، ومجمع دار الكتب في القاهرة، والمجمع العلمي بلبنان. وجاء عصرُ المجامع بالصّيغة الأوربيّة؛ فشهدنا المجمع العلميّ العربيّ الذي تحوّل إلى مجمع اللغة العربيّة بدمشق، ومن ثمّ ميلاد مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، وإلى

المجمع العلميّ العراقيّ، وإلى اتّحاد المجامع العلميّة واللغويّة، وإلى مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ، وإلى مجمع اللغة العربيّة السّوداني، ومجمع اللغة العربيّة الفلسطينيّ، وإلى الأكاديميّة الملكيّة المغربيّة، وإلى المجمع الجزائريّ للغة العربيّة وإلى المجلس الأعلى للغة العربيّة بالجزائر، وإلى مجمع طرابلس بليبيا، وإلى بيت الحكمة بتونس، وإلى مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة، وإلى مجلس اللسان العربيّ بموريتانيا، ومجمع اللغة العربيّة على الشّبكة العالميّة، دون الحديث عن مشاريع مجمعيّة قادمة في: عُمان+ السّعوديّة+ المغرب، بلهَ الحديثَ عن مؤسّسات من مثل: مكتب تنسيق التّعريب+ المركز العربيّ للتّرجمة والتّأليف والنّشر/ ACATAP+ معهد الدّراسات والأبحاث للتّعريب+ منظّمة الألكسو/ ALECSO+ منظّمة الأسيسكو/ ASISCO+ مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّوليّ لخدمة اللغة العربيّة+ معاهد للتّرجمة+ معاهد التّعريب+ المراكز البحثيّة اللغويّة+ مراكز التّحقيق+ مؤسّسات الموسوعات+ المراصد اللغويّة العربيّة+ البنوك المصطلحيّة+ البنوك الشّجريّة الصّرفيّة والنّحويّة+ وإلى منظّمات المجتمع المدنيّ من مثل: جمعيات حماية اللغة العربيّة في (الإمارات، مصر، الجزائر، لبنان، تونس، جمعيّة لسان العرب بمصر)+ جمعيّة تعريب العلوم والتّكنولوجيّة بمصر... ويمكن الإشارة إلى بعض الاتّحادات/ الرّوابط القويّة ذات التّأثير الأدبيّ والعلميّ خارج الدّول العربيّة من مثل: اتّحاد مدرّسيّ اللغة العربيّة بإندونيسيا+ رابطة أساتذة اللغة العربيّة بباكستان+ المديريّة العامّة للتّعليم الدينيّ بوزارة التّربيّة الوطنيّة التّركيّة+ الاتّحاد العامّ لمؤسّسات دعم اللغة العربيّة في تشاد+ الإدارة العامّة للتّعليم العربيّ الإسلاميّ في وزارة التّربيّة الوطنيّة بجزر القُمر+ جمعيّة اللغة العربيّة بماليزيا+ الجمعيّة الأكاديميّة للغة العربيّة وآدابها في نيجيريا+ اتّحاد أساتذة علماء اللغة العربيّة لعُموم الهند+ الرّابطة الأمريكيّة لأساتذة العربيّة بأمريكا... ولكن في كلّ هذا نرى أنّ العبرةَ ليست في كثرة الأعداد، وإنّما العبرةُ في النّتائج والمُخْرجات.

فماذا قدّمت هذه المجامع والمؤسّسات –على كثرتها– للغة العربيّة؟ وماذا تُخطّط هذه المؤسّسات للنّهضة اللغويّة في الرّاهن وفي المستقبل؟

1ــ كثرة المجامع والمؤسّسات دليل قوّة أم ضعف: لا ننكر أنّ هذه المجامع لها أفضال كثيرة وكبيرة على خدمة العربيّة من خلال برامجها ومشاريعها، ولا تعني هذه الكثرة السّلبيّة الدائمة، بل هناك بعض مَسارات التّنسيق والتّكامل بينها رغم بعض الانعكاسات التي لم تجعلها تفي بالمطلوب. ويكفي أن نعلمَ أنّ الأهداف التي تأسّست كانت علميّة بحتة، وتجمعها المعالم العلميّة التّاليّة:

1/1/ المحافظة على سلامة العربيّة، وجعلها وافيّة بمطالب العلوم والآداب والفنّون، وملائمَةً لحاجات الحياة المتطوّرة.

1/ 2ــ وضع معجم تاريخيّ للغة العربيّة، ونشر أبحاث دقيقة في الموضوع.

3/1ــ النّظر في أصول العربيّة وأساليبها؛ لاختيار ما يوسّع أقيستها وضوابطها، ويبسّط تعليم نحوها وصرفها، ويسّر إملاءها وكتابتها.

1/ 4ــ دراسة المصطلحات العلميّة الأدبيّة والفنيّة والحضاريّة، وكذلك دراسة الأعلام الأجنبيّة، والعمل على توحيدها بين المتكلّمين بالعربيّة.

5/1ــ بحث كلّ ما له شأن في تطوير اللغة العربيّة، والعمل على نشرها.

6/1ــ بحث ما يَرِد المجمعَ من موضوعات تتّصل بأغراضه السّابقة.

ومن خلال هذا، لا يجب تغييب ما قدّمته هذه المجامع والمؤسّسات من إيجابيات وأعمال معتبرة، ومن مشاريع مُهمّة، ولكن في ذات الوقت يجب أن نضع منتوجها في كفّة الميزان ونضع الكتلة الماديّة في الكفّة الثّانيّة لذات الميزان، ونقيس ذلك بالمدّة الزمانيّة التي بدأت تشتغل في مختلف أعمالها، ونخلص إلى النّتيجة. ومن ذلك يمكن أن نخضعها لآليات النّقد الواقعيّ ولا شكّ أنّنا نصل إلى تقديم أفكار تعمل على التّغيير الإيجابيّ لمنظومة هذه المجامع والمؤسّسات التي أُوجِدت من أجل تقديم الحلول اللغويّة، ومن أجل أن تنال العربيّة موقعاً وطنياً بامتياز. فإذا

كانت كذلك؛ فذلك المُبتغى، وإن لم يحصل ذلك؛ علينا البحث عن آليات التّفعيل الجديدة التي تقدّم الحلول بنوع الصّعوبات.

2ــ هل تعني كثرة المجامع والمؤسّسات أنّ العربيّة في خطر؟ ليس من السّهل الجزم بأنّ العربيّة ليست على ما يُرام، ولكنّنا نرى بعض ملامح الخطر ظاهرةً في غياب تطبيق القوانين والتّشريعات التي تحمي العربيّة، وفي زحف الأنظمة اللسانيّة التي تُهدّد الأمن اللغويّ، وفي تراجع الإنتاج العلميّ المعاصر باللسان العربيّ في الحقول المعرفيّة المختلفة. وفي تراجع الوعيّ بعلاقات اللغة بالهويّة وببناء الذات الوطنيّة، وفي الترابط الاجتماعيّ، وفي وحدة الأمّة... وكلّها تثبط العزيمة، ولكنّها لا تثنيها عن العمل والقول بأنّ العربيّة كلغة ليست في خطر. إنّ العربيّة تتبختر وتنال مساحات واسعة يوميا وفي مختلف القارات، **ولكنّ أهلَها وناطقيها في خطر** فلا هُمْ مع لغتهم، ولا هُمْ من اللغات الأجنبيّة. ومن ابتعدَ عن لغته ابتعدَ عن هويّته لأنّ اللغة هي العامل الأساس في الهُويّة ونعطيكم مثالاً: إنّ النّاطق/ المُدافع عن العربيّة يقال له: عربيّ/ معرّب. بينما المدافع عن جغرافيّة بلد لا يقال له: جزائريّ: ألمانيّ. كما أنّ المُدافع عن تاريخ بلد ما، لا يقال له: تونسيّ/ فرنسيّ... بل من المُحبّذين أو من المُعجبين. ولهذا فاللغة عامل حاسم في مسألة الهُويّة وهي التي تصل الماضي بالحاضر، وجيل الحاضر بجيل الماضي وهذا لا يحقّقه إلاّ الاعتزاز اللغويّ الذي يأتي عن طريق التّواصل في التّخاطب بين أفراد المجتمع كافّة بلغة موَحّدة وعدم التّواصل بلغة موحّدة مشتركة يفتح باب النّكران للتّاريخ الوطنيّ، ويؤدّي إلى العيش سَبَهْلَلاً. **وإنّه لا يمكن أن ترتقي الأمم وتبدع إلاّ من خلال استخدام لغتهم الأمّ والاعتزاز بها**، وهي الحال اليوم في كبرى دول العالم كالولايات المتّحدة واليابان وألمانيا وفرنسا وروسيا والصّين. وإنّ تعليم الطبّ في ألمانيا هي بالألمانيّة، وبالرّغم من ذلك نجد التّفوّق الصّحي في ألمانيا، ولغة تعليم الهندسة في اليابان هي اليابانية، ورغم ذلك نجد التّفوّق الهندسيّ الكبير لليابانيين وكذلك الطبّ في فرنسا وروسيا، وغير ذلك من الدّول المُسمّاة بالعمالقة الثّمانيّة

G8 والكبار الاثنتين والعشرين G 22 فهم يتفوّقون في اختصاصات معيّنة بلغاتهم القطب، وليس باللغات الأجنبيّة التي ينظرون من خلالها إلاّ لما تضيفه للغاتهم كلغة إفادة وليست لغات هويّة.

3ــ مكانة اللغة العربيّة في المجامع اللغويّة والمؤسّسات: لا ننكر أنّ أصل تأسيس هذه المجامع والمؤسّسات هو العمل على تطوير اللغة العربيّة، والاعتزاز بها، وتقديمها للمتعلّم وللمستعمل سهلةً بسيطةً تُلبّي كلَّ احتياجاته الضّروريّة، وهذا عن طريق العمل على تنميّتها لتستوعبَ حصيلةَ الفكر الإنسانيّ القديم والمعاصر. وكان كلّ ذلك عن طريق بذل الجهود من أجل إغناء العربيّة وجعلها مُواكِبة لمُتطلّبات العصر، ووضع المُصطلحات العلميّة وألفاظ الحضارة؛ تحقيقاً لسلامة المنهج، ووحدة الفهم والإفهام في لغة العلم، والأخذ بالتّرجمة والتّعريب بوصفهما رافديْن من روافد اللغة العربيّة في زيادة ثروتها وتنميّة طاقاتها التّعبيريّة، وما يتبع ذلك من وضْع المعاجم، وتيسير تعليم اللغة العربيّة، وإحياء التّراث العربيّ المخطوط، وبعثه دراسة وتحقيقاً. وهذه كلّها هي أفكار علقت بالمؤسّسين في تلك الأرضيات التي أُعدّت ورقياً لتكون محلّ تطبيق، وهذا كذلك يدخل في باب **الاعتزاز اللغويّ.**

هي أفكار أُريدَ لها أن تكون محلَّ تطبيق على الواقع العربيّ وخارج الدول العربيّة؛ لتكون اللغة العربيّة متبوعةً بدينها الذي نال القارات الخمس، وهو ينتشر بين ساكنة العالم، فهل العربيّة يمكن أن ينطبق عليها مقولة (ما لا يتمّ به الواجب فهو واجب) **القرآن بلغة العرب= لسان العرب= اللغة العربيّة= إذاً العربيّة هي واجبة)** ولكن هل تحقّقت تلك الأسس التي كانت مخطّطة لموقع اللغة العربيّة في خريطة تلك المجامع والمؤسّسات؟ هل وقع الرّبطُ بين الأمل والطموح وبين ما هو على أرض الواقع؟ وهل تقاعست هذه المؤسّسات عن أداء دورها في تحقيق تلك التّخطيطات؟ وإذا حقّقت بعض الأجزاء من مشاريعها فَلِمَ لم تستكملِ الباقي؟ إلامَ يعود التّجاذب بين أطراف هذه المجامع والمؤسّسات التي تُلاحَق بنقودٍ كبيرةٍ عن

تقاعس أداء واجباتها؟ أين الخلل في كلّ معطيات عمليات هذه المجامع والمؤسّسات التي يُنفق عليها المواطن من ضريبة أجره وهي لا تخدم واقعه اللغويّ؟ فإذا حصل العجز في هذه المؤسّسات، أليس من الأحرى تدارسه، والعمل على وضع الحلول لتجاوز الصّعوبات؟ أو أليس من الأجدى أن تُغلق بعض هذه المؤسّسات ونستفيد من أموالها، أو تذهب تلك الأموال حيث تُفيد؟

4ــ الخِدْمات العلميّة التي قدّمتها هذه المجامع اللغويّة العربيّة والمؤسّسات في الوطن العربيّ: لقد قامت هذه المجامع لغايات واضحة من مثل حماية اللغة العربيّة، والحفاظ عليها وتنميّة معجمها وثروتها اللفظيّة، والارتقاء بمستويات علاقاتها بمجهودات الأعضاء في تحريك آليات التّنفيذ والتّطبيق... ولهذا لا ننكر أنّ هذه المجامع قد غيّرت وطوّرت من محتوى العربيّة وذهبت به بعيداً، بل قدّمت خطوات في تعليم العربيّة وتيسير نحوها، وأنتجت معاجمها، وقدّمت مشاريع كبرى وموسوعات شتّى، وأقامت ملتقيات عدّة، وأنجزت قواميس موحّدة لكلّ العلوم وأفادت العربيّة من عدّة أوجه. لا ننكر بعض المجامع والمؤسّسات لها مبادرات فذّة في إنشاء إذاعات لغويّة، والمبادرة بتكوين مجموعات من مريدي العربيّة من جميع الفئات العمريّة لتصحيح الأخطاء اللغويّة، وإنشاء أكاديميات أدبيّة تعتني بأدب الأطفال، وتأسيس الصّالونات الأدبيّة، ومخاطبة المسؤولين بخصوص إيلاء العربيّة مكانتها كلغة أمّ يجب أن يكون لها الاعتزاز والمقام العلي، والسّهر على كتابة اللافتات كتابة صحيحة، والتّدخّل لدى الوزارات في حسن استخدم العربيّة في وثائقها الإداريّة، والمقام العلميّ لبعض المجلات الصادرة عن المجامع وموقعها في الشّبكات الكبرى من مثل: المنهل/ المنظومة/ Scopus وبعضها أحرزت معامل التأثير الجيّد، أضف إلى ذلك تلك المبادرات بخصوص قوانين حماية اللغة العربيّة التي نرى بعضها يتجسّد في بعض البلاد العربيّة... ويكفي أن نطالع مختلف نشاطاتها لنرى ذلك الزّخم العلميّ العالميّ الذي نفتخر به في منجزات بعض المجامع والمؤسّسات مثل الحصول على الجوائز العالميّة.

والشّيء الذي أريد الوقوفَ عنده هي تلك المشاريع الكبرى المنجزة والتي في طريق الإنجاز فتطالعنا تلك المشاريع من مثل: الرّصيد اللغويّ الوظيفيّ+ الرّصيد اللغويّ العربيّ+ المعجم التّاريخيّ في طبعتين: معجم قطر التّاريخيّ/ المعجم التّاريخيّ لاتّحاد المجامع اللغويّة+ المعجم الكبير+ الموسوعات الكبرى+ المحلّل الصّرفيّ+ المحلّل النّحويّ+ المدقّق اللغويّ+ مكانز المصطلحات+ الذّخائر اللغويّة+ المكانز اللغويّة+ دوائر المعارف+ المعجم الكبير+ المدوّنات الضّخمة لكثير من الباحثين+ المكتبات الرّقميّة+ الذّخيرة اللغويّة العربيّة+ المكتبات الرّقميّة+ الموسوعات الرّقميّة الشّعريّة+ المنصّات اللغويّة الحديثة... وكلّها من منتوج المعاجم أو المؤسّسات، ومن الأبحاث المشتركة لفرق البحوث التي تعمل دون هوادة للحاق بالرّكب. ولكن هل هذا كافٍ؟ يبدو لي ليس كافياً، وهناك من يرى بأنّنا نفتخر فلقد حقّقنا الكثير من المطلوب قد يكون ذلك من الصّواب المغطّى بحسن الكلام، ومع ذلك لا نركن إلى السّكينة والنّوم، وأنّنا حقّقنا ما لم يحقّقه الآخرون، أو ما لم يُحقّقه السّلف وسيكون هذا من الديماغوجيّة العمياء التي لا تقدّم إلاّ الرداءة؛ فإذا تمعّنا في الأمر نجد أنّنا ترهّلنا في أعمالنا وأصبحنا ندور في الماضي ولا نلاحق العصر، بل ابْتَعَدَ عنّا الغربيّون مسافاتٍ ومسافات، وأنّ أجدادنا حقّقوا المعجزات بوسائل تقليديّة، ومع ذلك لهم حسن السّبق. وهي الحقيقة التي تجرح أحياناً، ولكن ليس عقدة ولا هي تتركنا دون النّهوض، وعلينا استغلال الفرص للنّهوض ما دامت الأسباب متوفّرة وثابتة.

5ــ المضايقات التي تُعانيها المجامع والمؤسّسات: بالفعل وجدت هذه المؤسّسات لخدمة المواطنة اللغويّة، وهي بحاجة إلى دعم معنويّ وماديّ، "**فمن طلب الحسناءَ لا يُغلِه المهرُ**" ولذلك نرى بعضاً من هذه المجامع شبه فارغة من العمل، بل إنّ بعضها مُعطّل منذ التّنصيب فهو مجمع على الورق فقط. مجمع دون أعضاء، مجمع إداريّ غير منتج، مجمع كان الأجدر أن يُغلق؛ وتكون الفائدة أفضل بكثير وأنفع للدّولة من وجود إداريين يستهلكون الكهرباء والوقود والورق والجرائد

والتّنقلات والسّفريات وتمثيل المجمع شكلياً لا علمياً. وبعض المجامع والمؤسّسات تعمل بِتُؤُدة سُلْحفاتيّة لا حاجة لنا بها؛ لأنّها تعمل على التّعطيل ووضع الممهّلات إلى أجل غير واضح، وبعضها تنتج؛ ولكن قد ينظر إليها نظرة سواء، وتلك هي المصيبة، بل المصيبة أعظم أنّ بعض الدّول تُعطي ذات الكتلة الماديّة لكلّ المؤسّسات دون النّظر في منتوجها، ولا تفرّق بين مؤسّسة عاملة، ومؤسّسة شبه عاطلة، فالموازنة واحدة أُعدّت بشكل نمطيّ لا تتغيّر. ومع كلّ هذا، هناك مُضايقات حقيقيّة، وقد بصُرت بمجموعة منها أضعها أمام من يهمّه الأمر وهاكموها:

1/5ــ عِظَمُ التّحدياتِ التي تُواجهُ المجامعَ والمؤسّسات في عملِها، ومنها محاولةُ إزاحةِ اللغةِ العربيّة من مناحي الحياةِ المختلفةِ، ولا سيّما في المؤسّساتِ التّعليميّةِ.

2/5ـــ حاجتها إلى الدّعم المعنويّ والماديّ من الحكومات والشّركات، فلا يأتيها إلاّ الجزء اليسير؛ ويذهب الكثير من اليسير إلى الأجور.

3/5ــ حاجتها إلى جهاز تنفيذيّ مع الحكومات لتنفيذ قراراتها العلميّة واللغويّة وتمكينها في المحيط العامّ.

4/5ــ قصور المجتمع المدنيّ والمنتخبين عن تحريك آليات هذه المؤسّسات عن طريق الحثّ في كلّ اللقاءات، وتحريك آلية القرار السّياسيّ.

5/5ــ سكوت الإعلام عن الوضع اللغويّ والثّقافيّ، والرِّضا بما هو موجود وعدم تفعيل آليّة الخطاب الصّحافيّ النّاقد لتحريك آليات المجامع والمؤسّسات الثّقافيّة.

6/5ــ عمل بعض المجامع والمؤسّسات بنظام الورق وطول الاجتماعات وتشكيل اللجان للجان وطغيان الرّوتين، والتّقليل من اعتماد الوسائل الحديثة والرّقمنة في أعمالها وفي بياناتها وفي تواصلها.

7/5ــ غياب التّفاعل بين أعضاء المجامع والمحيط العامّ، فهم في أبراج بعيدة عن الاستعمال اللغويّ العفويّ، وعن متغيّرات لغة الإعلام، والاستعمال العفويّ.

8/5ــ نقص التّخطيط والتّنسيق بين هذه المؤسّسات، ودون وجود قانون أو وثيقة تعمل على تحديد تنسيق المهام البينيّة، وتوزيعها على المجامع أو المؤسّسات وكلّ يخدم الآخر في صورة العمل الجماعيّ المخبريّ.

9/5ــ نقص العمل بالمشاريع الكبرى، وإن وُجِد بعضُها فهي بطيئة في منجزاتها، ولا تلاحق الحداثة في المنتوج، ولا في الصّناعة الآلية الحديثة، وتبقى المشاريع تُراوح مكانها إلى غير تاريخ محدّد، وتموت المشاريع مع تغيّر المسؤول.

10/5ــ إقصاء العربيّة من العلوم، وهو أخطر مُضايقة، فلا يمكن أن تقع التّنميّة المستديمة باللغات الأجنبيّة، وهي تبعيّة لغوية خطيرة؛ وتعني تبعيّة اقتصاديّة، والقياس المعاصر من يملك التّقنيّة يضمن السّيادة، والتّقنيّة لا تكون إلاّ بلغة الأمّة، ولغة الأمّة هي التي تضمن سلامة المجتمع.

11/5ــ شيوع ثقافة أنّ اللغة العربيّة لغة أدبيّة، وأن تعلم اللغات الأجنبيّة هو السّبيل للتّرقي والمكانة العلميّة.

12/5ــ عدم الاهتمام بتطوير كفاءة مدرسي اللغة العربيّة، وتحسين ظروفهم الوظيفيّة والمهنيّة أدّى إلى غياب الوعيّ والاهتمام والتّشجيع، وأدّى كلّ ذلك إلى تعميق تسطيح المعرفة باللغة العربيّة، وحدثت انشقاقات في تنوّع مستوياتها وأشكالها.

13/5ــ حاجة المجامع والمؤسّسات إلى قرار سياسيّ يعزّز دورها ومكانة العربيّة، ويحمي وجودَها، ويعطي لها دفعاً في المزيد من نيْل المقامات.

6ــ ضرورة النّهوض بالمجامع وبالمؤسّسات الثّقافيّة: إنّه من الواجب على الدّول العربيّة والحكومات أن تعضد المجامع والمؤسّسات الثّقافيّة، وبخاصّة المؤسّسات التّعليميّة وفي مقدمتها المدارس والكليات والمعاهد والجامعات، لتضطلع

بدورها المستقبليّ من خلال رؤية استراتيجيّة طموحة؛ تروم إلى إعداد جيل متمسّك بهويته الدينيّة والحضاريّة والثّقافيّة بالتّركيز على الاعتزاز بلغته العربيّة واللغات الوطنيّة، وهذا عمل يبدأ بناؤه من الأسرة والكتّاب والجامعة والمجامع، **فمجدُ اللغة بمجد أهلها**، بل من الضّروريّ أن يقع الالتزام بالاعتزاز باللغة العربيّة والتّراث العربيّ؛ وهو جزء أصيل من الحياة اليوميّة يلتزم به الجميعُ قولاً وفعلاً. ومن ثمّ على هذه المجامع والمؤسّسات أن تُفعّل المعطيات التّاليّة **بطريقة تبعيضيّة وبالنّفعيّة العلميّة وبسياسة القوّة النّاعمة**، وهذا عن طريق:

ــ البحث عن استصدار القرار السّياسيّ في تفعيل العربيّة في المؤسّسات العلميّة؛

ــ وضع استراتيجيات تدعيم المؤسّسات، والحدّ من مخلفات التّجاذبات السّياساويّة؛

ــ الاهتمام بدور المؤسّسات التّجارية في نشر العربيّة؛

ــ دعم دور التّنسيق بين المؤسّسات الدّعويّة اللغويّة في العالم؛

ــ معاضدة دور الزّوايا في تفعيل الحركة اللغويّة؛

ــ تفعيل الفهرس العربيّ الموحّد (منصّة معرفيّة لنشر العربيّة)؛

ــ تحريك دور السّفارات العربيّة والمُلحقات الثّقافيّة في غير الدّول النّاطقة بالعربيّة لتدريس العربيّة للرّاغبين في تعلّم العربيّة؛

ــ دعم دور المكتبات العموميّة والخاصّة، وإخراجها من الدّوام الإداريّ المُلزم بوقت العمل المُحدّد في الوظيفة العموميّة؛

ــ تشجيع المبادرات ذات العلاقة بتكوين المؤسّسات والمجامع الافتراضيّة؛

ــ استغلال المواقع والشّبكات العالميّة لتكوين فرق تعمل على تطوير العربيّة بطريقة تفاعليّة؛

ــ تكوين المِنصّات القاعديّة لبنيات اللغة العربيّة؛

ــ الاستفادة من الإطار المرجعيّ الأوربيّ لتعليم اللغات؛

ــ تعزيز مجالات شبكة السّمت العربيّة الأوربية للتّربيّة؛
ــ تحيين الرّصيد اللغويّ الوظيفيّ+ الرّصيد اللغويّ العربيّ؛
ــ خوض ميدان لغة الشّباب في وسائل التّواصل الاجتماعيّ؛
ــ تشجيع البرامج المبتكرة في تعليم العربيّة؛
ــ توظيف استراتيجيات الخرائط المفاهيميّة في تدريس العربيّة؛
ــ برامج تطوير المحتوى اللغويّ والعلمي للعربيّة؛
ــ العمل على صناعة الفريق المعجميّ في إنتاج الموسوعات؛
ــ تفعيل آليات مراكز التّرجمة، والمراكز العلميّة ودور المخطوطات في تعزيز المحافظة على العربيّة.

7 سُبُل تعزيز دور المجامع والمؤسّسات من سُبل تعزيز العربيّة في مجتمعنا:

تعتبر اللغة العربيّة جزءاً من أيّة منظومة إصلاحيّة، وقاعدتها المدرسة لما لها من دور في تلقين وتعلّم العربيّة وآدابها، فالحديث باللغة العربيّة مع العائلة والأصدقاء في الحياة العامّة يعلّم الطفلَ مُخرجات اللغةِ السّليمة، ويعتبر ذلك من أقوى وسائل تمكينها في المجتمع وفي الحياة العمليّة. وإن تعزيز العربيّة يبدأ فعلاً من المدرسة بكتيبات صغيرة يُراعى فيها سنُّهم وحبُّهم للصُّور إضافة إلى مكتبات هادئة تحوي كتيبات جذّابة لهم بمسمّيات الرّموز والأشكال في دروس الفيزياء والكيمياء والرّياضيات بالعربيّة، هذا من جهة، ومن جهّة ثانيّة ضرورة التّعزيز المُعاضد والآتي من المجتمع ومن الشّارع وكلّ ما يعمل على الرّقي العامّ، وخدمة الشّأن العامّ؛ من مبادرات ونشاطات ومعارض وخرجات/ سياحات لسانيّة، وأنشطة ثقافيّة، وما تعرضه دور الثّقافة والمكتبات من الأشكال الفنيّة والمبادرات التّرفيهيّة وكلّ قيمة تزيد من مكانة الاعتزاز باللغة العربيّة. وبذا نرى أنّنا شركاء في عمليات التّعزيز اللغويّ وعلينا استنهاض الهِمَمِ كي تعلوَ لغاتُنا، وإلاّ سنبقى نعيد ذاتَ الكلام، وكلّ عامٍّ ونحن في الاجترار، وفي تقديم خُطب الوعظ بالابتسار.

8ــ نقد وجيه: في آلية استباقيّة من خلال عملنا الذي قمنا بــه أثنــاء إنجازنــا دراسة أكاديميّة حول دور المجامع اللغويّة العلميّة العربيّة في تطوير اللغة العربيّة وقد سجّلنا مجموعة من النّقود التي أدرجناها في العَدَميات أو النّقائص أو الغيابــات وحصرناها في:

- عدم رفع المبادرات التي تضيف جديداً إلى العربيّة إلاّ من خلال الأقوال؛
- نقص تفعيل الحركة اللغوية/ الثّقافيّة في المحيط العامّ، إلاّ بالمناسبات القارّة؛
- ضعف مواكبة المجامع والمؤسّسات للحداثة العلميّة والعالميّة؛
- غياب التّنسيق المخطّط لها في مشاريع التّأسيس؛
- غياب توحيد الرّؤى المستقبليّة في المشاريع الكبرى؛
- ضعف الإنتاج الذي يمكن أن نعتدّ به رؤى استشرافيّة تعمل على النّهــوض اللغويّ؛
- غياب التّجديد في المنتوج العلميّ.

ومن بين المقترحات التي رأيناها تخدم العربيّة، قلنا: إنّ العربيّة بحاجــة إلــى إصلاح هذه المجامع والمؤسّسات، ويعني ذلك إصلاح أوضاع العربيّــة وتحســين خدماتها، وتطوير آلياتها وتقديم البــدائل، واقتــراح الحلــول. وعلــى المجــامع والمؤسّسات التّفكير الدّائم لخدمة العربيّة وتمكينها من القيام بأدوارها المنوطة بهــا لتكون نداً إلى جانب اللغات الكبرى في هذا العالم الذي لا يقرّ إلاّ باللغات المُنتجــة للعلم. وكان يجب العمل على إدماج العربيّة ضــمن مشــاريع الحكومــات، وفــي مشاريع التّنميّة المستديمة المرتبطة بالمخطّطات الاستعجالية/ المتوسّــطة المــدّة/ البعيدة المدّة واتّخاذ القرارات المناسبة لجعلهــا لغــة التّعلــيم والإدارة والمرافــق العموميّة، والعمل على تنفيذ هذه القرارات بأخذ الاعتبار في الثّنائيّة اللغويّة/ اللغات المحليّة لتجسيد المواطنة اللغويّة. ومن هنا، فقد خلصنا إلى تقــديم بنــاء مســتقبل متطوّر للغة العربيّة من خلال الواقع اللغويّ العربيّ إلى حَلْحَلَة العَدَميات أو إيجــاد بعض الحلول التي تفتح البابَ للحلول الأخرى وسجّلنا الآتي:

- ضرورة تحديد الغايات الكبرى من الواقع اللغويّ العربيّ؛
- ترتيب الأولويات بناءً على الإمْكانيات البشريّة والماديّة؛
- الواقعيّة في التّخطيط، وربط النّظريّ بالتّطبيقيّ، وما يمْكن تحقيقه؛
- التّقويم والتّقييم والمتابعة بشكل دائم وبخطّة واضحة؛
- الإكثار من المُبادرات البنّاءة التي تُضيف القيمة العلميّة للغة العربيّة؛
- العمل بالاستشراف والمراجعات التّنافسيّة، والعودة إلى مَصادر البيانات العلميّة؛
- بناء المَشاريع الكبرى وفق الواقع والإمكانيات، وضِمْنَ تصوّر زمانيّ ومَكانيّ مُحدّدين؛
- تطبيق مَبدأ الصفة الإلزاميّة الخاضعة لمَبدأ نسقيّ (نعم للمراجعة لا للتّراجع)؛
- ضرورة الدّعم المَاديّ المعتبر؛
- مُشاركة واسعة لأهل الاختصاص.

9ــ صناعة النّهوض بالمجامع وبالمؤسّسات صناعة جماعيّة: من الصّواب أن نقول إنّ هذه المجامع والمؤسّسات عملت ما وسعها الجهدُ، ومن المعقول حسب منتوجها أن نقول: **إنّها لم تكن في مستوى التّطلعات فأين الخلل؟** أليس من الحكمة اليوم أن نتدارس أوضاعَنا؟ أو ليس جدير بنا أن نستكنهَ التّجاربَ النّاجحةَ في المسألة، وتكون لنا خريطة تفيدنا في النّهوض بالمؤسّسات وهي صناعة جماعيّة والنّهوض بالمجامع وبالمؤسّسات نهوض بالتّنميّة المستديمة في أوطاننا العربيّة. ومن الحكمة أن أقول إنّ **التّجربة الأوربية جديرة بالاحتذاء في بعض أبعادها** وفيها وَصْفات نوعيّة تحتاج إلى السّير على منوالها إذا أردنا النّهوض، وعلينا طَرْق كلّ المسبّبات، ونقول: ما هي الوصْفَة الأوربيّة في النّهوض المؤسّساتيّ واللغويّ؟

إنّ بداية النّهوض الأوربي بدأ من أوساط القرن XVI الميلاديّ، حيث اهتمّت أولاً بالعلوم الإنسانيّة، وركّزت على موضوعات: فتح الحريات البحثيّة+ منع التّعصّب+ مدّ التّسامح+ الاهتمام بالتّراث+ خوض ميدان ثورة البخار. وكان مفتاح التّطوّر في كلّ ذلك مبنياً على:

– إحياء التّراث الكلاسيكيّ، وكان موطنه في إيطاليا، فعملت على إحياء تراث الرّومان؛ وموطن إيطاليا الذي جعلها على اتّصال بحضارات البحر الأبيض المتوسّط؛

– رعاية أمراء إيطاليا للآداب والفنّون وللحركات الإنسانيّة والنّهضة المعاصرة بصورة عقلانيّة؛

– نظرة الأوربيّ إلى العُصور الوُسطى التي قهّرته وخلّفته، والرّغبة في التّغيير؛

– الإجماع على ضرورة إحياء العلوم الإنسانيّة، فهي باب العلوم، وإخراج الكنيسة من حدود المُمانعات في الاجتهاد.

ونرى في هذه الخريطة النهضويّة أنّ البداية بالعلوم الإنسانيّة؛ لأنّها تقوِّم الجانب الروحيّ؛ حيث يصبح إنساناً مبدعاً للآلة التي يستعملها، ولا يكون عبداً للآلة. ومن ذلك تحدّدت مراتب النّهضة عندهم وفق الآتي:

ــ **أولاً:** الاهتمام بالتّراث الكلاسيكيّ: الأدب+ الفنّ+ الفلسفة. وبرع في ذلك: دانتي إليجري 1321م، وبترارك 1374م، وبوكاشيو 1375م. وكانوا يقولون "لا خوف على مسيحيّة الشّاعر إذا استلهمَ تراث اليونان والرومان".

ــ **ثانياً:** الاهتمام بالشّعر: وكان على يدّ شوسر 1400م، ودافنشي 1519م وتوماس مور 1540م، ورابليه 1553م. ويعدّ (مايكل أنجلو) من أعظم فنّاني عصر النّهضة، وقد برع في فنّ التّصوير والنّحت إلى درجة مُذهلة، ومن أعماله المشهورة تمثاله الرّخاميّ (التّقوى) وهو يصوّر العذراء مريم وهي تحمل ابنها على حجرها. وقد وضع هذا التّمثال في كنيسة ملوك فرنسا. ثمّ ظهور الطّباعة

على يدّ الألماني جوتنبرغ 1438م، والفلك على يـدّ البولنـدي كوبرنيـق 1543م وفلسفة الحكم بأحكام ميكيافيلي 1527م، وإصلاح الكنيسة، وظهرت كتابات مارتن لوثر 1546. واكتشافات جغرافيّة جديدة لكريستوف كولومبس 1692م، وقد شـكّل عمله الجغرافيّ انقلاباً في طُرُق التّجارة الدوليّة، وفي الاقتصاد العالميّ، بظهـور طريقين: طريق الحرير+ طريق المِلْح. وكان في كلّ هذا برعاية دائمة من:

1ــ الأمراء: أمير إيطاليا كوزيمو ميديتسي، وهو أمير وشاعر.

2ــ البابويين: وفي مقدّمتهم البابا نيقولا V المتوفّي 1455م.

3ــ المهاجرين القدماء: فقد وجدوا جوّاً جديداً أبدعوا فيه لوجود حريّـة الفكـر والبحث.

4ــ النّاشرين: تأسيس المطابع من أثرياء إيطاليا مثل مطبعة فلورنسا+ مطبعـة البُندقيّة.

ــ **ثالثاً:** بناء المؤسّسات؛ فمن مجمع اللغة الفرنسيّة سـنة 1612، علـى يـدّ ريشيليو، إلى مجمع اللغة القشتاليّة في إسپانيّة، إلـى مؤسّسـات كبيـرة أضـحت مرجعيات عالميّة، وإلى أكثر من خمسين (50) جمعيّة تناصر اللغة الفرنسيّة وإلى منظّمة الفرنكفونيّة، وما ينطبق على فرنسا ينطبق على إيطاليـا التّـاريخ، وعلـى اليونان الحضارة، وعلى البرتغال المغامرة، والإسـپان ملـوك البحـر، ومالطـا الأمجاد...

ــ **رابعاً:** الإغداق على المجامع والمؤسّسات: وهذا مـن مسـتلزمات إجـراء البحوث والتّجارب وتحقيق مختلف الصّناعات. وفي كلّ ذلك تعضدها مئـات مـن مراكز البحوث العلميّة العالميّة بما لها من علماء تنفق عليهم بسخاء، وتـوفّر لهـم العيش الرغيد، والمهم أن يبدعوا في ذات لغاتهم وبلغاتهم.

ــ **خامساً:** توفير وسائل النّجاح: وفي هذا كان التعلّق على البشر العلميّ المتعلّم الذي تكوّنه أو الذي يأتيها مكوّنا، فتوفّر له شروط النّجاح والاستثمار في مشروعه

وتقدّم له كلّ المطالب. وقد حقّقت الكثير من استقطاب الكفاءات الوطنيّة والأجنبيّة واستثمرت في التنميّة البشريّة أيّما استثمار.

ــ **سادساً:** الاستفادة من خبرات الآخرين: ولقد كانت النّهضة الأوربيّة تجربة إنسانيّة جيّدة وفذّة وخصبة، وكان محورها الإنسان في تقويم سلوكه قبل منتوجه الآليّ، وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق التّراث اليونانيّ والرّومانيّ، ودرس دراسات وافيّة أخضعته للنّقد، واستلهام قيم وأفكار جديدة أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأوربيّة. دون أن ننسى أنّ هذه النّهضة قد استلهمت من الحضارة العربيّة الإسلاميّة علم اللغة العربيّة، ويقول الفرنسي (لويس ماسينيون/ Louis Massignon) "اللغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة التّعبير العلميّ، وهي من أنقى اللغات؛ فقد تفرّدت في طُرُق التّعبير العلميّ والفنّي".

وفي كلّ هذا لا نعدم بدايات النّهضة العربيّة التي حصلت بمنطلق الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة عند الطّهطاوي+ الأفغاني+ محمد عبده... وهذا الرعيل قطع شوطاً كبيراً في عملية التّحديث في البنيات الفكريّة العربيّة العتيقة بفكر مستنير عبر خلق توافق بين متطلّبات الحياة المدنيّة المعاصرة وبين الدين الإسلاميّ وقيمه السّمحة. وكانوا يرفعون شعار "الإسلام دين مدنيّ يقبل المتغيّرات ويتفاعل معها" ويغرسون الثّقافة العربيّة الوسطيّة من خلال الشّعر العربيّ واللغة العربيّة؛ كون العرب كتلة قوميّة اغتنت بالتّأثير اللغويّ دون الذوبان في فكر فارس أو تركمان أو هنود... وهكذا استلهم العرب حضارتهم في جانبها الإنسانيّ بداية بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ الفلك والطبّ والرّياضيات والجغرافيّة، وكان العقل العربيّ مبدعاً منفتحاً على معارف متنوّعة. وحصلت عظمة عربيّة إسلاميّة استثنائيّة ارتكزت على التّعبئة النّفسيّة المصاحبة بالفكر الفلسفيّ والرياضيّ من أرسطو إلى بطليموس، وكانت حركة التّرجمة واعيّة ووصلت مع نهاية القرن العاشر إلى نهايتها بعد أن استنفذت موادها، وبدأت الأعمال الأصليّة تظهر وتزداد. وكان توسّع الفكر العلميّ متمشياً مع انتشار الإسلام واللغة العربيّة بصفتها لغة تواصل جديدة

بامتداد كبير وصلت إلى الصّين وأزاحت لغات كانت قويّة مثل السّريانيّة واليونانيّة. وفي كلّ ذلك حصل الامتداد العربيّ في كلّ القارات وهي مُحصّلة نوعيّة إذا أردنا النّهوض مرّة أخرى، بمجامعنا وبمؤسّساتنا وبالمجتمع ككلّ؛ فالعمل النهضوي صناعة جماعيّة والعبرة بالخواتيم، كيف كانت أوربا متخلّفة، وعملت بمبدأ حتميّة التّغيير، كما أنّ العرب الأوائل عملوا بالتِماس الأسباب، وحصلت لهم نواة النّقلة النّوعيّة في تأسيس العلوم النّظريّة التي أخذها الغربيّون وطوّروها وأفادوا بها لغاتهم، وتطوّروا بتنظيراتنا التي أهملناها ضمن بوتقة العلوم المعاصرة التي تُربّي فينا الآليّة الصّماء.

10ــ مشروع النّهوض اللغويّ: سبق أن قدّمنا مشروع النّهوض اللغويّ الذي يكون مشتركاً بين المجامع والمؤسّسات والأفراد المجتهدين، ونستهدف من خلاله وضع آليات معاصرة للنّهوض العربيّ الثّانيّ بخصوص الاهتمام باللغة العربيّة اهتماماً أولياً؛ باعتبارها لغة الانسجام الاجتماعيّ والتّناغم البينيّ ولغة المستقبل إضافة إلى الشّرعيّة التي نالتها من خلال الدّساتير العربيّة، وما يتبع ذلك من مستلزمات النّصوص القانونيّة. فلا جدالَ في القضايا الشّرعيّة في اللغات الوطنيّة من حيث موقعُها الاجتماعيّ، بقدر ما يكمن المشكل في زحزحتها الفعليّة والقصديّة من قبل بعض الأفراد الضّعاف الذين لم يقتنعوا بالواقع اللغويّ، ولا يرضون للعربيّة أن تكون لغةَ التّعليم، ولا اللغةَ اليومية للمواطن. إذاً المشكل في كيفيّة الاقتناع بها كلغة لا بديلَ عنها، وهي القَدَر الذي لا يمكن التّنازل عنه أو التّسامح فيه، أو تركه للزّمان، وهذا ما تحرص عليه الأمم الحيّة التي تقدّمت بلغاتها **ويشهد التّاريخُ بأنّه ما تقدّمت أمّة بغير لغتها البتّة**، وهذا ما يجب أن نقوم على تجسيده من خلال بثّ هذه الفكرة لدى كلّ الفئات العربيّة.

يأتي هذا المشروع في إطار التّردّي اللغويّ الذي تشهده العربيّة في أوطانها وما تنادي إليه الكثير من المنظّمات المدنيّة العربيّة من أهمية النّظر في الحلول النّوعيّة لإنزال العربيّة محالها الطّبيعيّة، وكذلك ما تقوم به بعض المؤسّسات لإعادة

الاعتبار للعربيّة، وبخاصّة ما تَنَادَى له بعض المجامع؛ علماً أنّه لا يمكن أن يحصل **(النّهوض اللغويّ)** إلاّ في إطار النّهوض العامّ للعرب، ومن خلال واقعنا العربيّ، ومن مستلزماتنا اللغويّة الطّبيعيّة، ومن مقترحاتنا النّوعيّة ومن تفكير العربيّة وثقافتها في ذاتها ولذاتها، كما لا يمكن أن تنهض اللغة العربيّة إلاّ بالتّجنيد الفعليّ لكلّ فئات المجتمع العربيّ، وبخاصّة تلك الفئات المثقّفة والتي لها دور التّأثير في المجتمع وفي القرار السّياسيّ، هذه الفئة المُسمّاة (النّخبة) والتي يجب أن تضع في وعيها خدمة الشّأن العامّ وإلا لا فرقَ بينها وبين الدهماء. ومن هنا نريد نُخَباً تعمل على أن تضيف للعربيّة قيمةً جديدةً، نُخباً تنقل العلم إلى العربيّة، لا نُخباً تنتقل إلى اللغات الأجنبيّة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فعن طريق هذا المشروع نريد تبليغ صوتنا لمن يهمّهم الأمر بأنّهم معنيّون بالمسألة اللغويّة؛ إن لم يكن لهم الضّلعُ الكبير في عودة الوعيّ اللغويّ إلى مقامه، فهم يُعدّون بمثابة المرجِع القيميّ، فيزع بأوامرهم ما لا يزع بالوعظ والقرآن.

يأتي مشروع (النّهوض اللغويّ) في إطار ضرورة تمكين العربيّة في أوطانها وتبيئها في مواطنيها، وتجسيد الفِعْل المطابق للقول. وفي الحقيقة يعمل هذا المشروع على المحافظة على اللغة العربيّة والعمل فيها وبها؛ لتكون لغة المجتمع العربيّ في مختلف المجالات، ولغة التّعليم في كلّ الأطوار، ولغة تعمل على مدّ جسور التّواصل اللغويّ مع اللغات العلميّة للتّأثير والتّأثّر وفي ذات الوقت يقدّم المشروع وصفات تقوم على محاربة الغُربة اللغويّة في البلاد العربيّة وتفعيل وسائل الإعلام بمختلف قنواته من أجل الإسهام في خدمة هذه الهبّة المنتظرة للرّفع من العربيّة؛ بتقديم خطط تقوم على الآماد الثلاث:

1/10ــ المدى القصير: ستحدّد فيه ما هو مُستعجل، ويتطلّب الحلول السّريعة ويكون التّركيز على: التّوعيّة بأهمية الاهتمام باللغة العربيّة (اللغة الأمّ/ Langue mère) باعتبارها لغة الإجماع والانسجام المجتمعيّ، ولغة تعمل على حصول التّنميّة البشريّة في المجتمعات العربيّة ولن تكون التّنميّة باللغات الأجنبيّة، وهذا ما

أثبتته جلّ الدراسات المعاصرة، بل هذا ما يحصل لدى الشّعوب التي نهضت مؤخّراً. كما لا يمكن أن يحصل تهميش (لغة أمّ/ La Langue de la mère) التي هي جزء من التّراث والهُوية، فبدلَ الانشغال والتّعلّق باللغات الأجنبيّة أن يقع الاهتمام بهذه اللغات التي تعلق بخصوصيات محليّة، على أن تكون رافداً للعربيّة ومكمّلة لها. ومن ثمّ ننفتح على اللغات الأجنبيّة بصيغة تشاركيّة للاستفادة منها في المنهجيات العلميّة، وفي الطّرائق السّهلة التي تعمل على تقديم العربيّة بصورة سهلة للمتعلّم. كما يقع التّركيز على تجنيد منظومة الإعلام في صورتها القويّة لخدمة المسألة اللغويّة في كلّ أبوابها. وفي هذا الظّرف القصير أن يكون التّركيز على إعادة الاعتبار للعربيّة بعد تلك الهزّة التي شهدتها من خلال التّسامح الذي عرفته مختلف مؤسّساتها.

2/10ــ المدى المتوسّط: يتعلّق بمنظومة التّربيّة والتّعليم في كلّ مراحلها، وما يستلزم ذلك من إعداد المُستندات التّربويّة. كما يتمّ فيه تقديم مشاريع وأبحاث في مجال الديداكتيك لفكّ لغز تعليم وتعلّم العربيّة بطريقة سهلة مثلما تُتعلّم اللغات الأخرى. على أن يخضع هذا لمرحلة زمنيّة محدّدة لا تتجاوز عشر (10) سنوات. وإنّها لمدّة حاسمة؛ وفيها يحصل الانتقال الفعليّ من مرحلة التّسيّب إلى التّحكّم الدّقيق بفضل تلك البرامج النّوعيّة التي تقدّم في المدارس، وبخاصّة في العلوم التّطبيقيّة.

3/10ــ المدى البعيد: ويتعلّق بالنّظرة الاستشرافيّة لمستقبل اللغة العربيّة وموقعها بين اللغات. وهذا بالنّظر في فكّ لغز المضايقات التّقنيّة، وتقديم الحلول النّوعيّة. وهذه المدّة يمكن أن يدوم عمرها لمرحلة الجيل ليس إلاّ. وإنّ هذا المدى الطّويل يكون فيه التّركيز على التّخطيط المنظّم بغية توجيه السّياسة اللغويّة في أفق الحاضر والمستقبل، وفيه يحصل قياس الحاضر على الحاضر، لا اعتماد قياس الحاضر على الماضي.

وللتفصيل في هذا المشروع، كان عليّ توزيعه بحسب طبيعة الموضوع بتحديد مواطن العلاج، وهي كما يلي:

ــ أولاً: الإقرار بالتّقصير، لاستخلاص مواطن المعالجة، فنبدأ من الجانب النّفسيّ الذي يتعلّق بعدم الاهتمام باللغة العربيّة، وبخاصّة في تدريس العلوم بها وترك الإعلام للخوض في الهجين اللغويّ، ولم يقع الاهتمام بالتّرجمة، والإقرار بالتّسامح في الانتماء والهويّة اللغويّة والاعتزاز الوطنيّ، وهو جانب مهمّ في الخصوصيّة النّفسيّة واللغويّة التي يكون بها الإنسان محترماً... وأمام هذا التّقصير ما العمل؟ ولهذا نحتاج في هذا المشروع إلى مناقشة القضايا ذات العلاقة بالموضوع، ومن ثمّ العمل على إيجاد الحلول. ولذا بصرت بمجموعة من القضايا الأوليّة كان علينا تجسيدها قبل تقديم الوصفة العلاجيّة، وهي:

1ــ ضرورة الاعتزاز اللغويّ: ونحتاج إلى خطاب علميّ أدبيّ بخصوص الاعتزاز، فإنّه ما ذُلّ قوم إلاّ بسبب تقصيرهم في خصوصياتهم، وما انحطّ المجتمع في لغته إلاّ وانحطّ في واقعه. ولذا نجد الأمم الحيّة تعطي للغة الأمّ كلّ الأهميّة، بل تنزلها الصدارة على أنّها وجودهم ومقامهم، وبها يكونون، وبدونها لا يكون لها المقام، مهما كانت قيمة اللغة في حساب اللغات العالميّة، ولا يمكن أن يتنازلوا عن لغتهم بدعوى عدم حملها للعلوم، أو عدم مسايرتها للواقع بل يعتزّون بها ويعملون على أن تترقّى. فهل نتّعظ من ذلك؟

2ــ إقناع صاحب القرار بمعاضدة اللجان المحليّة أو العربيّة: يجب علينا وضع آليات الشّروع في تطبيق تعميم استعمال العربيّة وعلى مراحل، وهذا بإنشاء لجان المتابعة والتّقويم والمراجعة، لجان محليّة تقوم على حثّ صاحب القرار باستصدار القرار الذي لا رجعة فيه؛ بتعميم استعمال اللغة العربيّة على مراحل ويتمّ فيها التّقويم والتّقييم، فنعم للمراجعة في المنهجيات لا للتّراجع عن المبدأ.

3ــ الاقتناع بأهميّة مواصلة تدريس العلوم بالعربيّة: ويكون هذا في باب التّنميّة الوطنيّة التي لا تكون إلاّ باستعمال اللغة العربيّة في كلّ مراحل التّعليم، وفي

مراكز البحوث، وفي مختلف الوزارات، والاعتبار من تلك الدول التي ما تقدّمت إلاّ بلغاتها، ويكون العلم بأنّ العرب هي الأمّة الوحيدة في العالم التي لا تُدرّس كلّ المواد بلغتها، وهذا فعل شنيع لا تقوم به إلاّ دول نكرات، فهل نحن العرب نكرات ونتنكّر للغة زكّاها القرآن الكريم، بل مجّدها في أكثر من آية.

4ــ إقحام النّخب العربيّة في إنجاح المشروع والدّفاع عنه: نريد من هذا المشروع أن ينال الصّبغة العربيّة والعالميّة، ولن يكون هذا في ظلّ عزوف النّخبة العربيّة عن مسايرة المشروع. فعلى النّخب العربيّة التّجنيد من أجل هذه القضيّة. ولكن كيف يمكن تفعيل النّخب العربيّة في هذا المشروع؟ يكون ذلك عن طريق المشاورة، وطلب إعداد المشاريع، ودراسات الخبرة والجدوى، على أن يكون للنّخبة موقع لدى صاحب القرار.

5ــ إشراك مختلف أجهزة الإعلام: إنّ الإعلام يعتبر السّلاح الرابع والخامس بل هو القوّة المتنفذّة في حياتنا اليوميّة، ولهذا يكون التّعويل عليه في هذا المشروع النّهضويّ الذي نطلب منه التّجنيد الحقيقيّ في تعبئة الجماهير للسير في حمل هموم المواطن العربيّ الذي يحترم لغته ويريد أن تنال وضعها الطّبيعيّ.

ــ ثانياً: إعداد وسائل تعميم استعمال العربيّة: وهذه المسألة تتطلّب منّا ما يلي:

1ــ تشجيع التّرجمة وإنشاء المؤسّسات التّرجميّة: لا يمكن للعربيّة أن تستغني عن التّرجمة بل هي الرّكيزة لتكون لها صبغة علميّة وعالميّة، وتنال الصّدارة ولهذا تتجنّد القوى العربيّة للتّرجمة إلى العربيّة، وكذلك التّرجمة من العربيّة إلى اللغات الأخرى، ليكون لها الصّدى العمليّ والعلميّ، وتكون مُتنفّذة في مختلف دواليب الاستعمال.

2ــ تجسيد التّخطيط اللغويّ المناسب: وضع استراتيجيات شاملة متكاملة لجوانب السّياسة اللغويّة، ومن ثمّ إلى سنّ سياسة تربويّة مناسبة، بناء على استراتيجيّة عربية تُحدّد فيها وسائلَ العمل ومُتطلّباتِه، وتشير إلى اتّجاهات التخطيط ومساراتِه؛ بقصد إحداث تغييرات في النّشاط اللغويّ، على أن يخضع التّخطيط

لمراحل ومسار علميّة ولآماد يحدّدها المختصّون. كما تمسّ تلك الاستراتيجيّة الأبعاد الكبرى في نشر اللغة الجامعة في مختلف المجالات، والاهتمام باللغات الوطنية باعتبارها رافداً للوعيّ الوطنيّ في جوانبه التّراثيّة، وكذلك تعليم اللغات الأجنبيّة بالنّفعيّة المطلوبة، وتنظيم التّرجمة، والعمل على إنتاج المصطلحات وتوحيدها.

3ــ تفعيل المؤسّسات المختصّة: وهنا يقع التّركيز على **المجامع اللغويّة** التي يفترض أنّها القاطرة التي تقود عملية تعميم استعمال اللغة العربيّة، وكان عليها أن تقوم على إنتاج أفكار التّوجيه والتّسيير مع كافة المجالس العليا ومع مؤسّسات الدولة. وإنّ المجامع اللغويّة هي التي تعمل على التّهيئة لهذا العمل في كلّ أبعاده على أن يكون لها سلطة القرار.

4ــ تفعيل الوزارات: إنّ هذه العلمية تتطلّب التّجنيد والتّعبئة العامة لمختلف أجهزة الحكومات العربيّة، كما يقع التّركيز على كلّ القِوى الفاعلة في المجتمع العربيّ، وعلى كلّ المؤسّسات العربيّة العمل من أجل ربح معركة تعميم استعمال اللغة العربيّة. ويكون التّركيز على: **وزارات التّخطيط – وزارات التّربيّة – وزارات الدّفاع – وزارات التّعليم العاليّ والبحث العلميّ – وزارات الإعلام/ الاتّصال – وزارات الثّقافة – وزارات الشّؤون الدّينيّة والأوقاف – وزارات الدّاخليّة – وزارات الماليّة والاقتصاديّة.** هذه أهمّ الوزارات أو ما يمكن أن نطلق عليها وزارت ذات التّأثير في المواطن، وهي وزارات السّيادة، وكلّ وزارة عليها تقديم برنامجها الخاصّ الذي تقوم به تجاه العمليّة الوطنيّة، وتوضع لكلّ وزارة خطّة خصوصيّة مُحدّدة ببرامج وبمدّة زمنيّة، على أن تتعاضدَ مناهجُ وخطط الوزارات في صورة واحدة متكاملة تخدم بعضها البعض. وفي الحقيقة لا يمكن الاستغناء عن هيكل ما أو جهاز ما في الدّولة، بقدر ما نريد التّجنيد الفعليّ الذي يدوم خمس (5) سنوات حتى تدخلَ العمليةُ في روتينٍ طبيعيٍّ، وفي صميم اهتمامات المواطن، وعند ذلك تكون خريطةُ الطّريق قد توسّعت وأخذت أبعاداً

وطنية، فلا يمكن الحياد عنها في المبدأ، وإنّما تحصل المراجعات في المنهجيات فقط، وهذا من الطّبيعيّ أن يحدث فيها التّغيير مُراعاةً للظّروف والمُستجدات.

11ــ كيفيات تجسيد مشروع (النّهوض اللغويّ): هناك وصفة أعرضها على المجمعيين وعلى المختصّين، وترتكز على ما يلي:

1/11ــ وضع جهاز مُتخصّص يُتابع المشروع: ويكون هذا الجهاز تحت إمرة المجمع، ويختار المجمع أعضاءه من المجمعيين ومن النّخبة العربيّة، على أن يعقدوا اجتماعاتهم في رحاب المجمع. وهذا الجهاز يعمل على اقتراح المشاريع الكبرى، وعلى المتابعة والتّقويم. ويكون للجهاز سلطةٌ إداريّة وتشريعيّة، فيعمل في البدايّة على رفع تقرير للوضع اللغويّ الصّعب إلى كلّ السّلطة العليا.

2/11ــ جهاز اقتراح مشاريع: يكون هذا الجهاز تحت سلطة المجمع، ويستعين الجهاز بالكفاءات في مختلف اللغات، على أن يُطلب منهم تقديم خبرات في التّرقيّة اللغويّة، وتقديم المشاريع الكبرى ذات العلاقة بإخراج العربيّة ممّا آلت إليه من وضع ينذر بالخطر. وللجهاز سلطة توحيد الجهود التي تبذل في تلك الأعمال المكرّرة أو المشاريع المتطابقة من مثل: مشروع المعجم التّاريخيّ لاتّحاد المجامع بالقاهرة، ومشروع معجم قطر التّاريخيّ، ومشروع المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة مع مشروع الذّخيرة اللغويّة ــ الأعمال العشوائيّة التي تُنجز باسم: صاحبة الجلالة اللغة العربيّة في كلّ من بيروت، ودُبَي ــ تأسيس المجلس العالميّ للغة العربيّة والمجلس الدّوليّ للغة العربيّة... وإنّها لجهود كان الأحرى أن يحصل بينها التّنسيق رِبْحاً للوقتِ والمالِ والجهدِ، وهذا أحدُ العوامل التي تعمل على تشتيت القوى الفاعلة في المجتمع العربيّ أما حانَ الوقتُ لتنظيم أنفسنا؟

3/11ــ للجهاز سلطة اقتراح وتوزيع المشاريع الكبرى: نروم من هذا المشروع التّقليل من كثرة المؤسّسات التي أصبحت تتضايق منها اللغة العربيّة، بل إنّ بعضها بلوى فيها، فلا تخدمها بقدر ما تستنزف أموالَ المواطن دون نتيجة

تُذكر، فكفانا كثرة المؤسّسات التي لا تُدير إلاّ الفراغ. فما أحوجَ هذا الجهاز إلى أجهزة فرعيّة فقط تعمل تحت إمرة المجامع.

4/11ــ توزيع المهام الكبرى: نروم من هذا توزيع المهام اللغويّة على المجامع اللغويّة لتصبح مجامع متخصّصة، ويكون لها صبغة التّشريع والعمل برأيها وبقراراتها.

5/11ــ تحديد الزّمان: لا يمكن للمشاريع أن تنجح في ظلّ غياب الزمن المحدّد لإنجازها، فلا بدّ أن يقع التّنصيص في بداية العمل في المشاريع أفق النّهاية منها والتفرّغ لمشاريع أخرى. ولا مانع أن تكون هناك مراجعة.

6/11ــ الإغداق الماديّ: إنّ المشروع في صورته الأولى يقدّم وثيقة تقنية بخصوص الجوانب المادية والطّلبيات المطلوبة، ولهذا نناشد الدّول الرّفع من الميزانية التي ترصد للبحث العلميّ وتخصيص ميزانيّة محترمة للمشاريع الكبرى ومتابعة المصاريف المطابقة.

ــ **الخلاصة:** لا أدّعي أنّني أحطتُ بكلّ حيثيات مشروع (النّهوض اللغويّ) بقدر ما أعطيت الخطوط الكبرى، فأريد أن يكون المواطن على اطلاع به، وهو قابل للمراجعة، ومتفتّح على استقبال النّقد لمراجعة مواطن النّقص وإكمالها. ويمكن أن يُنصِبَّ المجمعُ لجنةً لدراسته واستخلاص مواطن القوّة منه، كما يمكن للمجمع أن يجمع بين نقاط القوّة في كلّ المقترحات التي يقدّمها الزّملاء أعضاء المجمع.

ــ **الخاتمة:** ليس المقامُ مقامَ إشادةٍ بالعربيّة ومآثرها، والفخْرِ بعُلُوّ كعبها، وسُموِّ شأنها، وإنّما المقامُ يتطلّبُ مِنّا أن ننظُرَ في قضاياها المعاصرة، وأن نتدارسَ في ما بيننا شؤونها وأحوالها. وعلينا جميعاً أن نشدّ على أيادي بعضنا لتجسيد الآمال المعقودة، وأن نضع بين هذا الجيل برامجَ ومشاريعَ كبيرة وعمليّةً تُيسّرُ سُبُلَ استعمالها وتوظيفها والتّحدّث بها. ومن الضّروريّ أن نستفيد مِن كلّ ما هو جديدٌ في المجال التّكنولوجيّ والرّقميّ لخِدمة هذه اللّغة. وعلينا فتح نوافذنا على البحوث الجاريّة عند الآخرين، ونستفيد من الأساليب العلميّة التي خدموا بها لغاتهم.

ــ **التّوصيات:** هناك قضيّة أساسيّة لا بدّ من الانتباه إليها، وهي ضرورة رفع القابليّة للاستعمار اللغويّ من ذواتنا، ومن ثمّ جعل الشّعوب العربيّة والإسلاميّة المستعملة للحرف العربيّ تُمارس استعمالَ اللسان العربيّ في الحياة اليوميّة على مستويات نفسيّة وسلوكيّة فرديّة وجماعيّة، وندعو إلى:

أولاً: التّفعيل العملي في اتّجاه آلية بناء الوعيّ اللغويّ وتأسيسه، وهو ما يعالجه فحص علاقة اللسان العربيّ بالهويّة، وبناء التّصوّرات، ورؤية العالم، وعلاقة اللغة بالأمن القوميّ من منظوره الواسع، وإشاعة حقائق هذا المسار بين جموع الشّعوب العربيّة.

ثانياً: الحركة في اتّجاه آلية الضّبط التّشريعيّ، وتفعيل المواد الدستوريّة الكاشفة عن وضع اللغة العربيّة في سياق تصوّر الدول العربيّة عن نفسها ونظامها الأساسيّ، ومقوّمات بنائها وتنقّيّة ما هو قائم من التّناقضات.

ثالثاً: الحركة في اتّجاه الضّبط المؤسّسيّ، هو ما يحقّق العمل على المسار الضّابط لأدوار المُؤسّسات المعنيّة بالحفاظ على العربيّة، وتطويرها، وضبط عدم التّداخل في الاختصاصات بين: التّخطيط والتّنفيذ والمتابعة.

رابعاً: مراجعة أدوار مؤسّسات المَجامع اللغويّة، والمَجامع العلميّة، والمَجالس الوطنيّة والعربيّة المُتخصّصة، والمُؤسّسات الثّقافيّة، ووزارة الثّقافة، ووزارات الأوقاف والشّؤون الدينيّة.

خامساً: الحركة في اتّجاه آلية التّخطيط اللغويّ، في مراحله المختلفة من: التفّكير والتقّرير والتّطبيق.

التهجين اللغويّ في وسائل التواصل الاجتماعيّ لدى فئة الشّباب مُخاصمة أم مُرافقة؟♥

ـ **الدّيباجة:** لماذا اخترتُ هذا العنوان؟

– لأنّ التّهجين اللغويّ ضربة قاضيّة على اللغة العربيّة، لا يُقدِّم لهـا إلاّ الركـوع والفسْخ والذّوبان؛

– لأنّ التّهجين اللغويّ ترفضه كلّ اللغات، بل هناك حملات تقوم بها الكثير مـن الشّعوب لتطهير لغتها من الخليط اللغويّ؛

– لأنّ العصر عصر التّقنيات الحديثة، فلا يمكن ولا يجوز محاربتها، بـل علينـا العمل على الاستفادة منها بتطوير لغتنا العربيّة؛

– لأنّ العصر عصر وسائل الاتّصال الحديثة التي لا تُنافس، ولا يمكن الاسـتغناء عنها؛

– لأنّ هذه الوسائل الحديثة تُعدّ من فتوحات العصر الحاضر؛

– لأنّ هذه الوسائل تعمل سريعاً على التّأثير والتّأثّر؛

– لأنّ وسائل التّواصل الاجتماعيّة الحديثة أكثرها في يدّ الشّباب؛

– لأنّ الشّباب أكثر تحكّماً في هذه التّقنيات المعاصرة؛

– لأنّ المجتمعات العربيّة أكثر فئاتها العمريّة فئة الشّباب؛

– لأنّ هذه الوسائل هي لغة العصر، والشّباب قوّة العصر؛

– لأنّ اللغة العربيّة إذا لم تكن في استعمال الشّباب لا مستقبل لها.

إنّ هذا الموضوع سبق أن عولج في بعض النّدوات العربيّة، وأقيمت حوله ملتقيات وأيام دراسيّة وقدّمت الكثير من الحلول الإجرائيّة، وتبقى هناك الكثير من الجوانب التي

♥ أُلقيت المحاضرةُ في مؤتمر المجمع اللغويّ المصريّ، في الدّورة الخامسة والثّمانين. القـاهرة: 25 مارس– 8 أفريل 2019م، تحت المحور العامّ (اللغة العربيّة في وسائل الاتّصال الحديثة).

تحتاج إلى علاج عميق يكشف غمّ العربيّة ممّا يصيبها من أهلها وبخاصّة الشّباب الذين نتوسّم فيهم الأمل وعليهم العوَل ولكن نسمع منهم ما لا يجوز، في أنّ للغة العربيّة رباً يحميها، وقرآنا يعمل على نشرها، **واتركوا العربيّة فهي بخير**. وفي كلّ ذلك نشهد بأنّ التردّي اللغويّ يستفحل بشكل لا مثيل له، بل يتنامى باستمرار. وعهدي أهتمّ بأمثال هذه الموضوعات، فإنّه حصلت لديّ مدوّنة أحسبها جيّدة، وعنوانها (لغة الشّباب العربيّ في وسائل التّواصل الحديثة[1]) ونجد فيها بحوثاً ودراسات حول التّهجين اللغويّ: العربيزي+ الفرانكو أراب+ العربتيني. شهادات علميّة ودراسات قيّمة بأقلام مجموعة من الباحثين والمهتمّين بالشّأن اللغويّ في الوطن العربيّ. ويمكن تقديم خلاصة هذا العمل من خلال خاتمته التي تقول: "إنّنا لا نستطيع إلقاء اللوم على ما أحدثته الثّورة التّكنولوجيّة والمعلوماتيّة ومتغيّراتها السّريعة والخاطفة من زلزلة أحرجتِ اللغة العربيّة وجلبت لنا معها **لغة هجينة**. آثرناها على لغتنا كما تبنّينا اللغات الأخرى، وتفاخرنا بإجادتها. كذلك لا نستطيع رمي الاتّهامات على النّوايا الاستعماريّة الخبيثة التي تتربّص باللغة العربيّة لاقتلاعها، والخلاص منها. ودائماً لدينا إيمان راسخ بنظريّة المؤامرة التي يحيكها لنا كلّ من يريد بنا وبثقافتنا وبحضارتنا وديننا الحنيف ولغتنا أذى وسوءاً. ولكنّنا في خضم كلّ هذه الاتّهامات واللائمات على الآخرين نسينا أنّ أُسسنا هشّةٌ؛ لذلك لم تصمد أمام الريح. فلتكن أسُسنا متينةً من خلال تمتين أواصر اللغة العربيّة؛ كي تكون قادرة على التّحديّ والتّنافس والاختراق والصّمود. إذ نحن بحاجة إلى ثورة مناهضة للتّغريب، ولكلّ ما هو غريب مريب. والسّؤال الذي يطرح نفسه عندما يكيل أهلُ هذه اللغة العربيّة والنّاطقين بها الاتّهامات التي تقول: إنّ اللغة العربيّة صعبة وقواعدها كثيرة ومعقّدة، ولذلك فإنّه قد يتمّ اللجوء إلى استبدالها بما هو أسهل منها. فلماذا لم تُحدث الثّورة التّكنولوجيّة والمعلوماتيّة الزلزلة ذاتها للغة الألمانيّة. فقد أجمع الباحثون على أنّ اللغة الألمانيّة من أصعب اللغات وأعقدها وإعرابها أشدّ وطأة من إعراب اللغة العربيّة وقواعدها، ومع ذلك لم يفكّر أحد النّاطقين بها باستبدالها كما حصل مع اللغة العربيّة، والألمان على الرغم من صعوبة لغتهم هم من أشدّ

الشّعوب تعصّباً وتمسّكاً وفخراً بها. إنّ عمليّة اكتساب ايّ علم من العلوم الإنسانيّة والحياتيّة لا يمكن أن يخلو من الجهد والصّعوبة والمشقّة، وهذا ينطبق أيضاً على اللغات، فلا شيءَ يأتي على طبق من فضّة، ولكن السّهولة تتأتّى من سياسات التّخلّي والتّنازل التي نتّبعها.

نحن عرب حتى لو حاولنا الولوج والتوغّل في العالم الفرنسيّ والتّشبيه به من خلال استهلاك كلّ ما يقدّمه لنا، حتى لو حملنا جوازات سفر غربيّة، فطابعنا عربيّ **ولغتنا الأمّ عربيّة!!**". بالفعل هناك تراخٍ في تعاملنا مع العربيّة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، فما العمل؟ هل نحاربها وننزوي دون استعمالها؟ ذلك انتحار لغويّ، كان علينا الاستفادة منها بما تحمل من مُغريات، وما تتضمّن من وسائل الجذب والاقتحام والرّصد والترقّب. علينا الاستفادة من وسائل العولمة، وما قدّمته وتقدّمه للعربيّة من طرائق جديدة في الكتابة، وما عملته من أجل تسهيل التّخزين والاسترجاع بسرعة ناهيك عن خِدمات المدقّق الإملائيّ والصّرفيّ والنّحويّ والتّرجمة الآليّة، وتوفير المعلومة والاطلاع على الثّقافات... وعلينا فقط أن تقع عمليات التّوجيه كما يقول الباحث (عبد الله أيت الأعشير) "... موضوع العربيّة في الشّابكة من الموضوعات التي يجب أن تُوجّه إليه نابهة الأمّة لإشباعه بحثاً واستقصاءً يُنكِش عمقه؛ لأنّ أكثر مشكلاتنا التي نعانيها في أثناء صناعة معارفنا، وفي أثناء تواصلنا مع غيرنا ترجع إلى صعوبات أسلوبيّة لم تمكّننا مِترهيتنا من التحكّم فيها؛ انطلاقاً من حراسة الثّغر اللغويّ الذي تغافلنا عنه وتركناه سبهلاً حتى ملأت **الهُجنة** أجواء العربيّة؛ فخسرنا قضايانا العادلة التي لم تمكّننا وسائلنا اللغويّة من الدفاع عنها بحذاقة لا تقصر ولا تزيد عن المطلوب. ولهذا تدعو الحاجة إلى حراسة هذا الثّغر بأعين صقريّة لا تغيب عنها صغيرة ولا كبيرة[2]". بالفعل من محكّ الزّمان يمكن استخلاص العِبَر بأنّ العولمة وما تحمله من مزايا شيء جيّد ولكن يمكن أن نستفيد منها بإخضاعها لمنطق لغتنا، فلماذا اللغات الأخرى لا تعادي الآلية ولا تهدّدها الشّابكة؛ لأنّها مثل الشّجرة تغيّر أوراقها في كلّ سنة، ولكن تحافظ على جذورها وتغذّيها بالجديد، ويبقى الجذر دائماً أصيلاً. فهل

هذا من الصّعب على لغتنا، أو علينا نحن العرب؟ كلاّ بل إنّ المنطق يدفعنا إلى العيش في كينونة واحدة وبثقافات متعدّدة، أي بخصوصيّة جوانيّة، وهذا هو المطلوب منّا يكون خريطة طريق نزرعه في شبابنا.

ــ **المقدّمة:** تعيش اللّغة العربيّة الفصحى في العالم العربيّ أوضاعًا انتكاسيّة بالنّظر إلى الواقع اللغويّ العربيّ الحاليّ الذي يتمخّض عنه **تهجين لغويّ** متنامٍ ومطّرد، وهذا من خلال الاستعمال والممارسات اللغويّة لخليط من الأنماط اللغويّة من مختلف لغات الاستعمال اليوميّ: العربيّة الفصحى، الدّوارج، اللّغات الأجنبيّة. وما هذه الصّورة – المسموعة والمكتوبة– القائمة اليوم إلاّ وليدة الفترة المعاصرة حيث السّلاح الّرابع يعرف قفزة خارقة، فنجد الفضائيّات تعرف انتشارًا لا حدود لها، وكلّ فضائيّة تعرش على قوم، وتفرض عليهم قِيَمًا وسلوكًا وأسلوب عيش ولغة مزيج من الأنماط المتشابكة، والتي لا حدود لغويّة تحكمها، وكان همّها في سلوكها هذا التّواصل الدائم وكسْب الجمهور، وبيع أكثر عدد من عناوينها، وبأيّة لغة كانت، وعند ذلك يكون البقاء للّغة الأقوى، وبخاصّة لغة الآلة المعاصرة؛ لغة الصّحافة السّريعة، وقد جرّ ذلك بعض الوباء والوبال والمسخ اللغويّ على لغة البلاد العربيّة، ومسّ ركنًا ركينًا في الهُويّة والمواطنة اللغويّة. ولم تقف المسألةُ عند هذا الحدّ، بل تعدّت إلى التّسامح في الخصوصيات إن لم نقل الذوبان بدعوى المهمّ الفهم، والغرض من هذا هو الانجذاب اللغويّ للغة العولمة، أو اللغات الأجنبيّة التي تأتي بها الآلة في برمجياتها.

1ــ معنى التّهجين/ الهجين اللغويّ: تتداخل المصطلحات في هذا الموضوع ويكفي أن نشير بأنّ للمصطلحات بعض التّقاطعات في ما بينها. ومن حيث المعنى اللغويّ والاصطلاحي:

1/1– معنى التّهجين: سيكون الحديث عن التّحديد اللغويّ والاصطلاحي لكلمة (التّهجين/ الهجين) من خلال المعاجم، وما وقع عليه الإجماع في اللغة والاصطلاح:

1/1/1– لغة: تنصّ المعاجم على أنّ كلمة (**التّهجين**) جاءت من الفعل الرّباعيّ هَجَّنَ. فيقال: هجّنت الصّبيةَ هَجْنًا وهُجونًا وهِجانًا: تزوّجتْ قبل بلوغها. هَجُن هُجنة

وهَجانة: كان هجيناً. وهَجُن الكلام وغيره: صار مَعيبًا مَرذولاً. أهجَن الإبل: كثرت هِجان إبله. وأهجن الفتاةَ: زوّجها صغيرة. هجّنَ الشّيءَ: جعله هجيناً. هَجَّنَ الأمرَ: قبّحه وعابه. استهجن: استقبح. ويقال: هذا يُستهجن قولُه. الهجين: اللبن ليس بصريح ولا لبإ. رجل هجين: لئيم. والهجين من الخيل: ما تلده برذونة من حصان عربيّ. الهجين من النّاس: الذي أبوه عربيّ وأمّه غير عربيّة. والخُلاسيّ: الولد من أبوين: أبيض أسود، ويُقال لمختلط النّسب في اللّغة = الخِلْط. والخطّ غير الواضح يقال له: تهجئة خاطئة Cacographie . والهُجنة في معجم اللّسانيّات المُوحّد يقابله في الإنجليزيّة Cacology وفي الفرنسيّة Cacologie.

2//1/1- اصطلاحًا: هو استيلاد لغة لا هي بالعربيّة ولا هي بالأعجميّة، بالمزج في الخطاب بين كلمات عديدة من اللّغات، ويحصل هذ أحياناً بتعمُّد، وأحياناً عن غير تعمُّد، وتتمّ عملية التّهجين بشكل منهجيّ؛ لتصبح نمطًا مميّزًا لأسلوب الخطاب والكتابة المعاصرة لدى الشّباب. وهي اللّغة الهجينة من تلك الألفاظ المستغربة والتي توحي بوضع لغويّ لدى جيل بأكمله، وهو واقع مرّ يُؤسّس لدلالات خطيرة على المجتمع حيث ينذر بضياع الهُوية والتّميّز، والتنكّر للذات الحضاريّة العربيّة والإسلاميّة.

وأما من حيث متعلّقات مدلول الكلمة وما يسري مسراها، وممّا يأتي منه التّهجين فتلتقي مع مدلول المصطلحات التّاليّة:

- **الازدواجيّة:** وهي استعمال نظامين (2) لغويين في آن واحد، للتّعبير أو للشّرح وهو نوع من الانتقال من لغة لأخرى. وهذا موجود كظاهرة لغويّة اتّصاليّة في الشّعوب التي خرجت من الاستعمار، وبقيت آثار لغة العدو باقية في التّواصل اليوميّ والذي أصبح بشكل من الأشكال صورةً عفويّةً للممارسات الكلاميّة العاديّة، ويدخل هذا في باب ما المغلوب مولع بلغة الغالب.

- **الانتقال اللغويّ:** نوع من الازدواجيّة، تحصل عند مزدوجي اللّغة، حيث ينتقل المستعملُ اللغويّ من لغة إلى أخرى، كأنّه انتقل من مستوى إلى آخر، وهذا بسبب الشّرح أو المقام أو الحال، ويلقّبه الغربيّون بـ Code switching. ويكون الانتقال

في بعض المقامات محبوبًا كونه يعمل على تأديّة المراد والمقصود، بل يعمل على الشّرح.

– **الاحتكاك اللغويّ:** ظاهرة لغويّة أخرى من باب التّقارب والاحتكاك بين اللّغات وينجم عن ذلك استعمال مصطلحات أو أساليب لغة في قالب لغة أخرى وأثناء الاحتكاك تأخذ اللّغات من بعضها البعض. وهذه سنّة اللّغات التي يستعملها شعب من الشّعوب، بغرض التّواصل، أو بغرض التّمدّن، وما يلحق ذلك من الوسائط المعاصرة التي تفرض بعض الأنماط والمصطلحات. وعادة أنّ الاحتكاك يحصل في البداية عن طريق توظيف أصوات أجنبيّة، ثمّ ألفاظ مفردة، وأحيانًا يجلب بعض المسكوكات اللغويّة من لغة أجنبيّة؛ فتدخل في جسم اللّغة الوطنيّة. وهذا المجال يمسّ بعض عمليات التّرجمة التي تعطي لغة ما أنماط لغة أخرى ولهذا قيل: التّرجمة خيانة.

– **التّداخل اللغويّ:** هو نوع من الاحتكاك اللغويّ، إلاّ أنّ التّداخل يحصل بين لغتين تأخذ الواحدة من الأخرى؛ فاللّغة الأضعف تأخذ من اللّغة الأقوى، والعكس يصحّ، بينما **الدَّخْل اللغويّ:** حيث تأخذ اللّغة الأضعف من اللّغة الأقوى فقط. ويعرّف اللّسانيّون الغربيّون التّداخل اللغويّ "بأنّه تأثير اللّغة الأُمّ على اللّغة التي يتعلّمها المرء (Skiba, 2001: 1)، أو إبدال عنصر من عناصر اللّغة الأُمّ بعنصرٍ من عناصر اللّغة الثّانية (MacKay, 1969 : 109). ويعني العنصر هنا صوتًا أو كلمةً أو تركيبًا. ولكنّنا ننظر إلى التّداخل اللغويّ بوصفة انتقال عناصر من لغة (أو لهجة) إلى أُخرى في مستوىً أو أكثر من مستويات اللّغة: الصوتيّة والصرفيّة النّحويّة والمفرداتيّة والدلاليّة والكتابيّة سواء أكان الانتقال من اللّغة الأُمّ إلى اللّغة الثّانيّة أم بالعكس، وسواء كان هذا الانتقال شعوريًّا أم لا شعوريًّا. فإذا تأثّرت اللّغةُ العربيّةُ الفصيحةُ التي يتكلّمها الطّفل العربيّ بلهجته العاميّة أو باللّغة الأجنبيّة التي يتعلّمها فإنّنا نعدّ ذلك من باب التّداخل اللغويّ كذلك[3]".

- **الاقتراض اللغويّ:** هو أنّ اللّغة الأضعف في العادة هي التي تقترض من اللّغة الأقوى وهي سنّة جرى العمل بها في كلّ اللّغات، إلاّ أنّ الاقتراض اللغويّ يأخذ شكل إدماج المأخوذ في قالب اللّغة الآخذة، ويصبح منها، وقد سمّاه العرب بالمُعرّب.

- **التّعدّديّة اللغويّة:** يعني استعمال مجموعة ألسن متباينة أو متقاربة في مجتمع واحد، وهذا ما يوجد في الدّول التي عرفت الاستعمار، وبالخصوص استعمال لغة المستعمر/ المستدمر إلى جانب اللّغة الوطنيّة.

والخلاصة: من هذه المصطلحات التي تتعلّق بقضايا التّعدّد اللغويّ نقول: إنّ هذه الظّواهر اللغويّة لها مزاياها في إطار البحث اللغويّ العلميّ، وما يتعلّق بالبحوث ذات العلاقة بعلم اللغة الاجتماعيّ، بل إنّ الواقع الذي عاشته الدّول العربيّة التي خضعت للاستعمار فَرَضَ أشكالَ هذا التّواصل، فهي نعمة إن لم تتعدَّ حدودها العِلْميّة؛ والتي يراد بها التّواصل المرحليّ في انتظار تعميم اللّغة الوطنيّة والرسميّة والقضاء على الأميّة، وأما إن كان يقصد به التّنازل عن اللّغة الوطنيّة فهي تبعية يجب شجبُها.

ويمكن إجمال كلّ هذا في أنّ التّهجين اللغويّ لغة مُتعدّدة في خطاب واحد، تنشأ من اختلاط مُفردات لغتين أو أكثر؛ تُستخدم للتّفاهم بين مجموعتين لغويتين. أو هو كلام خليط ينتج في العادة في مجتمعات خليط، أو في التّجمعات التي تحصل في البلدان التي تفِد إليها العمالةُ الأجنبيّة، وتحصر العمالة في تجمّعات سكانيّة خاصّة وعن طريق احتكاكها بغيرها تظهر لغة مزيج/ هجين مستوحاة من أَلْسُن العمالة وألسن السّاكنة الأصل، ويجمع بين تلك الكلمات النّغمة والتّرنيم والاقتراض وصولاً إلى لغة المصالح المرسلة. وهذه اللغة هي مجردّ قاموس محدود الألفاظ لا يحتكم إلى قواعد واعيّة من منتوج لغات متعدّدة. وعندما تتطوّر أكثر تصبح هجيناً كبيراً لجماعات لغويّة موسّعة. وهكذا نرى أنّ هذه اللغة التي تستعمل مع العمالة الوافدة نوع مزيج تُعرف عند المختصّين باللغة الهجين Pidgin Language لأنّ بها هُجنة وامتزاجاً بين عدة لغات مختلفة. وتعدّ اللغة الهجين (Pidgin Language) واللغة المولّدة (Créole Language) ضمن الظّواهر اللغويّة التي يدرسها علم اللغة الاجتماعيّ.

2ــ مصادر التّهجين اللغويّ: هناك العديد من القنوات التي يأتي منها الهجين اللغويّ، وأهمّ مصدر له هو الإعلام بمختلف قنواته، وبخاصة الفضائيات الخاصّة وما تحمله من إبداعات لغويّة تعمل على كسب الذوق أو السّرعة في بعض المقامات، فعن طريق وَصْلاَت الإشهار مثلاً تأتينا حمولة ثقافيّة مرنة بسيطة سهلة على الحفظ، ولها ترانيم خفيفة؛ تعمل جاهدة على الاقتناع بما تحمله من مضمون وباللّغة الحاملة لها، كما ترغّب المستقبل/ المستمتع/ المشاهد أن يكون طرفًا مساندًا لها. وأثناء التأديّة اللغويّة تعمل لغة الإشهار أو هذه القنوات على تجاوز المألوف والتّحرّر إلى حدّ ما من سلطة اللّغة الثّابتة (القوانين النّحويّة) فتعمل على إحداث الكسر اللغويّ أو الانحراف عن سلطة الإعراب – كما في العربيّة– في كثير من وَصْلاَتِها، بل تلتجئ إلى الهجين اللغويّ وفي نظرها أنّ ذلك هو الذي يؤدّي الرّسالة، وهو لغة الجمهور، وتلك إلى حدّ ما وسيلة تعتمدها هذه الوسائل لخرق العادة اللغويّة، والسّير في غير المنوال النّحويّ. ومن هنا، فإنّ هذا الخرق اللغويّ يؤدّي أحيانًا إلى توظيف بعض الكلمات التي قد لا تليق بالقانون ولا بالحياء العامّ ولذلك حذّر تقرير الممارسات الصّحفيّة العالميّة من استخدام مفردات لغويّة غير لائقة وهذا التّقرير يشير إلى تفادي استعمال تدنّي المفردات، كما يشير التّقرير إلى أنّ كثرة استخدام عناوين والتي لا تعبّر عن مضمون الأخبار والموضوعات المنشورة بهدف الإساءة والإثارة والتّجريح، فهو أمر مرفوض وتمثّل من الناحيّة الموضوعيّة تضليلاً للقارئ وألحّ ذات التّقرير بقوّة على عدم إدراج كلمات تخدش الحياء العامّ، والتي تتعارض مع التّقاليد المِهْنِية والأخلاقيّة[4]. إذن حذّر تقرير الممارسات الصّحفيّة من خدش الحياء العامّ؛ باستعمال ألفاظ لا تليق بالمشاهد فماذا يُقال عن كسر القواعد النّحويّة والمزج بين اللّغات لخلق لغة ثالثة هجينة من لغتين أو أكثر، فإلى أين تنتمي تلك اللّغة وما هي خصائصها؟ وماهي أصولها؟ وإلى أيّ أرومة تنتمي؟

ومن مصادر التّهجين كذلك الشّابكة؛ وهي وسيلة من وسائل الإعلام؛ حيث تتيح التّواصل بين أشخاص لهم لغات مختلفة، ويصطلحون على لغة تجمعهم، وتتميّز هذه

اللّغة بالاقتضاب الذي لا يُراعي جوانب النّحو، وخصائص لغات التّواصل. وهذا نجده في الرسائل القصيرة Les sms التي يتبادلها العامّة والخاصّة في ما بينهم في المناسبات، والتي تحمل في طيّاتها اقتضابات لغويّة، وعُرفًا خاصًا في كتابة الرّسائل الإلكترونيّة، ويضاف إليها ما يخترع من حروف لاتينيّة تسهيلاً للتّواصل بأصوات محليّة دارجة أو غربيّة في أغلب الحالات. ومن منتوج لغة sms هجين الأرابيش: وهذا التّهجين اقتضته ضرورة الاتّصال بين عرب وغير عرب، أو بين عرب وعرب من الجيل الثّالث، وهو مصطلح يستخدم في مواقع الدّردشة الإلكترونيّة، ولدى الذين لا يجيدون اللّغات الغربيّة، وتجمعهم الشّابكة، وهو نوع من التّهجين/ الهجين الكتابيّ حيث تكتب العربيّة بأحرف لاتينيّة بـ Arabish النّاتجة من كلمتين: English + Arabic وهذه الطّريقة في الكتابة تُتيح للمستخدمين التّواصل بشكل كامل، وبأحرفها التي تنفرد بها دون غيرها من اللّغات، وتعود هذه الظّاهرة إلى بداية عصر الشّابكة. وهذا النّاتج الجديد سببه عدم وجود أحرف مماثلة في اللّغات الأجنبيّة؛ من مثل تلك الأحرف/ الأصوات التي تنفرد بها العربيّة. إذن هو كتابة منطوق الأحرف العربيّة ودلالاتها الصوتيّة بأحرف وأرقام إنجليزيّة/ فرنسيّة، وجاء الحلّ الإلكترونيّ في إيجاد بدائل لاتينيّة لكلّ الأحرف العربيّة؛ والتي لا يوجد لها مقابل في اللاتينيات، واصطلحوا للحاء برقم 7 لتقارب رسمها، وللطاء برقم 6، وللعين برقم 3، وللصّاد برقم 9، ثمّ إضافة نقاط في أعلى هذه الأرقام للتّعبير عن الضّاد أو الظاء، ويمكن أن تخاطب من ليس في لغته حرف الحاء بهذا المكتوب mar7aba وكذلك كلمات الأغانيش[5]، وتُعدّ من الملاذ الذي ظهر فيها الهجين اللغويّ؛ فتعمل كلمات الأغانيش على الإثارة والمُتعة الخفيفة، وتؤدّى بصورة جماعيّة، وتحمل في متنها مزيجاً من صُوَر الأغاني التي لا يتحكّم فيها حسن الأداء، ولا انتقاء الكلمات النّظيفة، ولا ترنيمات الموسيقى الهادئة، بل نجد في بعضها ذلك الإسفاف، وسقط الكلام الذي يُخلّ أحياناً بالحياء العامّ بَلْهَ الحديث عن السّقوط الأخلاقيّ الذي أحدثته هذه الأغاني في كافّة أغراضها.

وهناك صُوَر أخرى لمصادر التّهجين من مثل اللقاءات بين الجاليات الإسلاميّة في بلاد المهجر، فهناك يجمعهم: السّكن/ المواسم الدّينيّة/ الزّيارات/ التّجارة/ القواسم المشتركة الكثيرة... وعن طريق ذلك يأتي الاحتكاك العفويّ بين الشّباب ومنهم يأتي التّهجين بفضل اللغة القاسم المشترك المصطلح عليها بصورة عفويّة (الإسلام المشترك= اللغة المشتركة).

3ــ مضايقات اللغة العربيّة في عالم التّواصل الاجتماعيّ: إنّ أغلب المتابعين للدردشات وللتّعليقات وكتابة بعض الاستفزازات، وما يتعلّق بها من متابعات، تعود إلى شباب العصر ويبدو لي بأنّ لهم الملامح التّالية:

3ــ1ــ يحملون المستوى اللغويّ البسيط.

2/3ــ غياب الاحتراز اللغويّ، بسبب كثرة الأخطاء في المكتوب، وفي المسموع.

3/3ــ اختراع حروف لاتينيّة لبعض الأصوات العربيّة، وهي غير قارّة، بل اجتهادات فرديّة.

4/3ــ أكثر الموضوعات التي تقع عليها التّعليقات سياسيّة.

5/3ــ الأخطاء التي يكثر دورانها هي:

1/5/3ــ أخطاء عدم التّفريق بين الضّاد والظّاء.

2/5/3ــ البداية دائماً بالاسم.

3/5/3ــ أخطاء في رسم الهمزة.

4/5/3ــ غياب تامّ لعلامات الوقف.

5/5/3ــ الدردشات المتحرّكة كلها تعمل بالدوارج وبالخطّ الأجنبيّ.

6/5/3ــ التّسويق للغة جديدة تبتعد في بعض خصائصها عن الفصحى.

ومن هنا، فإنّ الخطر يكمن في هذه اللغة الخليط، وهو ما يُسمّيه المختصّون التّهجين/ الهجين اللغويّ، ويقع الحذر منه في كلّ لغات العالم، وبخاصّة عند تلك الشّعوب التي تعرف استقرار الجاليات الأجنبيّة. ونرى برامج التّربيّة في بعض البلاد أنّها تولي أهميّة خاصّة بمنع هذا الخليط وممّا تفرضه في البداية، والاعتراف بالمواطنة

هو تعلّم جيّد للغة البلد المستقبل. وهو تعلّم يتمّ بصفّة نوعيّة سريعة وفق برامج مكثّفة فتعمل اللغة على الإدماج الاجتماعيّ، ونيل حقوق المواطنة. ولهذا نرى التّحذير منه إن لم نقل إنّ التّهجين يشكّل خطراً على لغة البلد، بل يعمل على تفتيت ذهنيّ يؤدّي إلى تفتيت اجتماعيّ، فله مخاطره التي يجب العمل على تفاديها.

4ــ واقع اللغة العربيّة في شبكات التّواصل الاجتماعيّ: لا يمكن نكران أثر وسائل التّواصل الاجتماعيّ على الفرد ولغة الفرد، هي ثورة تكنولوجيّة حديثة قدّمت للمستخدم مزايا اتّصاليّة جديدة من مثل: التّفاعليّة، التّمكين، الانتشار التّفتيت... وهذا لم يكن في وسائل التّواصل القديمة. وكما نعرف أنّ اللغة تؤثّر في مضمون الرّسائل وتتأثّر بالحَراك الداخليّ الذي يتطلّبه مجال الارتقاء والتّجدّد فيقع التّأثير والتّأثّر وتتبادل التّأثيرات، فالأقوى هو الذي يتغلّب "تبيّن من استقراء الكثير من الدّراسات والبحوث التي تناولت علاقة اللغة العربيّة بمواقع التّواصل الاجتماعيّ، وتأمّل النّتائج التي توصّلت إليها من خلال مناقشة وتحليل هذه العلاقة أنّ اللغة العربيّة في هذه المواقع تعاني مشكلات رئيسة؛ يمكن اختصارها في:

1/4ــ **المشكلة الأولى:** تتعلّق بمساحة انتشار اللغة العربيّة ونسبة استعمالها على شبكات الإنترنت عموماً، مقارنة باللغات العالميّة الأخرى.

2/4ــ **المشكلة الثّانيّة:** تتعلّق بأشكال التّواجد والحضور ومظاهره، وطبيعة خدمة هذه المواقع للغة العربيّة.

3/4ــ **المشكلة الثّالثة:** تتعلّق بطريقة استعمال اللغة العربيّة وتداولها من قبل مستخدمي شبكات التّواصل الاجتماعيّ العرب، ونشأة ظاهرة التّهجين بين العربيّة والعاميات، أو بين العربيّة واللغات الأجنبيّة؛ ذلك أنّ حضور اللغة العربيّة في شبكات التّواصل الاجتماعيّ يعدّ حضوراً ضعيفاً مقارنة بعمق هذه اللغة وعراقتها والإمكانات التّواصليّة التي تتيحها...[6]". وأمام هذا، وأنا أتابع الكثير من المواقع والصّفحات أدركت أنّ حجم الضّرر الذي لحق ويلحق العربيّة كبير، ويعود إلى سوء استخدامها من قبل الغوّاصين وأكثرهم شباب "ويُرجع الباحثون انتشار هذه الظّاهرة وهيمنتها إلى

كثير من الأسباب؛ منها ما هو متّصل بتغيير ثقافة المتواصلين لا سيّما الشّباب منهم[7]". وهناك أسباب أخرى في ضعف اللغة العربيّة في الوقت الرّاهن وهجنتها في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، ويمكن اختصارها في:

- أسباب تعليميّة: مثل: سيادة المدارس الأجنبيّة+ استيراد المناهج الأجنبيّة+ غياب استعمال الفصحى+ ضعف المهارات اللغويّة+ سيادة الضّعف الإملائيّ؛
- الانجذاب اللغويّ؛
- أسباب نفسيّة+ كثرة اللهجات+ كثرة التّعبيرات والمصطلحات الأجنبيّة؛
- أسباب تقنيّة؛
- دعوات استبدال الحرف العربيّ باللاتينيّ؛
- ضعف وازع خدمة الأصالة اللغويّة.

ولهذا لا نبكي على ضعف لغتنا العربيّة في وسائل التّواصل الاجتماعيّ، فلغتنا ليست ضعيفة نبكي على ضعف وازعنا اللغويّ العربيّ، وقبولنا للآخر في زيّه وفي لغته دون مناقشة. وكلّ هذا يحتاج منّا إلى مُراجعة ذاتنا العربيّة، وإلى أين نحن سائرون؟ أليس فينا رجل رشيد يقول: لا للتّسامح اللغويّ المؤدّي بنا إلى الذّوبان. إنّنا نحتاج إلى مرجعيات عربيّة لسانيّة تكون عُروة وثقى بين العربيّة ومؤسّساتها الرّسميّة، ووضع خطط استدراكيّة في صلب اهتماماتنا، والسّهر على تنفيذها بدءاً من المؤسّسات التّعليميّة، وفي ذات الوقت نحن بحاجة إلى إنشاء حسابات في شبكات التّواصل الاجتماعيّ باللغة العربيّة، والعمل على تطوير المحتوى الرّقميّ بطريقة علميّة تجعل النّسق العربيّ هو الموجّه. ومن المهمّ كذلك أن تعنى مؤسّسات الإعلام بلغة التّواصل الصّحيحة عبر تطبيقاتها في قنوات التّواصل الاجتماعيّ مع ضرورة تضافر جهود الباحثين المختصّين، ومُطالبة المجتمع المدنيّ بالعمل على الإسهام في ما يخدم المواطنة اللغويّة بمُحاربة التّهجين، وتنشيط فعاليات وندوات فكريّة ولغويّة ومسابقات للمحافظة على صفاء العربيّة.

5ــ مخاطر التّهجين: يشكّل التّهجين نوعًا من الاغتراب الثّقافيّ، الذي يُؤثّر سلبًا على توافق الفرد مع محيطه وثقافته ولغته، ويضع التّهجينُ الشّخصَ/ الفردَ في عالمين متناقضين؛ حيث يستخدم لغة الأمّ، ولغة المستعمر/ الوافد/ الأجنبيّ في وقت واحد ولغات أخرى، ويؤدّى به هذا إلى هشاشة في التّواصل، وهو نوع من الاستعمار/ الاستدمار الثّقافيّ الذّهنيّ الأعمى التّبَعيّ الذي قال فيه البشير الإبراهيميّ: "إنّ الشّيطان قد يئس أن يُعبدَ في أرضكم هذه، ولكنّه رضيَ أن يُطاع في ما دون ذلك، فهو قد خرج من أرضكم، ولكنّه لم يخرج من مصالح أرضكم، ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلاّ في ما اضطررتم إليه، وما أبيح لضرورة ويقدّر بقدرها[8]". وهكذا نرى هذا الهجين يتعلّق بالقوّة والفعل مع لغة الآخر، فيجب تدارك الوضع قبل استفحاله؛ لأنّه يقضي على المواطنة اللغويّة. وأوّل خطورة يمكن الإشارة إليها هي تلك الآثار السّلبية على لغة أطفالنا، ومن هنا فالقضيّة تعنينا جميعاً، بل تعني مصير شبابنا الطّموح، فكيف نعمل على الحدّ من مظاهر هذا التّهجين، وكيف نجعل الشّباب يتلاغى بلغته بشكل طبيعيّ وسليم، وكيف نُحصّنه من هكذا الغول اللغويّ الجارف لخصوصيّات اللّغات، وما هي الحلول التي نستعملها لحماية أطفالنا من الوقوع أسرى ثقافات غير عربيّة، وكيف نُرسّخ في أذهان أطفالنا وشبابنا أنّ هذا الهجين لا يحقّق لهم التّواصل العالميّ، ولا الأمل في التقدّم، ولا الانسجام الوطنيّ بل يبخس مواطنتهم ولا يذهب بهم إلاّ مذاهب قددًا.

6ــ التّهجين اللغويّ تدمير أو حسن تدبير: يجمع المختصّون بأنّ سبب نشوء هذه اللغة/ الظاهرة في اللغة العربيّة ليس تدمير العربيّة كما هو شائع لدى بعض المتعصّبين للفصحى، بل للتّواصل وقضاء المصالح المرسلة بين متحدّثي اللغة العربيّة وهذه الأقليات التي تتحدّث عشرات اللغات المختلفة. ولغرض التّواصل كان لا بدّ من تطوير لغة سهلة ومبسّطة لتتواصل مع لغة هذه الثّقافات الجديدة ومن هنا نشأت هذه اللغة البسيطة السّريعة والتي نسمعها ونستخدمها حينما نتواصل مع هذه الفئات العمريّة من الشّباب، ومع الأقليّات المستوطنة التي تسعى للاندماج اللغويّ وتشتدّ عليها اللكنة

الأولى، بل يصعب الخروج من اللغة الأمّ، ولهذا يكون الهجين اللغويّ أمراً لا مفرّ منه. وها نحن أمام واقع لغويّ، **فما العمل تجاه هذا الهجين/ التّهجين؟ وما هي الوسائل التي يمكن الحدّ منه؟ وكيف يمكن التّعامل مع الظّاهرة لدى فئة الشّباب؟ وهي الفئة المستهدفة، وهل نرفض استعمالاتهم اللغويّة ونفرض عليهم لغتنا القديمة بالإجبار؟ وهل يمكن ذلك؟ وهل اللغة تُفرض؟** أم نترك الحبل على الغارب، والزّمان كفيل بتصحيح الوضع اللغويّ، وقد يفرض لغة هجينة ليس لها أصول يمكن تعليمها أو العمل على تعميمها. تلكم هي إشكالات نروم التّفصيل فيها، والحديث عن مفارقتين اثنتين: **المُخاصمة أو المُرافقة.**

7ــ وسائل التّواصل الاجتماعيّ قبول توجيه، لا رفض تنكير: يجب الوعي بالمسألة المعاصرة وأنّه لا يجب الرّفض أو الانغلاق دون الانغماس في الحداثة وما لها من وسائل معاصرة، والحكمة هي النّظرة إلى محاسنها في المقام الأوّل بل إنّ محاسنها أكثر بكثير من هناتها، فالعبرة تكون دائماً للأحسن والأقوى. أن يقع نكران فائدة هذه الوسائل، وننقطع دونها؛ يعني العودة إلى العصر الحجريّ يعني البقاء في البداوة؛ يعني الدنيا جامدة؛ يعني التخلّف والبعد عن الرّقيّ... ومن هنا كان علينا التّماهي في هذه الوسائل، بل يجب تشجيع الفئات الشّبانيّة على استيعابها والتّحكّم في برمجياتها. وفي كلّ هذا يحصل الوعيّ بمداها وكيفيّة استعمالها، فهي ملك في أيدينا وجهاز التّحكّم يكون في وعينا وفي مخيالنا. إنّ الجهاز آلة صمّاء يعطي لك ما أعطيته وخزّنته، وهو سريع أكثر من الإنسان وهذه ميزته، ولكن أنت المتحكّم فيه وباستطاعتك غلقه عن برامج لا تليق بك، كما أنّ الرّقابة على الأولاد تتعلّق بك. أضف إلى ذلك أنّ هذه الأمور قد لا تليق بنا باعتبارها خلقت لجيل غير جيلنا، وكذلك هذا الجيل له خصوصياته التي يجب أن يمارسها، وليس من الصّواب إجبار أولادنا على لبس لباس لا يليق بهم، فهم لهم موضتهم، وكذلك كنّا أهل الهيبز في السّبعينيات نربّي شعورنا، وكان ذلك من خصوصياتنا. فبدل شنّ التّنكير على فعل أولادنا في انغماسهم في هذه الأجهزة كانت علينا التّفعيل والمرافقة بالتّوجيه السّليم المقنع الذي

يخدم التّواصل بين الأجيال، وهي سنّة خلقية لا رادّ لسنّته، بل علينا أن نحسن التّوجيه بدل التّنكير يحصل النّهيّ بالرّفق عن النّكير. وهي من المُسلّمات التي نراها تعمل على ربح هذا الجيل في المسألة اللغويّة.

8ــ لغة الشّباب المعاصر: مُخاصمة: يجب الإقرار بأنّ أيّة لغة من اللغات هي التّاريخ والتّميّز والهويّة فلا تسامح في اللغة، أو في موتها أو في اختلاطها لتصبح شذر مذر وتكون من الماضي، وما هو من الماضي محكوم عليه بالزّوال والنّسيان. وأمام هذا فإنّ الهويّة والتّاريخ محكوم على الجيل أن يعمل على المحافظة عليهما فأمّة بلا تاريخ لا مستقبل لها. ولهذا تحدّ اللغة –عند الأمم الرّاقيّة– بسياج نحويّ لغويّ يلتزم به الجميع، بل كما حافظ عليه الأوّلون وتميل في قواعدها إلى الثّبات. فلا مجال إلى التّبسيط المُخلّ بالقواعد، ولا مكان للخليط اللغويّ المؤدّي إلى الفناء اللغويّ ولا محلّ للتسامح اللغويّ إلاّ في حدود التّبسيط التّراتبيّ الذي يفرضه تعلّم اللغة حسب المستويات. فاللغة كلّ متكامل، فالوافد الأجنبيّ عليه أن يتعلّم، وعلى أصحاب اللغة وضع قواعد تعليميّة بسيطة لقبول لغويّ للأجانب، وعلى أصحاب اللغة أخذ اللغة كما هي، دون التّعليل بالتّبسيط المؤدّي إلى حذف الخصوصيات، أو التّسامح بدعوى المعاصرة. ولهذا نرى لغة الشّباب العربيّ المعاصر تميل إلى التّبسيط، وإلى محو خصوصياتها، والعمل على انحرافها إلى خليط هجين لا محلّ له. وكان يجب مخاصمتهم في بعض المقامات بدافع علميّ، وهو أين أنت من لغتك الوطنيّة والرّسميّة؟ أين أنت من اعتمادك على دافع لغة المغلوب مولع بلغة الغالب أو بدافع التّجارة، أو التّفتّح أو استقبال الوافد الأجنبيّ؟ أين أنت من الأجانب وهم يصدّرون لك، وأنت تستورد فقط، فما محلّ لغتك إذن؟ ولكن هناك مواقف يجب الانتباه إليها وهي التّعامل والاتّصال الضّروريّ الذي يفرض مستوى لغوياً مبسّطاً وهذا مرغوب فيه كما يفرض أنماط لغتك التي هي البضاعة التي كان يجب أن تكون في باب التّصدير قبل الاستيراد. لغتك التي يجب أن تكون مقبولة سهلة قابلة للتّعامل العلميّ والاقتصاديّ والخطاب النّظيف، وما له علاقة بالمصالح المرسلة.

ومن هنا، نخاصم بعضَ الشّباب العربيّ المعاصر الذي يدّعي القبول بالأمر الواقع ويحتجّ بأنّ العربيّة صعبة، وأنّ لها أكثر من مستوى، وأنّ هناك فرقاً بين المكتوب والمنطوق، وأنّ بعض الحروف التي يكثر ترجمة المصطلحات الأجنبيّة غير موجودة في منظومة الخطاطة العربيّة، وأنّ أنماط الجملة العربيّة واسعة، كما أنّ التّرادف في العربيّة بحر، وأنّ تعليمها يحتاج إلى سنين وسنين، وفي كلّ ذلك لا يمكن السّيطرة عليها... بالفعل بعض من الأشياء من الواقع الذي يحتاج إلى علاج أولي الأمر، ولكن نخاصمهم بأنّ التّسامح اللغويّ هو الذي أضاع الفردوس المفقود وجعل المسلمين يعودون من الصّين، ومن آسيا الوسطى والقوقاز، ومن تركيا وأوربا الشّرقيّة دون أن يتركوا العربيّة تولد أطفالها وتفرخ هناك. بكلّ أسف بقي في هذه الأوطان المفتوحة الإسلام، ولم تبقَ العربيّةُ، وهنا من النّقص الكبير الذي سجّل في تاريخنا المجيد؛ لأنّ العربيّة لم تكن في اعتبار الفاتحين المسلمين أنّها تعمل على تطوير اللغة، وما لا يتمّ به الواجب فهو واجب.

ومن خلال هذا، أين يكمن الخلل يا شباب العصر؟ هل في غياب تخطيط لغويّ؟ وهل الخلل تتحمّله المدرسة؟ وهل للإعلام دور في هذه الانتكاسة؟ وهل للشّابكة دور في تسهيل ظهور هذا الخليط؟ وهل للمحيط أثر يمكن أن نعمل على توجيهه وعلاجه؟ وهل يمكن ردم هذه الفجوة بالعودة إلى بناء لغة الطفل بناءً لغويًا متينًا؟ وهل يمكن علاج الظّاهرة وحصرها، وإيجاد آليات العلاج لممارسة وعينا اللغويّ بصورة عفويّة واعية صحيحة، ونزع العُقَد النفسيّة التي تنظر إلى أنّ مُستعمل هذا الهجين مُتَرقٍ وهو ممّن مَسّهم الرّقي الحضاريّ، ومن لا يمارسه فهو غارق في التّخلّف.

أيّها الشّباب العربيّ المعاصر، ألا ترون تشويهاً في لغة الضّاد على يدّ الأحفاد أليس هذا نوعاً من الأسلبة والمحاكاة السّاخرة؛ باستعمال الكريول العربيّ في الفصحى العاميّة واللّغة الأجنبيّة واللّهجات المحليّة، دون وعيّ بما ينتجه هذا الخليط الذي ينخر المجتمع من داخله ويقلعه عن موروثاته، و"إنّ الإحصاءات تؤكّد أنّ الأسرة العربيّة هي الأكثر عالميًا في الانبهار بلغات الغير[9]" وربّما لا تدرك أُسُرُنا خطورة (التّشويه

اللغويّ) النّاتج عن ثقافة العولمة، ولا تعرف أنّ هناك مشكلةً في استعمال هذا الهجين حتى داخل الأسرة المقتنعة بهذا الخليط، على أنّ ذلك عاملاً من عوامل التّحضّر، وهي لا تدري أنّها تضع أبناءها في موضع الحائر، وتتركهم ينظرون إلى اللّغات الأجنبيّة من حيث التّشدّق بها فقط، وعلى أنّه حضاريّ من الطّراز العاليّ لا بما تحمله تلك اللّغة الأجنبيّة أو الخليط من عقدة كبرى تجاه لغتهم الوطنيّة، وما تحمله تلك اللّغة الأجنبيّة أو الخليط من عقدة كبرى تجاه لغتهم الوطنيّة، وما تحمله احتقار لكلّ ما هو أصليّ ووطنيّ ولتاريخ الوطن ولغة هذا البلد.

وما دام الوضع بهذه الصّورة ستظلّ العربيّة في أجيالنا حبيسة التّخلّف على شتّى المستويات ولن تعود إلى سابق عهدها إلاّ بالعمل على ترقيتها، وعدم التّماهي مع المستحدثات الأجنبيّة بنوع من التّراخي في استخدام اللّغة الأمّ، وتشهد المصادر بأنّ عصور المدّ الإسلاميّ لم يرصد فيها أيّ مظهر في تراجع اللّغة العربيّة مهما تعدّدت اللّغات في البلدان المفتوحة، وصدق المؤرّخون حين تنبؤوا بسقوط الأندلس مع بداية انهيار اللّغة العربيّة فيها.

9ــ لغة الشّباب المعاصر/ العولمة اللغويةّ= الاستعمار اللغويّ: يظنّ بعضٌ من النّخبة أنّ هذا شيئًا طبيعيًا في اللّغات، ويحصل فيها باستمرار، وهو نوع من تثاقف، أو نوع من العولمة اللغويّة التي تَفْرض هذا النّمط، وفي نظر الآخرين؛ هي طفرة لغويّة نوعيّة ومن ثمرات التّواصل بين الثّقافات، فلا يشكّل خطرًا يمكن أن نقيم عليه مؤتمرات، أو نرفع العَلَم الأحمر لخطورته. وفي الحقيقة هو تواصل استعماريّ بامتياز، أو استعمار فكريّ لغويّ جديد، وإنّ هذا الكلام حقّ ولا يراد به إلاّ الاهتمام بالمواطنة اللغويّة. ومن هنا يجب أن ندرك الحقيقة بأن التّهجين اللغويّ يحصل في الشّعوب المستعمرة سابقًا أو حاليًا، يأتي نتيجة لغزو ثقافيّ للدول الاستعمارية؛ حيث تقوم بتعزيز الدونيّة لدى المستعمرين، وتزيد من اغترابهم عن لغتهم الوطنيّة، ويعمل ذلك على تفكيك وَحْدَتهم الثّقافيّة، وفي خَبْو انتمائهم الوطنيّ، ولم تسجّل لنا المصادر أنّ الشّعوب المتقدّمة يحصل لديها هذا التّهجين، وإن حصل؛ فإنّ صاحبه سوف ينال

العقاب، بينما نتمسّك نحن بدمج لغتنا ببعض الكلمات الأجنبيّة كمعتقد بليد ندّعيه؛ وهو لغة الشّباب أو لغة العصر الحديث، وفيه تنازل ثقافيّ في الصّميم، وهدم لأهمّ أركان دعائم هذه الأمّة وهُويتها واستقلالها. وإنّ التّهجين اللغويّ يشكّل خطرَ الانتقاصِ من العربيّة، والتّشكيكّ في قُدْراتها، وله مظاهر يتّخذها عبر مسارات ظاهرها محبوب وخفيّها مسموم، وإليكم مظاهره لا المخفيّة:

- كثرة اللافتات الاجنبيّة في البلدان العربيّة؛
- أغاني الفيديو كَليبْ، خلطة غريبة في الأغاني والأداء، إلى درجة تسطيح الفنّ
- هيمنة اللّغة الأجنبيّة على خطاب بعض النّخبة، بمعنى هيمنة لغة المستعمر؛
- السّلوك النّمطيّ في تهجين الخطاب العربيّ العاكس للدونيّة، وتجسيد بعض الأُسر لهذا الهجين في بيوتها، والعمل على التّفاخر به؛
- هجران تامّ للّغات الوطنيّة؛ باعتبارها لغة التّراث لا الحداثة ولحاق العصر؛
- عدم اعتماد الموروث الثّقافيّ الوطنيّ كمرجعيّة دالّة في التّاريخ وفي العلوم وفي الآداب؛
- افتقاد المرجعيّة اللغويّة الوطنيّة، والجري وراء المرجعيات الغربيّة...

10ــ لغة الشّباب المعاصر: مُرافقة: يجب النّظر إلى المسألة اللغويّة من زاوية التّطوّر اللغويّ، وهي سنّة لغويّة، وظاهرة من الظّواهر اللغويّة تدرس في سياقها الاجتماعيّ التّاريخيّ بمنهج وصفيّ حياديّ؛ خالٍ من التّوتّر والانطباعات السّلبيّة. وإذا أردنا الحديث عن تقليص هذه الظّاهرة اللغويّة الطّارئة على اللغة العربيّة والاستعاضة عنها باللغة الفصحى، فعلى المؤسّسات التّعليميّة في العالم العربيّ التكفّل بتدريس أيّ وافد للبلدان العربيّة ببرنامج لغويّ مكثّف، هذا من جهّة، ومن جهّة أخرى، يجب العلم بأنّ تاريخ اللغات يثبت لنا أنّه منذ ظهور الكتابة في العالم أضحت اللغة تتضمّن مستويين: المستوى الأدبيّ، والمستوى المحكيّ. فلا أحد اليوم في الشّارع العربيّ يتحدث بلغة الأعراب القدامى، وهذا لا يعني أنّ ما ينطق به لا صلة له بالعربيّة ولكن الفرق أنّ اللغة المحكية تستوعب أكثر المفردات والمصطلحات الأجنبيّة، وتتطوّر

بسرعة أكثر لتحرّرها النّسبيّ من قيود قواعد النّحو والصّرف الصّارمة. وما هذا الأمر إلاّ من الأشياء التي ليس لها موقع في الخوف على اللغة، وهي سنّة الأخذ والعطاء وتحصل دائماً بين اللغات وأنّ الشّباب يستعمل هذه اللغة الوسطى وسيلة أولى بغية التّحكّم في الجهاز الحديث؛ لأنّه جاء ببرمجيّة غير عربيّة، واخترع في بلد غير عربيّ، وكان ذلك حتماً مقضياً السّير باللغة الأجنبيّة في حدود التّواصل العفويّ بما لها من مستوى لغويّ، ويمكن الإفادة من ذلك في العربيّة المعدّلة. ومع كلّ ما يمكن أن يقال، بأنّ العمليّة اللغويّة في وضعها الحاليّ تشكّل ظاهرة تحتاج إلى علاج، وبخاصّة لدى هذه الفئات الشّبانيّة التي تتحكّم في تقنيات أجدر بها أن تستعمل في تطوير اللغة لا في التّردّي اللغويّ. ولهذا هناك محاذير لا بدّ من الاعتبار لها، وهناك ومخاطر كبيرة كان علينا الحديث عنها. ويجب الاحتراز بقوّة من هذه الظّاهرة، كي لا نجد أنفسنا في لاحق من الزّمان أنّنا نستعمل لغة هجينة غريبة الأطوار: جزء منها عربيّ ومفاصلها أجنبيّة؛ فهي لغة جديدة برطانات أجنبيّة وبخليط من الدوارج، وبعضها كشكول لا يُكاد يُفهم خارج المحيط أو الدّائرة التي وضعته. وهكذا يكبر الخطاب المحكيّ الهجين بسبب وسائل الإعلام في المقام الأوّل، ثمّ وسائل التّقنيّة الحديثة السّريعة وينزاح إلى تهجين المكتوب؛ حيث بدأت معالمه تظهر في كتابات تلاميذنا وطلابنا، وأخاف أن يستفحل هذا الأمر المشين بلغة تواصلنا، وقد يؤدّي إلى التّنصّل من لغة أجدادنا، فالكارثة قد تكون كبيرة إن لم توضع لها الحدود. فما بالك بقوم تسمعهم يرطنون رطانات جامعة لألْسُن الهُويات المختلفة التي لا تجمعها أرومة لغويّة وبكلّ تبجّح، وما رأيك في هذا الخليط غير المفهوم إلاّ في إطار الاصطلاح الضيّق وفي سياق ومقتضى حال مخصوص. أليس الأمر عارًا علينا ونحن نبتعد عن لغتنا الجميلة، ألا نرى أنفسنا أنّنا تُبّع للّغات أجنبيّة عولميّة باعتبار ما يحمل هذا الخليط أكثره مصطلحات وكلمات أجنبيّة وكأنّي به يعيد تجسيد مقولة: **المغلوب مولع بلغة الغالب**، فهل ما نزال لم نخرج من دائرة المغلوبين، بعدما حصلت كلّ الدّول العربيّة على استقلالها، وما بقي لنا المشجب الذي نعلّق عليه ضعفنا ونقائصنا وتقاعسنا إزاء

الاهتمام بلغة تواصلنا الطبيعيّة إلاّ التّعلّق بالهجين المدّر للرّداءة اللغويّة. ألا يجدر بنا الوعيّ بهذا التّواصل الذي يصبغ علينا أنماطًا ثقافيّة تعصف باللّغات المحليّة ومنها العربيّة، ألا يمكن أن يؤدّي ذلك إلى زيادة لغة القويّ قوّة ولغة الضّعيف ضعفًا ووهنًا ألا يجوز لنا أن نجلو القذي عن عيوننا ونهيئَ أسباب التّغيير في لغتنا، ونعملَ من أجل أن تنال وضعًا طبيعيًا في حياتنا اليوميّة باستعمالات وظيفيّة بسيطة سهلة، ألا يجوز للغتنا أن تنال موقعًا في هذا العالم تحت إمرة خصائصها...

وإنّ هذا الواقع اللغويّ (**الهجين**) ينذر بالخطر إذا لم تتدارك الجهّات المعنيّة والجمعيّات المدنيّة وربّات الأسر، والمجتمع ككلّ أَمْرَ تنامى الظّاهرة، وقد تستفحل ذات يوم؛ لأنّها بدأت تدخل في الممارسات اللغويّة العفويّة، دون ضابط يعمل على توقيفها، ودون بيان أوجه الخطأ فيها، بل ودون وازع ينذر بخطرها على التّناسق الاجتماعيّ، أليس فينا رجل رشيد، ألا يؤدّي هذا إلى التّعدّدية اللغويّة المتوحّشة، ألا يخلق عوائق اتّصال بين شعب واحد، ألا يمكن أن يخرق الانسجام الاجتماعيّ الذي لا يحصل إلاّ بوجود لغة آحاد بين ساكنة جغرافيّة بلد واحد، والأحرى إن كانت هذه الجغرافيّة اللغويّة تتجاوز حدود الوطن مثل اللّغة العربيّة التي لا حدود جغرافيّة تحدّها.

1/10ــ كيفيات المرافقة: من الأهميّة بمكان الإشارة إلى منهجيّة المرافقة التي تعتمد في الانتصار للغة الشّباب، بتوجيه يضمن التّحسين والتّطوير، وصولاً إلى خدمة لغويّة نوعيّة في لغة الشّباب، ونقترح الكيفيات التّاليّة:

- **1/1/10ــ الاعتزاز اللغويّ:** ما من أمّة إلاّ وتحترم لغتها وتعتزّ بها وتقدّم على اللغات الأجنبيّة، ويمسّ الاعتزاز ما يقدّم لها من تعليم واستعمال وتحسين ومحافظة على الخصوصيات، وهذا باب كبير يدخل في باب الوعيّ اللغويّ الذي يجب أن يتسلّح به الشّباب المعاصر في محيطنا العربيّ، وكي نؤدّي رسالتنا اللغويّة على وجه صحيح ونكون نماذج وقدوات لهذا الجيل الذي بدأت ملامح ضياعه في لغته والتي أصبحت لا تجذبه، بل يبتعد عنها.

- **2/1/10ــ تبليغ العربيّة الفصحى تبليغاً سليماً:** مع ما لها من خصوصيّات جامعة ولغة الدين الإسلاميّ، وما لها من عالميّة في أطالس جغرافيّة ممتدّة من المحيط الأطلسيّ إسپانياً إلى المحيط الهاديّ صينياً، مروراً بأفريقيا وروسيا.
- **3/1/10ــ الاستعمال اللغويّ الصّحيح:** وهو أمر يدخل في باب بقاء اللغة محافظة على نحوها وقواعدها، وتبليغها للأجيال في تواصل تكامليّ في عقد سلسلة نقل السّلف لغتهم للخلف.
- **4/1/10ــ فتح أبواب الحوار بين السّلف والخلف:** وهذا يدخل في باب التّوجيه والمرافقة وحضّ شّباب الجيل الصّاعد على المحافظة على الهويّات المقدّسة (الوطن+ الدين+ اللغة+ التّاريخ) التي تُقدّسها كلّ شعوب العالم.
- **5/1/10ــ تكثيف النّشاطات اللغويّة:** ويدخل هذا في باب التّحسين في الاستعمال اللغويّ والدعوة إلى إنجاز ورشات لغويّة، وإقامة الرّحلات اللغويّة، والانغماس اللغويّ من خلال المنتديات والجامعات الصّيفيّة.

11ــ دور المجمعيّين في توجيه لغة الشّباب المعاصرين: يبدو لي بأنّ للمجمعيين دوراً كبيراً في توجيه لغة الشّباب المعاصرين من حيث **المرافقة قبل المخاصمة**، وهذا طريق كسب وُدّ هذه الفئة الكبيرة، وهي فئات قيادات المستقبل وصنّاع الجيل القادم فعلينا أن نحسن الظنّ بهم أولاً، ومن ثمّ العمل على توجيههم وتنبيههم. ومن هنا، فإنّ التّنبيه في المقام الأوّل يقتضي التّوجيه ثمّ التّوجيه، وإذا استحال الأمر يأتي التّوبيخ ولكن لا يكفي هذا؛ لأنّ العمليّة تستدعي ربط القوّة بالفعل. وهذه العمليّة لا يجب الاستهانة بها، حيث نرى تكريس الأخطاء بشكل غير مقبول، ويعني هذا تجسيد التّهجين، فأن نقبل استعمال هذه الوسائل وهو منطقي وطبيعيّ، ولكن ضمن أنماط لغويّة حديثة بما لا يزلزل كيان لغتنا، ولا يهدّدها بالزّوال. ولهذا نريد من المجمعيين النّزول إلى الميدان لسماع التّرديّ اللغويّ وذلك ما يجعلهم يعملون على وضع خطّة عربيّة مُركّبة مُحدّدة في الزّمان للحدّ أوّلاً من هذه الظّاهرة، ومن ثمّ محوها من الاستعمال اللغويّ والأحرى صياغة مشروع عربيّ يقدّم إلى جامعة الدّول العربيّة

لوضع استراتيجيّة شاملة؛ للحفاظ على أهمّ مكوّن جامع وهو المواطنة اللغويّة. كما يمكن اقتراح ما يلي:

1/11ـ أن نكون نحن المرجعيّة اللغويّة، والمثال النّموذج الذي يحرص على احترام اللغة في كلّ مستوياتها.

2/11ـ غرس ثقافة الاعتزاز بالعربيّة واستعمالها شفاهياً وكتابياً في كلّ المحال والمناسبات.

3/11ـ نشر الوعي بخطورة التّهجين اللغويّ.

4/11ـ العمل على أن تصبح العربيّة أداة فعّالة في التّواصل الدّائم وإحياء منظومة المعارف.

5/11ـ العمل على إعداد برامج تعليميّة تثقيفيّة بسيطة يسهل من خلالها تعليم العربيّة بيُسر لأهلها ولغير أهلها.

6/11ـ على المجمعيّين التّحكّم في هذه التّقنيات المعاصرة، ومن ثمّ الغوص في بحرها بغرض التّنبيه والتّوجيه؛

7/11ـ العمل على الاستجابة للمضايقات التي تُعانيها اللغة العربيّة في التّعامل مع هذه الوسائل، وتقديم البدائل النّوعيّة لربط شّباب العرب بلغتهم العربيّة؛

8/11ـ العمل على ربط العربيّة بهذه المستجدات، والسّماع لكلّ اقتراح مضيف يعمل على تطوير العربيّة بآخر ما وصلت إليه هذه التّقنيات؛

9/11 وضع آليات إجرائيّة للتّحكّم في اللغة عبر وظائفها اليوميّة، وما تقتضيه لغة التّواصل اليوميّ.

10/11ـ تجسيد برامج حاسوبيّة لكلّ الفئات العمريّة، تحسّباً للمنافسة اللغويّة التي تفرض اللغة الأحسن والأيسر، والأقلّ جهداً في التّعلّم.

11/11ـ اقتراح بدائل نوعيّة في محتوى الكتاب المدرسيّ يُنافس الكتابَ الأجنبيّ في المضمون وفي الشّكل.

12/11ــ استغلال مقام الجاليات في البلاد العربيّة، بتقديم تعليم مجانيّ للأجانب ومدّهم بكلّ الإغراءات التي تُحبّب لهم تعلّم العربيّة.

13/11ــ توجيه الكتّاب إلى العمل على نشر العربيّة بمنهجية حداثيّة وبمضمون يُرغّب في جمال العربيّة، وفي إبداعها الأدبيّ.

14/11ــ تواجد مكثّف للمجمعيّين عن طريق السّفارات العربيّة في نيل العربيّة المقام الأوفى في التّعليم خارج مواطنها.

12ــ الحلول المقترحة: إنّ القوّة اللغويّة جزء لا يتجزّأ من القوّة الحضاريّة والتنميّة الشّاملة؛ وإنّ التّنازل في القليل يغري ويدفع بالتّنازل عن الكثير لمن لا شأنَ له ولا شخصيّةَ، وهكذا يكون التّهجين اللغويّ ضربةً في عيون لغتنا العربيّة الجميلة بل التّهجينُ ضرّةٌ ثالثة رغم الحاجة البخسة والظّرف السّريع الذي استدعى هذا التّواصل المحدود، ولكن هذه الحاجة أحيانا تحصل بثمن غالٍ، بل بتنازلات قد تكون في العُمق، وقد تمسّ الثّوابت، وهذا ما فعله التّهجين اللغويّ الذي مسّ أصولَ اللّغة العربيّة في بعض من المقامات، بل عمل على هجران اللّغة الأصل، وهذه هي المشكلة الكبرى التي تحتاج منّا جميعًا البحث عن إيجاد الحلول لها.

وإنّ الحلول التي نراها تعمل على ردم هذا التّهجينَ اللغويّ يكمن في وجوب محاربة التّهجين من قبل الجميع، وهذا الأمر مسؤوليّة مشتركة؛ لأنّه فوضى لغويّة بقيمة بَخْسَة، وستؤدّى هذه الظّاهرة إلى عدم القدرة على التّواصل، بل هو هروب من الواقع إلى اللاواقع، وهو اللامبالاة الفوضويّة. وعلى الإعلام أن يكون طرفًا فعّالاً في تقديم الحلول عن طريق التّوعيّة بأهميّة اللّغة كوعاء شفاف، أو لباس حميمي لكلّ ذواتنا، وهذا ما عبّر عنه الشّاعر زهير بن أبي سلمى:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصف فؤادُه فلم يبقَ إلاّ صورةُ اللحمِ والدمِ

وعلى المدرسة أن تعمل على إيجاد توازن يتيح للطفل أن يتعلّم اللّغة الأجنبيّة كلغة معارف حديثة، وفي الوقت نفسه يتمكّن من التّفاعل مع مجتمعه ومحيطه باستعمال لغته

العربيّة الأصليّة التي تستطيع أن تستوعب الحداثة؛ وتقطع في سبيل ذلك خطوات طويلة. كما تتحمّل المدرسةُ الجزءَ الأكبرَ في محاربة الدّخيل بصورة من الصّوَر المسموعة والمكتوبة، فكان على الهيأة التّدريسيّة شنّ حملات تنظيف لغويّة في منطوق المتعلّمين، ويعضد الكُتّاب تلك الحملات بالحديث عن مخاطر التّهجين اللغويّ بأنّه **عقوق لغويّ بامتياز**، بل احتقار لغويّ للغة القرآن؛ فظاهره موبوق، وباطنه مأفوق ووسطه مسروق، فكيف تَعْتَلي اللّغةُ بالموبوق والمأفوق والمسروق والتّهجين، صفة من صفات شرار الأفّاق، وأشدّ خطرًا بالنّفس من العقوق. كما يجب أن تبرز جهودُ المجامع اللغويّة، وجمعيات المجتمع المدنيّ في محاربة هذا الوباء، وعليها تجنيد الأطفال والتّلاميذ والطّلاب في الحفاظ على لسان ثقافتهم؛ وهم الحاملون لرايتها، وإنّ هذه الأجيال مطلوب منها الرّقي بالعمل؛ حيث الصّعود إلى العُلا عمل ذاتيّ لا يتطلّب استشارةً أو انتظارَ قرارٍ، وعلى كلّ الفئات الطّلابيّة أن تتجنّد وراء ردم الفجوة اللغويّة التي يُسبّبها التّهجين، وما يأتي به من هجين يفقد الأصل الرّصين، ويؤدّي إلى كلام مَهين، فلا هو قريب فينشدَ، ولا هو بعيد فيشذّبَ، بل مزيج يحتاج أن يُشجَبَ.

ولذا كان علينا جميعًا إدراك العلاقة الحميميّة بين الأمّة واللّغة، فبينهما علاقة عضويّة وكلاهما يعكس الآخر، وإنّه لا يمكن أن تعكس وجهَك الحضاريّ إلاّ لغتُك الصّافيّة الخاليّة من العيوب والشّوائب، ولذا وجب الاهتمام بالقوّة بالعربيّة الفصحى السّليمة، فهي مستقبلنا التّقديم والجامع لأشتاتنا، وكان لا بدّ من خدمتها بالخروج من الكلام العفويّ والمنافحات إلى ميدان الفعل، والعمل للحدّ من الحطّ من قيمة العربيّة ووضع حدّ للفوضى اللغويّة، ومحاربة إكراهات العرنسة[10] والعردجة[11] والعربزة[12] والعرتنة[13]، وما تدرّه علينا مصطلحات **العولمة**، والرّجوع إلى عربيّة التّصريف والإعراب؛ فهي من كلام العرب العاربة أنقى من اللّيالي البيضاء، وأصفى من الحُلَي النّحساء، فلا تتركوا سعفَ النّخيل يسقط من لغتنا العربيّة؛ لغة دقيقة بسيطة سهلة؛ كان همّها التّدقيق، وسَبْق اللّغات في التّحقيق ومجاراة اللّغات في التّسويق، بغير تزييف ولا تلفيق. وأقترح ما يلي:

1-البحث عن الحلول المُجديّة لمُرافقة الشّباب في كلامهم التّواصليّ، والعمل على كسب ودّهم المتين؛

2-البحث عن كيفيّة الرُّقي بالأداة الرّئيسيّة الأولى التي هي اللّغة العربيّة.

3-قيام وسائل الإعلام بالتّوعيّة المستمرّة في حثّ الجماهير على النّطق بالعربيّة الفصحى.

4-التّعويل على لغة الإعلام في الرّقي اللغويّ، لما للإعلام من تأثير على الرّائيّ والمستمع.

5-حثّ وكالات الإشهار على العناية بالجانب اللغويّ في إنجاز الوَصْلات الإشهاريّة.

6-دعوة المدارس إلى التّفعيل اللغويّ داخل الأنماط اللغويّة السّليمة، وأن يكون المعلّم قدوةً في الاستعمال اللغويّ السّليم.

7-تفعيل المُكنونات اللغويّة في لغة الأطفال؛ عن طريق تنظيم نشاطات لغويّة.

8-إنشاء علاقة صحيّة وإيجابيّة بين التّلاميذ وبين أعلام اللّغة وروادها، من أمثال شعر المتنبي، ونزار قباني، ولغة البشير الإبراهيميّ، ونثر مصطفى صادق الرافعيّ وصحافيات أبي اليقظان، وحِكَم رضا حوحو.

9-دعوة الإعلام للمساهمة الجادّة من الرّفع من القيمة اللغويّة المُضافة لأدائه اللغويّ السّليم؛ بالحرص على احترام قواعد اللّغة، وعدم مجاراة السّلوك اللغويّ الغريب، بل العمل على تهذيب ما هو خارج لغة التّواصل السّليمة؛

10-تخصيص حلقات أسبوعيّة لإجراء مقابلات وحوارات حيّة مع أفراد مختصّين يدرسون المفردات والأساليب المُستحدثة، ومدى قبولها أو تعديلها أو رفضها.

10- معالجة الأساليب المُهَجّنة في لغة العامّة والخاصّة، وفي لافتات الشّوارع وفي لغة الإعلام، والعمل على تهذيبها، ومراقبة الألفاظ الجديدة بصرامة؛

11- توزيع استبانات سنويّة، وإجراء سبر الآراء للنّظر في التّحسين اللغويّ وفي الهَنات التي يأتي بها التّهجين اللغويّ.

12- العمل على إنجاز مدوّنات بخصوص التّهجين اللغويّ، والعمل على تصـــنيفها ودراستها وردّها إلى الصّواب اللغويّ.

13ــ إجراء البحوث الميدانيّة على لغة المحيط والإعلام، وترشيد المعنيّين إلى لغـــة وسطى.

الهوامش:

[1] ــ إصدار مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدوليّ لخدمات اللغة العربيّة، ط1. الرّياض: 2014.

[2] ــ "الانفتاح اللغويّ وهجنة العربيّة" بحوث المؤتمر الدّوليّ للغة العربيّة والنصّ الأدبيّ على الشّابكة العالميّة" السّعودية: 2017، جرت أعمال الملتقى في جامعة الملك خالد، كلية العلوم الإنسانيّة، قسم اللغة العربيّة وآدابها بأبها: 14-16 فبراير 2017، المجلد الأوّل، ص 47.

3-علي القاسمي "التدخّل اللغويّ والتّحوّل اللغويّ" مجلة الممارسات اللغويّة. الجزائر: 2010 منشورات مخبر الممارسات اللغويّة في الجزائر، جامعة مولود معمري، بتيزي-وزو، العدد التّجريبيّ.

[4]- جريدة (اليوم السّابع): بتاريخ 3 أفريل 2009.

[5]- مصطلح مأخوذ من: الأغاني+ الشّارع. أي تلك الأغاني التي ينتجها الشّارع والغوغاء، وتأتي بصورة عفويّة من خلال تجمّعات الملاعب لمناصرة فريق رياضيّ، وهي خليط لغويّ يأتي عفو الخاطر، وله طقوسه وما يصاحبه من إثارة ومُتعة آنيّة.

[6] ــ ناصر بن نافع البرّاق العتبي "واقع اللغة العربيّة في شبكات التّواصل الاجتماعيّ" مجلة خاصّة بالاحتفاء باليوم العالمي للغة العربيّة 18 ديسمبر 2017. باريس: 2017، إصدار المندوبيّة الدائمة للملكة العربيّة السّعوديّة في مقرّ اليونسكو بباريس، ط1، ص 70-71.

[7] ــ نفسه، ص 72.

[8]- حدباوي العلميّ، السّلسلة النّادرة المواعظ الباهرة. الجزائر: 2009، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعلّميّة، ص74

[9]-موقع islamonline.net بتاريخ: 10 جانفي 2010.

[10]- **العرنسة:** كلمة مُركّبة من: العربيّة+ الفرنسيّة.

[11]- **العردجة:** كلمة مُركّبة من: العربيّة+ الدارجة.

[12]ــ **العربزة:** كلمة مركّبة من: العربيّة+ الإنجليزيّة.

[13] ــ كتابة العربيّة بالحرف اللاتيني. وهناك من يُسمّيه (العربتيني).

مرض التوحّد عند الأطفال♥

ــ الدّيباجة: كلّ الشّكر للهيئة الوطنيّة لحماية الطّفولة على كلّ المجهودات التي تقوم بها من أجل ترقيّة التّنميّة البشريّة، وهذا هو القاسم المشترك بين المجلس الأعلى للغة العربيّة، والهيئة الوطنيّة لرعاية الطّفولة، فيجمعنا خدمة الاستثمار في السّلامة البشريّة واللغويّة والتي لا تكون دون سلامة بدنيّة، فَأَنْعِمْ به من تعاون مُثمر سَبَقَ وأنْ تجسّد في مؤتمرنا المشترك في المكتبة الوطنيّة بالحامّة حول **(الحقوق اللغويّة للطفل الجزائريّ بين المطالب الاجتماعيّة والتّربويّة)** وهذا بمناسبة اليوم العالميّ للغة الأمّ. وإنّنا نكون معكم في هذا المحفل الخاصّ بمرض التوحّد عند الأطفال، ونحظى بمقام أنزلتنا معالي الرّئيسة ضيفَ شَرَف. فيا صاحبة الفضل أنت أولى وأهل لهذا التّكريم؛ لما تقومين به من خِدْمات من أجل طفولة جزائريّة كاملة الجسم، سليمة العقل، خاليّة من الاضطرابات، بلهَ الحديث عن موضوع هذا اللقاء، وهو الطّيف الذانوي Autism وهو مرض موجود في مجتمعنا لا يُعلم عنه إلاّ القليل، رغم أنّه مرضٌ عادٍ، ولكنّنا نُخفيه في بعض المقامات خوفاً من معرفة وجود الإعاقة/ المُعاق في العائلة؛ ونتحرّج من إذاعته بسبب بعض القضايا الاجتماعيّة التي تُعدّ عند بعضنا من الطّابوهات التي يُتكتّمُ عنها.

1ــ مرض الذانويّة: عبارة عن اضطراب يُلاحظ على الطّفل في سنّ مبكّر حيث يؤثّر على تطوّر جوانب نموّه المختلفة، فيكون تطوّرُه غيرَ طبيعيّ، ويَظْهَر خللاً في تفاعله الاجتماعيّ ويتميّز بتكرار أنماط سلوكيّة معيّنة، وبضعف تواصله اللفظيّ وغير اللفظيّ مع الآخرين. وله أسباب عديدة متعلّقة بالوراثة أو بالولادة في الغالب، ومن ذلك تحصل اضطرابات في سوء التّواصل بكلّ أنواعه. وهذا ما

♥ ــ الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس في النّدوة التي أقامتها الهيئة الوطنيّة لحماية الطّفولة في 1 أفريل 2019 بإقامة القضاة، الجزائر.

يؤدّي إلى أعراض سلوكيّة واجتماعيّة، وقد تصحب بعض التّشوّهات الخِلْقيّة فتؤثّر أكثر على المُصاب كونه ليس سوياً مثل الآخرين. وهذا أهمّ عامل يجعل الطّفل مُنعزلاً، فلا يسمح له ذلك بالمُشاركة الجماعيّة مهما كان نوعها.

إخواني لستُ هنا في مقام الطّبيب لتشخيص مرض التّوحّد، بقدر ما أقول: إنّه من الاضطرابات التي تحصل في كثير من المجتمعات، ومؤخّراً في زيارة عمليّة قادتني إلى مدينة سطيف، وزرتُ مركز إعادة تهيئة هذه الفئة في أحد مستشفيات ذات المدينة، وأُبلغتُ بأنّ 4000 حالة مرضيّة ذانويّة مُحصاة، دون الحديث عن الحالات المُتكتّم عليها، وهذا العدد كبير جداً، بل إنّ المسألة تدخل في **باب الخطر**. ومع ذلك أُبلغت بأنّ حالات مُعتبرةً أدمجت في المُجتمع بشكل طبيعيّ بفضل جهود القائمين على مُرافقة هذه الفئة؛ سواء من الأطباء ومن المُعلّمين ومن الجمْعيات المَدنيّة. وفي احتكاك ببعضهم اتّضح أنّ بعضهم يملكون حواساً تعويضيّة مُذهلة في جانب العمليات الحسابيّة الصّعبة، وفي بعض التّمارين البهلوانيّة، وفي سلوكات عجيبة لا تجدها عند الأسْوياء. ووقفنا عند بعض المَطالب التي تحتاج أن توفّر لهم مثل: خلق الجوّ التّفاعليّ+ توفير الكتاب المُتخصّص+ الخَرْجات السّياحيّة اللغويّة. وانتبهنا إلى أنّ هذه الفئة لها استعدادات فيزيولوجيّة للاندماج المُجتمعيّ، وتمتلك قدرات تعويضيّة بديلة عن القدرات المصابة، ولبعضها ذكاء حاد في بعض الحواس التي تحتاج إلى استغلال، وكان على المعنيين تنبيه وتوجيه وترويض الأجهزة البيولوجيّة الهشّة لتعود إلى وضعها؛ أي لا بدّ من سرعة العمل على التّكيّف في الوقت المُناسب. إذاً إنّ هذه الفئة هشّة لكنّ بعض المجتمعات استطاعت إيجاد علاج يمكنه أن يُحدث تغييراً ملحوظاً وجدّياً في حياة الأطفال المُصابين بهذا الاضطراب، وأن تنقذ الكثير من المَرضى وتجعلهم مُنمدجين طبيعيين بسلوك تفاعليّ عن طريق علاجٍ دائمٍ في التّدخّل في السّلوكات المَعرفيّة والخطابيّة وفي المَهارات عامّة.

2ــ وصفات دول يكاد ينعدم فيها مرض التّوحّد: دلّتنا الدّراسات على أنّ مقاطعة إيرلندا+ ودول إيسلندا+ السّويد+ النّرويج+ اليابان+ كوريا الجنوبيّة+ ماليزيا، وهي من الدّول الناميّة إلى وقت قريب، ولكنّها امتلكت وصفات انمازيّة في **التّنميّة البشريّة**، فاستطاعت بذلك أن تخرج من التّخلّف، ويصبح اقتصادُها يحتلّ الأوليّة من بين الدّول الرّاقيّة، وتتقدّم في التّرتيب العالميّ على تلك الدّول التي كان لها ترتيب عالميّ يعتدّ بها. وتشير الدّراسات بأنّ مرض التّوحّد شبه منعدم للوصفات العلميّة التّاليّة:

1/2ــ جعل المعلّم يتصدّر التّرتيب الأوّلي في سلّم المجتمع، وله احترام جمعيّ قوّي باعتباره يعمل على صناعة الأجيال. ويصل احترام المعلّم لدرجة القدسيّة وهم الذين يقولون: اجعلْ بينك وبين معلّمك مسافة كي لا تدوس على ظلّه، ولا تقعد على كرسي المعلّم، ولا تمسح طاولته بذات المنشفة التي تمسح بها طاولات القسم.

2/2ــ اعتبار مساحات المدارس الابتدائية حرماً مقدّساً؛ حيث لا تسيّج بأسوار بل يحيطها اللون الأصفر، ولا يجرؤ أحد على الدوس عليه؛ احتراماً للمدرسة، ولا يجرؤ الأطفال على الدّوس على الخطّ، بل يكون دخولهم وخروجهم من الباب المعلن عنه بواسطة الصّبغ فقط.

3/2ــ اهتمامها بالتّربيّة أولاً، ثمّ بالتّعليم عامّة. والتّربيّة تحتلّ الرّتبة الأولى في اهتمامات تلك الدّول، وميزانية الوزارة المكلّفة بالتّربيّة أعلى من كلّ الميزانيات ويضاف إليها ميزانيّة البحث العلميّ.

4/2ــ الطّفل من السّنة الثّانيّة إلى سنّ السّادسة من عمره لا يدخل المدرسة، بل يُزاول اللعب في حدائق الأطفال المُتوفّرة في كلّ الأحياء.

5/2ــ يربّى الأطفال بدنياً واجتماعياً في الأجواء الطّبيعيّة/ الاصطناعيّة باختلاطه مع الأقران، وهذا ما يعطي له الصّفة الاجتماعيّة والاعتماد على الذّات.

6/2ــ بدايّة التّعليم لا يكون إلاّ بعد السّنة السّادسة. والتّعليم إلزاميّ ومجانيّ ومنع الدّروس الخصوصيّة في كلّ مراحل التّعليم.

7/2ــ لا توفّر للطّفل الوسائل التّقانيّة المعاصرة قبل سن الثّانيّة عشرة، مثل: اللويحيّة/ المحمول/ الحاسبات؛ إلاّ أجهزة مزوّدة بألعاب لغويّة مشتركة. ولا يشاهِد الأطفالُ التّلفازَ إلاّ ساعة في اليوم؛ نصف ساعة في الصّباح+ نصف ساعة في المساء؛ على أن تكون برامج/ ألعاب لغويّة رياضيّة فقط، وتحت رقابة الأسرة/ المعلّم.

8/2ــ في رياض الأطفال لا يتلقّى الأطفال إلاّ التّربيّة الخاصّة بالسلوك العامّ ونطق اللغة والمحادثة الحساب والاشتراك في الأعمال الي يعيشها في واقعه اليوميّ. ويهيئ لهم الجوّ الاجتماعيّ اللغويّ للانغماس اللغويّ الطّبيعي/ الاصطناعيّ.

9/2ــ بعد سنّ الثّانيّة عشرة تُترك لهم حريّة استعمالِ بعض الوسائل التّقنيّة مثل الحاسبات وبعض الأجهزة المزوّدة ببرمجيات تزيد من التّكوين العقليّ للطّفل.

وبكلّ هذا أصبحت للطّفل –في هذه الدّول– المَناعة الجسديّة واللغويّة والاندماج الجمعيّ وكلّ ما يَقيه من العوارض المُؤدّيّة للاضطرابات. وكلامي هذا يعني تطبيقه على مجتمعنا، بل أدعو إلى الاستفادة من بعض الوصفات أو التّجارب النّاجحة التي نقلت مجتمعها من التّخلّف إلى التّقدّم. قد يصعب هذا في مجتمعنا ولكن تعالِ نبدأ بمُراعاة ظروفنا، تعالِ نشدّ العزم لنتحسّن تعالِ نحاول، تعالِ معاً نُسهم في تنميّة بشريّة مُستقبليّة عمادها هذا الشّباب الذي يحتاج إلى توجيه ورعاية لا إلى مُخاصمة وتجريح.

3ــ أخطار مرض التّوحّد: لا نستهين بهذا المرض الذي يتنامى إذا لم يعالج سريعاً حالة ظهوره، فالاضطرابات الذّانويّة تؤدّي إلى انعدام التّطابق الشّخصيّ وإلى الاعتلالات الوراثيّة وإلى الخلل في الدّماغ، وانفصام في الشّخصيّة، وقد تظهر أمراض مُلحقة لا تفارق المُصاب نظراً لخلل في هرمون التّوازن المسؤول

عن السّوية الخِلْقيّة. وفي كلّ ذلك ينشأ المُصاب رَخْواً قابلاً لأمراض أخــرى دون مناعة طبيعيّة. وأمام هذه الخُطورة فماذا نحن فاعلون للحدّ من هذا المرض الــذي نسجّل حالات كثيرة في مُدُننا، دون الحديث عن قُرانا التي يوجد فيها هذا المــرض أكثر؟ وهنا نرى من الضّروريّ أن نعمل جميعاً في تقديم التّوصيات التّاليّة:

1ــ لا بدّ من التّشخيص المُبكّر للمريض لتقديم العلاج قبل استفحاله.

2ــ تقديم العلاجات الطّبية المُمكنة.

3ــ الاتّصال بأصحاب الاختصاص في العلاجات السّلوكيّة والتّربويّة التّعليميّــة التّعلّميّة وفي علاج عاهات الكلام.

4ــ يوصي المختصّون بضرورة إبعاد الوسائل التّقنيّة والتّلفاز عــن المُصــاب حيث لا تعمل إلاّ على عُزلته، وربّما تزيده إعاقةً، وقد تُفقده صناعةَ القرار.

5ــ تعليم المُصاب في مدارس خاصّة بالتّوحّد؛ حيث تتمّ مُعاملته بطريقة خاصّة تجعله قادراً على التّعامل مع غيره. والتّجاوب مع الأطفال الآخرين، والمشاركة مع العالم المُحيط بهم وأيضاً الاستجابة للمؤثّرات الصّوتيّة والمرئيّة المحيطة بهم كلّها.

6ــ على الوالدين تعليم الأبناء النّطق السّليم للأحرف والكلمات، وتشجعيهم على التّحدّث مع الآخرين ومشاركتهم.

7ــ الالتجاء إلى العلاجات البديلة، وتشمل علاجات إبداعيّة ومستحدثة، وأنظمة غذائيّة خاصّة بهم.

ــ **خاتمة:** تنصّ الأبحاث ذات العلاقة بهذا المَرض أنّ المُصاب يجب أن يُتــابع في ثلاثة أمُور هي:

1ــ ترتيب العلاقات الاجتماعيّة المُتبادلة.

2ــ ترتيب أمور اللغة.

3ــ ترتيب السّلوك الدّاخليّ.

وهذا بِوصفة مُكثّفة في المَهارات الاجتماعيّة، فهي بــاب حــلّ قضــايا اللغــة والسّلوك العامّ وكلّما تقدّم المُصاب في السنّ؛ يمكن أن يصبح أكثر قدرة واستعداداً

على الاختلاط والاندماج في البيئة الاجتماعيّة المُحيطة، ومن المُمكن أن يُظهروا اضطرابات سلوكيّة أقلّ من تلك التي تميّز مَرض التّوحّد حتى إنّ بعضهم ينجح في عيش حياة عاديّة أو في نمط حياة قريبة من الطّبيعيّة. وإنّ خير علاج يمكن أن يُقدّم لهؤلاء هو تشجيع التّواصل الخطابيّ/ المُحادثة مع الآخرين بدرجة كبيرة تكفيهم لأن يكونوا أسوياء؛ ويشمل التّواصل كلّ أنماط الصّوت والكلمات والعبارات وألفاظ التّحايا والأقوال والأمثال والمسكوكات، وكلّ متعلّقات ما يحيط بهم، وحتى الإيماءات تدخل في تقويم العُزلة الاجتماعيّة، بلهَ الحديثَ عن قضايا المحادثة والتّعبير، وما يلحق بعالم الخطاب العفويّ الطّبيعيّ السّائد في المحيط المدرسيّ.

عبد الملك مرتاض القامة السّامقة♥

أيّها الجمع الكريم، السّلام عليكم؛

لقد قمتم بالفعل النّبيل الذي لا يقوم به إلاّ الكبار، قمتم بردّ الجميل لشيخنا الجليل **عبد الملك مرتاض**، شيخ وهران بارتياض، ومدرّس الفئة الكبيرة من هؤلاء الذين أصبحوا أنجماً في سماء بلاد الجزائر. وكلّنا درسنا عنه من قريب أو بعيد، درسنا عنه الأدب العربيّ، واللهجات الجزائريّة، والنّقد الحديث، والنّظريات اللغويّة. وأخذنا عن كتبه معلومات عن الشّعر القديم والحديث، وأخذنا عنه أخوات صناعة الأدب، وفنّون مهارات العرب.

إخواني ماذا عساني أقول: وأنا واحد من الذين عرفوه عن بُعد، ودريتُ من خلال ذلك أنّني أدرس كتباً لناقد فذّ من الجزائر، ناقد أديب يستعمل لغته الشّاعرة في أعلى تجلّياتها. وعلمت بعد ذلك أنّه عصاميّ؛ كسب حلاله من تلك الرحلات العلميّة من الكتّاب، ومن الأب الفقيه ومن أسرة محافظة متبديّة في البداوة الفحلة التي لا تُساوَم في أُرومتها. وتمثّل لي المحتفى به في علمائنا القدامى الذين يشدّون الرّحال حيث حواضر العلم، فيغترفون من كلّ علم بفنّ، وبتلك الرّحلات العلميّة كانت لهم في كلّ حقل يدّ؛ لأنّ أقدامهم لا تحطّ إلاّ على عتبات العلم وحياتهم مجموعة علوم موسوعيّة، وذهبت بهم عصاميتُهم مدى بعيد، والمحتفى به اليوم من هذا النّوع العنيد، ومن صناعة ذلك الجيل الصّنديد.

مرتاض العالم أحكم حلقاتِ البحث، ووضعها إلى جانبه يُوزّعها على طلابه ومن أخذها أخذ بعلم وفير، ومن استوْعبَها تراه نال العلمَ المنير. **مرتاض** أراه يخرج شعاعاتٍ تُضيء طلابه؛ شعاعات العلم تفتح الحياة على دفق المبتغى وتحمل

♥ــ ألقيت الكلمة في النّدوة التّكريميّة للأستاذ الباحث **عبد الملك مرتاض**، والتي أقامها مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعيّة والثّقافيّة بوهران، يوم 29 أفريل 2019م.

الأمل مطيّة في غير المنتهى، فمن ركبها نال مراده، ومن تخلّف عنها عجز عن تلمّس مواضع قدميه. **مرتاض** عرفته بشوشاً يزرع الأمل، وبالأمل يعلو البيان ويخضر الجنان، وتتسامى الأغصان، وتتمايل الأفنان وتتزوّج النّسوان وصدقاً يا إخوان لقد جمع بين هذه المحاسن بإتقان.

أستاذنا **مرتاض** عرفته عن قُرب يوم تنصيب المجلس الأعلى للغة العربية، ذات يوم من السّادس والعشرين (26) من سبتمبر 1998م، وصار منّي على القرب ما تراه العين وليس ما يُحكى عنه، أو ما في خبر كان. عرفته وآلفته؛ ودوداً مشجّعاً مكرّماً، يدعو دائماً إلى الأريحيّة الأدبيّة، يجالسنا بنُكتة أو رواية أو قصّة، ويبدع في روايتها، وأراه دائماً في روضات الأدب يسجّل فيها دائرة إبداعه، وتراه يستظهرها من خلال نوافذ تقرّبها للفهوم والعيون، مع الظّهور الميمون، ويرميها إلى القارئ ليجد فيها أحلى الكلام، وما تنشده لغة الأنام. وتراه ينظر إلى الدنيا بمنظار السّعة والأمل، مقرونة بأسباب العمل، وفي كلّ مرّة يتمثّل لي أبا إسماعيل الحسن بن علي الطغرائي 514 هـ، القائل في لاميته العجميّة:

أعلّل النّفس بالآمال أرقبها ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأمل

ولكن عندما تشتغل الدائرة، ويأتي الوقت الحاسم، نراه يدعو إلى العمل والبحث والسّرعة فنكون نحن طوعَ الإرادة، ويكون هو صريحَ العبارة، فنرى الأوامر تأتيه مِطواعة أريبة، وهو بالإشارة يكون لبيباً، ويدعونا جميعاً إلى تمثّل الحال؛ ليكون المجلس في كلّ الأحوال، على ما يُرام، وما تقتضيه أحوال الخواصّ والعوامّ. **مرتاض** المسؤول المُسيّر والمُمثّل للمجلس في المحافل والمؤسّسات، وتراه يجمع بينها بالاستضاءات، وهو الباحث في أضابير الكلمات يزبرها زبراً، وينسجها دهراً؛ لتقوى على تحمّل المعاني في مقامات التّجلّي، فنجد لغته راقية باسقة التّعلي.

لقد علمتُ أنّه اشتغل فترات في التّأليف، وفترات في التّصنيف، بين كُتب المعالم، ومُصنّفات المَعاجم، واستغلّ فيها فتراتِ الذهاب والإياب بين الجزائر وخارجها، طائراً في تصيّد لآلئ اللغة من العالمين والعارفين، وذلك ما أدّاه إلى

اقتياد العربيّة إلى عرينها القديم، فأتته طائعة مثمرة، وحسبي بها قالت: يا سيدي **مرتاض** أنت فصل الخطاب، وبالصّدق اللغويّ المُناب جئت أرصّع المقام حسب ما يقتضيه المُرام، فأسلوبك لا يشوبه الفتور، ولا يعجزه عن إيفاء القسطاس اللغوب، وأنا اللغةُ أرضي لك الضّمير، وأخمد لهيبَ الكلِم من باطن الشّعور. وفي كلّ تلك المقامات، أراه يعلي من الهامات، لعربيّة لها صيتُ اللغات. وأقرأ في توليفاته أديباً من نوع لا يرضى إلاّ بالأمُور المُستحيلة، وما يدخل في السّامقات المُضيفة، وهذا ما تلمسه من مشاهير العلماء؛ الذين يمارسون اللغة بالخيلاء **ومرتاض** يمارس الأدبَ من غير نَصَب، ويبدع بكلّ أدب، وهو دائماً في مقام الفاعليّة؛ مرفوع القامةِ الماضيّة والحاضرة والمستقبليّة.

عبد الملك مرتاض يستغلّ الإرادةَ الفاعلةَ، على ذات الرّوح العاقلة، وهي ديدنه الغاليّة فينحو باتّجاه الحريّة الطّافحة، ويرفض كلّ عبوديّة مهما كانت واطيّة، فمن يطّلع على كتبه يجد في كلّ منها أبواباً للإبداع اللغويّ، وينحو فيها منحى التألّق في سماء العربيّة العالي، وكأنّي به ينشد الآفاق والتّعالي. وإنّه يقدّم شريعة التّحرير في ثوب التّنوير؛ وكأنّي به من أولئك المجدّدين في الإبداع، أو من أتباع أهل الفضل والإمتاع. وأراه أحياناً يدعو إلى الاستبصار والتّبصّر بالشّخصيات الكبار، وكأنّي به من أولئك الكبار الطّيبين الإنسانيين الذين يقولون: إنّنا بشر متكاملون؛ فأخٌ في الدين، أو نظير في الخلق المبين، ولا يجب أن تفرّقنا العادات، أو الديانات أو المعتقدات، وما يدخل في خاصيات اللغات.

إخواني: لا أجد الكلمات التي تأتي على وصف الباحث، وأُعجب أيّما إعجاب وأنا أقرأ بإمعان مُقدّمات كتبه، وأراه فيها ينسجها نسجاً، ويحيك خيوطها خيطاً خيطاً، ويشذّب كلماته وفق الكلام المسطور، ويفرّغها في إناء البصيرة المعمور فيأتيه البيان المنطوق، محتشد المقام المرفوق، فكأنّه خطيب من الدّرجة الممتازة حيث جمع بين الخطبة والخطيب والمستمع والمادة في ديباجة، وقادها إلى محكّ الزّمان، وهي من سمات حسن الشّاهد في المكان. وفي تجليات أعماله يتمثّل لي

عبد الملك من أولئك الأدباء الذين عملوا على انتشال قُرائهم من جهل العوام ومن خطب أهل القِوام، فكم من أديب انتشل الأمّةَ من جهلها، وقادها إلى بحبوحة أرادها أهلها ولكنّه ضاع اسمُه، وزال رسمُه، **وعبد الملك** يكاد يُتنكّر له، لولا هذه الفئة التي لا تنسى ردّ الأفضال لذويها، وأنتم أيها الحضور تشهدون معناها، والحمد لله الخيرُ في هذه الأمّة قائم وسيبقى ما دام الخيّرون لا يتنكّرون لما هو سالم.

أيّها الجمع الكريم، هي كلمات أقولها بهذه المناسبة التي أسمح لنفسي أن أكون أمامكم مخاطبكم في مقام ردّ الجميل، لصاحب القامة السّامقة الفضيل، وآمل أنّ المجلس الأعلى قد أدّى الواجب، بحضوره في هذا اليوم الرّاتب، تعظيماً وتكريماً لمن وضع الأقدام الأوّل، في مجلس كان عليه العوَل، لأنّ الطريقَ صنعته أقدامُ هذا الرجلِ العظيمِ، واللهم أنفعنا ببركة علمه الكريم، فأنعِمْ بكم أيّها الفُضلان الخِلان! فشكراً لكم ألف شكر بامتنان، ودُمتم لخدمة الوطن الولهان.

وأختم بما كنتُ قد قدّمت كلمتي ذات مناسبة وطنيّة تكريميّة لرؤساء سبقوني في تسيير المجلس الأعلى للغة العربيّة، **وعبد الملك** كان أوّلَ المؤسّسين، وقلت: "أردّدُ ما وردَ في الأثر من عبارة أحسبها نورَ القمر، إنْ أحسنَ اللاحق، فإنّ الفضلَ للسّابق. وردّ الأفضال يكون لذويها؛ لأنّه لولا الأساس ما كان وسْطاها، ولا يتواصل بَعْداها، بالسّيد الرّئيس **عبد الملك مرتاض** كان التّأسيس، وبالسّيد الرّئيس محمد العربي حصل التّرسيس، وبالسّيد الرّئيس عزّ الدين تواصلَ التّحميس... فهذا الأستاذُ **عبد الملك** العفيف؛ شيخُ الأدب العربيّ المُضيف، هو اسمٌ كبيرٌ في الأدب وقد أبدع فيه بكلّ أرَب، أستاذ بامتياز، وعلمه غزير بارتكاز، وأشهد أن مؤلّفاتِه روائعُ لا تُنسى، وأنّ أعمالَه دُرَرٌ لا تُمسى، وحقُّه عليَ وصفُه بالمشتاق، فهو طاهرُ القلب راق، ولما راقَ قلبُه راق، ومن ثمّ ذاق، وتلاه الاشتياق، ويا أستاذي غابتْ أيدينا عن مُصافحتكم، ولكن دائماً كنّا نُرسِل قلوبَنا تُعانِقُكُم". والسّلام على مجالستكم.

تحقيق رسالة الإعلام في حسن الأداء اللغويّ♥

ــ **الدّيباجة:** يباركُ المجلسُ الأعلى للغةِ العربيّةِ هذا الفعلِ الأكاديميِّ الذي تنجزهُ جامعةُ ابن خلدون بمدينة تيارت في جانبين: **جانب** اختيار هذا الموضوع في لغة الصّحافة لما للغة الإعلام الصّحيحة الفصيحة من بيان وتأثير وتوجيه وتغيير. و**جانب** اختيار مَحاور المُلتقى المتعدّدة المشارب وتستوقفنا الكثير منها في أسئلة الرّاهن، تحت مُقاربات وخطابات متجدّدة؛ تمسّ كلّ أشكال عمليات التّواصل الإعلاميّ في أشكاله التّقليديّة أو المعاصرة، وما ينجرّ عن ذلك من مُقتضيات خطاب الإعلام في واقعه وحراكه نحو تحقيق هدفه بلغة عربيّة تعمل على حماية الأمن اللغويّ؛ وتلك هي الرّسالة الكبرى المَنوطة برجل الإعلام المعاصر. رجل يكون ابن عصره ومَصره وصاحب لغته، ويكون النّاطق الدّقيق والمُبدع للغة التي يستعملها وسيلة لتوصيل خطاباته بيُسر وسُهولة.

ــ **المقدّمة:** من الضّروريّ بمكان أن نُعطيَ توضيحاتٍ مقتضبةً عن لغة الإعلام التي نالت مُحدّداتٍ كثيراتٍ، ورأينا أن نجمل ذلك في تلك المصطلحات التي أُطلقت عليها بدءاً من **اللغة الثّالثة؛** وهي التي تتوسّط الفصحى والعاميّة، أو **فصحى العصر** التي تواكب التّطوّر الاجتماعيّ والمعرفيّ، أو **لغة النّثر الفنّي؛** بين لغة الأدب والنّثر العاديّ؛ باعتبارها لغة التّخاطب اليوميّ. ونظر إليها البعض من زاويّة التّأثير، وقال إنّها **السّلاح الرّابع**. كما صنّفها بعض المُختصّين المُعاصرين بأنّها تجمع بين **السّلاح الرّابع والخامس** مع ظهور الفسبكة والتّوترة. ومن مُواصفاتها البساطة والوضوح والاختصار والسّرعة، ولا تنبتّ عن الواقع، بل تنقل لغته في بساطتها دون تقعّر قاعديّ مَضبوط في اللفظ وفي التّركيب. ومن وراء ذلك حدثت

♥ ــ أُعدّت الكلمة للملتقى الوطني حول (لغة الصّحافة ودورها في تحقيق الرّسالة الإعلاميّة) جامعة ابن خلدون بتيارت، تنظيم قسم العلوم الإنسانيّة. في 29-30 أفريل 2019م.

حوادثُ لسانيّةٌ من اللهجات الموظّفة بغرض تحقيق رسالة الإعلام بالحديث عن الواقع بلغة الواقع، فجاءت بعض الشّروخ التي أحدثت مساراً لغويّاً جديداً كان سبباً في تعقيد اللغة الفصحى بدلاً من حلّها.

1ــ مهام رسالة الإعلام: يحمل الإعلام رسائل كثيرة، وفي كلّ رسالة له خطابه الخاصّ به فمن المُفيد أن نشير بأنّ من مهام الرّسالة الإعلاميّة القيام بدور النّقل في المقام الأوّل (الوصف) وهي المَهَمَّة الكبرى. وهنا يكون الالتزام بالموضوعيّة والحدث توصيفاً وتحليلاً وباحترافيّة تنأى عن المبالغات والتّهويل. ولكن إلى جانب ذلك هناك وظائف أخرى من مثل التّواصل+ التّوعيّة+ التّثقيف+ التّربية+ التّرويح+ التّرقيّة اللغويّة+ التّطوير اللغويّ... ولهذا ينظر إلى المهمّات المنوطة برسالة الإعلام من قول من يقول "من جاهد بلسانه فهو مؤمن" لأنّ الإعلام أداة تنوير عقل الإنسان لا تستميلها الصّداقات، ولا يرهبها العدو. غير أنّ هناك من الرّسائل الإعلاميّة من تعمل على تضخيم الأمور، وغضّ الطّرف عن الإخفاقات، وكذلك تحمل خطاب التّيئيس ونقل الضّار، وما يخدم التّفرقة، وتسمّى **بالصّحافة الصّفراء** صحافة مثيرة للفتنة؛ وهي من أخطر الصّحف؛ تعتمد على إلهاء النّاس وإبعادهم عن مشاكلهم الرئيسة، ومن هنا تتحوّل الصّحافة في خفاء ومكر ودهاء من منبر للتّمكين المعرفيّ والثّقافيّ إلى منبر تسطيح وتسفيه وتجهيل وتحريض وزرع فتنة وبثّ حقد...

2ــ الإعلام والاحترافيّة: إذا انحرفَ الإعلامُ عن الجادة؛ يؤدّي دوراً هدّاماً، وأنّ الخطر يكمن في شساعه الحقل الذي يستهدفه بنشره ذاك، فمن وظائف الإعلام التّربية والتّثقيف وتعزيز روح التّعايش والتّماسك الاجتماعيّ، بما يحفظ للمجتمع كيانه ووجوده واستمراريته، إلى وظيفة نشر الفتنة والعصبيّة والتّجهيل والتّغليط في أوساط مجتمعه، لممارسة دور الهادم وليس الباني. وتفرض الاحترافيّة هنا دورها في الضّمير العينيّ تجاه الوعيّ الاجتماعيّ ضرورات المسؤوليّة الأخلاقيّة التي يتحمّلها الإعلاميّ بصدق نحو البناء لا الهدم، نحو التّسامح لا البغضاء. ومن هنا

تكبر المسؤوليّة، ويكثر اللوم على التّوجيه الخاطئ أو التّحريض المفتن، وتحيد رسالة الإعلاميّ من مهامها النّبيلة؛ لأنّها مسؤولة عن كافة المجتمع في حفظه ورعاية مصالحه، وهنا يثبت الإعلاميّ دوره في التّغيير الإيجابيّ بمراعاة أخلاقيات المهنة، وتظهر رسالة الإعلاميّ لا مجرّد نقل الأخبار، بل حامل رسالة في تنوير المجتمع بما يتوافق مع القيَم والاحترافيّة.

3ـــ إيجابيات الإعلام في خدمة الفصحى: من الإنصاف أن نقول إنّ الإعلام خدم الفصحى في كثير من جوانبها ونقلها نقلة نوعيّة، بل عمل على تحبيبها والارتقاء بها، وأصبحت سهلة التّداول، قريبة من أفهام عامّة النّاس، على ما شابها أحياناً من بعض الأخطاء. والمهمّ في المسألة أنّ الإعلام عمل على نشر الوعيّ اللغويّ، والإحساس بأهميّة الفصحى، وحرص على ألاّ تزاحمُها العاميَّات. إذاً لا يمكن جحد دور بعض الصّحافيين الذين كانوا لمّعاً في تأديّة الفصحى خير أداء بما للسانهم من فذلكة ناجعة في الازدهار اللغويّ، ولا سيّما في عصر ثقافة الاستماع وربط الصّورة بالمسموع، ثقافة الصّورة المصاحبة بالكلمة المنطوقة، واستعلائها على الكلمة المقروءة. وإنّ المسألة لا تحتاج إلى وقفات تمجيديّة، بل إلى إعادة الاعتبار للإعلاميّ الذي خدم الفصحى خدمة تليق بمقامها، واستطاع فرضَ العربيّة بتخلّصه من لغة الاستعباد والاستعمار الثّقافيّ، فكان للغة الضّاد الفضلُ الكبير في نهوض إعلام مستقلّ وواعد شكّل مصدراً من مصادر الفكر والتّوعيّة لشريحة كبيرة من قطاع المثقفين، بل أشاد العديد من المفكّرين بفضل الإعلام الفصيح الذي جعل العربيّة تنال موقعها بين اللغات.

4ـــ الإعلام ودوره في تطوير اللغة العربيّة: ليست اللغة ظاهرة ثقافيّة وعلميّة فحسْبُ، ولكنّها ظاهرةٌ حضاريّة، سياسيّة، اجتماعيّة، تَقوى بقوّة أهلها، وتتراجع بضعفهم وانحداره، وما هيمنة اللغات الأجنبيّة في واقعنا إلاّ بقوة أهل تلك اللغات وضعفنا أهل اللسان العربيّ. وتلك هي مشكلتنا اللغويّة اليوم، ولا يعود ذلك إلى اللغة العربيّة في ذاتها، بل إلى ضعفها في أنفسنا وعدم الاعتزاز بها، ونتج عن ذلك

سوءُ استعمالها. وكلّ منّا أسهم بقسط من هذه المشكلة التي أضحت مُعضِلة لدى أهل العربيّة. **فما الحلّ؟** وعهدي بالمسألة يعود إلى قناتين إنْ وقع الاهتمام بالعربيّة ستعود الأمور إلى حالها، وتصبح العربيّة أحسن من ماضيها التّليد، وهما: **قناة المدرسة**، وهنا ليس المجال مجال الحديث عنها. وأما القناة الثّانيّة، وهي **قناة الإعلام**، فنحن مع أهل الإعلام وفي مؤتمر يخصّ محاور لغة الإعلام. وسوف أعطي كلمتي في هذا المجال. وهنا نحتاج إلى بعض التّفصيل في ضرورات النّظر إلى:

1/4ــ النّظر في مسايرة تحدّيات اللغة العربيّة في الواقع الإعلاميّ: وتحتاج العربيّة إلى مُواجهة التّحديات المُعاصرة؛ لتؤديَ دورها المَعقود عليها، للتّعبير عن المُستجدات، وعالم السّرعة، وعمليات التّرجمة وما لها من المُنافسة. علماً أنّ العالم قرية يسعى فيها الإعلام المُهيمن أن تنال لغته كلّ المَواقع للتّأثير والتّوجيه والهيمنة والتّبعيّة، ومُحاربة كلّ اللغات التي تخرج عن التّنميط.

2/4ــ علاج أسباب غياب الفصحى: وهذا عامل مهمّ كان علينا علاجه بطريقة علميّة؛ تخرج من مخابر اللغات، والحديث عن المستويات اللغويّة، ومراعاة المقام والحال، ومُتعلّقات الخطاب وقواعد الاقتضاء اللغويّ في توجيه الرّسالة الإعلاميّة بما لها من حدود لغويّة مَسموح بها، وما هو من المَمنوع اللغويّ.

3/4ــ النّظر في إيجاد الوصفة اللازمة للتّقليل من استعمال العاميّات: إنّ استعمال العاميات ظاهرة متفشيّة بشكل قوّي، عدا في نشرات الأخبار. بل إنّ الأعلام يروّج للعاميات في التّمثيليات وفي المسلسلات وفي الأفلام حتى مسّت بعض الأمور الثّقافيّة والتّربويّة.

4/4ــ النّظر في محاربة التّهجين اللغويّ: وهي كارثة أخرى تمسّ صُلب اللغات التي تدخل فيها أنماط ليس من جسم غير ذات اللغة، فيحدث الهجين الذي يُقلِع اللغاتِ من جذورها، بدعوى المهمّ الفهم.

ومن وراء هذا يمكن تلخيص الوضع في جهل أو تسامح بعض الإعلاميين بأهميّة العربيّة الفصحى، والانبهار بلغة الآخر، والتّكاسل في التّرجمة والتّعريب وسوء تقدير الفصحى في الحفاظ على شخصيتنا، وعدم ثقة قوم ممّن مال انتماؤهم الحضاريّ للغة حضاريّة علميّة وفنٍّ وثقافة. ومن الواضح أنّ هذه العوامل تقع في دائرة سوء الظنّ بمقام العربيّة الفصحى.

5ــ حلول عمليّة لحسن استعمال الفصحى لدى وسائل الإعلام: نزعم أنّها حلول يكون لها وقع في الاعتزاز بالفصحى لدى أهل الإعلام، ويكون ذلك عاملاً من عوامل حسن الأداء اللغويّ للعربيّة الفصحى. ولقد بَصُرْت بمجموعة من الأفكار إليكموها في هذه المقتضبات:

1/5ــ أهميّة الإعلام في غرس الاعتزاز اللغويّ: هي من متعلّقات الوعيّ اللغويّ المنوط بأهميّة العربيّة لما لها من موقع في الوعيّ الجمعيّ لدى العرب والمسلمين، ويضاف لذلك ما تعمل على تحقيقه من وحدة انسجاميّة لا توجد في العاميات، وهي الكفيلة بوسيلة اتّصال ناجعة لتحقيق الوحدة داخلياً وخارجياً. ومن المؤسف أن نخوض معركة العولمة بدون بسلاح أو بسلاح قديم، ومن هنا نحتاج إلى أرمادة من تشريعات وقوانين واستعمال لهذه اللغة لتكون في مستوى معركة العصر. ومعركة العصر لا تكون دون الاعتزاز بالذات اللغويّة الفصحى والانتماء العربيّ الإسلاميّ. فاللغة العربيّة الفصحى هى التى تصنع العقول البنّاءة، واستعمال الفصحى فى لغة الإعلام ليس مطلباً عسير المنال، فلغة الإعلام هي الفصحى المبسّطة في مستواها العلميّ وفي المرونة والعمق.

2/5ــ الانغماس اللغويّ في محيط العولمة الإعلاميّة بما يحفظ لنا الخصوصيات الهُوياتيّة: وإنّها لازمة ننأى بها عن قبول ما يأتينا من الفضائيات الغربيّة، ونكون تُبّعاً لا غير، فكان من الضّروريّ حسن التّخلّص السّلس، باستعمال القوّة النّاعمة في التّعامل النّفعيّ بين مطرقة الفضائيات وسندان العولمة؛ لتكون العربيّة الفصحى في وسائل إعلامنا قادرة على تربيّة الملكات اللغويّة ورعايتها بما ينعكس إيجاباً على

الإعلام نفسه. ويتأسّس هذا بالفصحى فقط؛ بوصفها الوحيدة القادرة على المواجهة بما لها من مرونة وعمق وخصائص تنبض بصلاحيتها لكلّ زمان ومكان. وأؤكّد بأنّ الفصحى هي المؤهّلة لمواجهة عصر التّفجير المعرفيّ المتنامى لثورة الاتّصالات والسّماء المفتوحة، وأداة للاتّصال الإعلاميّ المعرفيّ. ومن هنا فإنّ الفصحى هى الوسيلة الوحيدة التي تحفّز وسائل الإعلام من قوّة الدّفع للوقوف نداً للندّ أمام اللغات القويّة.

2/5ــ حسن التّخلّص من العاميات: ليس المطلوب من الإعلاميّ التّقعّر اللغويّ بالمبالغة في التّفاصح، وإنّما أقصى ما يُطلب منه احترام قواعد الفصحى والمعايير المُنظِّمة لها؛ ممّا يضفي على أسلوبها مسحة من الأناقة، وينأى بها عن الإسفاف والرّداءة. وتكون العاميات سنداً في ترقيتها، وتعود إلى وضعها، واحترام مقاماتها. فالعاميات لها حصصها ومقاماتها التي لا بدّ منها. وهنا لا يمكن أن ننكر ما يرتبط بالتّأثير والتّأثّر المتبادل بين مستوى الفصحى والعاميّة، فالعُرف اللسانيّ يؤكّد أنّ المستوى الفصيح ينحو منحى التكيّف مع المستوى التّعبيريّ اليوميّ؛ بمعنى أنّ التّلاقي والتّفاعل يحدثان انطلاقاً من المستوى الفصيح، وصولاً إلى المستوى العاميّ، ويعني استعمال الإعلاميّ هو شكل من أشكال الفصيح، وعليه فقط أن يعمل على ترقيته.

3/5ــ عدم التّساهل مع الأخطاء الشّائعة: لقد أدّى طغيان العاميّة في الكثير من برامج وسياسات المواد الإعلاميّة إلى تفشي الأخطاء الشّائعة في الرّسائل الإعلاميّة، وهذا ما نجده في كتابات ومراسلات الصّحافيين والكتّاب في الصّحف وفي المجلات وفي الدوريات التي نتصفّحها فالكثير من الكلمات التي تمّ إدراجها لا تمتّ بأية صلة لا من قريب ولا من بعيد للمعنى المراد توصيلها، ولاحظنا الكثير من العدول عن المعنى الصّحيح للاستخدام الفصيح الذي يعدّ وعاء اللغة العربيّة. وهنا يجدر القول بأنّ الضّرورة اللغويّة تستدعي عدم التّساهل في تلك الأخطاء التي تصبح يوماً ما من الصّواب بفعل التّسامح. وفي كلّ هذا من الضّروريّ الخرم

اللغويّ من قبل الإعلاميين، وهي مسؤوليّهم الكبرى التي يتحمّلون وزر هذه الأخطاء التي تعلق بالعربيّة وهي بريئة منها، وكم دعونا إلى إدراج مادة تصحيح الأخطاء الشّائعة وقواعد النّحو أثناء التّكوينات التي ألقيناها في ندواتنا، ورأينا أنّه العالج السّليم لضعف الأداء اللغويّ لدى رجال الإعلام.

4/5ــ اللغة العربيّة وضع واستعمال: إنّ اللغة عُملة أبدية أزليّة مُتداولة بين النّاس، وإذا كانت الدّول تُنشئ القوانين وتسُنّ التّشريعات لحماية العُملة من التّزوير فمن باب أولى أن تُصان اللغة من التّدنيس والتّدليس، حتى لا يتعرّض العلم والفكر الذي تحمله إلى الإفلاس. واللغة العربيّة باعتبارها مكوّناً ارتكازياً للثّقافة العربيّة كان علينا صيانتها باستعمالها الذي يعمل على سلاستها وتواصلها عبر مختلف التّطوّرات التي تعرفها سنن التّطوّر. ومن ثمّة فحياة اللغة العربيّة وحيويّتها رهن استعمالنا لها وقدرتنا على توسيع مجالها، وحملها على الاستجابة لحاجاتنا لا يتوفّر إلا بقدر ممارستنا لها وتحميلها لتجارب بشرية جديدة.

6ــ اقتراحات لحسن أداء لغويّ بسيط في العربيّة: ويمكن توضيح ذلك عبر هذه المحطّات:

1/6ــ استغلال الرّسالة الإعلاميّة لقنواتنا بما يخدم اللغة العربيّة، ويسهم في الارتقاء بها، من خلال ضبط نشاط البثّ، وإخضاعه للسياسة التّربويّة الشّاملة:

2/6ــ إنتاج المصطلحات العربيّة في لغة الإعلام، ومتابعة منتوج المجامع والمؤسّسات العلميّة التي تعمل على حماية اللغة العربيّة، والعمل على تطبيق قراراتها.

3/6ــ نقل الوعيّ والاعتزاز بالعربيّة من مستوى الأفكار إلى مستوى التّطبيق ودفع العربيّة إلى الجماهير لتحتضنها؛ لتصبح العربيّة لغةَ الجماهير، ولغةَ تفكير إعلاميّ يتكيّف مع التّحوّلات وتفي بغرض الواقع.

4/6ــ استثمار التّفجير الإعلاميّ حسن استثمار في تعزيز المواطنة اللغويّة وبعث الانسجام للنّسيج اللغويّ المُتراص، من خلال استثمار قدرات رجال الإعلام على الاستفادة من القنوات الأجنبيّة دون الذّوبان فيها.

ــ **الخاتمة:** تظلّ العربيّة الفصحى مرآة صادقة تعبّر عن ديواننا، وهي أحد القلاع الحصينة المتأبّية على الاستسلام، وتستنفر أهلها للنّهوض والتّقدّم، ويحسن بنا الإقرار بأنّ اللغة العربيّة لم تنل حقّها بإنصاف على ركح وسائل الإعلام، على الرّغم من أنّ عدد القنوات الفضائيّة العربيّة يصل إلى 2000 قناة بين عامّة وخاصّة، إلاّ أنّ البرامج التي تُقدم بالفصحى قليلة، وأغلبها سيء التّنفيذ والإخراج ويغيب فيه الاهتمام بجماليات اللغة العربيّة، ويفتقد عنصر التّشويق الإعلاميّ. ولذلك لا نبالغ إذا قلنا **إنّ تفصيح لغة وسائل الإعلام لا بدّ أن تتجسّد لحسن أداء لغوي جيّد.**

الكِتابة اللسانيّة في الجامعات الجزائريّة [1]

- قراءة في الاتجاهات والأنماط -

ــ الدّيباجة: قدّم لي الفاضل (ياسر آغا) هذه المدوّنة المشكّلة لخمس عشر (15) مقالة أكاديميّة لبحثة جزائريين لهم قدَم راسخة في البحث اللسانيّ. وسعدت أيّما سعادة بكتابة تقديم حول هذا العمل الذي يهمّني أن يصل الباحثون الجزائريون بالدّرس اللسانيّ إلى ضبطه والعمل بآلياته لجعل اللغة العربيّة تنال الازدهار في بلادها وفي خارج بلادها.

لقد نالني الشّرف أن أكتب كلمات في عمل أكاديميّ يتعلّق باختصاص سبق أن قدّمت فيه بعض الاجتهادات التي كان لها وقع علميّ في وقتها من مثل (اللسانيات التّطبيقيّة) وبعض الاجتهادات الأخرى التي كان يعوّل عليها في الدّراسات الأكاديميّة. وإنّي مسرور بما أقدّم من كتابة/ كتابات وبخاصّة عندما يأتيني الفاضل الأستاذ (ياسر آغا) من المركز الجامعيّ أحمد صالحي، بولاية النّعامة؛ ليعرض عليَ العمل، ويقترحني لتصديره بكلمة خاصّة. وكانت استجابتي سريعة؛ حيث عرفت الباحث (ياسر) في ملتقى وطني حول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح بمناسبة الذكرى الأولى لوفاته، وكان ذلك في جامعة جيلالي اليابس في سيدي-بلعباس. وأذكر يومها أن قدّم عملا في الدّرس اللسانيّ وعلّقت بما يلي: "ما دمنا نملك مثل هذا الباحث فاللسانيات بخير، والجزائر تفتخر بباحثيها ومثقّفيها فأنعِمْ بك يا ياسر!" بالفعل كان ذلك فراسة علميّة صدرت منّي، وبعدها عرفت الباحث أنّه على دراية علميّة باختصاصه. وأراه يأتيني بهذا العمل الذي استكتب فيه مجموعة

[1] ــ كلمة تصدير لكتاب جماعيّ موسوم (الكتابة اللسانيّة في الجامعة الجزائرية -قراءة في الاتّجاهات والأنماط- جمع وتنسيق (ياسر آغا). كتب التّقديم بتاريخ 6 مايو 2019م.

من اللسانيين الذين قدّموا أفكارهم في الاتّجاهات والأنماط. وبعد تمعُّن كبير من خلال إعمال النّظر في هذه المدوّنة خلصتُ إلى ما يلي:

1ــ هناك مُنجز لسانيّ جزائريّ يشكّل عُمدة بناء نظرية لسانيّة لها مواصفات: الشّمول+ الاتّساق+ المنطق+ المُريد+ البُعد الزّمانيّ+ البُعد المكانيّ+ قابليّة التكيّف.

2ــ هناك بحثة جزائريون مهتمّون بالدّرس اللسانيّ، وقد استوعبوا كلّ تجلياته بلغاته الأمّ وبعضهم حاول تمثيل ذلك في العربيّة، بمراعاة خصائصها، وكأنّي أمام كبار الباحثين من أمثال: الفاسي الفهري/ الحاج صالح/ محمد فهمي حجازي/ أحمد المتوكّل/ مازن الوعز/ المزيني/ مصطفى غلفان/ إسماعيلي علوي...

3ــ اكتشفت مواهب شابة من البحثة الشّباب الجزائريين الذين اجتهدوا فأصابوا فأنْعِمْ بهذه الفئة التي نأمل أن يكونوا من المريدين!

4ــ لاحظت أنّ هناك سيطرة علميّة للسانيات بما لها من تنظير وتطبيق على المدوّنات التي أنتجت قديماً وحديث.

5ــ تبيّن لي أنّ خطوات جبّارة أنتجت في ظلّ البحث اللسانيّ الذي مسّ مختلف الاختصاصات وقدّمت اجتهادات نوعيّة في مقام اللسانيات، ومختلف المجالات التي نالتها.

6ــ هناك مقاربات علميّة استطاعت أن تبدع في البعد الرياضي للدرس اللسانيّ مع تطبيقات دقيقة على العربيّة. وكأنّي ببعض الباحثين أنّه على دراية قويّة بالأصول الصّرفيّة والنّحويّة وما تملك العربيّة من تحوّلات في الفروع.

7ــ لمست أفكاراً نوعيّة جاءت على يدّ الباحثين الذين أعملوا فكرهم في الدّرس اللغويّ/ الفقهيّ، وقد أجادوا في فهمه وتحيينه، وفي تقديمه للمعاصرين لما للعصر من آليات تستدعي التّعامل معها بالعلميّة.

8ــ لاحظت إبداعاً كبيراً في مسألة مُهمّة وهي في تعليميات اللغة العربيّة، وقد قدّمت طروحات تحلّ الكثير من قضايا اللغة العربيّة؛ لأنّ القضية الأساس التي

تعاني منها اللغة العربيّة في وقتنا هي تطوير تعليمها. ونجد بعض المقاربات تمسّ الموضوع، وتقدّم له الحلول.

9ــ وجدت نفسي أتعلّم أشياء كثيرة من المنظور التّداوليّ للسانيات الخطاب عند بعض الباحثين الجزائريين الذين يبدعون من خلال كتبهم، أو من خلال طلابهم الذين يعملون على تطوير أفكارهم.

10ــ لقد لمست في هذه المدوّنة ما هو من التّفكير الجادّ والجيّد في خطاب علم الدّلالة ورؤية العالم، وما جاء في التّفكير اللسانيّ عن السّكاكي. وهذه من المسائل التي نرى فيها الإبداع وقراءة ماضي السّلف قراءة معاصرة. وهذا ما نريده أن يكون في البحث الأكاديمي؛ بتسليط الأفكار التي تجعل الماضي يعيش الحداثة. وهذا هو صورة الإعجاز اللغويّ في مدوّناتنا القديمة.

11ــ أشهد بأنّ الجامعة الجزائرية تعيش حراكاً علميا انمازياً لما لها من أفكار في اللسانيات التي كنّا نحسبه ذات وقت أنّه حكر على اللغات الغربيّة، ويخصّ الجامعات الغربيّة العريقة.

12ــ تتماز الجامعة الجزائريّة بمثل هذه الاجتهادات التي يمكن أن تعطي لها صفة امتلاك البحوث الجادة التي تجعلها تنال معيار الجامعات المعياريّة.

ومن خلال هذا العمل، فأنا على ثقة تامّة بأنّ السّيطرة على الدّرس اللسانيّ تأخذ أبعادها في البحث اللسانيّ، وأحسب أنّ جهود هؤلاء الباحثين سوف تنضاف إلى القائمة الكبيرة لجهود زملائهم في الوطن العربيّ، وفي غير الوطن العربيّ، وهي جهود تعمل على ازدهار العربيّة في مختلف مقاماتها. وتبقى الجهود اللسانيّة لها مكانة خاصّة بما للدرس اللسانيّ المعاصر من تلك الأفكار التي يقدّمها في خدمة العربيّة من زوايا: التّعليميات+ التّرجمات+ الدّراسات الاجتماعيّة+ علاج أمراض الكلام+ الحوسبة+ العلاج الآلي للغات... وهذا ما تقوم به اللسانيات في وقتنا الحالي، والزّمن كفيل بتقديم فتوحات كبيرة في تقديم حلول إجرائيّة لمختلف القضايا العالقة للغة العربيّة.

ــ **الخاتمة:** أراني أزكّي هذا العمل من خلال زاويتين:

1ــ زاوية التّأريخ للبحث اللسانيّ عند مجموعة من الباحثين والمنتجين للدرس اللسانيّ في الجزائر.

2ــ زاوية الاهتمام بأمثال هذه الأعمال التي تعمل على تقديم العربيّة تقديما يؤهّلها لمكانتها العالميّة، كلغة حضارة إنسانيّة، وهي اللغة القُدمى التي تماهت مع كلّ اللغات، ولكنّا ما انقرضت ولا تلاشت، وهذه صفة إعجازيّة في هذه اللغة.

ولهذا، ونتيجة ما جاء في هذه المدوّة، أرجو أن تتطبع المدوّنة، وتكون في المكتبات وعند المختصّين، ولا شكّ أنّ هذا العمل سيضف بُعداً أكاديمياً للسانيات ويشكّل مرجعيّة قريبة مُحيّنة لكلّ باحث يبتغي الخروج عن العرف اللسانيّ في إطاره الاختصاصيّ، وعن طريقه يرى المجاري التي أخذتها اللسانيات؛ وهي تشرف على أن تكون أمّ العلوم في عصرنا.

أشكر الزّميل (ياسر) على تفضّله بإعطاء قلمي شهادة التّقديم، وهذا شرف للمجلس الأعلى للغة العربيّة، ويعني شرف لدولة الجزائر، على أنّ المجلس يعمل على ازدهار العربيّة، ويقوم بتعميم استعمالها في العلوم وفي التّكنولوجيّة، وكذلك يقوم بعملية الترجمة لذات الغاية. ولهذا نأمل أنّنا وصفنا المدوّنة بمحاسنها العلميّة وهي كثيرة. فلا تغادر مقالة إلاّ وتشدّك الأخرى ولا تخرج من المقالة إلاّ بأفكار مُضيفة، ولا يمكن أن تقف عند مقالة واحدة، بل هي سلسلة عقد تناسقت حبّاته. فشُكراً للباحثين المستكتبين، وشكراً لمن يعالجون الأفكار، وألف شُكر لأصحاب المُبادرات، وهكذا نكون أو لا نكون.

رسالة أمل للطّلاب♥

أيّها الطّالبات، أيّها الطّلاب، وددت أن أخاطبكم بهذه الكلمات علّها تصل إلى قلوبكم، وعهدي أنّها صدرت من قلبي؛ بعدما بصُرتُ ببعض الأمور التي تحتاج إلى نقلها لطلابنا الذين نُعلّق عليهم الأمل في نقل الأمانة، ورعاية المهابة، وزرع الثّقة، ومحاربة التّيئيس، والاستعداد للترئيس. ووسمتُها رسالة أمل؛ التي تدفع الملل، وتدعو إلى العمل، دون التّكلان على الثّقلان ولا دعوة نصرة الخذلان.

هي كلمات صدرت منّي بعد تلك اللقاءات التي قادتني إلى سبعة (7) مواقع جامعيّة في رمضان هذا العامّ 1441 هـ. وزرتُ هذه المواقع بدعوة من (التّضامن الوطنيّ الطّلابي) وفي كلّ مساء يقع الإفطار الجماعيّ العائلي الذي يحضره الطّلابُ من مختلف مشاربهم، وفي كلّ مساء تُقام جلسات حوار لتقييم الأوضاع التي تعرفها بلدنا من خلال الهبّة الكبيرة للحراك الشّعبّي الذي أعاد الأمل المفقود، بمصاحبة وقفات الثّلاثاء بالمعدود.

كنتُ ألتقي الطّلاب في الجامعات، وأستمع إلى بعضهم على انفراد، وأحثّهم على البوْح بالمكنون ولستُ من أصحاب القرار، ولكنّي أملك قلماً أنقل به الأصوات إلى أصحاب القرار كما كنتُ أستمع لكلّ المداخلات المسائيّة التي تأتي بطرح الأفكار والتّحليلات، بمختلف الإيقاعات، بين هذا مشتكٍ، وذاك باكٍ، وبين من يرى النّور آتٍ، وبين من يرسم المستقبل غير عاثٍ. وبين هذا وذاك؛ تكون لي الكلمات للحديث عن ضرورة معالجة الصّعوبات، وأدعو من البداية إلى أنّ إضاءةَ الشّمعة أفضلُ من لعْن الظّلام، وأنّ طريق النّجاح تصنعه الأرجل

♥- هي الكلمات التي أعدّها رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة للقاءات العلمية مع الطّلبة بمناسبة رمضان 1441هـ، وكان هذا مع التّضامن الوطني الطّلابي في كلّ من: جامعات: غليزان+ معسكر+ أسعيدة+ تلمسان+ الجلفة+ الأغواط+ ورڤلة (21- 30 مايو 2019م).

السّاعيات، وأنّ الصّبر مفتاح الفرج، واشتدّي أزمة تنفرجي، والنّظـرة التّجزيئيـة للأشياء لا تعطي الحقيقة، والتّركيز على مواطن الضّعف يُنسيك مـواطن القـوّة وتسويد الأمور دلالة الفشل والعبرة في الأخير بالنّواتج.

كنت أستمع للمداخلات، وما يطرحه الطّلاب من انعكاسات، وما يأتي من كلام حول القضايا الاجتماعيّة والتّربويّة، وأستمع إلى تقديم الحلول الإجرائيّة، وإلى تلك الوصفات العلاجيّة للمضايقات التي يعرفها الطّالب في كراسي الجامعـة، وفـي الأحياء الجامعيّة، وفي مُقرّرات المُنظّمات الطّلابيّة. وما سجّلتُه مـن طروحـات يمكن تلخيصها في محورين هما:

ـ **أولاً: محور التّيئيس:** لاحظتُ بعضاً من طلابنـا يُجمعـون علـى سـواد الطّرح، بالتّركيز على نقاط الضّعف، وكأنّ الحالة الجزائريّة غيـر طبيعيّـة، وأنّ الدّنيا توقّفت، ونحن خارجها على غير كافة البشر، ولا يقع إلاّ الشّكاوى اللائمـة التي زرعتْها بعضُ الأفكار وبعض القنوات والفيديوهات التـي تلـتقط الإحْبـاط. وبصرتُ بما يلي:

1ـ هنالك استثمار في زرع ثقافة اليأس، وأنّ أوضاع الجزائر تسيء، فلا أمل في المُعافاة.

2ـ لزوم التّفكير في الهجرة والاهتجار، وأنّ الحالة تسير إلى الافتقار.

3ـ قياس الحاضر على الماضي، وأنّ الحاضر أسوء من الماضي.

4ـ غياب العدالة الاجتماعيّة، فيصعب على الفقير أن ينال موقعاً أمام الغنيّ.

5ـ طغيان الطّبقيّة والمحسوبيّة والمعرفة في نيل المراتب حسب الاستحقاق.

6ـ غياب التّشجيع، ولا كرامة للمواطن في بلده.

7ـ تهميش الطّالب، ولا كرامة تحفظ له المواطنة، ولا من يصون له المكانة.

8ـ طغيان الرّداءة وسيطرتها على دواليب التّسيير في كـلّ الإدارة، وكأنّهـا أخطبوط لفّ أذياله على مفاصيل الحركة، فلا حركة مقبولـة إذا لـم تُستصـحب بالسّكوت عن الرّداءة.

ثانياً: محور الأمل: وهو المحور الذي نال نصيباً من الأفكار الغنيّة، وبصُرت بما يلي:

1ــ هناك وعيٌ وطنيٌّ، وغيرةٌ نوفمبريّة مجيدة، على هذا الوطن الذي يجب خدمته بالمجان.

2ــ حفظ المرجعيات الثّوريّة من الحركات الوطنيّة إلى مرجعيات ثورة التّحرير التي أقامت لنا منارة التّنوير.

3ــ هناك أفكار علميّة تكامليّة من خلال ردّ الاعتبار للذين يخدمون الشّأن العامّ.

4ــ استعداد كامل من قبل الطّلاب للتّضحيّة كفعل السّلف الصّالح، وهم ينتظرون فقط المرجعيّة التي تُرشد وتُدلّ.

5ــ إجماع على أنّ الوطن كلّ لا يتجزّأ، وكل ولاية داخل مرآة زجاجيّة، فأي خدش يمسّ ولاية يحدث الخدش في كلّ الولايات.

6ــ شباب جامعيّ طافح يقول: إنّا على عهد الأوائل باقون، ومع الحراك مُتفاعلون، وللحقّ طالبون، وللعدالة منشدون، ولكرامة الطّالب محافظون.

ــ وعيتُ الدّرس أيّتها الطّالبات وأيّها الطّلاب: لقد بصرتُ بآراء نيّرة لأفكار طلابنا، ولِما غرستْه تلك التّنظيمات الطّلابيّة التي استثمرت في ترسيخ مفاهيم المواطنة والواجب والحقّ. وعيتُ كلام الطّلبة بضرورة الإسهام في الانتقال الدّيمقراطيّ، والمشاركة في الإصلاحات التي تخلق البنية القاعديّة المناسبة لإجراء انتخابات حرّة نزيهة، وللطالب دور في هذا التحوّل بإسهامه في عمليات الإصلاح بالإجابة عن سؤال إصلاح المدرسة ومنظومة التّكوين والبحث العلميّ. فكان المطلوب من الطّالب البحث عن التّنميّة الاقتصاديّة التي ترتبط بالتّنميّة الشّاملة كي لا يحصل لنا بناء العمارات على رمال ودون أساس. وخلصت من كلّ تلك الهموم والأماني إلى نتيجة منطقيّة إيجابيّة: **أَنْعِمْ به من مزايا يتحلّى بها طالبُنا**

الجامعيّ! وأَنْعِمْ بتلك التّنظيمات التي تنقل الأمانة للأجيال القادمة الجزائر أولاً وثانياً وأبداً!

ــ تعالِ نزرع الأمل أيّتها الطّالبات، أيّها الطّلاب: عندما تستحكم حلقة الحياة على الشّخص وتعصره وترميه في جبّة النّصب تظلّ أفكاره باحثة عن شعاع نور يتلمّس بها خيوط النّور الضّعيفة؛ راجياً أن تفتح الحياة حلقتها، ويدور في ذهنه تلك المقولات التي ركبها المبدعون فمن عاش لحظات الأمل يصل مبتغاه وإن ضاقت نافذة النّور، ومن مات فيه الأمل عجز عن مبتغاة وإن كانت الشّمس في رابعة النّهار.

أعلّل النّفسَ بالآمال أرقبُها ما أضيقَ العيشُ لولا فسحةُ الأملِ
ضاقتْ فلما استحكمتْ حلقاتُها فُرِجَتْ وكنتُ أظنُّها لا تفرجُ

وإنّه لولا الأمل لما علا بنيان، ولا اخضرَّ الجنان، ولا تسامت الأغصان، ولا تمايلت الأفنان ولا زُوّجت النّسوان، ولا اشتاقت أنثى الى الرُّضعان. تعالِ نزرعِ الأمل بالعمل؛ فالأمل بلا عمل كجسد بلا روح، وعمل بلا أمل كآلة خرساء، ومن تلاحمهما يتولّد النّور، ولولا أمل (توماس أديسون 1847– 1931م) المشفوع بالعمل والتّجارب المضنية لما اقترن اسمُه باختراع المصباح الضّوئي. وكلّ مفردة في حياة الإنسان هي سيف ذو حدين كالزّمن إن لم تقطعه قطعك، والأمل الأجوف هي بطالة مقنَّعة وإن أشغله بالعمل، والأمل المفعم بالحياة يحيل البطالة إلى حركة وإن عزّ العمل وندر، لأنّ الأمل المثبت سعيٌ وحركةٌ غير ظاهرة والأمل السّلبي هو موت سريريّ وإن كان صاحبُه كثيرَ الحركة، فالأمل الأوّل مُنتج، والثّاني مُحبط، والبركة في الحركة الهادفة.

أيّتها الطّالبات، أيّها الطّلاب، تعالِ نزرع الأمل، ونرفع سقفه في السّماء لنحقّق سمو الأمّة بعلوّ الهمّة، تعالِ نسدّ الثّغرات، وكلّ تيارات النّقص في الثّمرات، فنجد الأمل في قارب يأخذنا إلى ساحل الأمان، وضمير الجمع المتكلّم هو ضمير كلّ إنسان، ضمير كلّ طالب يبحث عن الأمل والإخلاص. تعالِ نزرع الأمل بدل

زجر الأمل، وبه تستقيم الأمور وتأخذ الحياة مجراها ويأمن كلّ صاحب نفس وروح. تعالِ نزرع الأمل، وقد علّمتني الحياة أن لا أطلب من الأشواك أن تفوح بالعطور، ولا من الصّحراء أن تنبت الزّهور، ولا من فاقد الإحساس أن يهتمّ بالشّعور ولكنّي لا بدّ من زرع الأمل لكي لا نخسر بعضنا، ولا نصدّق كلّ ما نسمع، ولا ننفق كلّ ما نملك، ولا نتمنّى قدر ما ترغب. ولهذا فزرعُ الأمل مطلوب أيّها الطّلاب؛ لأنّه باب التّغلبّ على الصّعاب؛ فإن أهملنا الأمل يموت فينا الضّمير، ولا تقوم لنا الأخلاق. فويل لأمّة لا تصارع موج الحياة، ولا تنير درب المُشاة. وويل لأمّة طلابها بلا شعاع، وما استُخلِف لهم ضاع. ونحذر أنفسنا من الضّياع، ومن المساومة على الأصالة بالمتاع. وويل لأمّة يقبر فيها الضّمير وهو الخطر الجارف المستطير.

أيّتها الطّالبات، أيّها الطّلاب، ما أحرانا بزرع الأمل، وعسى أنّ الأمل يولِد في الصّحراء الاخضرار، ما أجدرنا أن نجمع تلك الأحجار المُعيقة، ونبني بها سلاليم للارتقاء، ما أجمل أن نكون في مستوى من قال "يا شباب الجزائر، كونوا أو لا تكونوا، وكذلكم أريدكم أن تكونوا كما تصوّرناكم في مستوى خدمة الأمانة؛ أمانة الشّهداء، فكونوا أو لا تكونوا".

أيّتها الطّالبات أيّها الطّلاب، أليس فيكم رجلٌ رشيدٌ؛ يهدي للتي هي أحسن في الصّمود والثّبات وبذل الذات، وفيكم من ينظر إلى قمم الأشياء، ومن ينظر إلى قِمَم الأشياء يُدركها وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم. أليس فيكم من يقول من أجل بلدي تهون قريتي؟ إنّ البلد هو المصير الذي ينتظركم، مصيركم في بلدكم، وبلدكم لا يرتقي في غيابكم. بلدنا يناديا وعهد الشّهداء يحاسبنا، وضمير الأمّة يُدلّنا، وعلى من نتّكل يا شباب الحاضر، على شباب مكتهل في شبابه أو على شباب متشبّب في زمانه.

إنّ الأمل غير مفقود، والسّعي إليه هو المودود، وكيف السّبيل إلى بذل ثقافة ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ

﴿مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ١١﴾ الرّعد. فيجب أن نُغيّر أنفسَنا لنُغيّر التّاريخ. تعالِ نبدأ بثقافة الأمل التي يصاحبها العمل، تعالِ نضع الخطوة التي تقرب الألف ميل، تعالِ نكون مرجعيّة في التّفاني، تعالِ لنبذر البذرة التي تكون شجرة، تعالِ نسق الشّجرةَ التي تُعطي الثّمرة.

هي دعوة أيّتها الطالبات، أيّها الطّلاب، من شخص لا يريد إلاّ التّرقي والتّطوير ضمن مرجعيات هذا الوطن الذي أعطى لنا الكثير، وما نقوم به من خِدْمات لا تُعادل ذرةً من ذلك الفيضان الخيري المغدق من هذا الوطن المعطاء. فأن نكون أحسن من أن لا نكون، فنكون جميعاً بما هو من مكنون الكون الذي به نكون. فيا أيّها الطّلاب تحمّلوا مسؤولياتكم، فأنتم النّخبة، ولا بدّ من التّخلّص من كلّ القابليات المُحبطة، ومن الأفكار المُسبَقَة، فعندما تسيطر عليكم تلك الأفكار المُحبطة تأتي الأصنام للعبادة، وعندما تغيب الأفكارُ الجميلةُ يحصل الانحطاطُ. وعليكم أيّتها الطّالبات أيّها الطّلبة أن تصنعوا التّاريخ، وهو لا يُصنع من الصّدف. فالتّاريخ ما يصنعه الطّلاب في أوطانهم.

كلمات في التنوّع الثقافيّ♥

ــ **الدّيباجة:** إنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة في إطار نشاطه العلميّ وبخصوص قانونه الذي يقرّ بالعمل على ازدهار اللغة العربيّة، فإنّه يُواكب الأحداثَ العالميّةَ وبخاصّة ذات العلاقة بالهيآت الدّوليّة. وفي هذا الإطار، فإنّه يحتفي باليوم العالميّ للتّنوّع الثّقافيّ لأوّل مرّة وهذا منذ إقراره من منظّمة الأمم المتّحدة سنة 2012م، وربطته بتاريخ 21 مايو من كلّ سنة. وفي ديباجة الأسباب التي ذَكَرَتْهَا مَطويّةُ الجمعيّة العموميّة لليونسكو، تقول: يأتي سنّ هذا اليوم لتأكيد النّسق الكونيّ للأشياء أحياناً مُتكاملة، وأحياناً مُتضادة، وكلّ عُنصر مُسيّر لما خلق له؛ رُغم تعقيدات تركيبيّة الطّبيعة الماديّة، واختلاف النّاس في ألسنتهم وفي قيمهم وهذا التّنوّع هو الذي أوجدَ أوجهَ التّكامل، وكان سبباً في الانتقال من السّكون إلى الحركة، كما أنّ سرّ فكرة الإنسان هو تحقيق التّوازن بين المتخالفين؛ وصولاً إلى تدبير التّنوّع في كلّ الأنساق. وإنّ دستور اليونسكو لسنة 1954م حمل مادّةً تُفيد أنّ التّنوّع في ثقافات العالم، والتّنوّع داخل الثّقافة الواحدة حقيقة لا غبار عليها، وهو تنوّع مثمر وخلاّق. وكان لا بدّ من: 1ــ حماية وإنعاش الثّقافات الوطنيّة ــ 2ــ تفعيل التّنوّع الثّقافيّ ــ 3ــ تمكين الأجيال للعيش معاً. 4ــ الاستفادة من كلّ الثّقافات. وقد توسّعت هذه المادّة في ما بعد إلى الأخلاقيات العالميّة الجديدة والالتزام بالتّعدديّة اللغويّة والإقرار بالخصوصيات وبقضايا الأقليات وفي ذات الوقت الاتّفاق الإيجابيّ في قضايا الشّأن العامّ العالميّ مثل: الاهتمام بالطّفولة والبيئة واللغات الأم والصّحة والتّعليم... ثمّ تواصل الأمر إلى الإقرار ببعض الحقوق من مثل الحقّ في الاختلاف، وقبول الرأيّ المضاد، والسّعي لتأمين التّوازن بين المجتمعات داخل المجتمع الواحد.

♥ــ ألقيت الكلمة في اليوم الدّراسي حول اليوم العالميّ للتّنوّع الثّقافي الذي سنّنه الأمم المتّحدة. المكتبة الوطنيّة: 17 جوان 2019م.

ــ لماذا يحتفي المجلس الأعلى للغة العربيّة بهذا اليوم العالمي؟ يأتي احتفاء المجلس بهذا اليوم في إطار الشّراكات التي أقامها مع اليونسكو، على غرار اليوم العالميّ للغة العربيّة+ اليوم العالميّ للغة الأمّ+ العيش معاً بسلام، ومختلف أشكال التّعاون العلميّ مع هذه المنظّمة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ فإنّ المجلس في قانونه يُناقش كلّ المسائل ذات العلاقة بالتّعدديّة اللغويّة، والتّلاقح الثّقافيّ، والتّرجمة والاقتراض اللغويّ، والتّنوّع الثّقافي والانسجام الجمعيّ، وكلّ ما يدخل في المادّة الثّالثة من الدّستور (يعمل المجلس على ازدهار اللغة العربيّة). وبذا يقع الاحتفاء بالمناسبة تجسيداً للتّنوّع الذي تعرفه بلادنا من خلال التّعدّد اللغويّ (عربيّة+ أمازيغيّة) تعدّد في الطّبيعة الجغرافيّة/ تعدّد في أشكال التّواصل/ تعدّد في السّلوك العامّ/ تعدّد في نمط العيش/ تعدّد في الشّعر الشّعبيّ/ تعدّد في الطّبوع/ تعدّد في إحياء المناسبات... وهي من الأشياء العاملة على تعدّد مُضيف؛ يجعل الهُويّة اللغويّة والحضاريّة والتّاريخيّة تترابط أكثر فأكثر، وتتراصَ المواطنةُ في بُعدها "**نختلف لا نُخالف/ الهدف واحد، والطّرائق مختلفة**". ولذلك في كلّ مرّة نحاول البحث عن الحلول الجامعة بدل تسلّق الأسوار، أو كسر أبواب النّصوص، وهذا بلسان قبول الآخر من مبدأ: **رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصّواب**، ولذلك نعمل على تقليب اللسان لتترقَ حواشيَه على ملكة النّقد التي تُثمر الامتدادَ في قبول الاستماع للرّأي المُضاد، وتحطيم قلاقل المتفيقهين، ودعم أسئلة الخطابات التّنويريّة في التّكوين والممارسة ولو بمقولة "بئس المبدأ ولا حبّذا المنتهى، بئس الاختيار ولا حبّذا القرار". ومن هنا نعمل على تحصيل مغالبة الإيجابيات للسّلبيات، بمبدأ التّربية لما أنت فهي مختار. وأملنا أن تكون محصّلة هذا اللقاء يخرج بنتيجة إيجابيّة نحو التّحوّل المستقبلي الجامع للتعدّد.

يعمل المجلس الأعلى للغة العربيّة على تجسيد المواطنة اللغويّة بما أوتيَ من أفكار، واستكناه تجارب الباحثين الذين يدعوهم لتقديم أفكار، وعرض تجارب ناجحة، واقتراح بدائل نوعيّة في إطار النّسق الجمعيّ الذي لا يُلغي الخصوصيات

بل يعمل على تقريب الخلافات، وإنّنا بحاجة إلى مرجعيّة ناجحة، وإلى كفاءة عالية "كفاية البحث العلميّ والتّربويّ، ثمّ الكفايات المهنيّة: كفاية التّخطيط/ كفاية تدبير التّعلّم/ كفاية تقويم التّعلّم. لا بدّ من المعاملة الطيّبة والإقبال على المتعلّمين ومحبّتهم، والإكبار بهم، والسّهر على مصلحتهم وتفهّم مشاكلهم ومسامحتهم ومساعدتهم، والتّمتّع بسحر الشّخصيّة وجاذبيتها، وأناقتها، وتقديم الدّروس بشكل جذّاب ورائق ومؤثّر، فإحداث الأثر الإيجابيّ في المتعلّم لا يصل إليه إلاّ كبار المدرّسين الذين يتعاملون مع شخصيّة المتعلّم في جوهرها وصفائها، ويحترمونها في أرقى معاني الإنسانيّة التي تحملها وعلى الأفق الممكن للنّموذج الذي نكوّنه ذهنياً عن المتعلّم الذي نريد، وعن الإنسان الكونيّ المستقبليّ الذي نتعاون على صناعته يومياً كلّ من جهته[1]".

ـ **سؤال النّهضة الغربيّة:** هو سؤال أريد به استكناه تجارب ناجحة في التّنوّع الثّقافيّ، ويقع التّركيز على أوربا؛ ليس كونها لها ثقافة مانعة أو مُحصّنة، أو لها خصوصيات لا تتوفّر عندنا، هذا موجود بالقوّة، ولكن أريد طرح السّؤال التّالي: كيف نهضت أوربا؟ وكان بدايتها من أواسط القرن X VI الميلاديّ، اهتمّت أولاً بالعلوم الإنسانيّة، وركّزت على موضوعات طرح قضايا: الحريّة+ التّعصّب+ التّسامح+ الاهتمام بالتّراث+ وخوض ميدان ثورة البُخار، وهذا باعتماد مفتاح التّطوّر في:

- إحياء التّراث الكلاسيكيّ، وكان موطنه في إيطاليا، فعملت على إحياء تراث الرومان؛
- موقع إيطاليا الذي جعلها على اتّصال بحضارات البحر الأبيض المتوسّط؛
- هجرة العلماء اليونان إليها من كلّ أوربا؛
- رعاية أمراء إيطاليا للآداب والفنّون؛

[1] ـ محمد باز، صحائف التّكوين، مدوّنة شاملة لكلّ ما يحتاجه مدرس اللغة العربيّة وآدابها تمثّلاً وعملاً، ط1. لبنان: 2015، منشورات ضفاف+ كلمة+ دار الأمان+ الاختلاف، ص 34-35.

- الحركة الإنسانيّة والنّهضة المعاصرة بصورة عقلانيّة؛
- نظرة إنسان العصور الوسطى إلى تخلّفه، وإلى ضرورة التغيير؛
- ضرورة إحياء العلوم الإنسانيّة، فهي باب العلوم؛
- إخراج الكنيسة من حدود الممانعات في الاجتهاد.

ولماذا كانت البداية بالعلوم الإنسانيّة؟ لأنّه إذا قوّمتَ الجانب الروحيّ/ الإنسانيّ يصبح الإنسان مبدعاً لا آلة وهذا لا يكون إلاّ بالجانب الثّقافيّ الذي يعرف كيفيّة استغلال مواطن الوسط بين الرّوح والمادّة. وإنّ النّهضة الأوربيّة تجربة إنسانيّة جيّدة وفذّة وخصبة، وكان محورها الإنسان في تقويم سلوكه قبل منتوجه الآليّ وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق التّراث اليونانيّ والرومانيّ ودرس دراسات وافيّة أخضعته للنّقد، واستلهام قيم وأفكار جديدة أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأوربيّة. وكان قيام النّهضة على اللغات الأوربيّة، وبخاصّة الإيطاليّة في المنطلق، ومع ذلك عملت على نقلة حضاريّة شهدت ثورة البخار التي لها نتائج نقل العالم الأوربي من التّخلّف إلى التّحضر. وإذا تحدثنا عن ثقافتنا العربيّة فإنّ عمادها اللغة العربيّة، فهل العربيّة الآن عاجزة أو تعجز عن قيادة حراك نهضويّ يدخلنا في عالم النّهوض المنشود؟ ليس ذلك مستحيلاً ولا ببعيد.

إنّ العرب استلهموا حضارتهم في جانبها الإنسانيّ بداية بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ الفلك والطبّ والرّياضيات والجغرافيّة، وكان العقل مُبدعاً مُنفتحاً على مَعارف مُتنوّعة، وكان ذلك من العظمة الاستثنائيّة التي ارتكزت على التّعبئة النّفسيّة بما صاحبها من فكر رياضيّ عن طريق حركة التّرجمة ووصلت مع نهاية القرن العاشر إلى نهايتها بعد أن استنفذت موادها، وبدأت الأعمال الأصليّة تظهر وتزداد. وكان توسّع الفكر العلميّ مُتمشياً مع انتشار الإسلام، واللغة العربيّة بصفتها لغة تواصل جديدة بامتداد كبير وصلت إلى الصّين، وأزاحت لغات كانت قويّة مثل السّريانيّة واليونانيّة. وذات الشّيء حصل مع بداية النّهضة الحديثة كانت بالعلوم الإنسانيّة، ومنطلقها الطّهطاوي+ الأفغاني+ محمد عبدُه... وهذا

الرّعيل قطع شوطاً كبيراً في عملية التّحديث في البنيات الفكريّة العربيّة العتيقة بفكر مستنير؛ عبر خلق توافق بين متطلّبات الحياة المدنيّة المعاصرة، وبين الدين الإسلاميّ وقيمه السّمحة، وكانوا يغرسون الثّقافة العربيّة الوسطيّة من خلال الشّعر العربيّ واللغة العربيّة؛ كون العرب كتلة قوميّة اغتنت بالتّأثير اللغويّ دون الذّوبان في فكر فارس أو تركمان أو هنود... فكيف الحال في وضعنا الذي نجد فيه العربيّة الحاملة لثقافة أصيلة متفتّحة لا تكون مُربيّة للتّنوّع الثّقافيّ، هذه اللغة التي قال فيها الفرنسي (لويس ماسينيون/ Louis Massignon) "اللغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة التّعبير العلميّ، وهي من أنقى اللغات؛ فقد تفرّدت في طرق التّعبير العلميّ والفنّي" ويقول الإسباني (كاميليو جوزي سيلا/ Camilio Gozy Silla) "إنّ لغات العالم تتّجه نحو التّناقص، وأنّه لن يبقى إلاّ أربع لغات قادرة على الحضور العالميّ وهي: الإنكليزيّة+ الإسبانيّة+ العربيّة+ الصّينيّة.

ـ **المواطنة والتّنوّع الثّقافيّ:** إنّ التّنوّع الثّقافيّ أداة معياريّة، وإرث ثقافيّ وإلزام أخلاقيّ باحترام الإنسان كلّ في لغته وصناعته وخصوصياته وفنونه، ومن هنا يستلزم تأمين حماية ثقافيّة تحول دون انقراض ثقافة أو لغة ما "فلا تكون المواطنة ناضجةً في فعلها المجتمعيّ والسّياسيّ إذا لم تكن على دراية بكلّ أوجه الاختلافات الثّقافيّة داخل النّسيج الاجتماعيّ[2]". المواطنة هي الثّقافة في مفهومها الجامع للسمات الرّوحيّة والماديّة والفكريّة والعاطفيّة التي تميّز مجتمعاً عن غيره وهي تشمل الفنّون والآداب وطرائق الحياة والحقوق والواجبات والأعراف والقيَم والتّقاليد والمعتقدات. كما أنّ المواطنة ترتبط بالثّقافة في إطار التّفاعل مع البيئة والثّقافة الأصليّة؛ حتى يعيش الإنسان ثقافته ويعمل على تطويرها. ولهذا كان علينا التّخطيط لثقافتنا الوطنيّة بما يعمل على تعدّد الاختصاص القائم على نظرية ثقافيّة معرفيّة، ولا بدّ من التّعامل مع الواقع في تعدّده وتعدّد أطرافه. وعليه فنحن

[2] ـ محمد مصطفى القبّاج، شذرات (نصوص ومداخلات حرّرت تحت الطّلب) ط1. الرباط: 2015، دار أبي رقراق للطّباعة والنّشر، ص 63.

مدعوون لتطوير البحث في مجال الثّقافة عبر مرجعيات مفاهيميّة وطنيّة مستمدّة من واقعنا الحضاريّ والثّقافيّ والدينيّ، ووضع إطار للمؤسّسات الفاعلة في هذا المجال؛ بسنّ سياسة ثقافيّة تتّسم بالجدّة وبالتّطابق مع الحاضر وآمال المستقبل، وأن تُصاغ سياسة ثقافيّة وطنيّة بصيغة استراتيجيّة إجرائيّة تحتلّ فيها الأفكار منزلة الصّدارة.

ـ **التّنوّع الثّقافيّ وجاذبيّة الواقع:** إنّ التّنوّع الثّقافيّ محليّ، وهو الذي يكسب مسحة المرونة والقابليّة للتّفتّح رفضاً للانعزال، والتّنوّع الثّقافيّ مربوط بالخصوصيات وبالعالميّة، وكان لا بدّ من وضع حدّ للهيمنة تحت أيّة ذريعة، وعدم المساس بالخصوصيات أو ما سمّته الفرنكفونيّة (الاستثناءات الثّقافيّة) ويقول (مولود قاسم) "لا نغلق النّوافذ، ولا نوصد الأبواب، ولكن لا نقلع السّقوف" كما قال (غاندي) "لا أريد أن تحيط بي الجدران والأسوار من كلّ جانب، لا أريد لنوافذي أن تُسدّ وتُوصد، إنّما أريد ثقافة كلّ البقاع أن تهبّ بنسماتها حول داري بأكبر درجة ممكنة، لكنّي أرفض رياح الثّقافة أن تعصف بقدمي بحال من الأحوال". وكان لا بدّ من الاستثمار في التّنوّع الثّقافيّ العالميّ كما ينصّ علها التّقرير العالميّ الذي صدر عن اليونسكو عام 2009، ورأيت أهمية ذلك، فأنقله للقارئ كما أورده (القبّاج):

- التّنوّع الثّقافيّ انشغال رئيسيّ في مطلع القرن الجديد؛
- التنوّع الثّقافيّ ليس مجرّد ميزة إيجابيّة ينبغي الحفاظ عليها، بل هو مورد يجب تعزيزه؛
- ثمّة حاجة إلى اتّباع نهج جديد إزاء التّنوّع الثّقافيّ؛ وهو نهج يراعي طبيعة الدّيناميّة وتحدّيات الهويّة مما يرتبط بدوام التّغيّر الثّقافيّ؛
- ثمّة اتّجاه عامّ نحو ظهور هويات دينامية مُتعدّدة الأوجه في سياق العولمة
- تشير الثّقافة إلى التّنوّع المبدع الذي يتجسّد في (ثقافات محدّدة) كما تشير إلى القوّة الدّافعة المبدعة التي تكمن في صميم التّنوّع في (الثّقافات)؛

– يقتضي الحوار بين الثّقافات تمكين جميع المشاركين فيه من خلال بناء القدرات، ومن خلال مشروعات تُعزّز التّفاعل دن إضاعة الهويّة الشّخصيّة أو الجماعيّة؛

– لا تعتبر اللّغات مجرّد أداة للاتّصال، فهي تمثّل النّسيج الحقيقيّ لأشكال التّعبير الثّقافيّ، وهي الحامل للهويّة والقيَم ورُؤى العالم؛

– ثمّة حاجة إلى حفظ التّنوّع اللّغويّ العالميّ كواحد من مستلزمات التّنوّع الثّقافيّ والتّرويج للتّعدّد اللّغويّ والتّرجمة بغية تعزيز الحوار بين الثّقافات؛

– في المجتمعات متعدّدة الثّقافات ومتزايدة التّعقيد يجب أن يمكن التّعليم من اكتساب كفاءات التّعامل بين الثّقافات؛

– إنّ عدم مراعاة أشكال التّعليم غير السّائدة من شأنه أن يؤدّي إلى تهميش الفئات السّكانية التي ينبغي للتّعليم أن يعمل على تمكينها؛

– إنّ من شأن الارتفاع في توريد المضمون الإعلاميّ أن يؤدّي إلى (تنوّع زائف) يحجب واقع أنّ بعض النّاس غير مهتمين بالتّواصل إلاّ مع من يشاطرهم نفس المرجعيّة الثّقافيّة؛

– يمكن أن نعتبر الإبداع الفنيّ –وجميع أشكال الابتكار التي تغطي مختلف جوانب النّشاط البشريّ– مصادرَ أوليّة للّتنوع الثّقافيّ؛

– تفيد البحوث التي أجريت مؤخّراً بوجود صلة إيجابيّة بين التّنوّع الثّقافيّ والأداء الماليّ والاقتصاديّ في الشّركات متعدّدة الجنسيات؛

– إنّ نهج التّنميّة الذي يراعي الفروق هو مفتاح التّصدّي للمشاكل الاقتصاديّة والاجتماعيّة والبيئيّة المترابطة التي تواجه كوكبنا؛

– إنّ التّنوّع الثّقافيّ والحوار بين الثّقافات عاملان أساسيان من عوامل توافق الآراء بشأن الأساس العالميّ لحقوق الإنسان والحكامة الدّيمقراطيّة".

ـ **الخاتمة:** نروم من هذا اللقاء أن يُسفِر على جملة مقترحات بخصوص موضوعه المهمّ (التّعدّد الثّقافيّ) في إطار تقديم ما يعمل على التّمازج دون التّصادم، والانفتاح دون الانغلاق، ويكون الاهتمام بلغاتنا الوطنيّة تفنيدا لمن يزعم بموت اللغات الوطنيّة، ومعناها موت الثّقافة الوطنيّة، ومعناها كذلك انقراض الذّاكرة الحضاريّة. وكان علينا السّعي لوضع تآلف وطنيّ من أجل التّنوّع الثّقافيّ وهي صورة المواطنة التي تبقى قائمة وثابتة رغم الصّعوبات في انسجام الأفكار.

رأي في تخطيط لغويّ للمواطنة اللغويّة♥

ــ **الدّيباجة:** إنّ المناسبة َجَلَلٌ وحدثٌ عالميّ كبير، وفي ضوء مقترح الجزائر حصل الإقرار بترسيخ الاحتفاء باليوم العالميّ للسّلم تحت بند (العيش معاً بسلام) وإنّي أفتقر إلى كلمات معبّرة عن هذه المناسبة التي نريد تجسيد ثقافتها في احتواء الآخر الذي يُقاسمنا الدّين أو الإنسانيّة أو الجيرة أو المصير المشترك. ويرى المجلس الأعلى للغة العربيّة أن يحتفي بملتقًى وطنيّ عنوانه (المواطنة اللغويّة ودورها في سبل تعزيز التّعايش السّلميّ بين اللغات الوطنيّة في الجزائر) وليست المرّة الأولى الذي يعمل المجلس على تجسيد ثقافة المواطنة اللغويّة، وقد سبق له أن أنجز أنشطة وندوات وملتقيات تمسّ هذا الموضوع، وقدّم فيها ومن خلالها وصْفات تكامليّة بالثّلاثيّ الذي كان يُرافع عنه **(بالمازيغيّة نَبْقى، وبالعربيّة نَرْقى وبالإسلام نُشكّل العروةَ الوثقى)** تلك وصفة نريدها أن تتبلور على صُعُد عديدة باستقدام كفاءات وطنيّة لتقديم أفكارها بخصوص التّرابط اللغويّ الوطنيّ المؤدّي إلى الانسجام الجمعيّ، ولا يكون إلاّ بتلك الدّراسات التي تأتي من المختصّين وهم اليوم معنا؛ يقدّمون تلك السّبل والطّرائق والمناهج التي تؤدّي إلى التّمتين اللغويّ المُفضي إلى التّعايش في إطار الاختصاص اللغويّ.

ــ **المقدّمة:** إنّ موضوعي الذي أعددتُه في هذا اليوم هو رأي يطرح تخطيطاً لسياسة لغويّة تعمل على الانسجام الجمعيّ في إطار تعدّدية لغويّة وطنيّة، وقد بصرتُ بها وأنا أشرف على أبحاث في التّخطيط اللغويّ، وكانت لديَ تجارب في هذا المجال، وأروم طرحها أمامكم باختصار، أمام بحثة ونخبة وطنيّة علّهم

♥ ــ كلمة أُعدت بمناسبة اليوم العالمي للعيش معاً بسلام (16 مايو من كلّ سنة) ويحتفي المجلس الأعلى للغة العربيّة بهذه المناسبة بعقد ملتقى وطني عنوانه 'المواطنة اللغويّة ودورها في تعزيز سبل التّعايش السّلميّ بين اللغات الوطنيّة في الجزائر). المكتبة الوطنية: 26- 27 جوان 2019.

يستفيدون أو ينتقدون؛ للوصول إلى تقديم أفكار مشتركة في تخطيطنا اللغويّ المشترك؛ لبناء منهج علميّ في تراتب اللغات الوطنيّة.

أيّها الحضور، ما دام الموضوع الذي تُدار أشغالُ الملتقى حوله هو (العيش معاً بسلام) أبدأ حديثي عن السّلم؛ فكلّ الدّيانات تحضّ على السّلم، وتدعو إلى تحقيق السّلام، وتُصلي من أجله وتحمل شعارات على شاكلة "**ليكن السّلام حليفك**" فالعالم اليوم في حاجة ملحّة إلى أن يسود التّعايش السّلميّ، وأن تعيش كلّ الشّعوب في سلام؛ بعيدة عن الحروب من أجل أن يُحُلّ السّلام والبناء والنّماء. وإنّ السّبيل إلى العيش في سلام هو محاربة (العدائيّة) و(التّطرّف) وترسيخ روح (المواطنة). ولتجسيد المواطنة لا بدّ أن يكون الحوار، وقبول الآخر للتّحاور وفق رؤى حضاريّة تؤدّي إلى **لا فرض ولا شرط إلاّ وفق مقتضى الأهداف الجامعة والمرجعيات الوطنيّة والحضاريّة والتّاريخيّة**. ووفق ذلك تحصل المواطنة في شكلها العاليّ تنظيراً وممارسة، وفق المساحة المشتركة التي تُحقّق السّلام الشّامل على ما يفهم الآن من الانسجام ومن الاستقرار. فالدّولة لا تنال غايتَها من الانسجام الدّوليّ إلا إذا تمتّع أفرادها بنعمة الأمن والطّمأنينة في ما بينهم. وعن طريق السّلم تحصل المواطنة، ولا تتحقّق المواطنة إلاّ بوجود الدّيمقراطيّة. ويقول أحد المفكّرين "إنّ السّلم عمليّة بِناء مُستمرّة، وهذا يعني أنّ السّلم لا يعني الهُدنة، فالسّلم يحتاج إلى وقاية، ووقايته تأتي عن طريق العدالة الاجتماعيّة، أي بتلبيّة الحاجات والمطالب وبتنميّة الثّروة وتطويرها، مادامت هناك دولة مستقلة تتمتّع بالسّيادة المطلقة". وعلى العموم يمكن اعتبار المواطنة مجموعة من القيَم والنّواظم لتدبير الفضاء العموميّ المشترك، ويمكن تحديد أهمّ تجلّياتها في أربع نواظم هي: الانتماء – الحقوق – المشاركة – الواجبات.

وأنتقل إلى **المواطنة اللغويّة** التي تجمعنا في اللغة المشتركة، وهي قسيمنا المختار من قبل الأجداد، بل إنّه اختيار استراتيجيّ مَرِن؛ حيث المازيغيون تعرّبوا وبقوا على مزوغتهم، والعرب تمزّغوا وحافظوا على عروبتهم، وكان من وراء

ذلك الانصهار الجمعيّ الذي أدّى إلى فتح الأندلس دون نكاية ولا شكاية، والكلّ وراء الفتح الإسلاميّ الذي اشتعلت فيه الآفاق من أجل الدين الإسلاميّ المصحوب بلغة العرب، وما لا يفهم به فهماً جيّداً يحتاج إلى لغة التّنزيل، وهي العربيّة العدنانيّة التي انصهر فيها الجميع بالمحافظة على الخصوصيات التي لا تُخلّ بالمواطنة اللغويّة التي تعني في أحد أوجهها ربط الفرد بدولته وبقوانينها، **وجميع أبناء الوطن يتمتّعون بتلقّي لغات الوطن دون أيّ تمييز، مع المحافظة على التّراتبيّة اللغويّة**، وهي من متطلّبات الثّلاثيّ العالميّ: الحوار+ التّسامح+ السّلام لتحقيق خريطة طريق تعمل على تحقيق التّخطيط اللغويّ المطلوب.

إنّ التّخطيط اللغويّ يستدعي رسم الأهداف ووضعه الآليات ليكون له محلّ في المجتمع «... ولأنَ التّخطيط اللغويّ يسعى إلى رسم الأهداف ووضع آليات ووسائل؛ للتّأثير في المجتمع لتوجيهه إلى أداء لغويّ معيّن، والنّهوض بالمنظومة اللغويّة، المكتوبة والمنطوقة، فلا بدّ أن يتوافر له جملة من العوامل التي تُعينه على رسم أهدافه، وتُصوّر وسائله وتُذلّل له العقبات، وتُمكّنه من القدرة على التّنفيذ الأمثل. ولأنّ تنفيذ التّخطيط اللغويّ يُسهم فيه جميع عناصر المجتمع، وجميع وسائل التّواصل الاجتماعيّ الرّسميّة وغير الرّسميّة، الفرديّة والعامّة التّقليديّة والتّقنيّة، فلا بدّ من الأخذ بعين الاعتبار سمات المُنفّذين، وقدراتهم، وحاجاتهم من التّعليم والتّدريب[1]» كما تكمن أهميّة التّخطيط اللغويّ في:

- تفكيك الخطابات الإيديولوجيّة؛
- السّعي لخلق جوّ لغويّ تكامليّ؛
- الدّعوة إلى إنزال اللّغات الوطنيّة المنزلة العليا؛
- عدم التّماهي مع اللّغات الأجنبيّة لتنافس لغات الهويّة؛

[1] – كلمة التّحرير من مجلة التّخطيط والسّياسة اللغويّة. الرّياض: 2017، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة، السّنة الثّالثة، العدد الخامس.

- التّنوع اللغويّ لا يشكّل التّفكيك الاجتماعيّ بقدر ما يُقوي اللحمة الوطنيّة؛
- استكناه التّجارب اللغويّة النّاجحة من خلال الأوضاع اللغويّة الثّنائيّة وأكثر؛
- تحفير المَعنيين إلى اقتراح أفكار تحسينيّة في مجال التّعدّد اللغويّ لمجتمع آحاد يملك منهجيات متعدّدة، وهدفا واحدا.

إنّ التّخطيط اللغويّ هو تدبير لغويّ Aménagement linguistique وبعض الغربيين يطلقون عليه مصطلح السّياسة اللغويّة، وهذا حسب طبيعة كلّ بلد وكلّ باحث، هو نوع من التّدخّل اللسانيّ في علاج الظّواهر اللغويّة برؤى مستقبليّة. ويعرّفه كالفي L.Calvet بأنّه «مجمل الخيارات الواعيّة المُتّخذة في مجال العلاقات بين اللّغة والحياة الاجتماعيّة، وعلى وجه التّحديد بين اللّغات والحياة في الوطن" ويقتضي وجود جماعة/ جماعات لغوية تهتمّ بوضع سياسة لغويّة ناجحة أو إحياء لغة بغرض استعمالها، أو العمل على إيجاد آليات التّعايش بين اللّغات الموظّفة في البلد الواحد، وهذا يقتضي وجود:

- تخطيط لغويّ إرادة سياسية هيأة تنفيذيّة+ وسائل ماديّة+ مدة زمنيّة محدّدة.
- تخطيط السّياسة اللغويّة، تعني الخيار الجمعيّ للمجتمع، وإحلال لغة/ لغات يرتضيها المجتمع.
- إحلال لغات البلد يعني الاهتمام بالتّنميّة البشريّة والتّنميّة الوطنيّة الثّقافيّة وتأمين الحقوق اللغويّة لجميع المواطنين مهما تعدّدت أعراقهم وتباينت ألسنتهم.

وفي كلّ هذا ستحصل الأهداف المتوخّاة من التّخطيط اللغويّ لتشارك العلاقات التّكاملية وفق التّعدديّة اللغويّة والتّنوّع الثّقافيّ، وفي التّعايش السّلميّ بين لغات الوطن والثّقافات المتنوّعة وإيجاد العلاقة بين اللّغة/ اللّغات والممارسات الثّقافيّة الواعيّة، وربط الثّقافة بتكامل شخصيّة الفرد والتّنميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة وحقّ المواطنة اللغويّة في المؤسّسات الوطنيّة. وكلّ هذا يستدعي سنّ قوانين ومتابعة تطبيقها مع المُستتبعات التّاليّة:

- تعزيز التّعاون بين المؤسّسات الوطنيّة في المجال.

- توفير الدّعم الماديّ الكافيّ للتكامّل اللغويّ.
- تطوير سبل التّخطيط اللغويّ في مستّجدات العصر.
- حماية التّراث اللغويّ والثّقافيّ الوطنيّ، وإبراز دوره في الهُويّة الوطنيّة وفي إثراء شخصيّة الانسان الجزائريّ.
- التّحسيس بأهميّة الاهتمام باللّغات الوطنيّة عبر النّدوات والملتقيات والمنشورات والمسرحيات.

وكلّ هذا يستلزم العماد الأساس في الوعي المجتمعيّ والفردي لمسألة اللغات ومن ثمّ القرار السّياسيّ. كما يتبع بجملة من الخصائص الفنيّة، وهي:

- حركة التّرجمة البينيّة السّريعة والمبكرة؛
- تضافر كلّ الجهود لخدمة المواطنة اللغويّة؛
- تعزيز الثّقة في اللغتين، والرّفع من قيمتهما الحضاريّة والتّاريخيّة؛
- تدريسهما تدريساً معاصراً؛
- بثّهما في وسائل التّواصل المختلفة، مع تطبيقاتهما المتنوّعة؛
- تعزيز المبادرات الفرديّة التي تصدر من المتخصّصين في مختلف العلوم.

ـ **حالة الجزائر:** لا شكّ أنّ ثمرة التّخطيط اللغويّ تظهر بتكامل المعرفة بين المخطّطين والمنفّذين الذين يجب أن تتوفّر فيهم شروط التّنفيذ؛ لتحقيق الغايات المطلوبة وفق معطيات مسطّرة. وهنا لا بدّ من الإقرار في وضعنا اللغويّ بما يلي:

- الخصوصيّة اللغويّة في الجزائر؛
- خروجها من الاستعمار الجائر؛
- فرض المستعمر للغته في التّعليم وفي الإدارة وفي كلّ المرافق العموميّة؛
- شساعة الجزائر جغرافياً ولغوياً؛
- تعدّد الأداء المازيغيات بشساعة البلد؛
- تعدّد الثّقافات والممارسات اللّغوية؛.
- التعدّدية اللّغوية موروث قديم؛

- ظهور صراع لغويّ بين: معرّب/ مفرنس - معرّب/ ممزّغ؛
- تذبذب سياسة التّخطيط اللغويّ والتي شابها بعض الضّعف في التّطبيق والممارسة وظهور ثغرات أدت إلى خلل لغويّ. ومع كلّ ذلك، فإنّ العلاقات الاجتماعيّة جيّدة، بل تكاتفت وتمكّنت رغم أنّ بعضاً من النّخبة كانت تنظر إلى سياسة التّعريب بعين الريبة وترى بأنّها سياسة قوميّة عربيّة في إطار اجتماعيّ جزائريّ له خصوصياته.

ونظراً للتّكامل اللغويّ كان من اللزوم تخطيط سياسة لغويّة للغات الرّسميّة وفق تراتب عربيّة تحتاج إلى تجسيد قرارات استعمالها في مختلف مراحل التّعليم والإعلام والإدارة وفي كلّ مناحي الحياة. والمازيغيّة تحتاج في البداية إلى:

- التّهيئة الأوليّة للغات المازيغيات؛
- معرفة قضايا القصور اللغويّ فيها؛
- معرفة القرارات اللغويّة العاليّة لكلّ أداء؛
- التّعرّف على الحالات اللغويّة المستعصيّة والعمل على حلّها؛
- تخطيط لغويّ متين على الآماد الثّلاث: مستعجل- متوسّط- طويل؛
- وضع آلية فاعلة للتّقويم والتّقييم والمتابعة؛
- ضمان استمراريّة عمل الجهات المعنيّة بالتّخطيط؛
- وضع حوافز للجّهات المنتجة والمنفّذة بُغية المزيد من الإنتاج والتّحسين.

وبكلّ هذا، يمكن تحقيق **مواطنة لغويّة** تعمل على تحقيق السّلم في إطار الانسجام الجمعيّ ووفق خريطة أجدادنا الذين أبدعوا في العربيّة، وما تناسوا المازيغيّة. تلكم وصفة نعمل على تحقيقها وفق قوانين الجمهوريّة، وتطلّعات النّخبة الوطنيّة وعموم الجزائريين. وهكذا فإنّ الأجداد لم يقوموا بقمع اللّهجات، ولا فرض لغة ما، بل حصل تمازج تلقائيّ بين: الإسلام والعُرُوبة والمُزُوغة، وقد حصل فيها قانون الغلبة عبر تساكن اللغتين (2) تراتبياً "لم يوظّفوا القسر أو القهر في سياستهم اللّغوية، فظلّوا مُتعدّدين مُتوحّدين مُتماسكين، ولم يستطع المُستعمر فكّ هويّتهم

المُركّبة[2]". فكان قلب المواطن الجزائريّ مع لغته؛ تسكنه دائماً، وقد يكون ضدّها إذا كانت لا تخدمه، وتكون قد ماتت، فإن ماتت لغته مات وانطفأ، ولم يحصل هدا أبداً، لأنّ كلّ مواطن يعرف أنّ كلّ دولة تحيا بلغاتها؛ وهي سيادتها واستقلالها ولذلك حافظ الجزائريّ على لغتيه وتفانى في خدمة التّراتبيّة اللغويّة. وعليه، فإنّ استعمال **لغتين رسميتين في الدّولة الجزائريّة** هو تنوّع ثقافيّ خلاّق؛ يُكسِب مسحةَ المرونة البينيّة، والقابليّة للتفتّح الوطنيّ والعالميّ، ورفضاً للانعزال. وكان علينا أن نسعى لوضع تآلف وطنيّ من أجل التّنوّع الثّقافيّ في مفهوم الثّقافة الوطنيّة؛ وهي جميع السّمات الرّوحيّة والماديّة والفكريّة والعاطفيّة التي تُميّز مجتمعاً عن غيره وهي تشمل الفنّون والآداب وطرائق الحياة والحقوق والواجبات والأعراف والقيَم والتّقاليد والمُعتقدات. وكان علينا التّخطيط للثّقافة الوطنيّة بكلّ أطيافها وأنماطها بتخطيط علميّ يُبنى على تعدّد الاختصاص، ويقوم على نظريّة ثقافيّة معرفيّة، مع استشراف كلّ التّوجّهات القادمة التي تزيد في تمتين الوحدة الوطنيّة. وإنّه:

- ليس عيْباً أن نبحث في تراثنا ونستكنِهُ محاسنَه، بدل أن يأتينا من الغير؛
- ليس عيْباً أن يقع التّلاحم الوطنيّ بالاعتراف بالهُويات اللغويّة في الجزائر؛
- تحتاج المازيغيّة إلى التّحبيب والتّسهيل، ولا يخدمها إلاّ الباحث/ المُبدع المُضيف للمكنز الوطنيّ المُكتسب؛
- تحتاج المازيغيّة إلى التّكامل مع العربيّة، لا إلى التّناحر أو التّصادم؛
- تستفيد المازيغيّة من سرعة الإدماج الوطنيّ في حال التّواصل بينها والعربيّة؛
- المازيغيّة والعربيّة لسان حال هذا البلد، فلا بدّ من التّعدّديّة الاستعماليّة المُزدوجة، بدل التّعدّدية المُتقابلة؛ لأنّ التّعدّديّة المتقابلة تفتح المجال للغة الأجنبيّة وقد تُشْعِل حربَ اللغات؛

---

[2]ــ الفاسي الفهري، السّياسة اللّغويّة في البلاد العربيّة، ط1. ليبيا: 2013، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ص 7.

- التّكامل اللغويّ؛ يعني العمل بفِعْل السّلف، فهم لم يَخطَؤوا في استراتيجيّة الاختيار اللغويّ.

وَحْدَة الجزائرِ وتعزيزُ الهويّةِ الوطنيّةِ♥

ــ **الدّيباجة:** إخواني في البداية كان المجدُ؛ مجدُ العظماء الذين لا يموتــون وإن أصبحت أجسادُهم رموساً، مجدُ سطيف الكبرى التــي حملــت مشــعل الحركــات الوطنيّة سطيف (سعّاد بوزيد) الذي حمل الراية الوطنيّة لإعلان الاستقلال، سطيف العاليّة بعلمائها الذين أبهروا العالم بمنتوجهم السّابق أوانَه، سطيف المشهورة برحلة العلماء الذين يقودهم السّكلاوي إلى المشرق سطيف الفُضيل الــورثلاني والبشــير الإبراهيمي. فإذا ذكرنا سطيف نتذكّر بني ورثلان التي تملك كنوز الأجداد نتــذكّر أمجادَ بجاية من الغبريني صاحب الدّراية إلى صالح البجــاوي الجزائــري الــذي أحدث ثورة فكريّة في الشّام، وأسّس لهم المكتبة الظّاهريّة، سطيف العظمة بشهدائها في الثّورة التّحريريّة الذين سالت دماؤهم في سبيل الــوطن، وأرى فــي المدينــة جدارية كبيرة تحمل أسماء عبد الحميد حمادوش سي حمود مني... وفي كلّ مدينــة وقرية تجد جدارية شارع الشّهداء في عين الكبيرة شارع الشّهداء، وشــهداء بئــر حدادة... شهداؤنا الذين نحتفي اليوم بالذكرى السّابعة والخمسين للاستعادة الــوطن من مدمّر فرنسي سرش؛ حاول جاهداً أن يلغي فينــا كــلّ التّميّــز والخصوصــيّة مستدمر يزرع الفتن في أيّ بلد دخله دمّره. ولكن قضــى الله أن يكــون الشّــهداء والمخلصون على يقظة تامّة أنّ الجزائر لن تكون فرنسا، ولا تكــون فرنســا، ولا تستطيع أن تكون فرنسا، ولن نصافح الفرنسيين. وهذا شباب الحَراك يقول: بتنــوّع ثقافيّ يحصل الانسجامُ الجمعيّ لجزائر واحدة، وهويّة واحدة، نعــم للاخــتلاف لا للخلاف في جزائر حديثة. وقال شهداء الواجب الوطنيّ في مفاوضــات إيڤيــان "لا تسامح في شبر واحد من هذه القارة الشّمال الرّجل اليمنى للجزائريين، والجنــوب

♥ ــ أُلقيت المحاضرة في قاعة المحاضرات (رابح بيطاط) بعين الكبيرة. ولاية سطيف بتاريخ: 6 جويلية 2019. بمناسبة إحياء الذكرى المزدوجة لعيدي: الاستقلال والشّباب.

الرّجل اليسرى للجزائريين، فالحريّة تُؤخذ ولا تقبل التّجزئة وستندبنا أمهاتُنا إذا قبِلنا التّجزئةَ". وقال مجاهد شهيد "الجزائر قطعة زجاج؛ فحيثُ حدثَ كسْرٌ في أيّة منطقة من الزّجاج يحدث ذاته في كلّ الزّجاج". الجزائر وَحْدة واحدة ليست للبيع ولا للتّجزئة. وكلمتي تصبّ في هذا المجال كما عنونتُها **(وَحْدَةُ الجزائرِ وتعزيزُ الهُويّةِ الوطنيّةِ)**.

1ــ سؤال المناسبة: إنّه لحدث كبير أن نحتفي بمناسبتين عظيمتين هما: عيد الاستقلال+ عيد الشّباب، وعلامة الجمع بين المناسبتين ليست فارقة، بقدر ما هي جامعة؛ جامعة في أنّ الشّهداء قَضَوْا وهم شباب، وأنّ المجاهدين آنذاك في مرحلة الزّهور، فمن تحمّل الأمانة هم الشّباب. شباب نراهم اليوم قدوة في التّحضّر والعمل على الانتقال إلى الدّيمقراطيّة بوسائل التّحضّر، وبكلّ وعي يقول: لا قبايليّ ولا عربيّ ولا شاويّ ولا شلحيّ ولا صحراويّ... كلّنا جزائريّ؛ في الجزائر التي تحتضن الجميع. أمّنا الجزائر، نريد خدمة بلدنا لسيادة القانون وسلطة التّشريع والمساواة في المواطنة، وخدمة الوطن واجبة وفرض عين مجبرة... شباب طافح ينشد التّغيير نحو الأحسن فأَنْعِمْ به من شباب في عيد الاستقلال والشّباب!

2ــ سؤال الهويّة في هذا الوقت: الهويّة هي مجموعة مواصفات ينماز بها الشّخص عن غيره، فأنت خارج الوطن تقول: أنا جزائريّ، وفي الجزائر أنا من منطقة فلانيّة/ من ولاية فلانيّة وداخل الولاية تنتمي إلى الجهة/ القرية، وفي القرية إلى العشيرة/ القبيلة... تلك هي مواصفات تظهر انتماء الشّخص في البلد/ القارة/ الجهة... وتذوب كلّها في إطار العوامل التي تجمع النّاس (المشترك الجامع). وإنّه من الضّروري أن نفتح باب النّقاش في مسألة الهويّة لكن لا تكون على حساب البحث عن العِرْق، ولا البحث عن الأصيل والأجنبيّ، ولا البحث عن نظريّة العودة إلى حيث كان أجدادك، فهذه مسائل زئبقيّة لا يمكن القبض عليها بفِعْل الحركات التي تحدث للبشر من مثل: الانتقال+ التّصاهر+ الجيرة+ الزّواج من غير ذات الجنس+ تبنّي الدين... فالمسائل من هذا النّوع من المحاذير والتي تُسبّب الفراغات

بين المُجزّءات، كما تُسبّب القلاقل للمجتمع بدل أن ينحو نحو التّنميّة، فيبدأ في سؤال: من أنا؟ من أنت؟ من أيّ البلاد أتيت؟ تُرهات تُؤدّي إلى استهلاك الوقت الثّمين، وقد استهلكنا الوقت الضّائع على كلّ المستويات، ومن ورائها بقيعة لا تروي العطشان. ولتكن مراجعنا الغرب الذين تقدّموا وعالجوا هذه المسالة بحكمة **التّرْك**، وأجدادنا عالجوا المسألة وقالوا: "**دعْها فإنّها مُنتِنَة**" وكان علينا غلق باب البحث في هذه المسألة لصعوبة تقدير العواقب، أو توجيهها وجهة تدميريّة.

ونحن في مجتمعنا الجزائريّ لم نعرف إشكاليّة في المسألة إلاّ بما زرعته فرنسا في هذا الأمر البربر والعرب والعرق والأجنبيّ واللغة الأجنبيّة اللغة العلميّة والتحضّر... وهي أفكار استدماريّة أُريد لها البقاء في دائرة الانطلاق التي سُيّجت بالحديد. وأشهد على نفسي من خلال قريتي في منطقة القبائل، وعندما نتحدّث عن أنفسنا نقول: **نَكْني أَسْوَاعْرابانْ/ نحن العرب** ونفتخر بذلك وليست معرّة ولا مذمّة إلاّ في تسعينيات القرن الماضي حيث بدأت معالم التنكّر لهذه المسكوكة وأصبحت تُعدّ من المَذمّة وتلحق ناطقي العربيّة لا من مستعملي القبائليّة.

3ــ ضرورة إبعاد المسألة اللغويّة عن الأدلجة: إنّ الأصل في العلاقة بين مُكوّنات الهُويّة الوطنيّة الجزائريّة (العربيّة، الأمازيغيّة، الإسلام) في علاقة تكامليّة، لذلك لا يوجد صراع في القضيّة، ومن هنا نريد أن يرقى الخطاب في المسألة إلى علاج مظاهر التّخلّف، ومعالجة قضايا التّعدّدية التّكامليّة في ظلّ بلدنا الجزائر الذي يجمعنا، وتنوّعنا قوّة لنا. وعلينا تدبير هذا التّنوّع بإرادتنا ودون ديماغوجيّة أو تدخّل من الأجنبيّ، ودون الاعتماد على مرجعيّة اللغة الفرنسيّة كلغة آحاد كي لا تغرينا هذه اللغة بما لها من مكانة في مجتمعنا بفعل الاستعمار الذي غرسها فيها كما قالوا فيها "**غنيمةُ حربٍ**". يبقى التّحديّ في صنع الذّات الوطنيّة بهويّة مشتركة قائمة على الجمع والتّفاني في خدمة الوطن بلغاته الوطنيّة، **فلا تقدّم لأمّة دون الاعتماد على اللغات الأمّ.**

4ــ إنّ الانصهار والتّداخل والتّفاعل أدّى إلى الذّوبان الجمعيّ بين من يسمّون العرب والبربر وهذا منذ أزيد من خمسة عشر (15) قرناً، ونتج مجتمعٌ موحّدٌ يحمل صفات مشتركة بتنوّع لغويّ وثقافيّ، وبرُؤى مشتركة ومصير مشترك، وهذا في ظلّ سماحة الإسلام والتّاريخ المشترك الذي أوصلهم إلى فتح الأندلس، وحملوا رسالة الإسلام بلغة الإسلام إلى العالم كافّة. وانْمَحَت الهُويّةُ العرقيّةُ، ولم تعدْ تُذكر أو مشكلة تُحمل. وكان الجزائريّون يقولون: "**نحن أمازيغ عرّبنا الإسلام**" وهذا ليس تنصّلاً للهُويّة المازيغيّة بقدر ما كان ذلك اختياراً استراتيجياً للمازيغيّين الذين لم يذوبوا مع اليونان والفندال والإغريق/ البيزنط، ولم ينتموا لمنظومتهم الحضاريّة ولكنّهم تماهوا مع العرب أيّما تماهٍ.

5ــ وَحْدَة الجزائر: من باب التّذكير؛ فإنّ مسألة الوَحْدَة الوطنيّة متّفق عليها والاختلاف يحصل في منهجيّة الوصول إلى ترقيّة نقاط التّشارك، وهذه نقطة لا تفسد للودّ قضيّة، فرأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصّواب وعندما يحصل الحوار البينيّ سنصل إلى القواسم المشتركة التي نعضّ عليها بالنّواجد، فما هي القواسم المشتركة؟

1/5ــ جغرافيّة البلد: وهو الشّيء الذي لا يقبل المساومة أو الاقتطاع أو الاختلاف أو الكونفدراليّة أو مُراعاة الخصوصيّة الثّقافيّة التي تُلغي الإجماع.

5/ 2ــ اللغة المشتركة الجامعة: وهي منْ بدهيات الأمور، ولا تُلغي اللغةُ المشتركة اللغاتِ الدوارجَ أو المحلّيات أو تلك اللغة التي تُقضى بها المصالح المرسلة.

3/4ــ العلم الوطنيّ: وهو الرّمز الجامع الذي له مقامه التّقديريّ إلى جانب النّشيد الوطنيّ.

5/ 4ــ الدّستور: سلطة واعيّة تحمّل المواطن الواجبات والحقوق، وما يحتاج إلى سلطة تشريعيّة وتنفيذيّة.

5/5ــ سلطة القانون المنبثقة عن المؤسّسات التي تحرص على أداء الواجب قبل المطالبة بالحقوق.

6/5ــ التّساوي في الحقوق والواجبات: وهي من سُلطة المواطنة، أو دولة المؤسّسات بما يجب أن تعرفه من الفصل بين السّلطات.

6ــ الهُويّة الوطنيّة: يحدّد الباحثون أركان الهُويّة في الآتي: المنطقة الجغرافيّة+ الجنس+ اللغة+ التّاريخ الوطنيّ+ الثّقافة المحليّة+ الدين. ونرى متعلّقات الهُويّة كثيرة، وكلّما كانت للوطن هُويّة واحدة حافظ على انسجامه ومطامحه. فالهُويّة يقصد بها ذلك الوعاء الوطنيّ الكبير الذي يعترف ويوثّق ويستوعب كلّ طوائف ومُكوّنات المجتمع، ويخلق منه وبه كياناً كبيراً وقوياً يمثّل الجميع ولا يُقصي أو يُلغي أحداً، بل يُقويّه ويُنميّه داخل الإطار الوطنيّ العامّ الذي يُقوي كلّ مكوّناته، ويصنع نقطةَ تلاقٍ وانطلاقٍ واحدةٍ لتحقيق أهداف مشتركة ويمكن أن نعتبر الهُويّة الوطنيّة دستوراً غير معلن؛ يتجسّد في أبناء الوطن في اعتناقه وتطبيقه وجدانياً ونفسياً، ومكوّنا قانونياً وثقافياً ومرجعياً. وعبقريّة الهُويّة تتمثّل في قدرتها على تحويل التّعدّد والتّنوّع الطّبيعيّ للمجتمع إلى ثروة وطنيّة للتنميّة، وتحويل الصّراع إلى احتشاد مُنظّم نحو بوصلة وطنيّة واحدة وكذلك نزع فتيل المفجّر النّفسيّ الحامل للخوف والتّقوقع حول الذّات إلى طاقة إيجابيّة وقوّة نفسيّة منتجة للأفكار، تعمل على تنميّة الوطن.

1/6ــ الهُويّة والآخر: يجب الإقرار بأنّ من بين ما تُعنيه الهُويّة تنظيم رغبات النّفوس ودفعها إلى الخروج من الأنا واستبداد الرّأي، وعبقريّة الهُويّة الوطنيّة العمل على تحقيق الأهداف العليا للوطن، وذلك ما يدفعها إلى التّركيز على صلب اللغة والتّراث المشترك والقيَم الجامعة التي تعمل على الوصول إلى أهداف مستقبليّة واحدة. ولا ينفي ذلك الاعتراف الكامل بكلّ المكوّنات الموجودة في المجتمع، وحقّها الكامل من المواطنة الحقيقيّة والمتساويّة في الحقوق والواجبات مع الجميع بالاستناد إلى الوجود التّاريخيّ والقيَم الإنسانيّة العالميّة كالحرية والتّسامح

والإخاء الإنسانيّ والعدل والمساواة والتّراحم وحماية حقوق الإنسان والتّعايش السّلميّ وتعزيز الحريات الخاصّة والعامّة وإعلاء وتمكين وتطبيق القانون بما يضمن الأمن والاستقرار المجتمعيّ. ويتجلّى كلّ هذا في ممارسة الشّعائر والحفلات الدينيّة والمواسم العامّة والخاصّة وحفظ الموروث الثّقافيّ والعاداتي وكلّ ما له خصوصيات تخصّ مجموعة ما؛ ضمن الموروث الذي لا يسبق الجماعة ولا يلغي الأغلبيّة.

2/6ـ الهُويّة الجزائريّة وتحدّيات العصر: إنّ الهويّة الجزائريّة قائمة ولكنّها ليست نمطيّة ويتطلّب منّا الوقت الحاضر تمكين نقاط الاتّفاق، وترميم النّقاط التي مَسَخَها المستدمرُ الفرنسيّ لطمس هُويّتنا بتلك النّعرات الجهويّة. وهي من تحدّيات الجيل الحديث، بل من المعركة الفكريّة التي يجب أن تقودها النّخبة العضوة والشّباب الطّموح لإعادة تشكيل وبناء هويّة جامعة. ونقف في هذه المحطّات الكبرى التي تحتاج إلى تفعيل:

2/6ـ1ـ فتح النّقاش حول ملف الهُويّة داخل المجتمع والدّولة، بحيث يكون تناوله رافعاً للبناء والاستقرار والنّهوض، وبعيداً عن الاشتباك والصّراع الأيديولوجيّ والدّينيّ؛ فالتّعاطي مع قضايا الهويّة باعتبارها بوابةً لبناء الجسور بين مُكوّنات المجتمع الجزائريّ.

2/6ـ2ـ ضرورة تدخّل النّخبة الوطنيّة بما تنتجه من أفكار توجيهيّة والمرافقة الفكريّة في التّحوّل الدّيمقراطيّ. وتدخّل النّخبة يعني في صالح بناء الدّولة المدنيّة الحديثة التي تُعدّ خلاصة الفكر النّخبويّ العامل على تناغم جمعيّ يحقّق الصّالح المشترك، وبطبيعة الحال يخطّط لكلّ الاستحقاقات التي يؤكّدها بناء القيم بحتميّة إنجاز مشروع بناء الهُويّة الوطنيّة الواحدة والجامعة لكافة مُكوّنات المجتمع كأساس وخطوة أولى في بناء الدولة الحديثة.

2/6ـ3ـ البداية ببناء مسارات الهُويّة الجامعة بسلطة الدّستور والقانون الـذي يعلو فوق الجميع، واعتبار الهُويّة الجزائريّة مِضماراً ذا مسافات مُتعـدّدة: ثقافيّـة واجتماعيّة وسياسيّة.

2/6ـ4ـ فهم التّحوّلات المعاصرة، وربطها بما يعمل على تحقيق معادلة الأنا والآخر ومعادلة العولمة والخصوصيّة.

7ـ المجلس الأعلى للغة العربيّة وعوامل دعم الهُويّة الجزائريّة: نقـدّم لكـم صورة عامّة عن مرتكزات الهويّة الوطنيّة التي يعمل ضـمنها المجلـس، وهـي صورة ليست نمطيّة، بل تعتمد الآتي:

1/7ـ تأكيد فعل الأجداد: وهي المحافظة على المرتكزات القديمة لفعل السّـلف الصّالح بالجمع بين الدين والعربيّة والمازيغيّة، وخرجنا بمأثور **(بالمازيغيّة نبقى وبالعربيّة نرقى وبالإسلام نشكّل العروة الوثقى)**. وقال عبد الحميد بـن بـاديس "لولا العرب ما انتشر الإسلام، ولولا العربيّة ما فُهِمَ القرآن ولولا هذان لانقطعـت سلسلة المدنيّة؛ فالعرب والعربيّة شكرهما فرضٌ على الإنسانيّة[1]".

2/7ـ الاهتمام القويّ بالثّقافة المحليّة: وهي صنو اللغة الجامعـة، بـل تكمّـل المواطنة اللغويّة في انسجام جمعيّ تكامليّ لا تصارعيّ، فلم نشهدْ صِراعاً لغوياً قد حدث في ما مضى من الزّمان بل عرفنا تناسقاً وعولمة للعربيّة بخطّها الذي تنبّتْهُ كلُّ اللغات الأفريقيّة، واللغات الشّرقيّة التي تماهت في الخطّ، وأبدعت في أنواعـه وفي زخرفته، وأنتجت مدارس عالميّة في فنون الخطوط العربيّة.

3/7ـ التّربيّة الأسريّة الرّشيدة: وهي باب بناء رجل الغد الذي يُقرّ بـالاختلاف لا بالخلاف ويُقرّ بالتّنوّع، ويحترم الآخر، ويسمع له ولو يُخالف الرّأي.

[1] ـ الآثار لعبد الحميد بن باديس، الجزء 6، ص 361.

4/7ـــ التّعليم الذي يجمع بين الأصالة والمُعاصرة: وهو صنْوُ نجاح مدارسنا. فأنْ نقلع نفوسنا عن محيطنا نكون تابعين، وأنْ ننغلق عن الآخر ننقرض، ولا بدّ أن ننفتح بحذر كما قال مولود قاسم "نفتح النّوافذ والأبواب، لكن لا نقلع السّقوف.

5/7ـ بناء إعلام متطوّر يحافظ على الثّوابت: وهو قسيمنا المعاصر الذي تعود للإعلام سلطة القرار في ما يحمله من السّلطة الرّابعة، والسّلطة الخامسة، وقوّة الانتشار.

6/7ـ اعتماد القوانين والعادات والأخلاق المحليّة التي تتمشّى والدين والأخلاق: وهذا موجود في قيَمنا وفي موروثنا القديم، والأحرى أن نُحيّنه بناءً على المستجدّات. فتشترك مناطقنا في اللباس والأكل والاحتفائيات، وفي عادات الزّواج وفي النّشاط الاقتصاديّ... ولا يجب أن نقطع هذا، بل علينا تثمينها وهي إسمنت الوحدة الوطنيّة. وهذا دلالة كبيرة على أنّ الانصهار الفعليّ حدث، وأنّ الحديث عن الهُويّة مشكلة أو عائق لم تكن مطروحة على المستوى الشّعبيّ، فقد عرف المجتمع المغاربيّ في عصوره الزّاهرة، والمجتمع الجزائريّ في مغربه الوسيط والشّعب الجزائريّ/ الأمّة الجزائريّة ومنذ الفتوحات الإسلاميّة تناغماً بين عناصر الهُويّة، فشكّلت تنوّعاً لغوياً مُوحِّداً للشّعب الجزائريّ.

7/7ـ إبراز الجوانب المُضيئة في حضارة العرب والمُسلمين: ويبدو لي أنّ العصر الحاضر أراد تقليب المفاهيم وتسليط كلّ نقيصة على العرب ولغة العرب والإرهاب لصيق بالعرب وبالإسلام... فكان علينا الحديث عن الفتوحات الإسلاميّة وعن العرب خارج مواطنهم، وعن ازدهار الأندلس، وما قدّمه العربُ لأوربا من تنوير لفكرهم، ولولا العربُ ما عرفوا القاعدة الصّناعيّة، ويقرّ بها الغربيّون النّزيهون المُخلصون لعظمة العرب ولغة العرب. وإليكم بعضاً من ذلك الإقرار. واقرؤوا الكلمات التّالية: **من خادمكم المطيع جورج الثّاني ملك انجلترا سنة 1028 من ميلاد المسيح.**

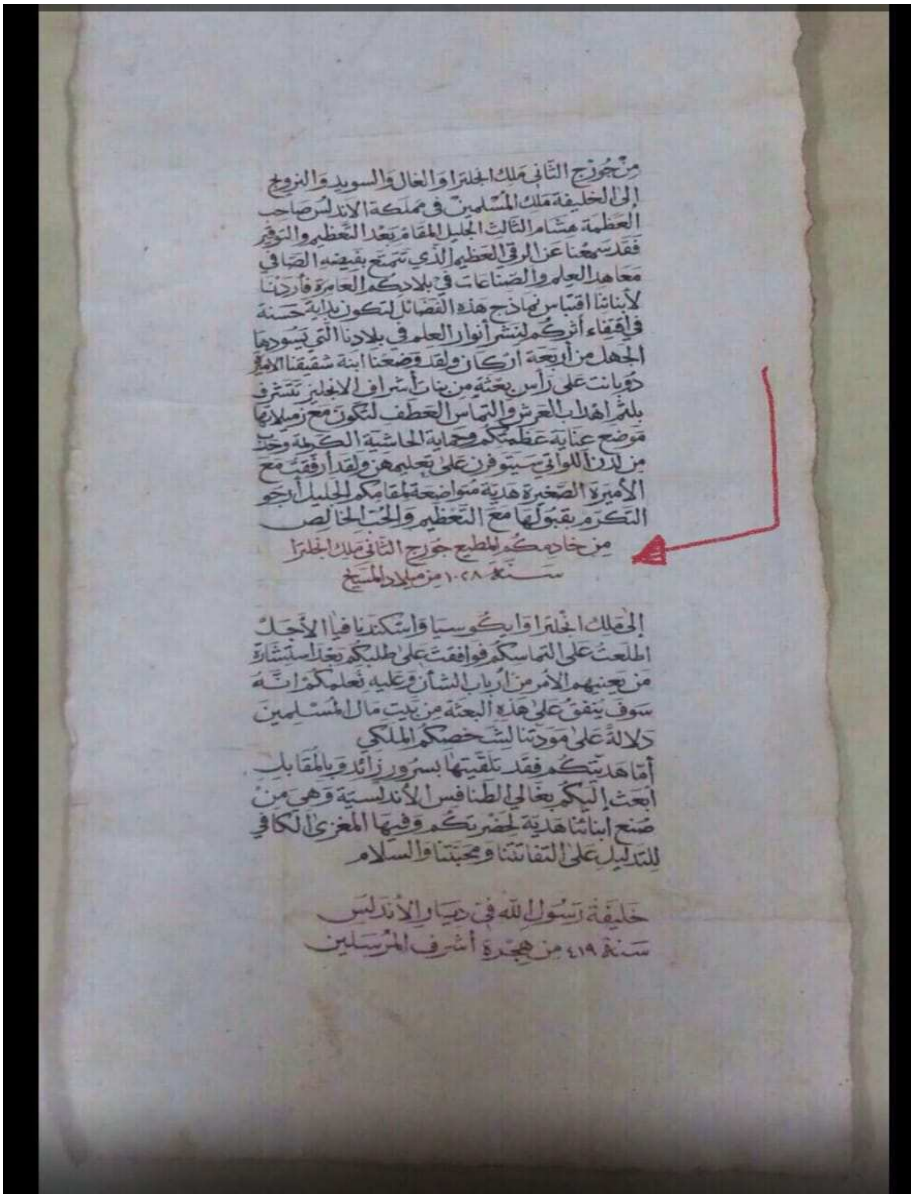

من جورج الثاني ملك الجلترا والعال والسويد والنروج
إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الاندلس صاحب
العظمة هشام الثالث الجليل المقام بعد التعظيم والتوقير
فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تمتع بفيضه الصافي
معاهد العلوم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا
لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة
في إيقاء أثركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها
الجهل من أربعة أركان ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة
دوبانت على رأس بعثة من نبغاء أشراف الانجليز تتشرف
بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها
موضع عنايتكم وحماية الحاشية الكريمة وحدب
من لدن اللواتي سيتوفرن على تعليمهن ولقد أرفقت مع
الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو
التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص
من خادمكم المطيع جورج الثاني ملك الجلترا
سنة ١٠٢٨ من ميلاد المسيح

إلى ملك الجلترا وايكوسيا واسكندنافيا الأجل
اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة
من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن وعليه تعلمكم أنه
سوف ينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين
دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي
أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد وبالمقابل
أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهي من
صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي
للتدليل على التفاتنا ومحبتنا والسلام

خليفة رسول الله في ديار الأندلس
سنة ٤١٩ من هجرة أشرف المرسلين

ـ **خاتمة:** تلكم – في رأينا– أهمّ العوامل التي يمكنها أن تُساعد في تدعيم الهُويّة الجزائريّة في تضافرها العامّ والخاصّ؛ لتصبح قوّةً دافعةً لإحداث النّتائج المَرجوة، ولذلك فإنّها بحاجة إلى أن تُصبح جزءاً من استراتيجيّة مُتكاملة، وذات بُعْد مُستقبليّ، وأن توزّع تلك الاستراتيجيّة على أجهزة الدّولة، وعلى الوزارات المتخصّصة لكي تقوم بتنفيذها على النّحو المطلوب. وعلينا جميعاً أن نعمل بإيقاع واحد مُتناغم، وبمنهجيات مُختلفة للوصول إلى المُجْمَع عليه. كما لا يمكن أن نبخس المَكاسب التي أعطت للهُويّة الجزائريّة أبعادَها الخاصّة، وما لها من قواسم مُشتركة عالمياً.

تحدّي الرّقمنة♥

ــ **الدّيباجة:** في إطار تجسيد اتّفاقيات Unesco/ اليونسكو بخصوص تطبيق شعاراتها العلميّة والموضوعاتيّة يحتفي المجلس الأعلى للغة العربيّة هذه السّنة 2019م، بشعار (تحدّي الرّقمنة) ومفاده تأسيس بنية تحتيّة رقميّة على مستوى عالميّ تكون شاملة لكافة مناطق العالم، وعبر تطبيقات ومنصّات تصل سنة 2025م، بغيغابت عبر كابلات الألياف البصريّة إلى كلّ منطقة وكلّ وحدة إداريّة/ علميّة، وإلى كلّ بيت إذا كان ممكناً. إنّه موضوع هذا الملتقى الذي يُسهم فيه الباحثون العلميّون بتطبيقات تقنيّة ملائمة للتحدّيات الجديدة التي تتطلّب تبادل المعارف لتحقيق جيل جديد من الاتّصالات أمام التّوسّع في الشّابكة، وفي تقنيات التّواصل الاجتماعيّ ووسائل تخزين المعلومات الرّقميّة التي تنحو إلى تطوير أدوات بديلة أو موازية تسمح للجيل الجديد وللباحثين بالبقاء على اتّصال بالإنتاج الفكريّ والثّقافيّ والإبداعيّ.

1ــ **ما معنى تحدّي الرّقمنة؟** هو العيش ضمن نطاق عالم الاتّصالات الحديثة وفق تلاشي التّقليدانيّة شيئاً فشيئاً؛ لتحقيق رقمنة الكتاب والمخطوط والمكتبة والمشاريع والتّعامل التّامّ مع صيحات الغيغابت العاليّة السّرعة، والفائقة التّخزين لتحقيق أوعيّة إلكترونيّة سريعة وواسعة ضمن النانوتكنولوجي المصغّر والحامل لملايير المعطيات بنُظُم ذكيّة وفائقة السّرعة. وهذا ما يمكن أن يكون خريطة طريق للحكومات وللإدارات ومراكز البحوث والمكتبات العموميّة والجامعات والمجامع والمجالس العلميّة... في ضرورة البحث عن موقع علميّ ضمن هذا التّباري العالميّ للحصول على المَعْيَرَة الدّولية. **إنّ الرّقمنة كما عرفها أحمد**

♥ ــ ألقيت الكلمة في الجلسة الافتتاحيّة للملتقى الوطني حول (تحدّي الرّقمنة). المكتبة الوطنيّة: 7ــ9 جويلية 2019م.

الشّامي، وسيد حسب الله هي: "عملية تحويل البيانات إلى شكل رقميّ، وذلك بمعالجتها بواسطة الحاسب الآلي". وإنّه لا مجال لنا للحديث عن خوض ميدان الرّقمنة، ولا خيار لنا في الانعزال وإلاّ سوف ننقرض، والحديث الآن كيف نعيش ضمن الرّقمنة، كيف يكون لنا وللغاتنا موقع في تحوّلات السّياحة والتّجارة والإعلام، وخدمات Web وميادين البيع عبر On Line، وبوابات الأخبار وتحديث أشكال التّواصل بين البنوك... لا مجال لنا إلاّ العمل على الاستفادة من الرّقمنة في التّفاعل على الشّابكة، واستخدام الحكومة الإلكترونيّة؛ لتسهيل وتقريب الخِدْمات وبالسّرعة، ولا بدّ من ديبلوماسيّة رقميّة، مع ما يلحق ذلك من تنظيم كلّ وسائل التّواصل وملحقات تّأمين البيانات ضد القرصنة. ولا بدّ لنا من الانغماس في الرّقمنة، ونحن نعيش اختراق الأجهزة الرّقمية تفاصيل حياتنا الرّاهنة، وتتحكّم في سير دواليب شؤوننا العامّة والخاصّة، وذلك بدءاً بالهواتف والحواسيب والألواح الرقميّة المحمولة، والأجهزة المنزليّة التي تمتلك بدورها شاشات صغيرة للتشغيل...

2ــ المجلس الأعلى للغة العربيّة وموقعه الرّقمي: إنّ المجلس منذ المسيرة الجديدة لسنة 2016 الموسومة (الاستمراريّة المتجدّدة) يعمل على إعداد المحتوى الرّقمي بالعربيّة **بإعداد مجموعات من التّطبيقات التي تعالج وتخزّن وتعرض معلومات باللغة العربيّة، وإنتاج برمجيات لإعداد تطبيقات تتلاءم مع اللغة العربيّة إلكترونياً. وتشمل هذه المجموعات كلّ ما يتمّ تداوله رقمياً من معلومات مقروءة أو مرئيّة أو مسموعة،** ووفق هذا فقد سطّر خطّة في هذا الاتّجاه على خمسة مراحل هي:

ــ **المرحلة الأولى:** وتمّ فيها وضع موقع المجلس مع نظام (جواب) وفيها تمّ مسح كامل لكلّ المدوّنات التي أنجزها المجلس، وكان عددها آنذاك 226 عملاً. وحصل التّحدّي الكبير من خلال التّجنيد البشريّ المختصّ، وخلال شهرين (2) تمّ مسح رقميّ لكلّ المنشورات، مع توزيها حسب المجالات. وفي هذه المرحلة تمّت

ترقية أعمال المجلس إلى العالميّة، بنيل مواقع عالميّة للمجلات. كما تمّت مرحلة وضع موقع المجلس مع كلّ الملحقات من مثل المكتبة/ فروع إداريّة/ لجان دائمة...

ـ **المرحلة الثّانيّة:** وفيها بدأ المجلس في حوسبة تقليديّة، بغرض جمع المادة الأوليّة، وانصبّت المدوّنة على إنجاز الآتي:

1ـ مكنز المجلس: وهو مكنز يتوفّر على مدوّنة كبرى من مؤلّفات الجزائريين بخصوص الأبحاث العلمية المنتجة من دولة الاستقلال إلى وقتنا الحاضر، وتمّ رصد مواقع الجامعات ومراكز البحوث. وقمشنا ما يزيد عن أحد عشر (11) ألف عنوان، والمادة جاهزة لفتحها أمام البحثة.

2ـ تصحيح وثائق الحالة المدنيّة: وتمّت برمجة ذكية لتصحيح وثائق الحالة المدنيّة (14 وثيقة نمطيّة) ببرمجية تكتب بالأرقام وتعطيك الكتابة السّليمة بالحروف، مع مختلف السّياقات اللغويّة. ويضاف إليها تقديم تصوّر أوّليّ لتصحيح الأسماء في لاحق من سجلات الحالة المدنيّة.

ـ **المرحلة الثّالثة:** جمع المادة التي تحتاج إلى رقمنة، وهذا أعطى لنا رصيداً كبيراً تحت المشاريع التّاليّة:

1ـ مشروع مكنز المجلس، وقمّشنا فيه ما يزيد عن اثنين عشر (12) ألف من الأبحاث الجامعيّة الخاصّة بعلوم اللغة العربيّة.

2ـ مشروع معلمة المخطوطات الجزائريّة: وتحصّلنا على ما يزيد عن عشرة آلاف (10) مخطوط جزائريّ/ مخطوط كُتِبَ عن الجزائر. ونشير بأنّ هذا المشروع مشترك مع (المجلس الإسلاميّ الأعلى+ وزارة البريد والمواصلات السّلكية واللاسلكية والتّكنولوجيات والرّقمنة). وقد تمّ تعديل النّظام الإنجلوساكسوني في هذا المجال OMEKA وفق خصوصيات المخطوط العربيّ.

3ـ مشروع معجم الثّقافة الجزائريّة: وهو مشروع يجسّد معالم الثّقافة الجزائريّة في بنود معالم الثّقافة في معناها العامّ.

4ــ مشروع المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة: بالمرافقة العلميّة مع اتّحاد المجامع اللغويّة والعلميّة العربيّة.

5ــ مشروع مِنطاق الشّعر الشّعبي: مشروع طموح يجسّد فكرة دوائر الشّعر الشّعبيّ الجزائريّ على غرار بحوره الخاصّة، ويقع التّعرّف على صاحب القصيد وبحره وما يشمل ذلك من مِكمّلات.

6ــ مشروع الألعاب اللغويّة: مشروع تعليمي تثقيفيّ، غرضه الإسهام في النّمو اللغويّ لدى التّلاميذ والطّلاب على مختلف أعمارهم. ويمسّ هذا المشروع رجال الإعلام.

7ــ مشروع لغة الحياة اليوميّة: وفيه نجد مختلف الاستعمالات اللغويّة وحسب المقامات والسّياقات التي تحيط بالقائل، ويكون بالبحث عن التأصيل اللغويّة للكلمات أو المسكوكات أو لغة المحادثة.

8ــ مشروع الأمثال الشّعبيّة: وهو مشروع حضاري يكمل مسار المشاريع الأخرى في باب الأمثال والمسكوكات الشّعبيّة التي تقرب إلى الفصحى، ولها مقابل في اللغات التي يتمّ تداولها في الحياة اليوميّة.

9ــ مشروع الفيديوهات اللغويّة: مستقى من مجموعات الفسبكيّة التي تتناول قضايا اللغة العربيّة، ويتمّ من خلال رصد ما يخدم اللغة العربيّة في مختلف أبعادها.

10ــ مشروع الأنشطة الثّقافيّة والمعارض: وهو رصد لأنشطة المجلس آلياً ورقمياً من خلال ما رصدته الصّورة النّمطيّة في بعدها الإعلاميّ، وفق تباينات الأحداث والزّيارات وآراء النّاس في كلّ الخدمات التي تُقدّم للزّوار.

11ــ مشروع الطّوبونيميّة/ الأماكينيّة: وهو مشروع يتنامى مع مختلف الشّركاء العلميين في جامعتي: تلمسان والأغواط، مع مركز البحوث العلميّة

والتّقنيّة لتطوير اللغة العربيّة فرع تلمسان. وللمشروع نسبة معتبرة من الإنجاز في المنصّة.

12ــ مشروع المكتبة الرّقمية: وهو مشروع مكتبيّ يتعلّق بإنجاز مكتبة رقميّة للمجلس، عدا الكتب الورقيّة، وتكون المكتبة مرافقة للباحثين الذين نقدّم لهم الكتاب في منازلهم دونما حاجة إلى التّنقّل إلى مكتبة المجلس. وتحمل زاداً كبيراً من الكتب التي استطعنا تحميلها من المواقع العامة.

13ــ مشروع موسوعة الجزائر: هو مشروع طموح لكن لم ينل القبول، ويبقى أنّ المجلس قدّم تصوّراً تفصيلياً في هذا المجال، ويكون عبارة عن مدوّنة كبيرة جداً جداً. ويتناول المشروع الحيث تفصيلياً عن خصوصيات الجزائر من الدّولة النّوميديّة إلى وقتنا الحاضر.

ولا نغفل تلك اللجان العلميّة التي تشتغل لصالح المجلس من مثل: لجنة النّقل العامّ+ لجنة السّياحة+ لجنة قاموس مصطلحات البيئة الطّاقات المتجدّدة...) وكلها تنحو في أعمالها إلى تصنيف منتوجها ضمن بوّابة رقميّة بعد استكمال أعمالها.

ــ **المرحلة الرّابعة:** وهي مرحلة تبادل المعلومات والمنتوج العلميّ مع الشّبكات العالميّة من مثل: دار المنظومة+ المنهل+ شركة صخر+ AraBase+ ISC+ التّراث+ Cerist+ العبيكان+ مؤسّسة التّنميّة المعلوماتيّة. ونجد في شبكات هذه الدّور مجلات المجلس (اللغة العربيّة= 1,9+ معالم للترجمة= 1,3+ مجلة العلوم والتّكنولوجيّة). وهذا بغرض أداء الخدمة العموميّة؛ ونشر أعمال المجلس بالمجان حيث المجلس مؤسّسة غير ربحيّة. وما حصّلناه من هذا أنّ للمجلس موقعاً جيّداً في معامل التّأثير العربيّ وفي التّأهيل الرّقميّ، والتّصدّر في الفهرس العربيّ.

ــ **المرحلة الخامسة:** مرحلة بناء المنصّات: وقد تمّ العمل بشكل جيّد؛ باعتماد المعيار العالميّ المنصوص عليه في كلّ منصّة، مع التّنسيق مع المؤسّسات ذات العلاقة، وإدخال خصوصيات وتعديلات إضافيّة تحسينيّة رأيناها تخدم مشاريعنا

بصورة جيّدة. وهذا العمل هو تحوّل رقميّ بامتياز، ويتواصل لتحقيق تقنيّة تتوالى بسرعة وإبداع.

3ــ **استراتيجيّة المجلس في الرّقمنة:** من الضّروريّ التّركيز على الرّقمنة وهي توازي التّحكّم في مصادر المعلومات في كلّ الأماكن، بل تمثّل حلقة من حلقات التّطوير والجودة في مجال الشّابكة والتّشبيك الداخليّ/ Intranet والاستعانة بمجموعة من الرّوابط الفائقة Hypertext والتي تحيل القارئ مباشرة إلى النّصوص التي يبغي الاطلاع عليها، إلى جانب إحالته إلى المصادر الخارجيّة المرتبطة بالمطلوب، ويضاف إلى ذلك التّشارك في المصادر والمجموعات وزيادة قيمة النّصوص، مع ما يطرح من قضايا حقوق الملكيّة الفكريّة والإشكاليات الماديّة والتّقنيّة والفنيّة. إنّ المجلس يدرك الكثير من المضايقات التي تعدّ من التّحديات التي يواجهها في مجال الرّقمنة، ولكنّه يعي وعياً كاملاً ضرورة تخطّي التّردّد لسياسة الرّقمنة، وبالتّالي لا بدّ من استراتيجيّة الإعداد والتّجهيز لسياسة الرّقمنة لأنّها حياة المستقبل وهو الطّريق الذي تسلكه دول العالم في السّنوات القادمة فتجريب الجيل الخامس من الاتّصالات بدأ في عدة دول، وهو الجيل الذي سيسمح بربط التّحكّم في الأجهزة عبر الشّابكة/ إنترنت الأشياء، وهناك صناعة حواسبيّة عملاقة تخزّن كوينتيليون (مليون تريليون) عملية حسابيّة في الثّانيّة الواحدة. كما ندرك أنّ بالرّقمنة يتمّ إدخال النّصوص والصُّور والصّوت الى وحدات الادخال الرقميّة بالحواسيب من ماسحات ضوئية وفارة ولوحة مفاتيح ولاقِطات صوت وغيرها، ومن ثمّ معالجتها وتخزينها وإخراجها رقمياً كمعلومات. وأنّ الرّقمنة تجعل من السّهل الحفظ والتّداول والمشاركة فى كلّ المحتوى الذى تتمّ معالجته رقمياً وذلك فى كلّ وقت، وفي أيّ مكان. ولهذا قطعنا على أنفسنا طريق التّردّد وقلنا من الضّروريّ التّحوّل إلى الرّقمنة للمحتوى المعلوماتيّ والمعرفيّ لما له من فوائد الاحتفاظ والحفظ من العوامل الجويّة والتّقادم والضّياع والتّلف، وسهولة التّعامل مع ما تمّت رقمنته من استرجاع وبحث، وسرعة الوصول والإتاحة الآنيّة

ولأكثر من شخص فى نفس الوقت وفى أيّ مكان وزمان، مع إمكانيّة إظهار مختلف المعلومات ذات العلاقة بالتّصغير والتّكبير والنّسخ والطّباعة، وبخاصّة ما يتعلّق بالوثائق الورقيّة مع إمكانيات حَمْل كمياتٍ كبيرة من الوثائق الرّقميّة في الجيب.

4ــ **اللغة العربيّة والرّقمنة:** هل العربيّة مستعدّة لخوض غمار الرّقمنة؟ هو سؤال يمكن أن يجيب عنه البحثة الذين يرافعون اليوم في أعمالهم، ولكن عهدي كباحث أنّ كلّ لغة يمكنها العيش في الحمام الرّقميّ إذا أُوليت لها العناية، وحصلت لها منهجيّة متطوّرة تُعزّز من مكانة اللغة العربيّة وهي لغة حضاريّة عالميّة دوليّة. وهذا يتطلّب أهمّ ركيزة هي اكتساب المعرفة وإنتاجها بها وفيها ضمن معيار الجودة التّنافسيّة. وفي كلّ هذا لا بدّ من تطوير العربيّة للبرهنة على مقدرتها العلميّة ومدى تفتّحها وحسن استقبال المصطلح، ومجاراة التّطوّر. ولكن لا يعني هذا أنّه لا توجد فجوات علميّة في هذا المجال. وكان علينا أن نقرّ بصعوبات الفجوة الرّقميّة والنّقص الكبير في المحتوى العربيّ على الشّابكة، وما يتبع ذلك من ضعف محرّكات البحث والتّرجمة الفوريّة... هي فجوة كبيرة يمكن أن تُسدّ إذا تضافرت جهودُنا العلميّة والماديّة، وباعتماد أحدثِ المنهجيات التي تُربِحنا سنوات التّأخير، ويُسميه الخبراءُ **بردم الفجوة الرّقميّة.** وهذا ما نأمل أن تسفر عليه ورقات هذا الملتقى بتقديم رؤية في تضييق الفجوة الرّقميّة، مع تقديم رؤى في الثّورة الرّقميّة، وتعليم العربيّة لغير النّاطقين بها، دون إغفال ما تمّ إنجازه من قضايا رقميّة من مثل: المحلّل الصّرفيّ+ القارئ الآلي+ التّرجمة الآليّة+ المُصحّح النّحويّ+ التّشكيل التّلقائيّ... وكذلك محرّكات البحث العربيّة: **مكتوب+ أونكش أوراسكوم+ تايا أت+ أين+ سوا لايف+ الهدهد+ أبحث+ صخر+ عجيب+ إسلام أون لاين+ الورّاق+ الفصيح+ المِسْبار+ المصطفى+ مكتبة الإسكندريّة+ المعرفة... وكلّها تحتاج إلى تحديث ومراجعة وتطوير آليات البحث.**

ــ **الخاتمة:** يروم المجلس الأعلى للغة العربيّة من خلال هذه النّدوات أن يلقي هذه الهموم الكبيرة على المختصّين ليشاركوه الرّأي، وأن يقترحوا عليه ما يرونه يعمل على تطوير العربيّة التي تحتاج إلى حُسْن التّدبير، وإلى التّعاضُد الكبير من كلّ فئات المجتمع. فتعالِ نبدأ تعالِ نخوض غمار الرّقمنة، وتكون بدايتنا الانفتاح اللغويّ على اللغات التي لها ضلع كبير في هذا المجال، ثمّ أن تكون لنا بصْمات في لاحقِ من الزّمان، تعالِ نعمل معاً، والطّريق تصنعه الأقدام. ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ التّوبة.

مفدي زكريا والشّباب من خلال الإلياذة♥

ــ **الدّيباجة:** لقد ذُكرت كلمةُ **(الشّباب/ الشّبابا/ شباب/ شبابك)** في الإلياذة – بعدد أبياتها –1001 سبع عشرة (17) مرّة، ووردتْ في الأبيات التّاليّة:

358– مُعَسْكَرُ فَجَّرَ عَزْمَ الشَّبَّابِ فَطَاوَلَ عِمْلاَقُهَا الأَنْجُمَا

656– وَهَالَكَ عُقْمُ الشَّبَابِ الْمُسَجَّى فَخَلَّفْتَ تَحْنِيطَهُ لِسِوَاك

772– غَزَ الْمَذْهَبِيُّونَ عَقْلَ الشَّبَابِ بِمُسْتَوْرِدٍ آفِنٍ آثِمِ

777– فَضَلَّ الشَّبَابُ الْبَرِيءُ انْخِدَاعَا بِرَقْطَاءَ، فِي جِلْدِهَا النَّاعِمِ

779– وَبَثَّ أَسَاتِذَةٌ فِي الشَّبَابِ رَوَاسِبَ مُسْتَعْمِرٍ غَاشِمِ

781– تَفَسَّخَ هَذَا الشَّبَابُ وَمَاعَا وَخَرَّبَ أَخْلاَقَهُ وَتَدَاعَى

787– وَكَيْفَ يُنِيرُ الطَّرِيقَ شَبَابٌ وَقَدْ طَمَسَ الرِّجْسُ فِيهِ الشُّعَاعَا؟

801– بُنَاةُ الْجَزَائِرِ صُونُوا الشَّبَابَا وَلاَ تَأْمَنُوا فِي الشَّبَابِ الذِّئَابَا

816– يُشِيعُ الْمُرُقَ بِدُنْيَا الشَّبَابِ وَيُذْكِي غُرُورَ الشَّبَابِ، وَيَحْكِي!

882– وَصَانَ شَبَابَكِ بِنْتَ الْحَلاَلِ كَمَ صُنْتِ عَرْضَكِ بَيْنَ الْحُثَالَهْ

891– وَأَجْلَى الشَّبَابَ غَلاَءُ الْمُهُورْ فَلاَذَ-عَلَى حُبِّهِ- بِالنُّفُورْ

900– وَتَعْسَ شَبَابٍ، عَدِيمِ النُّهَى عَلَى رِجْسِ عَادَاتِهِ لاَ يَثُورُ!

901– وَأَفْلَتَ مِنْ قَفَصِ الاتّهَام شَبَابٌ أَصِيلٌ، وَفِيٌّ الذِّمَامْ

♥ ــ ألقيت الكلمة بمناسبة النّدوة حول (مفدي زكرياء والشّباب) تنظيم مؤسّسة مفدي زكريـاء+ مديرية الثّقافة بولاية مستغانم. مدينة مستغانم، مخيّم سيدي لخضر في 17 أوت 2019م.

902- شَـــبَابٌ تَطَهَّـــرَ فِيـــهِ الضَّـــمِيرُ فَـــأَعرَضَ عَـــنْ شُـــبُهَاتِ الطَّغَـــام

910- شَـــبَابٌ عَلَيـــهِ مَنَـــاطُ الرَّجَـــا فَمِـــنْكُمْ، وَمِنِّـــي.. عَلَيْـــهِ السَّـــلاَم

كما ذُكرت كلمةُ **(الجزائر)** أربع وستين (64) مـرّة، وأغلـب هـذه الكلمـات ارتبطت بدعوة شباب الجزائر إلى التّقيّد بالعقيدة الإسلاميّة، والانعتاق من الخـوف والظّلم، ونُشدان الأحسن، والتِماس الأسباب وعدم الانهـزام، والتّنصـيص علـى ضرورة النّجاح؛ وعليه تتوقّف باقي المطالـب مـن مثـل: العقيـدة والعلاقـات الاجتماعيّة، والأخلاق، والقيَم وغيرها، وإعطاء النّفس حقّها في الحياة. والغريـب أنّ كلمة **(الشّاب)** بصيغة الإفراد لا وجود لها في الإلياذة.

لقد استنطقت إلياذة الجزائر باحثاً عن كلمة (الشّـباب) وأعملـتُ نظـري فـي دلالاتها اللغويّة، مع ما كان ينزاح الشّاعر لمعنى الكلمـة كـي تنطبـق للمبنـى. ووجدتُ أنّ الكلمة واسعة، ولها دلالات حسب المتعلّقات المحيطـة بهـا، وحسـب الظّروف المحيطة ببيئة الشّاعر؛ وهو شاب يعيش المرحلة؛ شباب في مكمن القـوّة والعطاء، وشباب في مرتكز الأداء للوظائف والمهام الأساسيّة للحياة، مع ما يحمله هذا العمر من قلّة الخبرة والمعرفة والنّضج الكافيّ، وقد تغويـه وتخدعـه بعـض المُغريات التي تحمل ثقافات ليست من ثقافته الإسلاميّة. هي ثقافات خادعة مُهلكـة وتحمل المرحلةُ بعضَ الاعتداد والغرور والعجب بالنّفس، وقد ينزلق فيها الشّـباب الى مخاطر خطيرة. وأما منهج الدّراسة فبصرتُ بأنّ أفضل مـنهج لتحليـل هـذه المدوّنة هو المنهج الوصفيّ التّحليليّ؛ الذي يصف الظّاهرة الشّـعريّة، ومـن ثـمّ يحلّلها، وينقدها ويأتي بالبديل الذي يُستوجَب.

ـــ **المقدّمة:** كان في خلدي أن أجد التّصوّرات التي بنيتُ عليها منهج الدّراسـة وهو الحديث عن الغزو الأخلاقيّ مع تطوّرات العصر، والتّحذير مـن الانعكـاس السّلبيّ، وانعكاس الاحباط والضّياع واليأس والقلق وكلّ ما له علاقة بالمرجعيـات

الأخلاقيّة... ولكنّي لاحظتُ في هذه الأبيات مدلولات أخرى يمكن إجمالها في ما يلي:

1ــ الشّاعر يعوّل على الشّباب: نظراً لما يحمله الشّباب من طاقة طافحة خطيرة؛ فإذا أحسن استعمالها تؤدّي وظيفتها أحسن الأداء، وتبني القدرات وتنمّي الطّاقات، وتزهر بها البلاد. فالشّباب أمل وعليه يجب أن يتحصّن بالعلم والثّقافة لأنّ ابتعاده عنهما يجعله يُصدّق بأيّة فكرة تتسرّب إليه، فالشّمس لا تشرق على الكسالى وعلى الشّباب توظيف طاقته الصّحيّة والفكريّة، وأن يتفحّص مصدر ثقافته ويكون حريصاً على اختيار الثّقافة النّظيفة كحرصه على اختيار الأكل النّظيف.

2ــ ضرورة توجيه مرحلة الشّباب: إنّ الشّباب أمل المستقبل، ولذا يحظى الشّباب في جميع المجتمعات بالعناية والرّعاية أكثر من أيّة فئةٍ أخرى؛ لأنّهم عماد المستقبل، وكذلك هم الأمل الذي ترتكز عليه طموحات الدّول والمجتمعات وحتى الأهل، فالجميع ينظر للشّباب بأنّهم عُدّة المستقبل والطّريق لتحقيق التّقدّم في جميع مجالات الحياة، فهم يمتلكون الطّاقة اللازمة للتّغيير، ويستطيعون أن يصنعوا فَرْقاً حقيقياً في أيّ شيءٍ يعزمون على تنفيذه، وفي أي مشروعٍ يكونون جزءًا منه، فما يملكونه من قوةٍ جسديّة مقرونة بالحماسة والاندفاع، يجعل منهم طاقة كبيرة يُمكن استغلالها لتحقيق الأفضل.

3ــ الشّاعر يدعو الشّباب إلى الوعي بالمتغيّرات: يعيش الشّباب مرحلة صعبة استفزازيّة، ولذلك تتطلّب المرحلة المرافقة والمتابعة حتى تُبنى فيهم العقيدةُ والثّقافةُ، وأن يتشبّعوا بالمرجعيات الوطنيّة؛ كي لا يُوجّهون توجيهاً لا يخدم عقيدتهم ولا وطنهم. ويرى (مفدي) ضرورة منح الشّباب الفرصة كي يُثبتوا كفاءتهم من خلال الاهتمام بتثقيفهم وتعليمهم ومنحهم فرصة استلام المناصب العليا كي يتمكّنوا من تطبيق أفكارهم على أرض الواقع، كما يجب حمايتهم من أنفسهم أولاً، ومن رفقاء السّوء ثانياً، ومن المتغيّرات العاصفة بتهديد مصيرهم، ولا بدّ من صُنع وسائل التّدخّل لمنع بعض المتغيّرات من سوء التّوجيه والانحراف. ومن أراد

أن يصنع لوطنه وأمّته مستقبلاً زاهراً؛ فعليه أن يهتمّ بالشّباب، ومن أراد أن يرى نتاجاً فريداً متميّزاً؛ فعليه أيضاً أن يهتمّ بهم، فالمجتمع الذي يهتمّ بأبنائه وأطفاله ويُعطي أفضل ما لديه لهم تقوم فيهم الحميّة من أجل الإخلاص للوطن.

4ــ الأوطان لا يبنيه إلاّ الشّباب الطّامح: إنّ الأوطان لا يبنيها إلاّ الجدّ والاخلاص والسّعي والالتفات الى التّذكير بوجود هدف في هذه الحياة، وعلى الشّباب أن يخوض غمارها بمنتهى القوّة والشّجاعة وهذا الهدف يتحقّق بالسّعي والتِماس الأسباب، ولا يتحقّق بالأماني، بل يتحقّق بالأمل الذي يتبعه العمل ولا بدّ أن يتحدّد في الشّباب هدف من الأهداف. وإنّ شاباً واحداً يمكنه أن يُغيّر بلداً كاملاً إلاّ أنّ هذا بحاجة إلى همّة وعزيمة ومواصلة لا تعرف اليأس والملل. وإنّ مرحلة الشّباب هي ربيع العمر، وهي مرحلة الأمل والتّفاؤل؛ لأنّها مرحلة الانفتاح على الحياة والمستقبل، وتحدّي المخاطر والصّعوبات وبالتّالي فهي مرحلة الخصب والنّماء والعطاء ويجمُل بها أن تُستغل في البناء الوطنيّ.

5ــ شطْب كلماتِ الإحباط والفشل: نرى (مفدي زكريا) يشطب مفردات من قبيل: الاحباط، الفشل الطّريق المسدود، اليأس، القنوط، التّشاؤم، التّقوقع، الانكماش انطفاء الجذوة، خمود الهمّة، الانتكاسة... وما شاكل ذلك، لتحلّ محلّها كلمات: التّفاؤل، تكرار المحاولة، إعادة الكرّة، صفحة جديدة، النّهوض من جديد، العزم، الإصرار، المواصل... وإنّ التّركيز على السّلبيات وحدها يعمّق معنى اليأس في النّفس؛ فاليأس لا يرى سوى الظّلمة والخيبة والخُسران. وإنّه كما هو الوصف التّقريبيّ للحالة اليائسة ترى النّصف الفارغ من الكأس، أمّا الحالة المتفائلة فترى النّصف المملوء. فليس هناك سلبيّ مطلق لا يخلو من إيجابيات، وليس هناك إيجابيّ مطلق لا يخلو من سلبيات. ولا بدّ من تثمين مقولة (تفاءلوا خيراً تجدوه) ولا بدّ من جبر الخواطر والكواسير، وهي من الإيمان، واشتدّي أزمة تنفرجي.

6ــ نشدان الأمل: إنّ الأمل حليف الإرادات الصّلبة والمقاومة العنيدة والأناة والصّبر والجلَد والتّصميم على نيل الشّيء، أو بلوغ الهدف. ولهذا نرى (مفدي) يتحدّث

وكأنّه يعيش عصرنا في ضرورة الالتفات إلى الشّباب؛ بتخصيص مشاريع فكريّة وتنمويّة لملء فراغهم بما يُفيدهم ويَنفعهم في مستقبلهم، ويُسهم في بناء مداركهم، وفي تقوية مهاراتهم. وهنا يمكننا القول إنّ الالتفات إلى الشّباب وإقرار المشاريع لصالحهم يشكّل مدخلاً حقيقياً للاستفادة من جهودهم وقدراتهم في عملية التّنميّة الوطنيّة، وتلك هي محاولة أولى في صُنع الأمل. ولهذا وجبتْ صناعةُ الأمل، وما أجملها من وقود الحياة! إن كان من النّفس ذاتها، ويجب عدم الاستسلام للانهزام.

7ــ الدّعوة إلى الأمل المقرون بالعمل: إنّ الإنسان من دون أمل كالسّيارة من دون بنزين، كيف سيعيش، وكيف سيسير، وكيف سيفكر، وكيف سيعرف إلى أين هو ذاهب. ونرى (مفدي) يبني الأمل المقرون بالعمل بالمزج بينهما وبربط العلاقة الجوهريّة لأرضيّة قائمة على ثقافة التّفاؤل المبنيّة على المقدرة بصناعة التّغيير من خلال أمل يقابله عمل، أداء الواجب يقابله نيل المقام، العمل يلغي الاستسلام حسن التّعامل مع المستجدّات، الأمل يتطلّب صناعة الهدف. ومن خلال كلّ ذلك بصُرتُ بالمحدّدات التي ينظر إليها الشّاعر في هذه النّقطة كما يلي:

1/7ــ إتقان التّخطيط: إنّ أول خطوة تقوم بها هي أن تكتب هدفك أولاً، ويتبعه التّخطيط، وهي سنّة الله في خلقه.

2/7ــ كنْ إيجابياً: هنا يعني ضرورة التّنفيذ في الأفكار، بطرح كلّ السّلبيات والتّشاؤم.

3/7ــ اكتساب المهارات: فلا بدّ من اكتساب المهارات والقدرات، وهي التي تُلغي كلّ مظاهر: لا أستطيع/ هذا صعب/ هذا من المستحيل/ لن يكون/ أنا عاجز... فالأمل في العمل، والعجز في الوهن.

8ــ مفدي وتوجيهاته للشّباب: لقد وجّه الشّاعر مجموعة من الرّسائل المشفّرة إلى شباب الجزائر عبر هذه الأبيات التي نراها دعوة إلى ضرورة التّعلّم والتّعليم+ بذل العطاء المعنويّ والماديّ+ وضع الثّقة في النّفس+ نُشدان التّغيير. ونرى من خلال هذه الرّسائل نظرتَه تدور في:

1/8ــ تنشئة جيل قويّ من الشّباب: شباب اليوم هم أطفال الأمس، وأطفال اليوم هم شباب الغد وما يزرع في بنية وتكوين الأطفال يُحصد كما هو، ولذلك فإنّ تنشئة جيل من الشّباب القادر على الإصلاح والبناء والتّعمير هي مسؤوليّة اليوم من خلال أطفالنا؛ فهم رجال وشباب الغدّ الذين يشاركون بعلمهم الواسع، وعملهم الجادّ في بناء الوطن، ولذلك فإنّ الاهتمام بتنشئة جيل الشّباب الواعد هي مسؤوليّة الجميع اليوم.

2/8ــ الشّباب أمل المستقبل: الشّباب في كلّ مكان هم شُعلة النّشاط التي تُنجِز وتبني وتعمل في صالح الوطن، فهم المُحرّك الأوّل لتقدّم الدّولة والنّهوض بها عالياً بين الدّول، ولذلك يجب على الدّولة الاهتمام بعنصر الشّباب وتقديره، والاستفادة من خبراته وعلمه الواسع، ونظرته الثّاقبة التي بإمكانها إحداثَ تغييرٍ جذريٍّ في واقع المجتمع، فالشّبابُ حقاً هم أملُ المستقبل.

ــ خاتمة: يمكن الخروج إلى خلاصة مفادها إنّ (مفدي زكريا) كان ينظر بعيداً يستشرف آفاق الشّباب من خلال تربيّة إسلاميّة وطنيّة واعيّة، وكأنّي به يعيش الحدث المعاصر في كلّ التّوجيهات التي تُحصّن هذا الشّباب؛ بل تُوجّهه أحسنَ توجيه، وهذه عقيدتُه منذ سنة 1934، وقد رَسَمَها في خطاب (عقيدة التّوحيد) ويقول فيه "كلُّ مسلمٍ بشمال أفريقيا يُؤمن بالله ورسوله ووَحْدةِ شماله هو أخي وقسيمُ روحي، فلا أفرّقُ بين تونسيّ وجزائريّ ومغربيّ، وبين مالكيّ وحنفيّ وإباضيّ وحنبليّ، ولا بين عربيّ وقبائليّ، ولا بين مدنيّ وقرويّ، ولا بين حضريّ وآفاقيّ، بل كلّهم إخواني أحبُّهم وأحترمُهم وأدافعُ عنهم ما داموا يعملون لله والوطن، وإذا خالفتُ هذا المبدأ؛ فإنّني أعتبرُ نفسي أعظمَ خائنٍ لدينه ووطنه".

العربيّة في أفريقيا: الماضي المُغدِق، والحاضر المُشرِق♥

ــ **الدّيباجة:** يسعدني أن أقدّم لكم هذه المحاضرة وعنوانها **العربيّة في أفريقيا: الماضي المُغدِق، والحاضر المُشرِق**. وأحدّد في البداية ما أعنيه بكلمة أفريقيا فأستثني منها بلادَ المغرب العربيّ+ مصر+ السّودان؛ حيث تعرّبت هذه البلاد ونالت فيها العربيّةُ المقاماتِ العُلا، وما يقع التّركيز عليه هي دول السّهل وغرب وجنوب أفريقيا، وكانت قديماً تسمّى السّودان الغربيّ، وكذا بعض البلاد في القرن الأفريقيّ والتي لم تتعرّب ولكنّها عرفت الإسلام؛ وفيها مسلمون كانوا ولا يزالون يُمارسون شعائرهم الإسلاميّة، فما زالت اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة تتمتّعان بحضور قويّ في بلدان شرق وغرب أفريقيا، أما في وسط أفريقيا فباستثناء تشاد وشمال الكاميرون؛ لا نكاد نجد للغة القرآن الكريم أثراً كبيراً. وبالطّبع هناك لغة الإسلام تُمارس بنِسَب مختلفة، وعلى مستوى: الكتاتيب/ الزّوايا/ المدارس الدّهليزيّة/ الخلاوي/ الدّارات/ المحاضر+ المحاظر/ المدارس الحكوميّة. وسيكون حديثي وَسَطِياً كي لا أحيد عن الصّواب، ولا يدخل كلامي في ما ليس من جادة الجواب لأنّ الكلام كثير عن مقام العربيّة في بلاد أفريقيا، وبخاصّة بلاد السّهل التي تحاذي شمال أفريقيا نظراً للتواصل الذي حدث، وإذا استنطقنا بلاد نيجيريا فنجد الكلام يطول؛ لأنّ هذا البلد عرف الإسلام مع العربيّة ونالا معاً الاستعمال الفعليّ في التّعليم وفي إقامة المؤسّسات، ونجد حالياً مؤسّسات تقوم بدور جيّد في التّمكين للعربيّة على غرار ما تقوم به (جامعة أفريقيا العالميّة) وما تخرجه من إطارات في عديد التّخصّصات وما يقوم به الأساتذة من دور في تطوير مناهج التّدريس لتواكب التّطوّرات الحديثة في تعليم العربيّة وخوص غمار حوسبتها. بلاد

♥ ــ أُعدّت المحاضرةُ للملتقى الدّولي حول (اللغة العربيّة في أفريقيا). موريتانيا: 1–2 سبتمبر 2019 تنظيم مجلس اللسان العربي بموريتانيا+ مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة.

أفريقيا بما لها من علماء كبار تركوا بصمات قويّة في اللغة العربيّة، ولتعتزّ بهم عموم أفريقيا، فهل جاءك نبأ: محمد آدم جبر حلو التّشادي+ الشّيخ شريف إبراهيم صالح الحسيني+ علماء كان برنو+ علماء كانو+ علماء الصّومال+ علماء السّينغال... وما أكثرهم وأغزرهم علماً!

وإنّه لا ننكر أنّ ماضي العربيّة في القارة الأفريقيّة متميّز، ولأنّ الفضل في ذلك مصاحبتها للدين الإسلاميّ وإنّ الإسلام للعروبة وليٌّ نعمتها وصانعُ حياتها كما قال (محمد الغزالي) وبالإسلام نالت العربيّة الكثير من الأمصار الأفريقيّة، وحوفظ عليها من خلال الكتاتيب والزّوايا والمدارس، وعرفت **الإغداق** العلميّ بما أنتجه العلماء العرب والأفارقة في مجالات تلك العصور، وعن طريق منتوجهم أسهمت العربيّة في النّهضة الفكريّة في عموم أفريقيا. ولفترة ليست بعيدة كانت اللغة العربيّة، اللغة الأكثر استخداماً في كثير من الدّول الأفريقيّة كما أنّ الحرف العربيّ هو الحرف الذي اعتمدته معظم اللغات المكتوبة أو اللهجات غير المكتوبة. لقد انتشرت اللغة العربيّة في أصقاع الأرض بوصفها لغةَ القرآن الكريم، ولغةَ العلم والمعرفة، والتّجارة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لا نعدم أنّ الحاضر جيّد ويدعو إلى التّفاؤل، فهو **مشرق**؛ حيث نجد في عربيّة العصر الحاضر جوانب علميّة تعمل على نقلة نوعيّة للعربيّة لتنال مواقع علميّة في عولمة الآلة، رغم الكثير من المضايقات التي تعرفها العربيّة داخلياً وخارجياً في بلاد أفريقيا، ومع ذلك تعرف نهضة معاصرة مقبولة بفعل بعض الدّول والأفراد والجمعيات الأهليّة أو الأجنبيّة، وتكفي الإشارة إلى ما يقوم به (معهد الخرطوم الدّولي لخدمة اللغة العربيّة لغير أهلها) معهد يقدّم الخدمات التّطبيقيّة للأفارقة بتلك الأفواج التي يسهر على تدريس العربيّة تدريساً جيّداً، وبدورهم ينقلون آلياتها الإجرائيّة إلى بلدانهم وكم من معلّمين أصبحوا نماذج عالمة بفضل هذا المركز.

ولا بدّ من الإشارة إلى تلك البوادر التي بدأت تتعزّز بها العربيّة في أفريقيا؛ من مثل تلك الدعوات المعاصرة لكتابة اللغات الأفريقيّة بالحرف العربيّ، وأيضاً عودة

اللغة العربيّة مرة أخرى إلى أراضيها التي عاشت في كنفها قروناً طويلة وتواصلت خلالها وعلى كلّ المستويات الإنسانيّة مع سكان القارة الأصليين، فكانت بينهم علاقات نسب ومصاهرة وتجارة وعقيدة، جعلت العرب المقيمين في أفريقيا ينصهرون في بوتقة القارة السّمراء. وعلى سبيل المثال، فقد أعاد دستور 1979 الاعتبار للغة العربيّة في الصّومال، بجعلها لغة رسميّة للدولة الصّوماليّة، وتبع ذلك، أن تبنّت الدولة الصّوماليّة حملة لتقويّة اللغة العربيّة، وكذلك اختارت (جُزُر القمر) و(جيبوتي) اللغة العربيّة لغة رسميّة لهما. ولا بدّ من الإشارة إلى طوفان المفردات العربيَّة في اللُّغات الأفريقيّة، بالإضافة إلى تلك الإحصاءات المؤكِّدة للحضور العربيِّ في أفريقيا، فهو حضور قديم متجدّد في الماضي والحاضر وتظهر مكانة العربيَّة في أفريقيا باعتمادها على مستوى سياسيٍّ رفيع؛ لتكون لغةً رسميَّةً بمنظَّمة الوَحدة الأفريقيّة مع اللُّغات الاستعماريَّة الثَّلاث (الإنكليزيَّة والفرنسيَّة والبرتغاليَّة). وتُعدّ العربيّةُ والسّواحليّةُ اللُّغتين غير الاستعماريَّتين المُعترف بهما في هذه المنظَّمة.

ـ **مقدّمة:** يسهم المجلس الأعلى للغة العربيّة في هذه التّظاهرة العالميّة التي تَنادَى لها مجلس اللسان العربي بموريتانيا، بمعيّة مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة. فهاتان المؤسّستان نعضدهما، وهما ردٌّ لنا للقاسم المشترك الذي يجمعنا وهو **خدمة اللغة العربيّة**. ونعلم الحضور بأنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة في الجزائر يحتفي في جامعة أدرار بالإشراف على ملتقى وطنيّ –بمناسبة اليوم العالمي للغة العربيّة 18 ديسمبر 2018– بموضوع مثيل (اللغة العربيّة في أفريقيا، دور الجزائر في الماضي والحاضر).

ونقدّم للقائمين على هذا الفعل الأكاديميّ أسمى آيات الشّكر لاختيار هذا الموضوع في وقتنا الحالي الذي نرى العربيّة في أفريقيا تعيش بعض القهقرى، أو نراها في نقطة واحدة دون الحركة التي تعمل على تطويرها، والدّفع بها أمام اللغات الأجنبيّة التي تنال مساحات على حساب العربيّة التي كان لها المجد في قارة

أفريقيا، فهل انقلب السّحرُ على السّاحر، وهل تعود العربيّةُ إلى المشرق من أفريقيا كما عادت من الأندلس وتركيا وفارس وباكستان والهند والصّين وفرنسا وجورجيا والشّيشان والبوسنة وألبانيا...؟ وإلامَ نعزو التّراجع عن استعمالها في التّدريس في الجامعات الأفريقيّة؟ وفي بعضها لا تزال لصيقة بالعلوم الإنسانيّة؟ وهل لا نملك الرّجل الرّشيد أو المرجعيّة العلميّة التي تقترح الأفكار النيّرة التي تُعيد لها الاعتبار؛ لتعود أفضلَ ممّا كانت عليه أيام المدّ العربيّ القديم؟ أقول هذا وأنا في موريتانيا؛ نسل الشّناقطة المعتزّين باللغة العربيّة، وكانت لهم أدوار مهمّة في الحفاظ على الهُويّة والقيَم الإسلاميّة في شمال غرب أفريقيا، وفي هذه البلاد شيوخ خلّدتهم آثارُهم الكبيرة، فسجّلوا أنفسهم في صفحات خدمة الضّاد؛ فكانوا شُعلاً مضيئة في سخاء الضّاد، رصّعوا تاجها وزيّنوا تاريخها قوّةً وعطاءً بشيوخ خالدين. في بلاد شنقيط ظهر الشّيخ محمد محمود ولد التّلاميذ التّركزي المعروف بالشّنقيطي؛ فهو لُمّع في المنظومة المعرفيّة العربيّة، وسيبقى مَعْلَمَة بارزة وذُؤابة علميّة أصْعَدَهُ إليها عِلْمه الغزير غزارة رحلاته وتجاربه وكثرة شعره، وهو من طينة الجيل الذي لا ينقرض؛ فتفتخر به بلاد شنقيط في المشرق وفي المغرب. بلاد شنقيط بلاد محاضن المحاضر التّصوّفيّة؛ بلاد فُتحت فتحاً حسنا فنالها لفحَ حرّ الشّمس؛ حيث يعيش الموريتاني حياة تمتزج فيها الأنشطة اليوميّة بالحياة البسيطة وحيث الدّعة والاستقرار يكون النّظام التّعليميّ المتكامل. بلاد المحاضر والمثابات مفتوحة لطلاب العلم والثّقافة بطابع مدرسيّ عامّ؛ مع تبحّر في علوم القرآن والفقه والنّحو والأصول والمنطق.

وأجهر بالقول بأنّ ما قدّمته الحظائر الموريتانيّة للعربيّة شيء نفيس ومُهمّ حيث عملت حظائرها على ترسيخ العربيّة في أعلى فصاحتها. وكان الشّناقطة قد أبدعوا في علوم العربيّة إلى أن قيل: "لا يخلو بيتٌ موريتاني من حافظٍ للألفيّة، وإن لم يكن به حافظ للألفيّة، ففيه شاعر مفلق بالطّبعة". موريتانيا البلد الذي يُطلَق عليه "بلد المليون شاعر". موريتانيا العروبة، ولها إشعاع علميّ في الماضي، إلى جانب

مواصلة المسيرة في الحاضر "وقد اتّفق الدّارسون والباحثون على الدّور الكبير الذي قامت به (المحظرة) في موريتانيا من خلال إشعاعها العلميّ وعطائها المعرفيّ المُتميّز. وهو ما أولاها عنايةً كبيرة من لدُن مختلف فئات المجتمع فأصبحت لها تقاليدها الخاصّة بها ومعاييرها ومبادئها التي يحترمها الجميع من داخل المحظرة وخارجها[1]". هذا البلد الذي كانت علوم اللّغة تُدرّس لذاتها، وقد أخرج علماءَ كباراً في النّحو وهو العمدة في كلّ الدراسات؛ وحيث لا تحفظ متون النّحو لا يمكن التّحكّم في اللغة العربيّة وهي لغة إعرابيّة وأستحضر تلك الأبيات التي رسّخها فينا شيخنا في ستينيات القرن الماضي ونحن على الحصير نتلقّى النّحو وهو يكرّر قوله:

النّحوُ زَيْنٌ للفتى يُكرمُه حيْثُ أتَى
مَنْ لم يكُنْ يَحْسُنُه فَحقُّه أن يَسْكُتا

موريتانيا التي تعمل على التّرغيب في حفظ القرآن الكريم، وفهم الحديث الشّريف، وتعلُّم فقه اللغة وعلم التّصوف، والشّعر بما تملك من زوايا تحفيظ المتون، والقرآن الكريم، والحديث الشّريف، وحفظ الشّعر العربيّ القديم، ويفتخر رجالها بقولهم:

أوّل واجب على من كُلّفا أن يَعرِف اللهَ ويَعرِف "قفا"

1ــ دور المجلس الأعلى للغة العربيّة في هذا المحفل الأفريقيّ: يسعى المجلس الأعلى للغة العربيّة إلى إبراز حرصه الدّائم على رصّ الصّفوف ضمن العمل الأفريقيّ المشترك، وتوطيد سبُل التّعاون في المجالات الدّينيّة واللغويّة بوصفها جسوراً داعمةً لمساعي تجانس المجتمعات العربيّة والأفريقيّة ثقافياً وبما يُحقّق الأمن والاستقرار والرّفاه. ونظراً لما للغة العربيّة من أثر فاعل من حيث إنّها حاملة أفكار ومنظومات وقيَم وثقافة ودين... فنريد جَعْل الثّقافةَ العربيّةَ سدّاً منيعاً في دول الجنوب الأفريقيّ حتى تحتلّ العربيّةُ موقعاً مُتصدّراً أمام اللغات التي تلتمس وسائل غير بريئة تتجاوز اللغة إلى التّأثير بالغذاء بهدف التّمسيح. وقد أثبتت

التّجربةُ أنّ التّعاون الجزائريّ الأفريقيّ عموماً، وفي دول السّهل/ السّاحل خصوصاً كان يكتسي أهميّة بالغة على المنطقة في حلّ النّزاعات بالطّرائق المتحضّرة، وبالتّضامن التّنمويّ المستديم بين كلّ الدّول الأفريقيّة المنضويّة تحت عضويّة الاتّحاد الأفريقيّ. وتدعيماً لتلك الجهود ينبغي الاستثمار في الأبعاد الدّينيّة واللغويّة والثّقافيّة، بوصفها الفضاءات التي تُقرّب وجْهات نظر النّخب الأفريقيّة المؤثّرة في الأحداث بما يسمح بتثمين روابط الأخوة والصّداقة القائمة على التّضامن الإيجابيّ.

ولا مندوحة من الإشارة إلى الدّور الذي لعبه علماءُ (توات) الذين كانت لهم أقدام راسخة في أفريقيا "وكان لعلماء توات وبخاصّة أسرة الكنتّيين خطوة خاصّة عند ملوك بُرنُو الإسلاميّة، ويعتبرونهم من المرابطين وينظرون إليهم نظرة إكبار وتعظيم، ويسْعَوْن لاستقدامهم إليهم وإغرائهم بالإقامة بينهم. وقد احتفظت لنا بعض المصادر بذلك، ومنها هذه الرّسالة التي وجّهها أحد سلاطين بُرْنو سنة 843هـ إلى هؤلاء المرابطين في منطقة توات، ويقول فيها (فقد سعينا من أمركم لماذا تركتم عادة كبرائكم؟ لماذا قصّرتم عن النّزول وإرسال البّعثات إلى بلادنا منذ عملكم مع كبيرنا... فأنتم لم تعودوا إلينا منذ ذلك الحين... فعليكم أن تأتوا إذن كعادتكم... لأنّ البلاد بلادكم كما كانت بلاد أسلافكم[2]". ولا ننسى ما قامت به الطّريقة الصّوفيّة (التّيجانيّة) في نشر الإسلام والثّقافة العربيّة في غرب أفريقيا السّمراء، وفي ربط الصّلات بين الجزائر وهذا الجزء من هذه القارّة، وبخاصّة: السّنغال+ السّودان+ ليبيا+ مالي. كما لا يمكن أن نغفل رجال الطّرائق الصّوفية الجزائريين الذين كان لهم تأثير واسع تَعَدَّى المجالَ الدّينيَّ والثّقافيَّ إلى السّياسيِّ منهم أبو الحسن الشاذُليّ، وعبد القادر الجيلاني، وأحمد بن سالم التّيجانيّ... ولعلّ أحسنَ عالم مثّل علاقة الجزائر بغرب أفريقيا الشّيخ عبد الكريم المغيليّ 909 هـ الذي استقرّ في (كانو وتومبكتو) وترك بصمات دينيّة وعلميّة وسياسيّة انتشر إشعاعها من خلال كتبه، ومن خلال علمه الذي غرسه في الأحفاد والمريدين.

المغيلي الذي غرس العربيّة في هذه الدّيار وتعهّدها بالسّقي حتى أينعت وأعطت الثّمار الطّيبة. هذا العالم المغيلي له إسهامات جبّارة في كثير من الميادين؛ وبخاصّة إسهاماتِه في الاستنساخ والمحافظة على المخطوطات العربيّة والتّدريس فيها وبها "والواقع أنّ الإمام المغيليّ جاء بعدد لا يُستهان به من المخطوطات، يدرّس تلاميذه من الكبار والصّغار وعلى وجه التّحديد في كتسيا وكنو، وكان هؤلاء التّلاميذ يستنسخون منه هذه المخطوطات جيلاً بعد جيل حتى أصبحت أكثرها مشهورة في دهاليز ومدارس أهليّة دون المبالاة لموردها، وكيف جاءت إلى نيجيريا ومن هذه المخطوطات (العوامل في النّحو) المنسوبة إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني، والتي لا تزال في صورة مستنسخة مما جاء به الإمام المغيلي من المخطوطات[3]". كما لا نغفل إسهام المغرب الوسيط في تأسيس بعض المراكز والمساجد التي أضحت مراكزَ إشعاع في أفريقيا على غرار مسجديّ (قاوو وتومبكتو) اللّذين يعدّان من أبرز مراكز الإشعاع الثّقافيّ في دوّل (السّافانا/ SAVANA) الاستوائيّة خلال القرون الوسطى.

2-نظرة مقتضبة عن التّفاعل بين العرب والأفارقة: ما يجب أن نعلمه بأنّ موقع العرب الجغرافي وأفريقيا لا يفصل بينهما إلاّ البحر الأحمر ومساحة ضيقّة جداً. ولذلك كان العرب والأفارقة على تواصل دائم عن طريق تبادل المصالح المرسلة التي تجسّدت في التّجارة عن طريق الملح، وهذا قبل مجيء الإسلام. وذكر ابن خلدون هذا الأمر "إنّ اللغة العربيّة دخلت إلى إفريقيا قبل خمسة آلاف سنة، عبر المداخل الجنوبيّة والشّماليّة لساحل البحر الأحمر، وأطلقوا على ساحل أريتيريا آنذاك، اسم بلاد الحبشة وبلاد (الزيلع) وكان عرب شبه الجزيرة العربيّة عامّة، وعرب اليمن، وحضرموت، وعُمان خاصّة، هم أوّل من عرف منطقة شرق أفريقيا، قبل غيرهم من الأمم الأخرى، وحتى قبل ظهور الإسلام بعدّة قرون. فقد استطاع العرب – ومن خلال رحلاتهم البحريّة- أن يعبروا مضيق باب المندب منذ أقدم العصور وأن يكتشفوا البلاد الواقعة على السّاحل الشّرقيّ

الأفريقيّ من بلاد الدّناقلة والحبشة شمالاً، وحتى موزمبيق ومدغشقر جنوباً[4]".
ولما جاء الإسلام فقد كان للمسلمين أوّلُ لجوء سياسيّ إلى بلاد الحبشة، واستقرّ بعضُهم هناك، وتفاهموا بلغة مشتركة وهي العربيّة. ولما بدأ الإسلام يشتعل وصلت دُفْعات كبيراتٌ من العرب عن طريق شمال أفريقيا، باستخدام مسالك تجاريّة قديمة عبر الصّحراء الكبرى، وقد عبد التّجار طريق التّلاقي والتّفاعل بين الأفارقة في الشّمال (البربر) والأفارقة في الصّحراء/ الجنوب/ السّهل مع (الزّنوج) وبدأ يمسّ القارّة الأفريقيّة عامّة "مسلك ورقلة إلى صحراء مالي، وما قامت به مدينة تيهرت من مدّ جسور التّواصل إلى الصّحراء الكبرى بغرض التّجارة... كما ضمنت تيهرب وصول السّلع السّودانيّة إلى مدن إفريقيّة[5]" وحصل تفاعل بين الحواظر العلميّة، مع ما صاحبها من حركة انتقال العلماء والطّلّبة وبذلك حدثت روابط ثقافيّة عبر القرون، وهذا التّفاعل تمّ بقوّة ناعمة خلال العصور الوسطى القديمة حتى عمّ الإسلام كلّ القارة. كما شهدت المدنُ السّاحليةُ حركةً تجاريّةً نشيطّةً في جلب الدّافع بين التّجار العرب والأفارقّة. وكان التّلاقح العلميّ متبادلاً على هذا النّمط:

- حاظرة تلمسان ⟵ تمبكتو
- إقليم توات ⟵ تمبكتو + غانا
- جامع الزّيتونة ⟵ السّودان
- حاظرة بجاية ⟵ السّودان
- جامع الأزهر ⟵ غرب أفريقيا
- القرويين ⟵ بلاد النّيجر + نيجيريا
- السّودان ⟵ نيجيريا

وبالفعل حصل تفاعل لغويّ بوصول العربيّة إلى مراكز العلم والحضارة وأصبحت لغةَ التّداول والتّدريس (Lingua franca) التّواصليّة في أعلى نسبة من ألفاظها، وبخاصة في التّجارة، وتخصّصت كلغة المنابر والمراسلات في

العديد من الإمبراطوريات الأفريقيّة مثل مالي وصونغي وكامرا. وانتفع الأفريقيّون بقيمة هذه اللغة وعملوا على تقبّلها، بل والدّفاع عنها وتعليمها وتعلّمها والإبداع فيها وبها حتى أصبحت لدى بعض المجتمعات الأفريقيّة لغة التّواصل والإبداع، وتَخلَوْا طواعيّةً عن لغاتهم الأصليّة. ولقد نالت العربيّة موقعها من خلال الكتاتيب أوّل الأمر، ثم في المدارس العربيّة الإسلاميّة على العموم. وكان لها موقع استراتيجيّ أوليّ في دول شمال أفريقيا، وهذا الأمر واضح. وأما في دول السّهل/ السّاحل وعمق أفريقيا وفي شرقها، فالأمور متفاوتّة من دولة لأخرى، فهناك بلدان نجد فيها العربيّة إلزاميّة عبر كامل البلد أو في بعض المقاطعات، وفي بعض الدّول نجدها اختياريّة ونجدها لغة وطنيّة، وكما نجدها لغة أجنبيّة أولى. ولكن ما يُمكن تسجيلُه أنّها **لغة التّخاطب العامّ.**

3ــ العربيّة في أفريقيا: الماضي المُغدِق: نجد العربيّة في البلاد الأفريقيّة ترتبط بالإسلام، فالأفارقة يقدّسون الإسلام ويولونه أهميّة عاليّة، ولهذا كان للمسجد عندهم مكانة خاصّة. ونجد الدُّعاة استثمروا في بناء المساجد والزوايا وتبعهم السّاكنة بنفس المنهج، وبخاصّة في القرنين الثّامن والتّاسع الميلاديين في وسط القارة الأفريقيّة، وكان لهذه المساجد دور في نشر الإسلام وتعليم العربيّة وقد أشار إلى هذه المسألة الجغرافي (أبو عبيد البكري إلى أنّه "في سنة 455 هـ، كانت توجد في غانا مدينة إسلاميّة فيها اثنا عشر مسجداً يلتقي المسلمون في أحدها في حشود ضخمة، ويجتمع الأئمة والمؤذِنون من جميع أنحاء البلدة على صعيد واحد لدراسة أحوال المسلمين[6]". إنّها صورة عن شعلة الإسلام بما للسّاكنة من حماية الدّين الإسلامي بمنارات المساجد العاملة على إشاعة نور الإسلام. ويمكن القول بأنّ للمسجد في هذه الدّيار قيادة الأفكار، ألا يمكن الاستثمار من جديد في بناء وتحديث وتحريك رسالة المسجد من جديد؛ بوضع خريطة طريق جديدة بعقد النّدوات والملتقيات للأئمة ومساعدة المجالس العلميّة على تنفيذ برامجها التي تهتمّ بنشر التّعليم في المساجد وتشجيع الطّلبة للالتحاق بالمعاهد

والجامعات العربيّة لتعلّم اللغة العربيّة. كما أرى ضرورة الاستثمار في المرشدات الدّينيات لعلاقاتهن مع الأسر؛ فإذا وصلت العربيّة إلى الأمّهات فأعلم أنّها مغروسة غرساً جيّداً في المجتمع الأفريقيّ لما للمرأة من أثر في الأسرة. ونعرف أثر الأسرة في تمكين اللغة في مرحلة الطّفولة المبكّرة. هي بلاد قابلة للاندماج اللغوي، ولها كامل الاستعداد بتلقّي العربيّة فتدعونا تنزانيا وكينيا وأوغندا لننقذها من الأنجلزة، وبلاد الكاميرون وغينيا والتّشاد والبنين من الفرنسة.

وإذا ألقينا نظرة تاريخيّة على مقام العربيّة في بلاد أفريقيا، فنجد الدّيار **الغينيّة** أنجبت علماء أكفاء جهابذة، وُسِموا بنوادر زمانهم، إلى جانب ما تملكه البلاد الغينيّة من نفائس المخطوطات، والرّوائع الأدبيّة والشّرعيّة لدرجة أنّ بعضهم يلقّبها بالأندلس الأفريقيّة لما عرفته من ازدهار بعد دخول الإسلام ديارها. ويسجّل لنا التّاريخ بأنّ بلاد **الكاميرون** أحدث حركة تعليميّة جيّدة بعلمائه وزواياه العامرة وبحوانيت الورّاقين ومجالس العلم والمناظرات، ومنازل العلماء، ومجالس الفتوى، والمراكز الصّوفيّة والعتبات المقدّسة... وهذه المراكز والمؤسّسات قامت على رِفد العربيّة والحفاظ عليها، وتوسيع رقعة الثّقافة العربيّة عبر التّطوّرات المتلاحقة. ونقرأ عن بلاد **الصّومال** التي اشتهرت بعنايتها بالحلقات العلميّة التي تدرِّس علوم العربيّة إلى جانب علوم الشّريعة، وقد حافظ الصّوماليّون على تلك الحلقات حتى صارت ركيزة أساسيّة من ركائز الثّقافة الوطنيّة الصّوماليّة التي لا تنفكّ عن مخيال الشّعب الصّوماليّ في أفكاره وأحلامه. ومن محاسن تلك الحلقات أنّها خدمت العربيّة، وسدّت فراغاً كبيرًا وأعلت مجدَ العربيّة في حسن إجادتها التي أخرجت بدورها علماء فطاحل في العربيّة، علماء مبدعين في اختصاصهم. كما نعلم بأنّ العربيّة دخلت إلى مملكة غانم في منطقة تشاد، ومع دخول الإسلام اشتعلت في مملكة مالي التي اشتهرت بعاصمتها تمبكتو التي عرفت بكثرة علمائها ومساجدها ومدارسها وجامعها الكبير سنكوري. ولقد نالت العربيّة موقعاً استراتيجياً في نيجيريا من المملكة البرناويّة؛ فأضحت لغة الدين والتّاريخ والثّقافة

والسّياسة والإدارة والعلاقات الدّوليّة. وإذا ذكرنا **تمبكتو**، فإنّنا نتذكّر اللّغة العربيّة الصّافيّة، ونتذكّر معالم إسلاميّة قديمة قدَم الزّمان، نتذكّر المخطوطات التي تكتنزها مساجدها وزواياها وأفرادها تتذكّر معالم العروبة والانتماء والإضافة ونتذكّر قوافل العرب ومسالك شمال أفريقيا، ونتذكّر طريق الملح. تمبكتو ذكره الرّحالة المغربيّ ابن بطوطة "ممّا لا جدال لإنهاء دور اللّغة العربيّة في تثقيف أهل هذه المنطقة، وأهل تمبكتو على سبيل المثال هذّبت لغتهم المحليّة على رأسها الماندينغو وكتبت بالحرف العربيّ ثمّ أدخلت كلمات عربية في قاموسها إضافة من ازدهار دخل المنطقة؛ حيث كان أكثر الذين يغدون إليها من العرب، كما قال ابن خلدون[7]". ولا نغادر بلاد الغرب الأفريقيّ دون الوقوف على ما قدّمته نيجيريا في مجال المخطوطات، والمجال لا يتّسع لذكر كلّ تلك المنجزات الكبرى في تحقيق المخطوط. وفي ملخّص العمل الذّي اقترحه خليل الله يقول: "إنّ نيجيريا ليست عملاقاً إفريقياً من حيث الحجم وعدد السّكان، بل هي من أكبر الحواظر الإفريقيّة عنايّة بالتّراث العربيّ، ولقد نجح العلماء النّيجريّون في الإسهام في تقديم عدد من الأعمال العربيّة الإسلاميّة بداية من القرن السّابع عشر، وقد قطعت نيجيريا أشواطاً طويلة في توثيق الحضارّة الإفريقيّة غير أنّ هناك العديد من الأعمال المخطوطة ما تزال بحاجة إلى التّحقيق والبحث لما لها من قيمة معرفيّة حضاريّة[8]". ولا بدّ أن نشير إلى بلاد كَنُو وهي من أقدم البلدان الأفريقيّة التي شاعت فيها الثّقافة العربيّة واشتدّت شوكتها بجهود حماتها الذين أنشؤوا المدارس العربيّة في مختلف أصقاع أفريقيّة... وهكذا نرى موقع العربيّة في ماضي أفريقيا مُزدهراً ومُغدقاً. نعم عرفت العربيّة الازدهار عبر الكثير من الممالك التي لم نأتِ على ذكرها "فكلّ هذه المماليك والدّول الإسلاميّة الإفريقيّة جعلت من العربيّة لغتها الثّقافيّة والتّعلميّة والدّينيّة والإداريّة ومعاملتها التّجاريّة ومراسلتها ومكاتباتها الرّسميّة وأبلت البلاء الحسن في نشرها وتعليمها، وفي ظلّها وبتشجيع منها نبغ كبار العلماء والشّعراء والأدباء والمؤرّخين الذّين أغنوا التّراث الإسلاميّ ومكتبته

بجليل أعمالهم ومؤلّفاتهم التي لم ير النّور منها إلاّ النّزر القليل جدًا[9]". ولقد عاشت العربيّة ازدهاراً كبيراً مع انتشار المدارس ومعاهد التّعليم، وتكاثر العلماء والمبدعون، وكانت اللغة الأولى في أفريقيا، ولغة مشتركة في القارّة، وكان للخطّ العربيّ ظهور قويّ فرضّ نفسه على اللغات المحليّة، كما أثرت العربيّة في أقوى اللغات وأخذت منها ألفاظها إن لم نقل تعرّبت تلك اللغات بنِسَب مختلفة.

وفي ظلّ ذلك الازدهار حدث اختلال الأهوال بضياع الأحوال، مصاحبة بانتهاك الحرمات واقتراف المنكرات، مع ذيوع الأغراض واستحكام الأمراض فانقلبت الرّؤوس وانتكست النّفوس، وبخاصّة لمّا استفحلت شوكة الاستعمار فتغيّرت الأوضاع، وظهر التّراجع عن تدريس العربيّة، وكتابة اللّغة المحليّة بالحرف اللاّتيني، وما رافقها من غلق الحواظر العلميّة والمدارس القرآنيّة. وفي مرحلة الاستعمار بدأت تتراجع العربيّة، وتعرف الانكماش بسبب الأوضاع السّياسيّة والاقتصاديّة، وما فرض الاستعمار من منع تدريسها واستبدال حروفها بالحرف اللاتينيّ، ووضع مخطّطات رهيبة للفرنسة المصاحبة بالتّبشير. وبطبيعة الحال تعرف العربيّة تقهقراً ملموساً على الكثير من الصُعد، ويبقى هذا من التّاريخ وما يُسجّل في هذا المجال:

1ــ إنّ الأفارقة تمسّكوا بالعربيّة وعضوا عليها بالنّواجذ، ونقرأ الكثير من إسهاماتهم العلميّة، وهذا ما يؤكدّ لنا أنّ أفريقيا ستكون القارّة الأولى للغة العربيّة في لاحقٍ من الزّمان.

2ــ –أثر العربيّة في اللغات المحليّة بارز بالقوّة، وهذا ما نلمسه من ظاهرة الاقتراض اللغويّ نظراً للثقل الحضاريّ والروحيّ الذي تتمتع به العربيّة في كلّ البلاد الأفريقيّة، ويضاف كذلك عولمة الحرف العربيّ باعتباره أداة لتدوين لغاتهم المحليّة، وهذا يمثّل جانباً مهماً من الارتباط الحضاريّ والوجدانيّ بين العرب والآفارقة.

3ــ أبدع الأفارقة في الشّعر العربيّ الفصيح، كما أبدعوا في المنظومات العلميّة أو النّظم التّعليميّ وأبدعوا في العلوم الإسلاميّة أيّما إبداع.

1/3ــ عالميّة الأبجديّة العربيّة في اللغات الأفريقيّة: بفعل القرآن الذي يكتب بالحرف العربيّ المعروف اتّخذت عموم أفريقيا هذا الخطّ في تدوين لغاتها مع مراعاة بعض التّكييفات في ما لا يوجد في منظومة الأصوات التّسعة والعشرين (29) لمنظومة الخطاطة العربيّة، وهذا دون نقاش يُذْكَر. ونجد عولمة الخطّ العربيّ في:

الرّقم	اللغة	مناطق الاستعمال
1	لغة السّونكا	مالي+ السّنغال+ ساحل العاج+ گامبيا+ موريتانيا+ غينيا بساو. وفي موريتانيا تسمى (الأزيريّة).
2	لغة سيرير	السّنغال+ گامبيا.
3	لغة الشّاويّة	الجزائر.
4	لغة القبائل	الجزائر.
5	اللغة الشّلحيّة	المغرب.
6	لغة الصّوصو	غينيا+ غينيا بيساو+ سيراليون.
7	اللغة الصّوماليّة	الصّومال+ أثيوبيا+ كينيا+ جيبوتي.
8	لغة الصّنغاي	نهر النّيجر+ مالي+ النيجر+ بنين+ بوركينافاصو+ نيجيريا.
9	اللغة الميزابيّة	الجزائر.
10	لغة الطّوارق	الجزائر+ ليبيا+ الصّحراء الكبرى+ النّيجر+ مالي+ بوركينافاصو.
11	اللغة الفولانيّة	السّنغال+ گامبيا+ الكاميرون+ غينيا.
12	اللغة الكاتوريّة	تشاد+ السّودان+ نيجيريا+ الكاميرون+ أرتيريا+ جنوب ليبيا.
13	اللغة اللوكنرية	أوغندا.
14	لغة مايا	لغة قبيلة وادي في تشاد.
15	لغة ماتدنها غرب	مالي+ السّنغال+ گامبيا+ غينيا+ ساحل العاج+

	أفريقيا	بوركينافاصو+ سيراليون+ ليبيريا+ غينيا بيساو+ تشاد.
16	اللغة المدغشقريّة	مدغشقر.
17	اللغة النّوبيّة	مصر+ شمال السّودان.
18	اللغة الحررية	شرق أثيوبيا.
19	لغة الهوسا	نيجيريا+ تشاد+ الكاميرون+ بوركينا فاصو.
20	لغة الولوف	گامبيا+ السّنغال+ موريتانيا.
21	لغة اليوربا	نيجيريا+ بنين+ الطّوغو.

ــ **تعليق:** ما يمكن قوله في منظومة الخطاطة العربيّة التي تبنتها الدّول الأفريقيّة ما يلي:

1ــ اللغة أداة إلاّ أنّها تعطي صفات خارجيّة عن نظمها التّركيبيّة.

2ــ إنّ البلاد التي تبنّت الإسلام تبنّت لغة الإسلام، وجعلت لغاتها المحليّة تكتب بالعربيّة طوعاً.

3ــ كان الحرف العربي أكثر استجابة للأصوات المحليّة بتكييفات بسيطة.

4ــ كان الحرف العربيّ الخطّ الذي نقل اللغات المحليّة من الشّفاهية ومن الاندثار وجعلها تنال موقعاً في المكتوب، وليست تابعة لدولة الاستعمار، مثلما نجد في اللغة الصّوماليّة/ المازيغيات.

5ــ اللغات الأفريقيّة التي تخلّت عن الحرف العربيّ بدعوى العصرنة ازدادت تخلّفاً، وانقطعت عن تاريخها وبقيت ممسوخة لا هي احتفظت بلغاتها، ولا تقدّمت بالحرف اللاتينيّ الذي تبنّته بعد ذلك.

6ــ هناك صحوات أفريقيّة معاصرة تدعو إلى العودة لكتابة لغاتها بالحرف العربيّ على غرار فعل الأجداد.

7ــ يجب تسجيل جهود (الإسيسكو) في مجال وضع برمجيات لكتابة كلّ اللغات الأفريقيّة بالحرف العربيّ.

وفي هذا الوقت الذي حصل فيه الصّراع على نيل المقامات، وعودة الاستعمار الثّقافي نشهد تكالباً على احتواء لغات الأفارقة للخطّ اللاتينيّ، إضافة إلى ظهور

أفكار كتابتها بالحروف الكريلية والدقنكاري، والتّيفيناغ، كما يحدث الصّراع اللغويّ في كثير من البلاد الأفريقيّة بما تركه المستدمر في البلاد التّاليّة: السّنغال- الجزائر- گامبيا- مالي- أثيوبيا- المغرب- مصر- النّيجر- غينيا- أرتيريا- غينيا بيساو- ليبيا- تونس- موريتانيا- بوركينافاصو- الصّومال- ليبيريا- ساحل العاج- بينين- جزر القمر- جيبوتي- مدغشقر- تانزانيا- الكاميرون- أوغندا- سيراليون- جنوب أفريقيا- كينيا[10]. وهكذا لا يزال الصّراع قائماً في من يحتوي هذه اللغات ويُوجّهها، ويُقلعها في مواطنها، وهذا على مستوى لغتين تنافسان العربيّة: الفرنسيّة+ الإنگليزيّة. وهذا الصّراع ظاهر بقوّة في نيجيريا وبكثافة سكانيّة مسلمة، ورغم أنّ اللغات المحليّة ارتقت معظمها بفضل العربيّة التي أمدّتها بعديد من الألفاظ والمسكوكات، وجعلتها غنيّة وظيفيّة[11]. ولم تفلح العربيّة أن تنال موقعاً جيّداً، "وفي هذا السّياق علينا أن نُميزّ بين ثلاث حالات للعربيّة كلغة اتّصال في أفريقيا. **الحالة الأولى** وهي حالة العربيّة في شمال أفريقيا؛ حيث توجد أقليّات سكانيّة غير عربيّة في وسط عربيّ واقعيّ أوفي فرض سياسيّ للتّعريب **الحالة الثّانيّة** هي حالة العربيّة كلغة اتّصال في أثيوبيا وإريتريا وتشاد، حيث تستخدم العربيّة كلغة تواصل بالرّغم من أنّ العرب كعنصر بشريّ أقليّة سكانيّة لا تزيد عن العشرة بالمائة في أحسن الحالات **الحالة الثّالثة** هي حالة استخدام العربيّة كهجين لغويّ في مناطق لا يسكنها عربٌ، ولكن العربيّة الهجين وصلت إليها لأسباب سياسيّة تاريخيّة كما هو الحال بالنّسبة إلى التوكو في محيط بحيرة تشادو الكينوبي في كينيا وأوغندا وعربيّة جوبا جنوبي السّودان، علاوة على ذلك تظلّ العربيّة لغة مصدر افتراض معجمي أو تركيبيّ في الكثير مخالفات السّاحل الشّرقي لأفريقيا ومنطقة ما تحت الصّحراء وغرب أفريقيا[12]". ومع ما يمكن أن يقال فإنّ للعربيّة مقاماً في عموم أفريقيا مع ما كانت تعرفه من تهجين وتحوّل تركيبيّ وافتراضيّ أنماط وما اعتراها من تحوّلات، لكن حصل الأمر لأنّ لغة تواصل فيها سمات

العربيّة على أساس أنّها اللغة الطّاغيّة، وأنّ قواعدها هي الأكثر تطبيقاً، وأنّ مصطلحاتها هي الأبرز في الاستعمال.

4ـ اللغة العربيّة الحاضر المشرق: لقد لعبت العربيّة –في أفريقيا في الزّمن الماضي– دورًا لا يُستهان به من حيث تسجيلها رقماً انمازياً في استعمالها ورسميّتها، واستطاع الأفارقة التّحكّم فيها بالمرجعيّات الأصول التي كانوا يعتمدونها مراجع من مثل: البخاري ومسلم، وابن المقفع، والجاحظ والجرجاني والفيروزآبادي... ونرى ذات الملامح تتكرّر في وقتنا الحاضر بأشكال مختلفة نرى العربيّة تعيش الازدهار في غرب أفريقيا، ولها علامات التّحسّن ونيل المقامات الأخرى، وما نلاحظه من تأثير المراكز الثّقافيّة والمدارس الخصوصيّة والجمعيات المدنيّة، والقنوات النّاطقة بالعربيّة... يبشّر بأنّ الحاضر بالفعل مُشرق، دون الحديث عن قوّة:

1/4–الاتّحاد العامّ لمؤسّسة دعم اللغة العربيّة في تشاد.

2/4–الإدارة العامّة للتّعليم العربيّ والإسلاميّ في وزارة التّربية الوطنيّة بجزر القمر.

3/4– الجمعيّة الأكاديميّة للغة العربيّة وآدابها في **نيجيريا**... وما دمنا أتينا على ذكر نيجيريا فمن الشّهادات التي أقدّمها وأنا أحضر المؤتمر الدّولي للغة العربيّة من مؤتمره الثّاني إلى الثّامن في دُبي فحضور أهل نيجيريا في الرّتبة الثّانيّة بعد الجزائر، بمعنى هناك حضور قويّ للغة العربيّة في هذا البلد الأفريقي؛ بمعنى العربيّة متجدّدة فيه، فلا غرو أن يكون للغة العربيّة حضور عميق مؤثّر، كيف لا وهي لغة القرآن، كما أنّها الحاضن التّاريخيّ الثّقافيّ الوثيق بين العرب وإخوانهم من سائر القوميات والأعراق "وعلى هذه الخلفيّة سجّل التّاريخ حضوراً واضحاً وإنجازات ملموسة للغة العربيّة في مجتمعات أفريقيّة المختلفة، وظهر ذلك من خلال مجموعة من المعالم الحضاريّة والإمبراطوريات الأفريقية الإسلامية آثاره الفاعلة في إحياء الثقافة العربيّة في بلدان أفريقيا المختلفة، وتعدّ نيجريات واحدة من

أبرز المناطق التي شهدت حضوراً ملموساً ومكثفاً للغة العربيّة والتي تجذّرت في أرجائها وترعرعت على أراضيها، حتى أصبحت تمثّل عنصراً مهماً في حياة الشّعب النّيجيريّ المسلم وأضحت للتّعليم العربيّ قيمّة اجتماعيّة كبيرة ودلالة ثقافيّة عميقّة في السّاحة النّيجيريّة[13]". ولا ننسى تلك الجهود المشرقّة التي تقوم بها الإسيسكو في كتابة اللغات الأفريقيّة بالحرف العربيّ وبما صنعته من آلات راقنّة وامتدّ هذا إلى وضع أصوات في اللغات الأفريقيّة في محارف الحواسيب بمنطاق عربيّ؛ يستجيب لأصوات اللغات الأفريقيّة المحليّة، مع أنّ العربيّة في بعض الدّول تعاني من مضايقات من مثل، نقص الوسائل التّربويّة الحديثّة في طرائق تدريسها وغيابها في المواد العلميّة، وضعف التّخطيط اللغويّ في مؤسّسات الكثير من الدّول الأفريقيّة، وقلّة الاهتمام بالسّياسة التّربويّة، وضعف تواجد العرب في هذه الدّول ومزاحمة اللغات الغربيّة، وما تفرضه العولمة اللغويّة التي تدّمر كلّ اللغات. ومع كلّ هذه الهنات لا تزال ذات المنظّمة الإسلاميّة (الإسيسكو) تقوم بمجهودات في صالح العربيّة على غرار فعلها في جمهوريّة جزر القمر من تجسيد برنامج تعليم العربيّة للقيادات والمسؤولين ورجال الفكر والثّقافة؛ وهذا البرنامج يستفيد منه سنوياً ما يزيد عن 50 مدرسًا إضافة إلى القيام بالمحاضرات والرّحلات اللّغويّة إلى البلاد العربيّة في كلّ سنة. ونضيف:

4/4-توسّع العربيّة في القارّة، وبدأت تعود إلى أوضاعها القديمة.

5/4-انتماء دول إفريقيّة إلى جامعة الدّول العربيّة.

6/4-قوّة فاعلة في وجود طلبة البعثات الأفريقيّة في مختلف البلاد العربيّة.

7/4-فتح قنوات محليّة ناطقة بالعربيّة.

8/4-ظهور صحف واسعة الانتشار باللغة العربيّة.

9/4-تعزيز وظيفة التّعليم العربيّ في نيجيريا والتّشاد والصّومال وجيبوتي والسّنغال.

10/4–ظهور أقطاب الطّرائق الصّوفيّة المتمكنين في العربيّة في أعلى بلاغتها مثل علماء التّيجانيّة بالسّنغال.

11/4–جمهرة كبيرة من المنظّمات الدّاعمة لتعلّم وتعليم العربيّة في هذه الدّول.

12/4–تواجداً علميّاً وعملياً لمنظّمة الإسيسكو التي تجاهد من أجل كتابة لغات الشّعوب الأفريقيّة بالحرف العربيّ.

13/4–جهوداً معتبرة تقوم بها بعض الجمعيات الخيريّة لبناء مدارس لتعليم العربيّة.

14/4ــ جهوداً معتبرة لجمعية الدّعوة الإسلاميّة العالميّة+ لجنة مسلمي أفريقيا+ رابطة العالم الإسلاميّ+ صندوق التّضامن الإسلاميّ+ منظّمة المؤتمر الإسلاميّ+ الهيأة الخيريّة العالميّة+ منظّمة الدّعوة الإسلاميّة السّودانيّة+ جهود الخيّرين+ ... وكلها تدّعم وجود العربيّة وتعميم استعمالها، ودحر الفرنسيّة في هذه البلدان الأفريقيّة. ويلخّص الباحث عبد العليّ الودغيريّ ملامح العربيّة المعاصرة في هذه الدّول بصورة إجماليّة قائلاً: "إدخال اللغة العربيّة في مناهج التّعليم النّظاميّ رسمياً في عدد من دول المنظّمة ابتداءً من مرحلة الاستقلال كما هو الشّأن في كلّ من تشاد وغينيا والسّنغال ومالي والنّيجر ونيجيريا؛ ويشمل ذلك كلّ مراحل التّعليم.

– تزايد عدد المدارس الأهلية الخاصّة التي يرعاها الأفراد والجمعيات الإسلاميّة، وبعض البعثات التّعليميّة العربيّة والإسلاميّة.

– تزايد ملحوظ ومتنامٍ لأعداد المدارس القرآنية وانتشارها في كلّ المناطق من أنحاء القارّة، وأقبال أبناء الأفارقة بشكل مثير للدهشة.

– دخول التّعليم العربيّ إلى المرحلة الجامعيّة في عدد من الدّول...

– في بينين تمّ فتح معهد عالٍ للغة العربيّة والدّراسات الإسلاميّة...

– في غينيا فتحت شعبة للغة العربيّة تابعة لجامعة كوناكري...

– في نيجيريا التي يوجد بها أكبر عدد من الجامعات[14]".

وهذه كلّها مؤشّرات جيّدة، ولكن هناك مضايقات معاصرة، نجدها تُضايق في بعض الدّول من الفرنسيّة وشبه غياب في العلوم "ولا شكّ فإنّ الحضور الواضح للغة العربيّة في التّعليم الحكوميّ لغالبية دول عرب إفريقيّة يعكس الاهتمام الكبير باللغة العربيّة في هذه الدّول؛ سواء على المستوى الشّعبيّ أم الرّسميّ كما نشير كذلك للتقدّم الواضح الذي أحرزته اللغة العربيّة في مؤسّسات التّعليم الحكوميّ في غرب أفريقيا وخاصّة في ضوء التّجربّة الاستعماريّة القاسيّة التي عاشتها تلك المنطقة وما صاحبها من حجر على تعليم العربيّة وإقصائها وخاصّة في مؤسّسات التّعليم الحكوميّ[15]". وهناك تفاوت في التّعليم من بلد لآخر وهناك أوضاع متفاوتّة من حيث استعمالاتها في الإدارات الرسميّة لا الأجنبيّة. والآن ماذا يجب علينا فعله لتعميم استعمال العربيّة؟ وماذا يمكن أن نقدّم –نحن المجتمعين هنا– لهذه الشّعوب الأفريقيّة التي تعبد الله، وتقدّس لغة القرآن؟ وكان علينا الآتي:

1–تقرير المكتسبات والإقرار بها عن طريق تقييمها والاهتمام بها.

2–العمل على أن تنالّ العربيّة الصّفة الرّسميّة في هذه الدّول.

3–انتقاء أعضاء في المجامع والمؤسّسات تشجيعاً لهم.

4–إقامة ندوات مشتركة وملتقيات وأيام دراسيّة.

5–إقامة ندوات حول اللغة العربيّة بالمناسبات القارّة: لغة الضّاد+ اليوم العالميّ للغة العربيّة.

6– تشجيع المجلات الصّادرة بالعربيّة في هذه القارّة.

7–اقتراح فتح الإذاعات والفضائيات النّاطقّة بالعربيّة.

8–تخصيص جوائز خاصة للأفارقة في التّباريّ ضمن حسن استعمال اللغة العربيّة.

9– فتح جامعات صيفيّة للطلاب الأفارقّة وتخصيصها في الانغماس اللغويّ.

10– دعم للجهود المبذولة من أجل معالجة ضعف البنية للمدارس والجامعات.

11–المساعدة العلميّة في مجال تعليميات اللغة العربيّة على مستوى القارّة الأفريقيّة جمعاء، وتشجيع الامتداد العربيّ الأفريقيّ لغوياً.

12–اقتراح الأفكار النّوعيّة في رفع المضايقات في تعليم العربيّة وفي التّكوين العلميّ والبيداغوجيّ.

13–تقديم اقتراحات بديلة لمعالجة تدني مستوى تعليم العربيّة وضعف الإمكانيات العلميّة التي تعامل بها العربيّة.

وكلّ هذا يحتاج إلى تقديم أفكار في الإصلاح التّربويّ لمنظومة تعليميات العربيّة، والتّشجيع الماديّ من قبل الدّول العربيّة الغنيّة لهذه القارّة الضّعيفة ماديّاً والغنيّة بشرياً وأفكارًا، إضافة إلى بذل مزيد من الجهود العلميّة والماديّة من المجامع والمؤسّسات؛ لاقتراح بدائل تربويّة تُعلي من مقام العربيّة عند النّاطقين بغيرها. تعالِ نبدأ، تعالِ نضع بصماتنا استكمالاً لفعل السّلف الصّالح الذي رسّخ البنية القاعديّة تعالِ نضع أقدامنا في الطّريق، تعالِ نصنع النّجاح عن طريق العمل الجماعيّ.

5ــ واجبات المؤسّسات العربيّة تجاه العربيّة في أفريقيا: يقول الخليل النّحويّ " ليس من همّنا في هذه الورقة الحديث عن ماضي اللغة العربيّة والتّغني بأمجادها وإنّها لحرية بذلك، غير أنّ الأهمّ بالنّسبة لنا أن نتملّى واقعها، فننظر في ما يتيحه من فرص سانحة، وما يفتحه، مختمراً بالماضي العريق، من آفاق للمستقبل. ما من شكّ أنّ اللغة العربيّة تحتلّ اليوم، بالرّغم من كلّ مصائبها، مكانة متقدّمة بين لغات العالم المعاصر لا نتكئ على محض التّخمين حين نجزم بها، بل ننطلق في ذلك من استنطاق سبعة مؤشرات – تتفاوت في متانتها الإحصائية – لكنّها تتعاضد في الإفصاح عن مكانة سامقة للسان العربي في العالم المعاصر لا يبعد أن تحفز حركته لاستعادة مكانة أسمى كانت له في الماضي الغابر. وتتلخّص المؤشّرات التي نريد أن نستنطقها في المكانة الوجدانيّة، والوضع الدّستوريّ العالميّ، ومؤشر اللغة الأم وعدد النّاطقين جملة والنّطاق الجغرافيّ (عدد الدول) ومدى الحضور في

الإعلام السّمعيّ والمرئيّ والمكتوب عامّة وعلى الشّابكة (الإنترنت) بخاصّة[16]". وهكذا نريد تقديم أفكار وآليات جديدة تخرجنا عن الاتّكاء على الماضي، فماذا يمكن أن يقدّم للعربيّة خارج مواطنها، وبخاصّة في أفريقيا لتعود إلى ماضيها المشرق أو تزيد. ومن خلال هذا المحفل أرى أن يتولّى المسألة اللغويّة أصحاب العقول النّيرة، والآراء الرّاجحة والأفكار النّاضجة. وكان علينا التّخطيط لكيفيّة النّهوض بالعربيّة في أفريقيا لتكون نصرًا وانتصارًا لكلام الله. ولهذا لا غنى عن العربيّة المعياريّة التي نتعلّمها في مدارسنا في بناء الدولة والمجتمع المدني والتّواصل العربيّ– العربيّ، ولا بديل منها. ولا يجب أن نرجع إلى اللغةَ الرّكيكة لمخطوطاتِ القرن التّاسع عشر وما قبله. ولا بدّ من تجاوز اللهجات مع انتشار التّعليم لندرك أنّ الأفارقة يشتكون من هذا ويسعون إلى نشدان الفصحى التي تُقرّبهم منّا وتربطنا بهم، وتجعلهم يفهمون دينهم. لا بدّ من كسر الهُوّة بين العرب والأفارقة، وسدّ كلّ الذرائع التي تؤدّي إلى البديل الأجنبيّ أو التّشاؤم من العربيّة بوجه نقيصة أو لهجة محليّة أو سوء تعبير. وثمّة مجال آخر وهو السّير بالعربيّة إلى مجال الرّقمنة وحوسبتها لتكون قادرة على التّفاعل مع التّقنيات. والعربيّة المعياريّة وحدها كفيلة بالنّجاح ورفع التّحدي وكسب الأجنبيّ. قد كانت لسان العرب في أصقاع المعمورة، وتفاعلت مع كلّ اللغات وبزّتها وكانت لها المعادلة العالميّة والعلميّة. وأما الآن فقد تغيّرت الأمور، ولا بدّ أن نقلق بشأنها؟ لكن يقيني الكبير أنّ هؤلاء الأفارقة سوف يقدّمون لها ما يجب أن يكون، وهذا ما يجعلني أقول: **لا خوف على العربيّة في أفريقيا** ومع ذلك أرى ضرورة بعث الثّقة بين العرب والأفارقة؛ بتقريب وجهات النّظر عن طريق الحوار، ثمّ الحوار، وزرع الثّقة ليسهل التّواصل، ورفع مستوى تعليم العربيّة، ومضاعفة الجهود من أجل تجسيد المواطنة اللّغوية، حيث اللّغة الأمّ والتّماهي في العربيّة، والقيام بالمواجهة الفعّالة ضد التّيارات الأجنبيّة ومواصلة الجهود لرفع مكانة العربيّة، وإعلاء شأنها السّياسيّ والاجتماعيّ. ونروم أنّ أمثال هذه اللقاءات سوف تُثمر عن خُطط مرجعيّة

ومستقبليّة يقع الاتّفاق حول أبعاد التّعامل للتّكامل، أبعاد تضع الاهتمام باللّغة العربيّة في أفريقيا ضمن الأولويّات.

6ـ ماذا ينتظر منّا الأفارقة؟ يبدو لي بأنّ الإسلام كان اختيارهم الاستراتيجيّ واصطحب معه لغة الإسلام فأصبحت شبه إلزاميّة لفهمه فهماً صحيحاً بدل التّرجمة التي لا تفي بالغرض مهما كانت. كثير من البلاد الأفريقيّة تعوربت في سوقها وفي قضاء مصالحها، والعربيّة جزء من ثقافتهم اليوميّة، وهم يطلبون في هذه الظّروف المعولمة مزيداً من عقد النّدوات لتدريبهم في النّطق الصّحيح للعربيّة، مع تصميم المناهج التّدريسيّة الحديثة التي تجعلهم يعيشون الغمر اللغويّ العربيّ في التّواصل عامّة. وكان علينا تزويدهم بالكتب العربيّة من قبل المجامع والمؤسّسات والجامعات ليعيشوا الواقع اللغوي المعاصر فيحتاجون منّا:

- إدماجهم في عضوية المجامع والمؤسّسات العربيّة؛
- دعوتهم لحضور أمثال هذه الفعاليات؛
- الإغداق على علمائهم وتكريمهم ليزيدوا في الإنتاج؛
- طبع الكتب والدّراسات اللغويّة الجديدة الخاصّة بتعليم العربيّة للأفارقة بالاعتماد على اللغات الأمّ؛
- تبنّي مشاريع عربية أفريقيّة في مجال القواميس/ المعاجم/ الأدلّة/ لغة المحادثة؛
- ترجمة معاني القرآن إلى لغاتهم الأمّ؛
- مساعدتهم على الاحتفاء بالمناسبات اللغويّة العربية والعالميّة من مثل: اليوم العربيّ للغة الضّاد+ اليوم العالميّ للغة العربيّة+ العيش معاً بسلام+ التّنوّع الثّقافي؛
- تكريم علماء أفريقيا بإسداء أوسمة استحقاقيّة نظير جهودهم في خدمة العربيّة خارج مواطنها.

ومع ذلك أقترح أن **يقوم مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة** بحمل هذه الأمانة، وهو يستطيع أن يتحمّلها ومؤهّل عملياً ومادياً لمواصلة جهوده في نشر العربيّة في أفريقيا، وكانت هذه هي البداية، والطّريق تصنعه الأقدام؛ على أن يُحدّد خريطة طريق لهذا الأمر، بشرط أن يُعضَد بأفكار المجمعيين وأعضاء المؤسّسات الملحقة باتّحاد المجامع لتحقيق تواجد العربيّة التّربويّ في المقام الأوّل في أفريقيا، وهذا وفق المقترحات التّاليّة:

1ــ اقتراح برامج تعليميّة للمعلّمين بمناهج حديثة تشمل التّدريبات التّربويّة اللاّزمة للمعلّمين.

2–صياغة برامج تربويّة للمتعلّمين تثير اهتمامات المتعلّم، وتجعل منه عضواً فعّالاً يتجاوب مع البيئة من حوله، ومع الظّواهر المختلفة التي تدفعه لحبّ الاستطلاع والاستكشاف، ومحاولة إيجاد الحلول للمشكلات المختلفة.

3–توفير المعاجم اللّغويّة المناسبة لمستويات الطّلاب، وتعريفهم بأهميّتها ووظائفها وخصائصها وطرائق استعمالها. ويجب أن تكون هذه المعاجم سهلة ومُبسّطة، ويُستحسن أن تكون من المعاجم التي تصف فيها المفردات اللّغويّة بحسب ترتيب الحروف الهجائيّة في اللّغة. ليتمكّن التّلميذ من الرّجوع إليها والاستفادة منها، والتّعرّف على جميع المختصرات والرّموز والمصطلحات المستخدمة فيها.

4–العمل على توفير وسائل التّعليم الحديثة في المدارس كالتّلفزيون التّعليميّ الذي كان في مقدّمة الوسائل التي تشترك في تجسيد اللّغة وتقريبها وإيصالها أو نقلها عن طريق الحواس المتعدّدة بشرط أن تتوافر المادّة التّعليميّة النّافعة والتّخطيط السّليم في العرض والتّوجيه السّديد في الاستخدام؛ لئلا تتحوّل هذه الإثارات إلى وسيلة ترفيه بحتة وأدوات لتمضيّة الوقت.

5–الاعتماد في تعليم العربيّة على المُمارسة والمُحاكاة والإكثار من التّدريب الذي يُساعد التّلاميذ على اكتساب المَهارة اللّغويّة، واستعمال اللّغة استعمالا صحيحًا

بغير تكلّف، وبدون الالتجاء إلى القواعد الجامدة والعبارات الاصطلاحيّة. وذلك مثل تدريب التّلاميذ على المسرحيات وحلقات الحوار والنّقاش.

6-ضبط بعض الكتب المدرسيّة أو معظمها؛ لأنّ ذلك يساعد التّلاميذ على النّطق الصّحيح السّليم ولا شكّ أنّ هذا يشجّعهم على حبّ القراءة والاطلاع.

9-التّجنّب التّامّ لاستعمال الاستعارات والمجازات والكنايات عند تعليم الطّالب المبتدئ إلاّ للضّرورة اللاّزمة.

10-إعطاء الفرص للمعلّم الأفريقيّ بالسّفر إلى البلدان العربيّة لممارسة التّدريبات وتحسين مستواه العلميّ ليتأهّل في ميدان عمله؛ فالمعلّم المؤهّل أكثر قدرة من غيره.

11-التّمويل الكامل والكافي من قبل المجمع مما يساعد كثيراً على توفير الجوّ الملائم والبيئة الصّالحة للمدرس والتّلميذ معًا[17]".

ـ **الخاتمة:** أيّها الجمع الكريم، لا يجب السّكوت عن ضعفنا، ولا بدّ من جلد الذّات، بدل إلقاء بالتبعة على الغرب والاستعمار، وسرد التّوصيات، واقتراح الاقتراحات في كلّ اللقاءات. إنّ العربيّة توزّع دمُها بين العرب الذي أفرطوا فيها ولم يحافظوا عليها في بلادهم، بلهَ الحديثَ عن خارج مواطنهم. إنّ العربيّة تنتحر في أفريقيا؛ فنرى ثلاثاً وأربعين (43) دولةً، من بين ثلاث وخمسين (53) دولة أفريقيّة تستخدم اللغات الأوروبيّة كلغات رسميّة؛ حيث اختارت اثنتان وعشرون (22) دولة أفريقيّة اللغة الفرنسيّة لغة رسميّة لها، بينما توجد تسع عشرة (19) دولة أفريقيّة تستخدم اللغة الإنكليزيّة لغة رسميّة لها، في حين اعتمدت خمس (5) دول أفريقية اللغة البرتغاليّة لغة رسميّة لها، أما اللغة الإسپانيّة فقد أقرّتها دولة واحدة لغة رسميّة. وهناك بعض الدّول اختارت لغة أفريقيا كلغة رسمية أولى، أو ثانيّة إلى جانب إحدى هذه اللغات العالميّة. ليس بالأمر المدهش إذا علمنا بأنّنا لم نحافظ على فعل الأجداد رغم أنّ الوضع الحالي تحسّن منذ خروج المستدمر من قارة أفريقيا، ورغم الإقرار بأنّ العربيّة بدأت تستعيد بعض عافيتها في بعض

البلاد، وهي مُرشّحة لنيل مقامات أحسن إذا وقع رفْعُ مُضـايقاتها المُتمثّلـة فـي: ضعف الحضور المحليِّ والعالميّ، ومزاحمة اللَّهجات القُطريَّـة، وتهميشـها فـي التَّعليم الجامعيّ والبحث العلميّ، وعلاج عزوف الجيل الجديد عن تعلُّمها، وفقرهـا الواضح في المعلوماتيّة. وهذا كلّه يستدعي البحث في فرَص وإجراءات لنجاحـات مستقبليّة بأنّ يكون للعربيّة موقعٌ بين لغات العلم، وتقوم بوظائفها في جميع فـروع المعرفة، والعمل الجاد لعولمة الحرف العربيّ في لغات القارة الأفريقيّة.

إذاً هناك واقع مُؤسف يحتاج إلى علاج، وهناك واقع مُغدق مرصـود، وأمـل مُشرق منشود، علينا الاستثمارَ في الواقع المأمول، وهو واقع يحتاج إلـى تجديـد ومرافقة، هناك جهود وطنيّة أفريقيّة علينا تثمينَها والبناءَ عليها من أجل غدّ جيّـد. ولتكن لنا خريطة فِعْل الأجداد؛ وهي الاستثمار في هذه البلاد لغوياً ومادياً، وحمْـل راية المزيد على فِعْل السّلف الصّالح عن طريق العمل على التّفقّه بالمَنْعَة للوصول إلى درجة الاجتهاد؛ بتكوين شخصيات تفتخر بتراثها، وتُخلص في إسلامها وللغـة الإسلام؛ تطبيقاً لمبدأ السّلف "**ما لا يُفهَم به الواجبُ فهو واجبٌ**".

ـ **اقتراحات:** علينا أن ندرك بأنّ لـبلاد المغـارب دوراً كبيـراً ومهمّـاً فـي الانصهار الحضاريّ والامتزاج الثّقافيّ في أفريقيا، وأنّ دول جنوب الصّحراء تمثّل عُمقاً استراتيجياً مُهمّاً للعالم العربيّ وهذا ما يؤكّد ضرورة تقويّة التّواصل العربيّ الأفريقيّ؛ وبخاصّة على المستوى الثّقافيّ، وتمكين العربيّة فيها. ومن هنـا أقتـرح الآتي:

1ـ مرّة أخرى، لا بدّ من تقديم العربيَّة إلى أفريقيـا فـي صـورتها الكليَّـة المستوعبة للوعاء الحضاريِّ والاستثمار الحقيقيّ في وسائل التَّواصـل الرَّقمـيّ المعاصر.

2ـ الدّعوة إلى تأسيس منظّمة عربية تهتمّ بمظاهر الاستعراب، وتعتني بقضايا العربيّة في كلّ العالم وبخاصّة أفريقيا، ويكون لها فـروع فـي القـارة الأفريقيّـة لإعادة ربط التّواصل العربيّ الأفريقيّ والاهتمام بالتّنميّة البشريّة.

3ــ مزيد من الانفتاح على هؤلاء الأفارقة، فلهم إسهامات في تطوير العربيّة بل هم من حماتها وننظر إلى ما تركه السّلف للخلف من الإنتاجات القيّمة التي يُشار إليها بالبنان من العلوم والفنّون العربيّة والمستقبل لايزال باهرًا للّغة العربيّة من ناحية امتلاك استعمالها بجدارة والتّأليف فيها وبها.

4ــ دعم المشاريع الأفريقيّة التي تعود بالنّفع على اللّغة العربيّة؛ كإنشاء المجلاّت والمنشورات والصّحف والفضائيات الموضوعاتيّة التي تعمل على نشر العربيّة وثقافتها.

5ــ العمل على حسن توظيف الفُرص التي يتيحها عصر العولَمة من تكثيف في التَّواصل والأخذ والعطاء بين الثَّقافات، وسرعة في نشر المعلومات، وشيوع الوسائل التّكنولوجيّة.

6ــ دعم اللُّغات الإفريقيّة الكبرى القريبة من العربيَّة، كالسّواحليَّة، والهوسا والصُّوماليَّة.

الهوامش:

[1]- "دور المحاضر الموريتانيّة في ترسيخ اللّغة العربيّة" إبراهيم ولد الشّيخ سيديا. الإمارات العربيّة المتّحدة، المؤتمر الدّوليّ الرّابع للغة العربيّة، دُبي: 2015، كتاب المؤتمر، المجلد التّاسع، ص 399.

[2]- عبد العلي الودغيري، اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة بالغرب الأفريقيّ، وملامح من التّأثير المغربيّ، الرّباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط: 2011، سلسلة بحوث ودراسات رقم 51، ص 23.

[3]- عبد الغني أبمبولا عبد السّلام "إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربيّة في نيجيريا (مخطوط العوامل في النّحو للجرجاني نموذجاً" مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائريّة في غرب أفريقيا. جامعة أدرار، العدد السّادس ص 13.

[4]- ع/ الشّابكة، موقع جوجل (العربية في أفريقيا) بتاريخ: 30 جوان 2019م.

[5]- عبد الباسط المسقين "التّلاقح الحضاريّ بين حواضر المغرب الأوسط والسّودان خلال العصرين الوسيط والحديث" مجلة آفاق الثّقافة والتّراث. الإمارات العربيّة المتّحدة، دُبي: 2017 مركز جُمعة الماجد للثّقافة والعلوم والتّراث، السّنة الخمسة والعشرون، العدد السّابع والتّسعون ص 62.

[6]- المسالك والممالك، تح: أدريان فان ليوفن+ إندري فيري. تونس: 1992، بيت الحكمة+ الدّار العربيّة للكتاب الجزء 2، ص 871.

[7]- عبد الرحمن لول أدورو الكشناوي "اللّغة العربيّة في غرب أفريقيا بين تمبكتو- أغاديس- طشنه". الإمارات العربيّة المتّحدة دبي: 2015، المؤتمر الدّوليّ الرّابع للّغة العربيّة، كتاب المؤتمر، المجلد التّاسع (9) ص28

[8]- مجلة رفوف، مخبر المخطوطات الجزائريّة في غرب أفريقيا. جامعة أحمد درايه بأدرار: 2015، العدّد السّابع. 2015، ص 9.

[9]- عبد العلي الودغيري، اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة بالغرب الأفريقيّ وملامح من التّأثير المغربيّ. الرباط: 2011، جامعة محمد الخامس أگدال، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرّباط، سلسلة بحوث ودراسات، رقم 51، ص 100.

[10]- ينظر: عبد الرّزاق القوسي، عالمية الأبجديّة العربيّة. والتّعريف باللغات التي كتبت بها. الرّياض: 2015، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة، سلسلة الأدلّة والمعلومات 7، الجزء الثّاني.

[11]– ينظر: عباس زكريا القارئ الإبادي، الصّراع بين العربيّة والإنجليزيّة في نيجيريا/ The conflict between Arabic and English in Nigeria./ . المركز النّيجيريّ للبحوث العربيّة. سلسلة إنتاج المستعربين (5) 2012.

[12]- محمد الشّرقاوي، العربيّة في شرق أفريقيا مقدّمة في التّهجين اللغويّ. القاهرة: 2017، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ص 11 –20.

[13]- مقدمة كلمة المحرّر، وينظر، اللغة العربيّة في نيجيريا. الرياض: 2017، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة العربيّة، ص 7–8. سلسلة العربيّة في العالم 7.

[14]ـــ اللغة العربيّة والثّقافة الإسلاميّة بالغرب الأفريقيّ وملامح من التّأثير المغربيّ. الرّباط: 2011، منشورات جامعة محمد الخامس، أگدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، سلسلة بحوث ودراسات رقم 51، ص 120– 121.

[15]- حسب الله مهدي "اللغة العربيّة في أفريقيا واقعها ومستقبلها والدّراسات الأفريقيّة المتعلّقة بها" مجلة التّخطيط والسّياسة اللغويّة، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدّوليّ لخدمة اللغة العربيّة السّنة الثّالثة، العدّد الثّالث، 2016 ص 102.

[16]ـــ محاضرة عنوانها "مكانة اللغة العربيّة اليوم بين اللغات الكبرى". أُلقيت في اتّحاد المجامع اللغويّة بالقاهرة بتاريخ: 8 مارس 2018م.

[17]- خيرية زكريا عمر "موقف التّعليم والتّعلّم في المدارس العربيّة لولاية كَنُو نيجيريا خطوات تطويريّة". الإمارات العربيّة المتّحدة، دُبي: 2014، المؤتمر الدّولي الثّالث للّغة العربيّة، كتاب المؤتمر، المجلد 1، ص222. (بتصرّف).

بالعقل نهتدي، وبالحوار نرتقي♥

ــ **الدّيباجة:** بمناسبة إحياء الذّكرى التّاسعة والعشرين (29) لإذاعة القرآن الكريم، يتشرّف المجلس الأعلى للغة العربيّة أن يتلقّى الدّعوة لحضور النّدوة حول الحوار وأهميّته في تحصين المجتمع من الفتن والانقسام، بشعار **(بالعقل نهتدي وبالحوار نرتقي)**. وعليه، أُعيدُ الأفضالَ لأصحاب الدّعوة وأخصّ المديرةَ العامّةَ للإذاعة الجزائريّة، على هذا التّكريم الذي أتيحت فيه للمجلس الأعلى تقديم كلمة مقتضبة حول النّدوة في موضوع السّاعة. موضوع أسالَ كثيراً من الحِبر والكلام وهذا دِلالة على أهميّته في هذه المرحلة الصّعبة التي تمرّ بها بلادُنا؛ مرحلة المخاض الدّيمقراطيّ الذي تتأسّس عليه دولةُ الحقّ، ودولةُ نيل المؤسّسات مقامها في الحريات بصورة طبيعيّة. وكلّها غايات يُطالب بها المجتمعُ الجزائريّ؛ بُغية رسم معالم الحاضر والمستقبل؛ للوصول إلى بناء دولة الحضارة التي تُبنى على الواجبات قبل المطالبة بالحقوق. ومن خلال هذا أمفصل تدخّلي في النّقاط التّاليّة:

1ــ لماذا الحوار؟ إنّ الحوار يهدف إلى: "توحيد المواقف، وتعزيز الاعتدال والوسطيّة، وإزالة أسباب النّزاع، والقضاء على التّطرّف..." وبالتّالي فإنّ الدّعوة إلى الحوار تمثّل روحاً جديدة لإنعاش الأمل في استعادة القوّة، وتحقيق التّماسك وتنمية الرّوابط والصّلات؛ تحقيقاً للتّضامن والتّكامل وتوظيفاً للقدرات والطّاقات الضّخمة؛ لخدمة مصالح الشّعوب وتعزيز أمن وسلامة الأوطان... وبدون الحوار تبقى صفوفُنا شَذَرَ مَذَرَ، والأزمات ستعصف بنا جميعاً وتغرق سفينتُنا، وبدون الحوار لا تتوحّد المواقف، وتزداد الأوضاع الاقتصاديّة تدهوراً وستقضي على فرص العيش الهانئ لأمّتنا. إنّ الحوار دعوة للسّلم، وإلى التّصالح مع النّفس وإلى

♥ ــ تدخّل رئيس المجلس في النّدوة الوطنيّة حول (بالعقل نهتدي، وبالحوار نرتقي) في الإذاعة الوطنيّة، النّادي الثّقافي (عيسى مسعودي) بتاريخ: 3 محرّم 1441 هــ/ 2 سبتمبر 2019م.

استشراف المستقبل الأبعد، وإلى العودة إلى العقل والحكمة والمنطق. وما أحوج الجميع إلى مدِّ اليدّ للتّحاور البينيّ، والعمل بهمّة الكبار، وهم الذين ينتصرون ويتعالون ويَسْمَوْن إلى الأعلى من أجل شُعوبهم ومُستقبل أوطانهم. إنّ الحوار وسيلة اتّصال فعّالة بين الفرد والمجتمع؛ حيث إنّه يقود إلى تعدّد الآراء، واختيار الرّأي الأصحّ منها، فالحوار في أساسه مطلب إنسانيّ بين الجميع، فهو يُساعد الفردَ على تحقيق استقلاليّته؛ بأنّ له رأياً يخصّ تلك القضيّة التي يتمّ التّحاور فيها.

2ــ متى تكون حواراتُنا ناجحةً؟ عندما نلتزم بقواعدها السّليمة، وأن يكون لدى الفردِ معرفةٌ ودرايةٌ حول الموضوع الذي يتمّ التّحاور فيه، وندرك مدى أهميّة هذا الحوار وانعكاسه على ذواتنا وعلى الآخرين، ويكون في موقعه الخاصّ بالحوار. وأما لغة الحوار فهي مهمّة جداً في الحصول على المعرفة، وعلى نقل الحقيقة، وقبول رجع الصّدى. تكون حواراتنا ناجحة عندما نغرسها داخل بيوتنا مع أبنائنا؛ حتى نكسبَهم الثّقةَ والقدرةَ على إدارة الحوارات، والقدرةَ على التّعبير عن مشاعرهم وعدم غياب لغة الحوار عن منازلنا حتى لا ينشأ الطّفل منطوياً على نفسه ويحبّ العزلة أو لا يستطيع أن يتقبّل وجهة النّظر الأخرى إلاّ من باب العنف. وكلّما كان الحوار هادفاً كانت النّتائجُ أجدى وأنفع لكلا الطّرفين، وهو الأداة الواجبة لمعالجة مشاكلنا.

3ــ مقام العقل في الحوار: لا شكّ أنّ العقل ميزة الإنسان، وبه يكون مُخيّراً في كثير من الحدود التي تخصُّه، فمناطُ العقلِ يُلغي الوصايةَ إلاّ ما هو بينه وبين الله، وكلّ ذلك يتأسّس على رجحان العقل الذي يُدبّر أمور الدنيا، فقامت على ضوء ذلك دولٌ ومجتمعاتٌ تتمتّع بالحريّة والدّيمقراطيّة والعدالة الاجتماعيّة، وفيها مواثيق حقوق الإنسان والمُساواة. وهذا جاء عن طريق (حوار العقل) وهو الذي أدّى بتلك الشّعوب إلى ضفّة الأمان، وشاطئ السّعادة، وهل يمكن أن يتحقّق ذلك في مجتمعنا؟ أعتقد أنّ ذلك ليس مُستحيلاً، وأطرح هذا من باب نافذة الأمل في التّغيير للأحسن إذا أنزلنا العقلَ مكانَه. نُنزل العقلَ بالصّدق والإخلاص، ولا شكّ أن

الصّدق باب قبول الآخر، ومهما وقع الاختلاف في المحتوى/ المبنى لا يكون الاختلاف في الهدف والغاية/ المعنى، فالاختلاف محمود والخلاف مذموم.

4ــ الحوار الوطنيّ: من المتّفق عليه أنّ الحوار سلوك إنسانيّ حضاريّ وجسر من جسور التّواصل بين البشر على اختلاف أطيافهم، وهذا من الطّبيعي والطّبعيّ. وإنّ إرث الجزائر عميق ومُتجذّر في التّاريخ، وهو الذي عرف تلاحم البربر بالعرب، وانصهروا كتلةً واحدةً حتى أصبحوا إرثاً تاريخيّاً للمجتمع الجزائريّ، ووصفناها ذات خطاب "**بالمازيغيّة نَبقى، وبالعربيّة نَرقى، وبالإسلام نُشكّل العروةَ الوثقى**" ولطالما كانت لحمتُنا الوطنيّة وتماسكُنا وجسورُ التّواصل بيننا أعزَّ ما نفاخر به في المنعطفات الحرجة التي مرّت عبر تاريخنا، ولذلك فالحوار ولا شيء غيره هو وسيلتُنا الفعّالة لمُعالجة مشكلاتنا، وإعادة الاستقرار والتّوازن السّياسيّ والنّمو الاقتصاديّ. وإنّي أؤكّد من هذا الموقع أنّه لا لغة أخرى نُواجه بها التّحدّيات الماثلة سوى لغةِ الحوار الوطنيّ البنّاء، حوار يضع الجزائر ومستقبل أبنائها فوق كلّ المصالح والاعتبارات الآنيّة والشّخصيّة. ولا أعني من الحوار شعارات نُردّدها على الملأ؛ بقدر ما هو عمل وطنيّ جماعيّ يُلامس الاحتياجات الرئيسة للوطن والمُواطن ويقف بتجرّد وصلابة، ودون هوادة أمام التّحدّيات التي تُحيط بواقعنا الأمنيّ والسّياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، وما أكثرَها في هذه المرحلة الحرجة! حوار يكون في إطار من الاحترام المُتبادل البعيد عن الإساءة لكرامات النّاس، والتّشكيك في الذّمم أو التّخوين باختلاف الآراء، ويكون بالتّمحيص والردّ بالحجّة، وبمقولة (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيُك خطأ يحتمل الصّواب) المهمّ أن نسمع بعضنا البعض، ونجلِسَ إلى طاولة الحوار، بعيدين عن المصالح الشّخصيّة، وسنصل الى الهدف المنشود من خلال رزنامة وطنيّة نتوافق عليها **لتكون الجزائر الفائز الأكبر.**

5ــ الحوار الوطنّي والدّستور: من الأهميّة بمكان أن تكون لنا مرجعيات نحتكم إليها، وهي خريطة طريق مفصليّة في ما فيه خلاف، أو في الأسئلة

المُحرِجة التي لها تباين في الحلول ولذا يتطلّب المقامُ مرجعيّةَ أركانِ المؤسّسات الوطنيّة، ومنها مرجعيّةُ الدّستور؛ لأنّ الممارسة الدّيمقراطيّة والحريّة حقّ لا غبارَ عليه، ولكن بأن تكون في إطار القواعد الدّستوريّة واحترام حقّ الآخرين في ذلك بنصوص المؤسّسات. وإنّ المشاركة السّياسيّة من الفضائل التي طبع عليها المجتمعُ الجزائريّ منذ القدم، فثروتنا لا تكمن في البترول؛ بقدر ما تتجسّد في الرّصيد الوطنيّ الثّريّ لأسلافنا الذين تعلّمنا منهم الودّ والتّراحم والتّكافل والوحدة الوطنيّة والولاء للبلد بنظام (ثاجمعيث)﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الشّورى وعلى ضوء ذلك تجسّدت صورة الأغلبيّة، وترسّخ الأمن والاستقرار، ونالت المصلحة الوطنيّة المقام العلي. وهنا لا بدّ من التّركيز على نقاط ومكامن القوّة في المجتمع الجزائريّ وما أكثرها؛ فهناك توافق وطنيّ على مرجعيّة الثّوابت الوطنيّة، وتوافق حول الأولويات الوطنيّة، والقضايا المُلحّة التي ينبغي أن يرتقي العملُ على إنجازها لمستوى التّحديات الماثلة أمامنا، وهذا ما تؤكّده **قيادات الدّولة** بترجيح الشّرعيّة الدّستوريّة، وبمرافقة الحراك الشّعبيّ لتحقيق دولة العدالة في أعلى صُوَرها، و**انتخاب رئيس الجمهوريّة أولويّة الأولويات.** وماعدا ذلك من نقاط الاختلاف ووجهات النّظر في بعض القضايا الثّانويّة يتمّ التّحاور بشأنها وفق الضّوابط والأُطُر المرجعيّة ودون ضرر ولا ضرار. ونشيد **بهيأة أعضاء الوَساطة والحوار الوطنيّ** على تنظيمهم هذا الحوار الوطنيّ الحيويّ والمهمّ في وقت عصيب نُواجه فيه تحدّيات كبيرة، واضطرابات في السّاحة السّياسية، والذي يتطلّب منّا اليقظة والتّركيز حتى لا ندفع ثمناً باهظاً يجرف بلدَنا الى عُمق الفوضى.

6ــ بالعقل نهتدي، وبالحوار نرتقي: إنّ أوّل هذه المنطلقات هو وَحدتُنا الوطنيّةُ التي هي صمّام الأمان لأمن واستقرار الوطن والمواطن، وعلينا أن نحافظ عليها من كلّ أشكال الفُرقة والتّشتّت ونجعلَ من الحوار وسيلةَ بناء وليس هدماً ونصونَ بحوارنا الكرامات، ونَنْأَى عن كلّ مظاهر التّعصّب والتّكتلات الفئويّة التي

تضرّ بمصالح الوطن العليا. بالعقل نعمل على إنجاح الحوار الذي يجمع جميع الأطياف والأطراف المقتنعة بالحوار، وأبرز ما يُعزّز هذا الإقناع هو الثّقة التي يجب أن تكون مُتبادَلة بين الجميع، وذلك ما يعمل على تضييق المساحات الفاصلة بالعمل على إيجاد قواسم مُشتركة بين الأطراف المُتحاورة، وبذلك نرتقي في تأسيس أرضيّة صالحة للحوار. وعلى الطّبقة المُثقّفة أن ترمي بثقلها في هذا الفعل الذي تسمح لنفسها بالنّقد البنّاء المُضيف لا المُنيف، وأن تكون هناك ثوابتُ ومرجعياتٌ يقع عليها الحوارُ بكلّ الفعل السّياسيّ. ومتى ارتقى الحوارُ وكان إيجابياً، فلا غالب ولا مغلوب، فالغالب هو المنطق الذي يجمع العقل الرّاقيّ من أجل إصلاح الوضع المسدود، واستشراف مستقبل منشود. وهكذا نريد شبيبتنا أن تخدم وطنها بتصرّف القُدوة، ونريدهم مرجعيّة مثلى. وإنّه ليس عيباً أن تتكسّر اللاءات، ليس عيباً أن تكون هناك مصلحة سياسيّة وطنيّة يَرضى بها الجميعُ، ليس عيباً أن نتنازلَ من أجل الوطن، ليس عيباً أن نُطالب بضرورة صيانة ثقافة فنّ الاختلاف، ليس عيباً أن نهتدي إلى حوار الأفكار؛ لبلورة مشروع وطنيّ للتصدّي للفتن بشتّى أنواعها، ليس عيباً أن نجمع بين العقل والحوار لتنميّة مستديمة كمشروع وطنيّ أوّل، ليس عيباً أن نلتقي على طاولة الحوار لمناقشة إصلاح الواقع، وإزالة الغمامة عن عيوننا، ليس عيباً تأكيد حماية الاستقرار والاستقرار ثمّ الاستقرار، وتكريس مرجعيّة الدّستور، وسيادة القانون؛ باتّجاه إعادة الأمور الى نصابها الصّحيح، ليس عيباً إخواني أن نبادر إلى عقد أمثال هذه اللقاءات؛ فهي مناط تحقيق شعار النّدوة **(بالعقل نهتدي، وبالحوار نرتقي)**.

كلمات في الفقيدة (عائشة باركي)♥

ــ **مناسبة الحدث:** إنّه اليوم العالميّ لمحو الأميّة، ومن خلاله أزجي خالص الشّكر والإكبار لكلّ من يُناضل من أجل محو أميّته، ولكلّ من يُدرك أنّ التّعليم من المَهد إلى اللحد واهب، ومع المَحبرة إلى المَقبرة واجب. في هذا اليوم الثّامن (8) من سبتمبر من كلّ سنة؛ تَتَدَاعى إلينا أفكارُ خدمةِ الشّأن العامّ يُسراً وفي الاهتمام بذوي الحاجات أمراً، ومنها تشفير الحروف عمراً. وهاكم الكثير من هؤلاء مُنِحوا حياة أخرى، وشملتهم التّغطيّة مُثلى، وأصبحوا أعضاءَ في المجتمع سُعدى. في هذا اليوم إخواني؛ نستذكر الفعل النّبيل؛ الذي قامت به المرحومة **(عائشة باركي)** بتأسيس جمعيّة **(اقرأ)** التي نالت الإشعاع الوطنيّ واستجاب لها المعنيون؛ برفع تحدّي السّن والجهل والبداوة والعزلة؛ ليتأبّطوا المحافظ قاصدين الاندماج الجمعيّ في سلوك محو الأميّة الذّاتيّة.

أيّها الحضور، ما جئنا لتقديم التّعازي لعائلة المرحومة، بقدر ما نقول كلماتٍ في حقّ ردِّ الأفضالِ لذويها، وما أعظمَنا أن نحتفيَ بعلمائنا! وما أكبرَنا أن نردّ الأفعالَ لزعمائنا! وما أجلَّنا إذا خلّدنا كبارَنا! ولقد كتب اللهُ على نفسه الخلود وما نحن إلاّ من الموؤود. وتُجبُرني المناسبةُ بتقديم كلمةٍ خاصّة فهي تعزية بديلة عن الألم وأُعملُ فيها جرسَ الأدب، قريبة من الأرب. **عائشة باركي** جئتُ اليوم أغنيك وغناء اليوم أُرثيك، وَصَفْتُها ذاتَ مرّة، وهي في كامل مهمّتها قدوةٌ، تقود جمعيّتها بالقوّة فقلت: أيّتها الرّجلةُ الفَحْلةُ، فأنتِ مثل تلك الملكة العربيّة الأصيلة؛ التي قالتْ لزوجها يومَ أضاعَ فردوسَ الأندلس "لم **تحافظ عليها مثل الرّجال، فمقامك عندي رخيص المنال**". هي امرأةٌ عربيّةٌ بألف رجل، **وعائشة باركي** من جنس هذه المرأة

♥ــ ألقيت الكلمة بمناسبة اليوم العالميّ لمحو الأميّة. الثّامن (8) سبتمبر من كلّ سنة. فندق AZ بزرالدة في 8 سبتمبر 2019.

الرّجل، لبؤةٌ فحلةٌ، نشهد لها بعُمق الأفكار، وقيامِها بأعمال الأخيار، وفي الشّأن العامّ كان لها مقام الكِبار والإكبار.

ــ **عائشة الخَيْر:** يا **عائشة**، بالعِينِ يبدأ اسمُك، وهو العبد والعِين وعمّ وعبس... أسماءُ الله الحسنى وصورُه، فنعمَ العِينُ اسمَك! فعِشْتِ ما عشتِ، وفي لَقَبِك الكاف، وهو منتهى الكفاية، فمن العِينُ يُفتتح بكفى عيْشاً، وكلّ نفس ذائقةُ الموت. رحلَ الذين نُحبّهم، ويا**عائشة** أنتِ منهم، وما نريد منك الرّحيلَ وننتظر منك استكمالَ السّبيل. لكنّكِ رحلتِ دون استئذان، وأزفّ التّرحالُ بالبيان، ونراك أطلقتِ لرِجْلك العَنان، فبخٍ بخٍ سبيلُ الجِنان. يا **عائشة** لا نُنعيك اليوم لأنّك رحلتِ لكنّنا نُلجم شكوانا بتعزية الجُرح على الهجران، ومن يقوم بسدّ المكان بعدك بالعِمْران، ومن يقوم مقامَك، ومن يملأ فراغَك، ولكنّك أنتِ حيّة بأفكارك وبما تركتِهِ من بصْماتك، فجمعيّة (اقرأ) إحدى علاماتك.

ــ **العُظماء لا يموتون:** تقول الحكمةُ من مآثر العُظماء أنّهم يترُكون أفكارَ التّغيير، أو بصْمات التّأثير، أو تأسيسَهم لجمعيّات التّنوير، فأين مقامُك يا **باركي** من ثّلاثيّ التّدوير. فحيثُ حلّلتُه وجدتُ لك مقاماتِ الإحسان، وكُنْتِها عاملةً دون رُجحان، وأبدعتِ دون هَوان. ويا **عائشةُ** أنا لا أبكيك، فالبكاء للضُّعفاء، فأنت الكبيرةُ بلا مِراء. ويا أجمل السّيدات ما جئتُ لأبكيك، فقد أقمتِ جسراً يكفيك جسرُ محو الأميّة للصّغار، وجسر التّحدّي للكبار. فقد رفعتِ ثقلَ محوِ الأميّة عن شريحة من هذه الأمّة وفتحتِ المدارسَ في كلّ قمّة، ووصل مشروعُك إلى الهمّة. فأصبح مطلبَ العامّة والخاصّة، وتركتِ الصّدقةَ الجاريّةَ، فأنتِ الآن بيننا حيّةٌ. وشهادتي على ثمْرات الجمعيّة، نساءٌ كبيراتٌ يحملن المحافظ بالهمّة نساءٌ متوسّطاتٌ يقصدن المدارسَ بالقوّة، شاباتٌ تمّ لهنّ مسحُ الأميّة، رجالٌ أقرّوا بما قدّمته الجمعيّة لشرائح كادت تموت في الجهل والغُمّة. وهل العُظماءُ فعلاً لا يموتون؟ تموتُ أجسادُهم وتصبحُ رمساً، وتبقى أفكارُهم غمساً، وتؤولُ لهم الأحداث وسْماً. بالفعل العُظماءُ لا يموتون، وتبقى معالمُهم تدلّ على بصْماتهم، وآثارُهم علامةَ خلودهم.

ــ **عائشةُ وجائزةُ محو الأميّة:** يا **عيوش** الزّميلةُ الصّديقةُ، لقد وَفَّيْنا عهدَك بالأمانة، وجئْنا اليوم لتوزيع جائزة محوِ الأميّة بالمهابة، وقد كنتِ العامّ الماضي معنا رِدياً، وافتقدناك السّنة ندياً. جائزةُ محو الأميّة من أفكارك النّيرة، وهي من محامدك الخيْريّة، وستبقى أوريدو/ Ooredoo على سلوك ذات المنوال، وهي تحرص على ألاّ يؤولَ للزّوال، ما دام المديرُ العملياتي رمضان، يُدير الجائزة باستحسان، ويذكُرك دون نكران، فنشهد له بالبُرهان، على أنّه يواصل الدّرب بأمان. رَحَلَ الذين نُحبّهم، ويا **عائشةَ** أنتِ ممّن نُجلّهم، رُحماك يا **عائشة**، يا أختنا يا واهبة، فنحن لا نسأل ردَّ القضاء والأمرُ بيد الله قضاء، ولا نملك إلاّ الرّحمةَ على روحك، وأن تُضفَى عليكِ شآبيبُ نعمائك. والحمد لله في البَدْء، والحمد لله في الخَتْم ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ البقرة.

ــ **وتستمرّ الحياة:** إنّ رفاقَ السّبيل هُمُ اليوم حُضور، بقوّة وحُبور، وعلى الجميع النّور. فأنتِ لستِ في عِداد المَوْتى، بما تركتِه من الأفكار والصُّحْبى. وأرى الحياةَ تسير بالأفهام، والطّريق صنعتْهُ الأقدامُ. وتستمرّ الحياةُ، وتُعالج كلُّ العاهات وتُسدّ كلُّ الفراغات. ولا شكّ أنّ الخلفاء سوف يُضيفون وينتصرون، وفي تحدّي الأميّة يُبدعون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

وأريد أن أختم كلمتي ببعض الأبيات ولستُ بشاعر، ولكنّي من الغاوين:

هذه أبياتي متزاحمةُ الأشواق في خاطرِ الحضورِ تحيّةٌ وختامُ
ماتَ الخيالُ وأضحى من التّاريخ وعاشتِ الأفكارُ؛ وهي من الإلهامُ
فالتقِطْها أيّها الخليفةُ عاملاً في تطويرها؛ فتُباركُ لك الأيامُ
وصُنِ الوديعةَ وارتق أدراجَها وكنْ (لاقرأ) شعلةً، ولك الإقدامُ

والسّلام عليكم يا أيّها الحضور المُخلصون.

اللسانيات الرّتابيّة واللسانيات العرفانيّة♥

ــ الدّيباجة: إنّ هذا الموضوع جدّ متخصّص؛ باعتبار أنّ اللسانيات –في بعض تخصّصاتها– لا تزال لم تُفهم فهماً مُتكاملاً، بَلْهَ الحديثَ عن اللسانيات الرّتابيّة التي تعرف بعض الإدراكات فقط، ومع ذلك تنال مساحات على كثير من التّخصّصات وتحتاج إلى أرضيات معرفيّة متعدّدة، ومجالات تقانيّة حديثة. لقد استطاع الإنسان عبر عصوره المختلفة أن يجلي ما خفي عليه من ظواهر كونيّة، وبدأ في تطوير العلوم التي يمتلكها، وسعى إلى امتلاك معارف جديدة، في سبيل وصوله إلى قمّة المعرفة. وكان ممّا وصلت إليه اللسانيات الحاسوبيّة من مدارك أن نقلت العلوم اللغويّة نقلات جبّارة في إدراك بعض المجاري الذكّية التي يقوم بها الذّكاء البشريّ. وهذا العلم (اللسانيات) يتكوّن من شيئين: **اللسانيات العامّة** وهو العلم الذي يدرس اللغات الطّبيعيّة الإنسانيّة في ذاتها ولذاتها؛ سواء أكانت مكتوبة منطوقة أم منطوقة فقط... ويهدف إلى وصف أبنيّة اللغات، وتفسيرها، واستخراج القواعد العامّة المشتركة بينها وبين القواعد الخاصّة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلّفة لكلّ لغة. و**اللسانيات الحاسوبيّة** ويقصد بها توظيف الحاسوب، بما يحتويه من إمكانات رياضيّة خارقة، وسعّة تخزينيّة هائلة في خدمة اللغة. وأما الحديث عن **اللسانيات العرفانيّة/ العرفنيّة** فحديث معاصر جداً ونحن نُعوّل إلى حدّ الآن على التّرجمات التي تأتينا من الإنكليزيّة؛ لارتباطها بأعمال عددٍ من اللّسانيين الّذين اهتمّوا بالبحث في علاقة اللّغة بالذّهن، وعدلوا عن الاتّجاه السّائد خلال سبعينيّات القرن الماضي في شرح الأنماط اللّغويّة لاكتفاء ذاك الاتّجاه بدراسة الخصائص الهيكليّة للّغة. ولذلك ركّز اللّسانيّون العرفانيّون على علاقة بنية اللّغة بالأشياء الخارجة عنها، من نحوِ ما وَرَدَ في أدبيات (الجمعيّة الدّوليّة للعلوم

♥ ــ كلمة رئيس المجلس في افتتاح أشغال الملتقى الوطنيّ حول (اللغة العربيّة بين اللسانيات الرّتابيّة (الحاسوبيّة) واللسانيات العرفانيّة في الجامعات الجزائريّة –الواقع والآفاق–. المكتبة الوطنيّة 24– 25 سبتمبر 2019.

العرفانيّة ICLA) تركيزهم على تلك العلاقة كان وراء تفنيد الادّعاء بأنّ المكوّن التّركيبيّ Syntax منفصلٌ عن سائر مكوّنات اللّغة، ومحكوم بمبادئ خاصّةٍ به.

ـ **المقدّمة:** لا أريد الاستفاضة في أمر الحديث عن هذا الموضوع؛ فله رجاله المختصّون فهم يفتوننا في قضاياه، بقدر ما أشير إلى أهميّة هذا الموضوع الذي نطرحه أمامكم ليكون أرضيّة للتباري في منجزات حاليّة ولاحقة تكون رفداً لهذا العلم المعاصر الذي يتجاوز اللسانيات العامّة. والمهمّ في هذا ضرورة الدّراية بأعمال الاتّجاه العرفانيّ الذي كتب فيه جيل فوكونييه G. Fauconier وراي جاكندوف R. Jakendoff وشارل فيلمور Ch. Fillmore وجورج لاكوف G. Lakoff ورونالد لانغاكير Langacker. R ، وقد عمل كلّ واحد منهم على تطوير مقاربته الخاصّة في وصف اللّغة؛ بالتّركيز على جهاز بعينه. غير أنّهم في المقابل، قد أجمعوا على أنّ اللغة هي محور الدّراسة، وأنّ جميع البُنى اللّسانيّة جاءت لتخدِم المعنى والدّلالة التي غدت المحور الرّئيس في مقاربتهم العرفانيّة على نقيض مذهب تشومسكي الذي يُركّزُ اهتمامه على التّراكيب. فقد عُرِف لاكوف (1987) مثلا بأعماله حول الاستعارة (Metaphor) والكناية (Metonymy) بينما أسّس لانغاكير (1987) النّحو العرفانيّ (Cognitive Grammar) وبالموازاة مع هذه الأعمال ظهر الاهتمام بتعلّم اللّغة واكتسابها.

أولاً ـ كلمات في الموضوع: لقد دفعنا الاقتناع بأهمّية اللسانيات العرفانيّة وبقيمة البحث فيها (سواءً على المستوى النّظريّ أم التّطبيقيّ) كما حمَلَنا الحرصُ على استفادة اللّغة العربيّة من النّظريّات الحديثة إلى تنظيم هذا الملتقى الوطنيّ قصْدَ مزيد التّعرّفِ على هذه النّظريّات اللسانيّة، وإتاحة الفرصة للباحثين في اللّغة العربيّة لاختبار مناويلَ لسانيّة عرفانيّة في دراسةِ علوم اللّسان العربيّ، والتّثبّتِ من قُدْرتها على توضيح مسائلَ يُفترض أنّها ما تزال على قدرٍ من الغموض في مقاربة ظواهر صوتيّة أو صوتميّة أو صيغيّة أو معجميّة أو تركيبيّة أو دلاليّة أو حتّى تداوليّة وغيرها. وغرضنا هنا توضيحُ علاقة اللّسانيات العرفانيّة ببقية العلوم وأثر تلك العلاقة في دراسة اللّغة

وتبيّن ما يميّز العرفانيّة التّرابطيّة عن العرفانيّة السنّيّة (Classical Cognitive) وما يحقّقه ذاك التّميّز في دراسة اللّغة، والإسهام في تطوير الدّرس اللّسانيّ العربيّ الذّي مازال مُثْقَلاً بالإرث البنويّ، وتقديم نموذج جديد للنّحو العامّ المشترك مُمَثّلا في النّحو العرفانيّ، ومراجعة منازع من النّحو العربيّ في ضوئه، إلى جانب فهم كيفيّة اكتساب الطّفل للّغة العربيّة بالاستناد إلى علم تشريح الدّماغ مثلاً، فضلاً عن تأكيد قدرة مناوِلَ لسانيّة عرفانيّة على تطويرِ دراسة مستوياتٍ مختلفةٍ من اللّسان العربيّ: صوتيّة معجميّة، تركيبيّة دلاليّة...

ويكمن التّحدّي عندنا في العربيّة في معرفة ما تتبنّاه اللسانيات المعرفيّة في وصفها للعلاقة بين العالم واللغة من جهة، والفكر من جهة أخرى، وبناء تمثّلات في تحليل النصّ المنطوق والمكتوب، وتحليل الممارسة الخطابيّة للفعل الإنتاجيّ والتّأويليّ وتحليل مواضع للممارسة الاجتماعيّة؛ لأنّ ثمةَ اهتماماً مشتركاً بين اللسانيات المعرفيّة والتّحليل النّقديّ للخطاب؛ ويتمثّل في اقتراح البنيات العميقة التي تجعلها العبارات اللغويّة ظاهرةً ومكشوفةً، فحيث يجري التّركيز في التّحليل النّقديّ للخطاب على كيفيات تكوين الملفوظات الفرديّة والعبارات تعبيراً عن الممارسات الخطابيّة الإيديولوجيّة.

وأعي جيّداً أنّ هذا الموضوع وليدُ التّقنيات والمفاهيم الحسابيّة بهدف توضيح المشكلات اللغويّة والصّوتية؛ حيث الكثير من المجالات قد تطوّرت، بما فيها إنتاج أصوات كلاميّة بوسائل اصطناعيّة عن طريق توليد الموجات الصّوتيّة ذات التّردّدات اللازمة، وتمييز الكلام والتّرجمة الآلية، وفهرسة الأبجديات، وأجراء اختبارات قواعديّة، إضافة إلى مجالات أخرى تستدعي الإحصاء والتّحليل. ومن خلال هذا نرى ضرورة الوعي بعالم الكيتار/ Computer وبما يحمله من أنظمة لها أثر على التّفكير مثل دماغ الإنسان، ويقول علماء المعلوميات "إنّ واضعَ نظام Excel أعظم من مخترع الطّائرة. وقد توصّلت بحوث الذّكاء الاصطناعيّ إلى أنّ الوظيفة الأساسيّة للعقل البشريّ التي تميّزه عن العقل الحيوانيّ، هي مَقدرته على إنتاج الأنظمة الرّمزية

واستعمالها، وعلى رأسها النّظام الرّمزيّ اللغويّ المستعمل في: التّواصل وتمثيل المعلومة، وتخزين المَعرفة، ونقلها، فقامت برامج الحاسوب على هذا الأساس. ويبدو لي بأنّ استعمال هذا الجهاز لأغراضِ البحث اللغويّ أكثر من ضرورة، لدواعي تطوير العربيّة تطويراً يتمشّى مع المُعطى الجذريّ الذي تحمله في جيناتها وفي جهازها النّحويّ.

ولهذا نروم أن تسفر النّتائج التي تخرج من تقارير مُداخلات اللجان عن مُعطيات ربط اللغة بعلم الحاسوب لإعطاء العربيّة صيغتها التّفاعليّة التي يخدمها منطق اللغات الطّبيعيّة بشكل عامّ. وبما أنّ العربيّة لغة انصهاريّة؛ فإنّها أسبق من غيرها إلى أن تلج إلى الآلة، بِحُكم التّضخّم التّكنولوجيّ الهائل الذي يشهده العالم حاليًّا؛ لذلك تمَّ التّفكير في جعل اللغة العربيّة لغةً مواكبةً للتّطوّر الحضاريّ والعلميّ، وليس هناك وسيلة سوى حوسبتها؛ لِمَا تملكه من خصوصيات تُؤهّلها لتلِجَ مجتمعَ الصّناعة اللغويّة العالميّة وتكون لغة المعرفة في مجتمع المعرفة؛ الذي تُباع فيه الكلمة مثل السّلعة في السّوق. وإنّه لما قبلنا العمل في هذا الموضوع رأينا ضرورة الوقوف عند بعض العلماء المغاربة الذين لهم السّبق من مثل: محمد الحنّاش+ الأزهر زنّاد+ فازيّة تيقرشة+ صلاح يحيى+ نهاد الموسى... ولا شكّ أنّنا نكتشف باحثين آخرين يواصلون الطّريق الذي صنعته أقدام الأوّلين، ونأمل أن يكون هذا الملتقى انطلاقة لمجموعة من الأبحاث في نفس المجال، سواء في ما تعلَّق بالوسائل التّعليميّة، أو ديداكتيك اللغة العربيّة أو في مجال اللسانيات. وهذا مُبتغانا الكبير من خلال أهداف المُلتقى، وهي:

1ــ إبراز دور المجلس الأعلى للغة العربيّة في ترقيّة اللغة العربيّة، وتفعيل الجامعات الجزائريّة بعقد المُؤتمرات العلميّة الدّوليّة، والإسهام في دفع عجلة العلم للتّقدّم العلميّ.

2ــ توضيح علاقة اللسانيات الرّتابيّة باللسانيات العرفانيّة، وعلاقتهما ببقيّة الفروع المَعرفيّة.

3ــ إيضاح أهمّ المنجزات العلميّة والعمليّة في الدّراسات اللسانيّة الغربيّة والعربيّة.

4ــ العمل على إيجاد المُصطلحات العلميّة، وترقيّة اللغة العربيّة وبحوثها، والحسم في تهيئتها لتكون لغة العلم والمَعرفة.

5ــ تفعيل التّقدّم العلميّ بين التّخصّصات العلميّة في أقسام اللغة العربيّة وأقسام الإعلام الآلي وبين المَراكز والمؤسّسات البحثيّة الكبيرة.

6ــ الإسهام في تطوير مَشروع البحث العلميّ اللغويّ، وضمّ الأبحاث اللسانيّة ضمن الأبحاث العلميّة.

7ــ تقديم نظريات لسانيّة علميّة في اللغة العربيّة كمُقاربات جادّة أبانت عن نواتج لغويّة جيّدة.

ثانياًــ فوائد التّحكّم في تقنيات الحاسوب: لا يمكن تحديدها لأنّها لا نهائيّة، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض المجالات الكبرى التي تعمل على تطوير العربيّة من مثل: التّوثيق+ معالجة الوثائق والمعلومات+ صناعة المعاجم الإلكترونيّة+ تطوير العمل المصطلحيّ+ إنشاء بنوك المُصطلحات+ التّرجمة الآليّة+ إنتاج النّصوص+ تعليم اللغات+ التّعريف بالثّقافات+ الإشهار الدّولي+ التّعرّف البصريّ على الحروف+ صناعة الخوارزميات+ التّوليف الصّوتي+ تصحيح الأخطاء+ التّشكيل الآلي+ تمكين المُعوّقين من النّطق السّليم+ صناعة برامج تعليميّة+ تيسير التّعليم الذّاتي+ صناعة البرامج التّعليميّة الدّوليّة... ويمكن القول بأنّ الحاسوب يقدّم خدمات للعربيّة في مُختلف أشكالها ومَقاماتها، وبه تكون وفيّة للحاق بركب اللغات المُصنّعة. وعن طريق الحاسوب يمكن تحقيق التّفاعل المُتبادل بين الآلة والمُتعلّم، وخلق الإثارة والتّشويق والدّافعيّة، وجودة إعداد المادة العلميّة، والقضاء على الفوارق الفرديّة، وضمان التّعليم مدى الحياة.

ــ خاتمة: إنّ اللسانيات الحاسوبيّة سعَتْ إلى صياغة نماذج صوريّة مُحاكيّة لما هو موجود في الذّهن البشريّ؛ مُستفيدة من التّطوّر التّقنيّ، وبذلك حقّقت طفرةً نوعيّةً جعلتها تتخرط في مجال الصّناعة اللغويّة العالميّة. وما أحْوَجَنا اليوم للانخراط في هذا الزّخم الحاسوبيّ المَفاهيميّ بما يحمله من مُعطيات ذكيّة، ونظريات مَعرفيّة نحن بحاجة

إلى امتلاكها خدمة للعربيّة. ولا بدّ من تغيير كلّيّ في المُمارسة التّعليميّة، وتحوّل المُعلّم إلى وسيط وشريك يتواصل في فضاء التّعلّم في القاعة إلى فضاء طبيعيّ واقعيّ بكلّ مُكوّناته المُمكنة، وباعتماد المَهمّة بدل التّمارين الجزئيّة؛ وهي مُقاربة حاسوبيّة اقتضتها الآلة المساعدة على العمليات التّعليميّة التّعلميّة التّداوليّة بكفايات غير نمطيّة، وبسلوكات لغويّة حقيقيّة. وهذا كلّه ما تقتضيه المُقاربات التّربويّة العرفانيّة من تكامل المَهارات الأربع: "الاستماع+ التّحدُّث+ القراءة+ الكتابة، وأنّ هذه المَهارات هي مِحور تعليم اللغة، دون فصلها عن بعضها، بل تتمّ مُعالجة الدّرس اللغويّ على أساس أنّه وحدة واحدة تسعى لتحقيق غاية واحدة، هي التّواصل اللغويّ السّليم في المُحيط الاجتماعيّ". والذي يلزمنا في هذا المَجال تكامليّة ما يلي:

1ــ "استخدام المعلّم لأكثر من طريقة تدريسيّة في المَوقف التّدريسيّ الواحد بشرط أن ينتقل المُعلّم من طريقة إلى أخرى انتقالاً طبيعياً وليس مُفاجئاً حسب ما تتطلّبه خطوات المَوقف التّدريسيّ.

2ــ تمثّل مَفهوم الإدماج في المُقاربات التّعليميّة.

3ــ تداخل بين مَفهومي التّكامليّة والمَنظوميّة نتيجة عدم التّمييز بين بيداغوجيا الإدماج والمُقاربة المَنظوميّة المعروفة اليوم في المَجال الاقتصاديّ؛ والّتي ظهرت لها تطبيقات في مَجال التّعليم".

تلكم جملة الأشياء الّتي تدخل ضمن العمليّة التّعليميّة من طرائق ووسائل وأهداف ومُحتويات ومعلّمين ومتعلّمين، وعمليّات أخرى تشمل جملة الأنشطة والإجراءات الّتي تستثمر المُدخلات، وتُحوّلها إلى نتائج تمثّل المُخرجات التي تعمل على تيسير تعلّم اللغة عن طريق الحاسوب.

تعليميّة القراءة في المنظومة التربويّة

-الرّاهن والمستقبل-*

الدّيباجة: أيّها الجمع الكريم في المركز الجامعيّ لتمنغست، أقول لكم:

أنـــتم بِسَـــبْق حُـــزتمُ التّفضـــيلا فتقبّلـــوا منّـــي الثنـــاءَ الجـــزيلا

لكم السّبق الذي أسداه (ابن مالك) للسّابق في نظم منظومة النّحو (يحيى بن معطٍ الزّواوي) وقال:

وهـــو بِسَـــبْق حـــائزٍ تفضـــيلاً ومُســـتوجب ثنـــائيَ الجمـــيلا

واعذرونا عن هذا التّأخير الذي لم نزر فيه بلدتنا وولايتنا الطّيبـة (تمنغسـت) وليعذر بعضنا البعض وأنتم في القلب، ونريد أن نخدمكم من القلب، وأنـتم سـبحة من سبحات الوطن المفدّى، فلا يُمكن أن تنفصل الحبّة عـن خـيط السّـبحة، وإلاّ انفرطت شذر مذر.

يُقال "شعب يقرأ؛ شعب يرتقي" "أمّة تقرأ؛ أمّة لا تُستعبد" وإنّ سبب تقدّم الـدّول يعود إلى النّظام التّعليميّ الذي يتساوى فيه الغنيّ والفقير، وينعدم التّعليم الخـاصّ ويقسّم التّلاميذ إلى: مجتهد ولا بأس، ومتوسّط، وضعيف يحتاج إلى توجيه. كمـا أنّ إلزاميّة المرحلة الابتدائيّة أكثر من ضرورة ويقابله مجانيّـة التّطبيـب. وفـي المرحلة الإعداديّة والثّانويّة تبدأ مرحلـة الانتقـاء، وتكـون الجامعـة للجـديرين باعتبارها تُنتج الأفكار وتصنع المُسيّرين، وهي عمدة الوطن. وأنّه لا تلاعبَ فـي النّظام التّربويّ، ولا تدخله إلاّ الجدارة والاستحقاقات، ولذلك تجدهم شعوباً راقيّة.

ـ **المقدّمة:** بالنّسبة للقراءة نقول: إنّ القراءة فعل حضاريّ في المجتمع الـذي قضى على الأميّة، كما يُنظر للأمم من خلال بناء المكتبات وفتحها للعامّة ومشاهدة

*– كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة في الملتقى الدّولي الذي نظّمـه المركـز الجـامعيّ بتمنغست 1–2 أكتوبر 2019

النّاس يقرؤون في كلّ مكان، فلا مجال لتضييع الوقت في رصد مناظر الطّبيعة وأنت مسافر إلاّ في مصاحبّة الكتاب. وقال العرب "وخير جليس في الأنام كتاب" ويتباهى الرّوس بكثرة المكتبات في كلّ التّجمعات السّكانيّة، ويفتخر الصّينيون أنهم يحملون كتباً في تنقّلاتهم، ويستلذّ الفرنسيون بفعل القراءة وإقبالهم ليلاً على المكتبات، ويفتخر الكوبيّون بصفر أميتهم من خلال فعل القراءة والكوريّون يعلون من شأن الكتاب في بيوتهم لأنّه موجّهم.... القراءة فعل نبيل لأنّ القراءة حاملة للغة ولثقافة اللغة، وهي قاعدة المعلومات، فبدون القراءة تحصل التّبعيّة والتّعميّة ويطول الليل إذ أدلهمت الظّلمة، فلا مخرج منها إلاّ بنور يضيئه مصباحُ القراءة.

1ــ أهميّة القراءة: إنّ أهميّة القراءة لا مجال للحديث عنها لأنّها باب فَهْمِ العلوم، ويقع التّركيز عليها لاستنباتها في بيوتنا ومدارسنا وجامعاتنا ومكتباتنا، فإلى أيّ حدّ نُعطي فعلَ القراءة قيمّةً، وإلى أيّ مدى نقدّم حسن استعمال اللغة بالحوار والتّواصل؟ وما هي الطّرائق التي تقدّم بها دروسنا التّربويّة في التّعليميّات، وما هي الأنماط التي تُعتمد لربح معركة بناء مفاهيم اللغة في أعلى تجلّياتها؟ وإلى أيّ مدى نعمل على نقد راهن تعليميّة القراءة، وتقديم البدائل النّوعيّة لمستقبل واعد يحصل فيه تحدّي القراءة، ونيل المراتب التّصنيفيّة ليكون لنا موقع بين الأمم المتقدّمة، وليكون للغتنا القدمُ الأرسخُ في مدرسة الجودّة. تلكم إشكاليات نروم أن يجيب عنها التّربويّون والبحثّة المختصّون لتقديم وصْفات رفع اللاءات، والنّظر إلى نصف الكأس الملأى بدل النّصف الفارغة، وشطب ثقافة عدم اللحاق، نريد إنتاج أفكار تربويّة من الميدان، ومن أهل الصّناعة؛ أفكار تحمل المشاريع لتقدّم إلى من يصنع القرار.

2ــ فعل القراءة في التّربيّة والتّعليم: تُعدّ القراءةُ مهارةً أساساً في المنظومة التّربويّة؛ إذ إنّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإنتاج اللّغويّ والكتابيّ؛ فالمتعلّم إذا تمكّن من مهارة القراءة؛ فإنّه سيحقّق القدرة النّمائيّة الانتاجيّة الّتي ستبرز في ما بعد في الإنتاج الكتابيّ والتّعابير المختلفة الّتي تسعى المنظومة التّربويّة تحقيقها وتطويرها

والهدف في ذلك أن ننتج متعلّماً قادراً على إنتاج نصوص بالمهارة والممارسة؛ لأنّ القراءة ستُصبح في ما بعد مستودعَ الثّقافة، وأداةً للتّعبير عن المشاعر، كما أنّها المرآة الّتي تعكس حياة أصحابها الاجتماعيّة والثّقافيّة؛ وعليه؛ فإنّ القراءة تعدّ نشاطاً مُهمّاً للطفل عند ولوجه عالم المدرسة؛ فهي الأساس الّذي ترتكز عليه جلّ الأنشطة من خلال التّعلّم والتّدرّج في تلقّي المعلومات. ومن هنا برزت أهمية القراءة لدى المتعلّم:

- القراءة تزيد من خبرات الفرد، وتُقوّي ملكته اللّغويّة؛
- القراءة تجعل من الفرد صالحاً مُحبّاً لوطنه؛ وهو ما يُمكّنه من الاندماج داخل الوسط الاجتماعيّ؛ بل تجعله يُسهم في توحيد شعور أفراد المجتمع؛
- القراءة تجعل من المتعلّم ذوّاقاً للجمال اللّغويّ والأدبيّ؛ إذ إنّ القراءة لا تصبح عنده مجرّد قراءة؛ بل تصبح عنده إحساساً بالأسلوب البديع، والخيال الرّفيع؛
- القراءة تجعل من المتعلّم متمكّناً من القواعد اللّغويّة بالممارسة وليس بالحفظ، وهذا هو الهدف الأساس من القراءة المطالعتية؛ حيث إنّ جلّ المتعلّمين الّذين يُكثرون من القراءة بشكل دائم، تُلمس فيهم السّلاسة اللّغويّة والتّعبير البديع
- القراءة وسيلة من وسائل التّفاهم العالميّ.

3ـ واقع القراءة في المنظومة التّربويّة: إنّ المتمعّن في الواقع اللّغويّ للمنظومة التّربويّة يلحظ شرخاً ما هو واقع وما هو مُسطّر في المناهج؛ إذ يعاني تلاميذنا –وبخاصّة الطّور الابتدائيّ– ضعفاً كبيراً في نشاط القراءة، وهذا راجع لعدّة أسباب أذكر منها:

- المحتوى المعرفيّ للنّصوص المخصّصة لنشاط القراءة؛ حيث إنّ النّصوص المدرجة في الأدلّة الخاصّة بالمعلّم لا تُلبّي قدرة المتعلّمين اللّغويّة؛ كونها لا تجعل منه متعلّماً قادراً على إنتاج الرّصيد اللّغويّ السّليم؛

• المعلّم أقطاب العمليّة التّعليميّة التّعلميّة؛ يتحمّل جزءاً من المسؤوليّة لعدم تحكّمه في تعليميّة نشاط القراءة، وعدم تحكّمه في باقي أنشطة اللّغة، وعدم وعيه بالدّور الّذي يكتسيه نشاط القراءة في تعزيز وتقوية ملكة المتعلّم علميّاً، وفكرياً؛

• طرائق التّدريس، وأثرها على نشاط القراءة. وهنا تدخل القراءات المتنوّعة كالقراءة الصّامتة الّتي تنمّي قدرة المتعلّم، وبخاصّة في جانب الأسئلة ومعانيها ففي هذه المرحلة يتعلّم المتعلّم الاسترجاع ويمتلك الثّروة اللّغويّة.

• الحجم السّاعي المخصّص للقراءة إنّ المتمعّن في التّوقيت الأسبوعيّ؛ حيث نجد الأسبوع يبدأ بفهم المنطوق، وبعدها فهم المكتوب، مروراً بالتّعبير الشّفاهيّ والإنتاج الكتابيّ؛ الّذي يقوّي مهارة المتعلمّ. وهذه في كثير من الأحيان تعيش الهدر.

4ــ كيف نُنمّي فعلَ القراءة؟ هناك أساليب تنمية القراءة لدى المتعلّمين، وهي:

• إثراء النّصوص في فهم المنطوق، وإثرائها لغويّاً؛

• تخصيص حجمِ ساعٍ مطوّل للقراءة والظّواهر اللّغويّة: الصّرفيّة والنّحويّة؛

• تعويد المتعلّمين القراءة الصّامتة؛ إذ نجدها مغيبة في الأوساط التّعليميّة؛ فهي تعمل على إكساب مهارة القراءة بالعين دون النّطق، وتعويدهم على القراءة الصّامتة السّريعة؛

• وضع استراتيجيّة في التّوقيت الأسبوعيّ؛ يرتكز على القراءة والإثراء اللّغويّ؛ لأنّ القراءة في فهم المنطوق ستعوِّد المتعلّمَ على الإنتاج الكتابيّ، وبدوره ينمّي قدرة التّعبير الشّفاهيّ؛

• التّركيز في المنهاج على القراءة الجّهريّة الّتي تعمل على:

• رؤية العين المادّة للمقروء؛

• الإدراك الذّهنيّ للصّورة المقروءة؛

• نطق المادّة المقروءة؛

• إدراك وفهم معنى المقروء.

5ــ في تعليميّة القراءة في المنظومة التّربويّة الجزائريّة: نقد للواقع واستشراف للمستقبل: إنّ الرّاهن يحتاج إلى نقد مُضيف، نقدٌ يأتي بقوّة ناعمة لخدمة المواطنّة اللغويّة يقدّم تحسيناً وتحييناً ودرايةً وفق ما يحصل في الفكر التّربويّ المعاصر. لا نريد التّواكل ونشدان ما لا يأتي، وربما طلب العنقاء، بل نرفع نداءنا إلى كلّ من يهمّه الشّأن العامّ أن يولّي أهميّة للغة المشتركة (العربيّة) وأن تبقى هذه اللغة بناءً جيداً في مرحلة القاعدة، وأن تُحبّب لأبنائنا، ويقع الاعتزاز بها، وأن نقرأ ونؤسّس المكتبات في بيوتنا، وفي كلّ التّجمعات، وأن نفهم أن التّنميّة البشريّة لا تحصل دون اللغة الوطنيّة، وما عزّ قوم إلاّ بلغتهم، وما ذُلّ قوم إلاّ بذلّ لغتهم، فلم يُسّجل التّاريخ أن أمّةً ارتقّت ونالت التّصنيف العالميّ باللغة الأجنبيّة فهل نعتبر من الثّمانيّة الكبار الذين يُعلون ويعتزّون بلغتهم، وليبدأ الاعتزاز منّا باستعمال صحيح للغتنا ليحصل لنا موقع في خريطة العالم، ولذلك ينبغي:

ــ توجيه الجيل الجديد؛ وبخاصّة النّاشئة إلى الاستفادة من التّقنيات الحديثة والتّفاعل الإيجابيّ معها بالطّريقة التي تمكنّهم من اكتساب مهارات القراءة والمطالعة الثّقافيّة؛

حسن اختيار النّصوص الإبداعيّة، وتجنّب النّصوص الاصطناعيّة وتلك النّصوص الحاملة لأفكار التّيئيس، أو تلك الأفكار الدّاعيّة إلى جزأرة النّصوص ولو كانت أقلّ جودة؛

مراعاة الكفاءات النّوعيّة المتخصّصة في لجان وضع الكتاب المدرسيّ، بغرض تقديم نصوص تعمل على تنميّة الإبداع؛

تشجيع مبادرات القراءة من مثل: تحدّي القراءة العربيّ/ بين الثّانويات/ المسابقات العلميّة/ الاحتفائيات القارّة/ الاحتفاء بالنّوابغ والمبدعين؛

العمل على خلق روح التّنافس في المرحلة الابتدائيّة، وجعل التّنافس سنة في من يقدّم الأفضل وهي ميراث شامخ في ديننا ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ ﴾ المطففين.

ــ **الخاتمة:** أيّها الجمع الكريم، إنّ المتعلّم إذا تمكّن من مهارة القراءة؛ فإنّه يسهم في بناء مجتمعه والتّفاعل بين أفراد المجتمع. ولهذا فإنّ القراءة هي الرّكيزة الأساس في المرحلة التّعليميّة في المنظومة التّربويّة؛ حيث تعمل على تطوير ملكة المتعلّم، والإنتاج اللاّمتناهي، ومن هنا استدعى الواقع الوقوف على ما هو حاصل في نشاط القراءة في الأوساط التّعليميّة؛ وبخاصّة في المراحل الأولى من التّعليم على اعتبار أن هذا النّشاط مرتبط بجميع أنشطة اللّغة العربيّة؛ فهو يحتاج إلى تفعيل دوره ليعزّز أنشطة اللّغة في مختلف مستوياتها.

الشّهيدة حسيبة بن بوعلي♥

ــ الدّيباجة: ماذا عساني أقول في الخالدين، هم رموس في أجسادهم، وأحياء في أفكارهم وتضحياتهم وهكذا يولد الكبار بذكاء حادّ ينظر للمستقبل ويرى ما لا يــراه غيره. هم كبار في تحمّل المهام وخدمة الشّأن العامّ. وكذلك رسم لهم القدر طريــق التّنوير المؤدّي إلى الفلاح، طريق خدمة الوطن فَأَنْعِمْ به من خدمة! وإنّ الخالــدين لا يرضون بالمهانة؛ لأنّهم لا يريدون بيع الوطن وكذلك هم من الأحرار، والحــرّ أكثر عطاءً وأوفر حظاً، وهم لا يموتون بما وهبوه من مفتاح إسعاد الآخرين.

إخواني؛ في مثل هذه المناسبة من العامّ الماضــي قلــتُ: سيحاســبنا الشّــهداء ويعودون يوماً ويقولون: هل واصلتمُ حملَ الأمانة؟ هل حافظتم على الوديعة؟ هــل تدبّرتم الأمر في التّفاني في بناء الوطن؟ وهل أكملتم مسار الاستقلال الثّقافيّ بعــد أن وهبنا لكم الاستقلال الاقتصاديّ؟ عليكم تحمّل رسالة الجهاد الأكبر. سيحســاينا الشّهداء، وتتقدّمهم حسيبة بن بوعلي وتقول: نحن النّساء حــافظن علــى الــوطن استرخصنا أنفسنا لتعيشوا معزّزين في بلدكم، فهل أنتم في مستوى مواصــلة درب التّضحيّة يا رجال؟ **ألا أين الرجولةُ يا لقومي**، وستقول: كونوا أسوداً وإلاّ ستأكلكم الذّئاب كونوا كما عهدناكم أن تكونوا وإلاّ لا تكونوا سنعود لاستكمال المسار.

1ــ المقدّمة: ما أحوجنا في هذه المناسبة التي تعيش الجزائر مخاض التّحوّلات الكبرى إلى استكناه التّاريخ عن طريق الذين عاشوه؛ ليعطوا لنا الدّروس في عظمة هؤلاء المؤمنين بقضيّة الجزائر، وضرورة التّنصّل من العدو الذي جثم قروناً على جماجم أهل البلد. ما أحوجنا إلى الاعتبار من حجم فرنسا التــي اســتدمرت قــارة أفريقيا في ثلثين من ترابها، وهي تعادل خمس مساحة الجزائر، فأيّ فكر هذا الذي

♥ ــ كلمة أُلقيت في ندوة فكريّة بمناسبة الذكرى الواحدة والخمسين (51) لاستشهاد الفدائيّة (حسيبة بن بوعلي). المركز الثّقافيّ الإسلاميّ. تنشيط المنظّمة الوطنيّة للمحافظة على الذّاكرة وتبليغ رسالة الشّهداء. 7 أكتوبر 2019م.

جعل لها الانتشار ونهب الخيرات واستعباد العباد، ما أحوجنا إلى حوار وطنيّ في مسألة الاستيلاب وردّ الاعتبار للهويّة الوطنيّة، فهل هي القابليّة للاستعمار؟ أم هي مرحلة وتأتي صحوة النّهوض؟ بالفعل كانت مراحل النّهوض مُتعدّدة أُصيبت كثيرُها في المَقتل. وجاء الزّمن المَوعود، نوفمبر الخالدات الذي أيقض وعيَ الأمّة ويلتقي الأبطال لرفع مظالم الأنذال والأذيال، ويأتي الاستقلال بالقوّة، بثورة لا تبقي ولا تذر، بفضل الشّهداء والمجاهدين والمُسبّلين ومن قدّم النّفيس وما غلا، وما ساواه في المَبنى والمَعنى، وبملايين الشّهداء. جاءت الحريّة التي لم تُوهب إلاّ بالقوّة. سقط الشّهداء: رجال ونساء لا تزال دماؤهم تشهد على هذا الفداء، ومنهم الشّهيدة التي نحتفي بها اليوم إحياء وهي الكبيرة التي لا تموت **حسيبة بن بوعلي.**

2ــ الشّهيدة حسيبة بن بوعلي: إنّها الفتاة الشّابة ابنة الأصنام المجاهدة، الابنة المدلّلة في عائلتها، غنجاء جميلة تتمرّد وتنضم إلى الجهاد وهي في السّابعة عشرة من عمرها، فدائيّة تصنع القنابل بمواد تحصل عليها من مستشفى مصطفى بحكم وظيفتها، تحصل على تلك المواد الكيماويّة لتشعل فتيل الثّورة بما كانت تزرعه من رعب في صفوف الفرنسيين الذين أقضّت مضجعهم هي وصويحباتها الثّلاث (جميلة بوحيرد، وزهرة ظريف، وسميّة لخضاري) حسيبة النّضال والتّفاني من أجل الوطن كم كانت مطلوبةً لدى المستدمر الذي كشف مخبأها في القصبة ذات الثّامن من أكتوبر 1957م ولم تستسلم ولم ترضخ وسقط عليها المبنى المنسوف بقنابل فرنسا اللعينة، وتسلّم روحها للبارئ فداء للجزائر. **حسيبة** الجميلة الأنيقة ذات العيون الدّعجاء فتاة طلّقت الدّراسة بهدف التّنكيل بالمُستدمِر الذي أبانَ عن جشعه واحتقاره وتجويعه للشّعب الجزائريّ. ولذلك كانت أفكارُها تنحو نحو الانتقام والدّفاع عن الوطن؛ وهو دفاع الشّرف والنّبل وكثيرًا ما كانت تُناقش أباها في أمور سياسيّة كثيرة، فكبُر معها حبُّ الوطن، وتشبّعت بالتّحرّر فنالت شهادة **(الله أكبر وتحيا الجزائر).**

3ــ **الشّهداء لا يموتون:** بالفعل لأنّهم أحياء عند ربهم يرزقون، هم يموتون أجساداً لأنَّ كلّ من عليها فانٍ، لكنَّ أرواحهم خالدةٌ في جنان الخلد والرّضوان الشّهداء بشر ارتقوا باستشهادهم إلى الدّرجات العُلى، فتجاوزوا المفاهيم الماديّة الفانيّة وتعلّقوا بالآخرة، تركوا أهلهم وذويهم تركوا كّل ما يملكون ورحلوا بالوفاء للوطن. إنّ الشّهداء هم الأوفياء والانقياء، هم من اختاروا الفداء عندما تنادى النّداء. ولهذا فالشّهداء لهم المقام الأعلى في ذواتنا، وهم عنوان حضارتنا؛ لأنّ مرحلة الاستشهاد هي أرقى مراحل الوعيّ والتّفاني والإيمان ونكران الذّات في سبيل الوطن.

إخواني لقد ترك الشّهداء كنزاً كبيراً، أليس من حّق الشهيدِ علينا أن نتمثّل سيرتهِ؟ أليس من حقِه علينا أن نُكْملَ مسيرتَه؟ وأن نحفظَ غَيْبَتَه؟ وأن نُجسِّد قناعاتهِ في حاضرِنا كي يكونَ حاضراً في مستقبلنا؟ أليس من حقّه علينا أن نحفظَ هالتَه البهيّة، وأن نباركَ سكينتَه بعد عودةِ الرّوح إلى بارئها راضيّة مرضيّة.، أليس من حقّنا أن نحفظ اسمَه في مؤسّساتنا؟ أليس من حقّنا أن ننتج أفكاراً في الشّهداء ونمثّل أفلاماً تبقى للأجيال لتعرف قيمة الحريّة، وقيمة الوطن الذي لا بديل لنا غيره. الجزائر بلد الشّهداء، بلد العظماء، والشّهداء هم الخالدون الذين نحفّ حولهم الدّراية والعناية والتّنويه؛ ليكون الخَلَفُ على وعْيٍ بمجهود السَّلَف.

وأختم كلمتي بأبيات لشاعر الجزائر (محمد بن رقطان) الذي يقول:

قَدَرُ الجزائر أن تظلّ وفيّةً ... لجهادها لا أن تضلّ وتكفُرا

قَدَرُ الجزائر أن تصون ثوابتاً ... صيغت بأثمنِ ما يُباع ويُشترى

قَدَرُ الجزائر أن تُعيد لأمّتي ... زمنَ العطاء وأن تقدّم أكثرا

وَطني عشقتكَ ثورةً عملاقة ... وعشقتُ شعبَك ثائراً مُستنفراً

وَغرستُ حبَّك في الفؤاد ولم أزل ... أهواك دوماً شامخاً مُتجبّراً

وَطنـــي عشــقتك فـــي الملاحــم قصّـــة صـــاغتْ روائعَهـــا حـــروفُ نُفَمْبـــرا

وَتوارثتْهـــا أمّـــةٌ أزليّـــة كانـــت لهـــا قمـــمُ البطولـــةِ مَشـــعرا

قدَّســـتُ فيـــكَ عَقيـــدتي وعُروبتـــي وشـــربتُ حبّهمـــا العظـــيمَ مُطهَّـــرا

وظللـــتُ أنهـــلُ مـــن جـــداول ثـــورتي حتـــى شـــربتُ مـــن الأصـــالة كَـــوْثَرا

لـــولاك يـــا وطنـــي المُقـــدّسَ لانتهـــى زمـــنُ العطـــاء مـــن الوجـــود وأقْفَـــرا

رحم الله الشّهيدة (حسيبة بن بوعلي) ورحم كلّ الشّهداء، وتحيا الجزائـــر عاليّـــة شمّاء.

الحوار قيمة قرآنيّة وسلوك راشد♥

ــ تنبيه: إنّ هذه الكلمة سبق وأن أعددتُها لتُلقى في النّدوة التي أقامتها إذاعة القرآن الكريم بمعيّة وزارة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف، والمجلس الإسلاميّ الأعلى بقاعة عيسى مسعودي بالإذاعة الوطنيّة بتاريخ 2 سبتمبر 2019م، بعنوان (بالعقل نهتدي، وبالحوار نرتقي) ولم تُبرمج حينها. وحافظت على ذات الكلمة؛ بإضافة وتصرّف تخصّ موضوع اليوم، وبالذّات هناك حديث عن الحوار في القرآن، وآداب الحوار. ولذلك سوف تنشطر مُحدّدات الكلمة إلى ما يلي:

1ــ مبادئ الاختلاف: من مبادئ الاختلاف: الود والمحبّة وتغذية الأخوة. والأصل في الكلام هو الحوار، والحوار أصل الاختلاف، والاختلاف يدخل في الآراء الاجتهاديّة وفي باب البرهان والدّليل. وأما الخلاف فهو طريقة التّعصّب والجهل وعدم الدّليل، يعني الفشل والاقتتال. وإنّ من الأساليب التي استخَدمها القرآن الكريم؛ من أجْل إقامة الحُجَّة على العباد، والدّلالة على وحدانيَّته تعالى، وعلى صِدْق ما جاء به الرّسل من رسالات، وبلَّغوا به دينَ الله في الأرض، عن طريق الحوار أو ما يُسمَّى بالحوار القرآني، الذي يتوصَّل به المرسلون إلى إيصال الحقِّ، وحكمه إقناع العقول بعد إقامة الحُجة عليها فترضَخ القلوب.

2ــ الحوار في القرآن الكريم: وردت كلمة الحوار في القرآن كثيراً، ونالت مواضع كبيرة ويمكن أن نشير إلى بعضها ﴿ وكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ الكهف 34 ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴾ الكهف: 37. ﴿ قَدْ سَمِعَ

♥ ــ الكلمة التي ألقيت في النّدوة التي جرت في المركز الثّقافيّ الإسلاميّ حول **(الحوار قيمة قرآنيّة وسلوك راشد)** بومرداس، برعاية وزير الشّؤون الدّينيّة والأوقاف، ووالي ولاية بومرداس. بتاريخ 12 أكتوبر 2019م.

اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة 1... ومن هنا نَستنتج أنَّ الحوار بهذا المعنى هو عبارة عن نِقاش إمَّا بين طرفين، أو عدة أطراف، ويَهدف إلى الوصول إلى حقيقة أو من أجْل إقامة الحُجَّة على أحد الطّرفين، وقد يُستخدَم الحوار لدفْع شُبهة ما، أو تُهمة وغيره . ولا أريد الوقوف عند تلك الصّور التي تصف الحوار بين الله والملائكة، والحوار بين الله وإبراهيم، وبين الله وموسى وحوار الله مع عيسى، وقصة أصحاب الجنَّتين، وقصة قارون وداود مع الخَصْمين، كلّ هذا يُدلّنا على أهميّة الحوار في الدّعوة وإقامة الحُجَّة على الآخرين. وقد ينقلب الحوار إلى الجدل، وبذلك يخرج من صيغته الأصليّة إلى المنازعة والمغالبة، وإسقاط الحجّة الصّحيّة بحجّة أُريد بها الغلبة والقوّة والعصبيّة والتّمسّك بالرّأي تغصّباً. وينتقل الحوار إلى الجدال؛ ولم نؤمَر به لا في القرآن ولا في السُّنة، وإنّما أُمِرنا بالمحاورة بالتي هي أحسن وهدَفُها: إيصال الحقّ إلى الخلْق، والابتعاد عن الجدال والمِراء اللذين نهانا عنهما النّبي ﷺ.

3ــ آداب الحوار: يمكن إجماله في ما يلي: التّواضع في إقامة الدّليل+ الإصغاء وحسن الاستماع+ عدم التّعصّب للرّأيّ الشّخصيّ+ واستخدام الكلام الحسن+ واعتماد الحجّة الدّامغة+ البعد عن التّناقض+ الثّبات على نقطة واضحة+ استهداف الانتصار للصّواب لا غلبة الطّرف الثّاني. وكلّ هذه تستدعي مُحاوراً ناجحاً يكون على قدر معقول من الدّرايّة وإقامة الحجّة على الآخر باعتماد الأدلّة. ولا بدّ للمحاور أن يفقه الحوار والكفاءة في الحوار، وعلى قدر من إبطال الفكرة؛ باستخدام أساليب واضحة وجذّابة؛ بعيدة عن التّعميّة والاحتمالات، وأن يكون المحاور قويّ التّعبير وفصيح اللسان. ومع كلّ هذا لا بدّ من مراعاة الاحترام بين المتحاورين، والهدوء التّامّ، وعدم الاستعجال في الردّ، والبدء في مناقشة الأصول قبل الفروع، واختيار المكان والزّمان، واستهداف الوصول إلى الاتّفاق بموضوعيّة، وعدم التّهجم على الآخر... ولقد تعلّمنا ونحن صغار وفي القرية أنّ آداب الحوار من الأخلاق الإسلاميّة وهي

من الأخلاق العامّة ومن الآداب المتّفق عليها الخاصّة الاستماع إليك ولو لم أكن معك، والأخلاق والمبادئ لا تتجزّأ. وهذا هو الإسلام في وضوح أدلّته وشهادة بيانه.

4ــ لماذا الحوار؟ إنّ الحوار يهدف إلى: "توحيد المواقف، وتعزيز الاعتدال والوسطيّة وإزالة أسباب النّزاع، والقضاء على التّطرّف..." وبالتّالي فإنّ الدّعوة إلى الحوار تمثّل روحاً جديدة لإنعاش الأمل في استعادة القوّة، وتحقيق التّماسك، وتنمية الرّوابط والصّلات؛ تحقيقاً للتّضامن والتّكامل وتوظيفاً للقدرات والطّاقات الضّخمة لخدمة مصالح الشّعوب وتعزيز أمن وسلامة الأوطان... وبدون الحوار تبقى صفوفُنا شَذَرَ مَذَرَ، والأزمات ستعصف بنا جميعاً وتغرق سفينتُنا، وبدون الحوار لا تتوحّد المواقف، وتزداد الأوضاع الاقتصاديّة تدهوراً وستقضي على فرص العيش الهانئ لأمّتنا. إنّ الحوار دعوة للسّلم، وإلى التّصالح مع النّفس وإلى استشراف المستقبل الأبعد، وإلى العودة إلى العقل والحكمة والمنطق. وما أحوج الجميع إلى مدِّ اليدّ للتّحاور البينيّ، والعمل بهمّة الكبار، وهم الذين ينتصرون ويتعالون ويَسْمَوْن إلى الأعلى من أجل شُعوبهم ومُستقبل أوطانهم. إنّ الحوار وسيلة اتّصال فعّالة بين الفرد والمجتمع؛ حيث إنّه يقود إلى تعدّد الآراء، واختيار الرّأي الأصحّ. والحوار في أساسه مطلب إنسانيّ بين الجميع؛ فهو يُساعد الفردَ على تحقيق استقلاليّته؛ بأنّ له رأياً يخصّ تلك القضيّة التي يتمّ التّحاور فيها.

5ــ متى تكون حواراتُنا ناجحةً؟ عندما نلتزم بقواعدها السّليمة، وأن يكون لدى الفردِ معرفةٌ ودرايةٌ حول الموضوع الذي يتمّ التّحاور فيه، وندرك مدى أهميّة هذا الحوار وانعكاسه على ذواتنا وعلى الآخرين، ويكون في موقعه الخاصّ بالحوار. وأما لغة الحوار فهي مهمّة جداً في الحصول على المعرفة، وعلى نقل الحقيقة وقبول رجع الصّدى. تكون حواراتنا ناجحة عندما نغرسها داخل بيوتنا مع أبنائنا حتى نكسبَهم الثّقةَ والقدرةَ على إدارة الحوارات، والقدرةَ على التّعبير عن مشاعرهم وعدم غياب لغة الحوار عن منازلنا حتى لا ينشأ الطّفل منطوياً على نفسه، ويحبّ العزلة أو لا يستطيع أن يتقبّل وجهة النّظر الأخرى إلاّ من باب العنف. وكلّما كان

الحوار هادفاً كانت النّتائجُ أجدى وأنفع لكلا الطّرفين، وهو الأداة الواجبة لمعالجة مشاكلنا.

6ــ مقام العقل في الحوار: لا شكّ أنّ العقل ميزة الإنسان، وبه يكون مُخيّراً في كثير من الحدود التي تخصُّه، فمناطُ العقلِ يُلغي الوصايةَ إلاّ ما هو بينه وبين الله وكلّ ذلك يتأسّس على رجحان العقل الذي يُدبّر أمور الدنيا، فقامت على ضوء ذلك دولٌ ومجتمعاتٌ تتمتّع بالحريّة والدّيمقراطيّة والعدالة الاجتماعيّة، وفيها مواثيق حقوق الإنسان والمُساواة. وهذا جاء عن طريق (حوار العقل) وهو الذي أدّى بتلك الشّعوب إلى ضفّة الأمان، وشاطئ السّعادة، وهل يمكن أن يتحقّق ذلك في مجتمعنا؟ أعتقد أنّ ذلك ليس مُستحيلاً، وأطرح هذا من باب نافذة الأمل في التّغيير للأحسن إذا أنزلنا العقلَ مكانَه. نُنزل العقلَ بالصّدق والإخلاص، ولا شكّ أن الصّدق باب قبول الآخر، ومهما وقع الاختلاف في المحتوى/ المبنى لا يكون الاختلاف في الهدف والغاية/ المعنى، فالاختلاف محمود، والخلاف مذموم.

7ــ الحوار الوطنيّ: من المتّفق عليه أنّ الحوار سلوك إنسانيّ حضاريّ، وجسر من جسور التّواصل بين البشر على اختلاف أطيافهم، وهذا من الطّبيعي والطّبعيّ. وإنّ إرث الجزائر عميق ومُتجذّر في التّاريخ، وهو الذي عرف تلاحم البربر بالعرب، وانصهروا كتلةً واحدةً حتى أصبحوا إرثاً تاريخيّاً للمجتمع الجزائريّ ووصفناها ذات خطاب "**بالمازيغيّة نَبقى، وبالعربيّة نَرقى، وبالإسلام نُشكّل العروةَ الوثقى**" ولطالما كانت لحمتُنا الوطنيّة وتماسكُنا وجسورُ التّواصل بيننا أعزَّ ما نفاخر به في المنعطفات الحرجة التي مرّت عبر تاريخنا، ولذلك فالحوار ولا شيء غيره هو وسيلتُنا الفعّالة لمُعالجة مشكلاتنا، وإعادة الاستقرار والتّوازن السّياسيّ والنّمو الاقتصاديّ. وإنّي أؤكّد من هذا الموقع أنّه لا لغة أخرى نُواجه بها التّحدّيات الماثلة **سوى لغةِ الحوار الوطنيّ البنّاء، حوار يضع الجزائر ومستقبل أبنائها فوق كلّ المصالح والاعتبارات الآنيّة والشّخصيّة.** ولا أعني من الحوار شعارات نُردّدها على الملأ؛ بقدر ما هو عمل وطنيّ جماعيّ يُلامس الاحتياجات الرئيسة للوطن والمُواطن

ويقف بتجرّد وصلابة، ودون هوادة أمام التّحدّيات التي تُحيط بواقعنا الأمنيّ والسّياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، وما أكثرَها في هذه المرحلة الحرجة! حوار يكون في إطار من الاحترام المُتبادل البعيد عن الإساءة لكرامات النّاس والتّشكيك في الذّمم أو التّخوين باختلاف الآراء، ويكون بالتّمحيص والردّ بالحجّة، وبمقولة (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيُك خطأ يحتمل الصّواب) المهمّ أن نسمع بعضنا البعض ونجلِسَ إلى طاولة الحوار، بعيدين عن المصالح الشّخصيّة، وسنصل الى الهدف المنشود من خلال رزنامة وطنيّة نتوافق عليها **لتكون الجزائر الفائز الأكبر.**

8ــ الحوار الوطنّي والدّستور: من الأهميّة بمكان أن تكون لنا مرجعيات نحتكم إليها، وهي خريطة طريق مفصليّة في ما فيه خلاف، أو في الأسئلة المُحرِجة التي لها تباين في الحلول ولذا يتطلّب المقامُ مرجعيّةَ أركانِ المؤسّسات الوطنيّة، ومنها مرجعيّةُ الدّستور؛ لأنّ الممارسة الدّيمقراطيّة والحريّة حقّ لا غبارَ عليه، ولكن يأن تكون في إطار القواعد الدّستوريّة واحترام حقّ الآخرين في ذلك بنصوص المؤسّسات. وإنّ المشاركة السّياسيّة من الفضائل التي طبع عليها المجتمعُ الجزائريّ منذ القدم، فثروتنا لا تكمن في البترول؛ بقدر ما تتجسّد في الرّصيد الوطنيّ الثّريّ لأسلافنا الذين تعلّمنا منهم الودّ والتّراحم والتّكافل والوحدة الوطنيّة والولاء للبلد بنظام (ثاجمعيث)﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الشّورى وعلى ضوء ذلك تجسّدت صورة الأغلبيّة، وترسّخ الأمن والاستقرار ونالت المصلحةُ الوطنيّةُ المقامَ العليَّ. وهنا لا بدّ من التّركيز على نقاط ومكامن القوّة في المجتمع الجزائريّ وما أكثرها؛ فهناك توافق وطنيّ على مرجعيّة الثّوابت الوطنيّة، وتوافق حول الأولويات الوطنيّة، والقضايا المُلحّة التي ينبغي أن يرتقي العملُ على إنجازها لمستوى التّحديات الماثلة أمامنا، وهذا ما تؤكّده **قيادات الدّولة** بترجيح الشّرعيّة الدّستوريّة، وبمرافقة الحراك الشّعبيّ لتحقيق دولة العدالة في أعلى صُوَرها، و**انتخاب رئيس الجمهوريّة أولويّة الأولويات.** وماعدا ذلك من نقاط الاختلاف ووجهات النّظر في بعض القضايا الثّانويّة يتمّ التّحاور بشأنها وفق الضّوابط والأُطُر المرجعيّة ودون ضرر ولا ضرار.

9ــ الحوار قيمة قرآنية وسلوك راشد: إنّ أوّل هذه المنطلقات هو وَحدتُنا الوطنيّةُ التي هي صمّام الأمان لأمن واستقرار الوطن والمواطن، وعلينا أن نحافظ عليها من كلّ أشكال الفُرقة والتّشتّت ونجعلَ من الحوار وسيلةَ بِناء وليس هدْماً، ونصونَ بحوارنا الكرامات، ونَنْأى عن كلّ مظاهر التّعصّب والتّكتلات الفئويّة التي تضرّ بمصالح الوطن العليا. وبالحوار يتدخّل نعمل على إنجاحه بين جميع الأطياف والأطراف المقتنعة بالحوار، وأبرز ما يُعزّز هذا الإقناع هو الثّقة التي يجب أن تكون مُتبادَلة بين الجميع، وذلك ما يعمل على تضييق المساحات الفاصلة بالعمل على إيجاد قواسم مُشتركة بين الأطراف المُتحاورة، وبذلك نرتقي في تأسيس أرضيّة صالحة للحوار. وعلى الطّبقة المُثقّفة أن ترمي بثقلها في هذا الفعل الذي تسمح لنفسها بالنّقد البنّاء المُضيف لا المُنيف، وأن تكون هناك ثوابتُ ومرْجعياتٌ يقع عليها الحوارُ بكلّ الفعل السّياسيّ. ومتى ارتقى الحوارُ وكان إيجابياً، فلا غالبَ ولا مغلوب، فالغالب هو المنطق الذي يجمع العقل الرّاقيّ من أجل إصلاح الوضع المسدود، واستشراف مستقبل منشود. وهكذا نريد شبيبتنا أن تخدم وطنها بتصرّف القُدوة، ونريدهم الاستهداء بالمرجعيّة المثلى. وإنّه ليس عيباً أن تتكسّر اللاءات، ليس عيباً أن تكون هناك مصلحة سياسيّة وطنيّة يَرضى بها الجميعُ، ليس عيباً أن نتنازلَ من أجل الوطن، ليس عيباً أن نُطالب بضرورة صيانة ثقافة فنّ الاختلاف، ليس عيباً أن نهتدي إلى حوار الأفكار لبلورة مشروع وطنيّ للتصدّي للفتن بشتّى أنواعها، ليس عيباً أن نجمع بين العقل والحوار لتنميّة مستديمة كمشروع وطنيّ أوّل، ليس عيباً أن نلتقي على طاولة الحوار لمناقشة إصلاح الواقع، وإزالة الغمامة عن عيوننا، ليس عيباً تأكيد حماية الاستقرار والاستقرار ثمّ الاستقرار، وتكريس مرجعيّة الدّستور وسيادة القانون؛ باتّجاه إعادة الأمور الى نصابها الصّحيح، ليس عيباً إخواني أن نبادر إلى عقد أمثال هذه اللقاءات فهي مناط تحقيق شعار النّدوة **(الحوار قيمة قرآنيّة وشعار راشد).**

القرآن واللغة العربيّة♥

ــ **الدّيباجة:** بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ٢٨ ﴾ طه. ليس سهلاً أن يكون الكلامُ عن القرآن بلغة القرآن، وسيعجز البيان عن التّبيان، فاعذرونا يا إخوان. وجهان متداخلان متشابكان بالبُرهان، ينطلقان من تشابك العِرفان ولهما صلات وشيجة في البيان، من تفسير وفقه وبلاغة سحبان، وإلى نحو وصوت ومعجم البستان. هي شراكة نريد تجسيدَها، وعلى بركة الكتاب ننسج خيوطَها، وتتواصل أعمالُها في نواتجها، وتكون وزارة الشّؤون الدّينيّة والأوقاف لنا رداً، ونكون لها عَضُداً، ونشُدّ بعضنا في لاحق من الزّمان رفداً. نتشارك في رفع حسن البيان، في آي القرآن فمن ملتقى القرآن والعربيّة، إلى شراكات واسعة بينيّة، والطّريق تصنعه الأقدام، يا ذوي الأفهام.

ــ **القرآن والعربيّة صِنوان لا يفترقان:** كما يُقال "لولا القرآن لما كانت العربيّة" أعلى الله قيمة العربيّة لما أنزل بها كلمه عهداً، وما لا يتمّ به الواجب فهو الواجب مداً، وتنتشر العربيّة جمعاً وفرداً، لأنّها أحيطت بإعجاز أحكمها عزاً وبلسان عربيّ ولم تكن ضداً، وأنّ الإعراب أزّها أزاً قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفذ البحرُ عداً، وهي لا تجارى وفداً، ونشأت فيه العلوم وِرداً والقرآن حامل أحكامها عهداً، وغرامي بها أكثر ولَداً، يجلجل كالرّعد في صولة إدّاً وقوالب المعاني أعلَت بها هداً، هي لسان يفوق فيها الغناء وَلَداً، والعربيّة لسان الضّمير عبداً، في أحد عشر موقعاً عداً، وعلى مدار الأحكام وُداً، حبله المتين وصراطه المستقيم لُداً، يقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه رِكزاً.

♥ ــ الكلمة الافتتاحيّة التي ألقاها رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة في الملتقى الوطني حول (القرآن واللغة العربيّة) المكتبة الوطنيّة، بتاريخ: 4–6 نوفمبر 2019م.

ــ **عظمة اللغة العربيّة بعظمة القرآن:** القرآن أعجوبة، واللغة العربيّة تابعة للأعجوبة فبالقرآن عانقت ضُحاها، وكان لها السّبقُ ومن ثــمّ تلاهــا، وبأســاليبه جلاّها، وفتح ما كان يغشاها وأصبحت عظيمةً ومن ثــمّ بناهــا، وأغــدق عليهــا وطحّاها، واختارها لكلمه وما اختار سواها، وقوّاها بما تحمل من تقواها، فزكّــت نفسها وزكّاها، وأخرجت ما كان دسّاها، رغم عوادي الزمان بطغواها وكما سارت جسراً لمن أشقاها، وبآياته وشساعتها كان سقياها، وجاء قوم حاولوا أن يَعْقروهــا وما أفلحوا فهي ليست مثل سواها، وكان نجاحَها وعقباها.

ــ **القرآن والنّحو:** ما الفائدة من إعراب القرآن!؟ لنبيّن بمــا يقطــع حبــال الشّك، أنّ من معاني القرآن ما لا يتبيّن إلاّ من خلال النّظــر إليــه مــن زاويــة الإعراب، ألم يقل الشّافعي "ولا أُسأل عن مسألة من مسائل الفقه إلاّ أجبتُ عنها من قواعد النّحو[1]" وقال الجرمي: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي النّاسَ في الفقه مــن كتــاب سيبويه". وهكذا نرى أنّ التّبحّر في علوم العربيّة والتّمكّن منها يعزّز مكانتها فــي الأمور، وكذا أنّ النّحو ليس هو بشكل تركيبيّ فقط، بل له وسائط ورباطات وشيجة مع المعنى، وله دور فعّال في إنتاج الدّلالات، وتحصيل المفاهيم، وتوجيه المقاصد. ولا بدّ من تحصيل النّحو كي يقيَ المعنى الذي يقع عليه المبنى:

وحصِّــلِ النّحــوَ إنّ النّحــوَ صــاحبُه معظّــمٌ بــين أهــل الفضــلِ والأدب
من لــم يكــن عالمــاً بــالنّحو كــان إذا حــلّ المجــالسَ معــدوداً مــن الخشــب
تُبــدي فصــاحةَ ســحبان وتنثرُهــا بمنطــق رائــق أحلــى مــن الضّــرَب

وقد بيّن الإمام الشّاطبيّ (ت720هــ) أنّ القرآن الكريم لا يُفهَم إلاّ بمنظار اللّغة العربيّة وسنن العرب في كلامها؛ إذْ يرى بأنّ "القرآن الكريم ليس فيه من طرائــق كلام العجم شيء، وكذلك السّنّة وأنّ القرآن عربيّ، والسنّة عربيّــة، لا بمعنــى أنّ

[1] ــ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، تح: محمد الأرناؤوط. خرّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، ط1. دمشق+ بيروت: 1986، دار ابن كثير، ج2، ص 407.

القرآن يشتمل على ألفاظ أعجميّة في الأصل أو لا يشتمل؛ لأنّ هذا من علم النّحو واللّغة، بل بمعنى أنّه في ألفاظه وأساليبه عربيّ، بحيث إذا حُقِّقَ هذا التّحقيق سُلِكَ في الاستنباط منه والاستدلال به مسلك كلام العرب في تقرير معانيها". ويقول في موضع آخر، وهو يُخطّئ تفسير إحدى الآيات، لأنّ تفسيرها خرج عن سنّة العرب في كلامها: "لأنّ ذلك من قبيل ما لا تعرفه العرب، والقرآن إنّما نزل بلسانها وعلى معهودها". ولذلك فإنّ فهم اللّغة، ومعرفة قواعدها واحترام ما تتطلّبه عند التّفسير ضروريٌّ ولا مناصّ عنه ولا مقيل.

ــ **العربيّة والقرآن أسرار وأثر:** نزل القرآنُ واللسان العربيّ صقّلته فصاحة الأعراب، وقد أعطوها ما تستحقّه من الإعراب، عربيّة تصوغ تجارب الحياة في مثَل وحكمة، وتفسّرها في سجعة وتنثرها في خطبة، وتنظمها في قصيدة... إنّها لغة تجري مجاريها في حياة الأمّة، وتخترع المعنى بالهمّة، وتنتقي اللفظ في القمّة وترسم الصّورة والأسلوب بالرّقعة. ولا شكّ أنّ الدراسات القرآنيّة قاصرة، ولم تستجب لما يتطلّبه القرآن من تبصرة، رغم اجتهادات بعض الفذلكة، ومن ذلك ما حكاه الأصمعي "من أنّه سمع جاريّة صغيرةَ السّن تستغفر اللهَ من ذنوبها كلّها فسألها ممّ تستغفرين، ولم يجرِ عليكِ قلمٌ؟ فأجابتْه قائلةً:

أستغفرُ اللهَ لذنبي كلِّه قتلتُ إنساناً بغيرِ حلّه

مثْلُ غزالٍ ناعمٍ في دلّه انتصفَ الليلُ ولم أصِلْه

فقال لها: قاتلك اللهُ ما أفصحَك! فأجابته قائلة: أوَ تعُد هذه فصاحةً من بعد قوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ القصص. فقد جمعت بين أمريْن ونهييْن وخبريْن وبشارتيْن. فذهل الأصمعي وما أدراك ما الأصمعي. واستذكر بعد ذلك ما كان يتواصى به المشركون بالابتعاد عن سماع القرآن مخافةَ تأثيره فيهم. معجزة القرآن بأسرار العربيّة واضحة دون برهان، سماحةُ اللفظ، رقّةُ العبارة

انسجامُ الوصف، راحةُ الفواصل، تلاحقُ الأفكار. هي معجزةٌ وأيّة معجزة من نظم القرآن الجامع بين المعنى والعقل، معجزات النّبي عقليّة؛ لأنّ شريعةَ الإسلام باقيةٌ غير مُعرّضة للنّسخ، وكانت العقلياتُ باقيّةً غير مُتبدلة.

ــ **القرآنُ والعربيّةُ نسجٌ متكاملٌ:** إنّ القرآن خدم العربيّةَ، بأن شرّفها وقدّسها كما قال محمد الغزالي "إنّ الإسلام للعروبة وليٌّ نعمتها وصانعُ حياتها" إنّها احتياجٌ منطقيّ لا احتياج نقصٍ أو افتقار؛ فإنّما القرآنُ أحكامٌ، وفهمُ معانيها وضبطها متعلّق بفهم ما يحملها من ألفاظ وعبارات. ومن هنا فإنّ الأوائل عبّروا بالعموم على أنّ علم العربيّة علمُ وسيلةٍ لا غاية يُتوسّل بها إلى فهم كتاب الله تعالى، وما ثبت من كلام الرّسول ﷺ، فمعرفة مواضع الإعراب مَعِين على إبانة المعاني وتجليّة مقاصدها. إنّ القرآن العظيم هو "عماد لغة العرب الأسمى، تدين له اللّغة في بقائها وسلامتها وتستمدُّ علومها منه على تنوّعها وكثرتها". إنّ القرآن العظيم هو من حفظ للعربيّة خلودها، ولا يزال إلى اليوم صاحبَ فضل؛ يحفظ ألفاظها ومعانيها كيف لا وهو ينقلها معه إلى كلّ بيت يدخله وكلّ زمان يحلّ فيه؛ فالأعجميّ لا يكمُلُ إيمانه إلاّ بفهم الضّروريّ من الدّين، والعربيّة ظاهرة في ذلك، فلا تستقيم صلاةٌ دون فاتحة، ولا حجٌّ دون تلبيّة، بل لا يدخل الإسلامَ إلاّ بألفاظ اللّسان العربيّ تلفظها شفتاه، ويوقِن بها قلبُه. وقال ابن باديس: "لولا العرب ما انتشر الإسلام ولولا العربيّة ما فُهِمَ القرآن، ولولا هذان لانقطعت سلسلة المدنيّة؛ فالعرب والعربيّة شُكْرُهما فرضٌ على الإنسانيّة[2]". تلكم كلمات صادقات، ومن هنا، لا يبقى لنا شكٌّ في مدى ارتباط هذه اللّغة بالقرآن العظيم، ارتباطٍ إلى درجة التّماهي أو الذّوبان في أصل واحد، وهذا ما أسبغ العربيّة حرمةً وقداسةً ولقبًا تشرّفتْ به لغة القرآن. لغة حملت عجباً، ويا له من كلم تنوء عن حمله الجبال، ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

[2] ــ آثار ابن باديس، الجزء 6، ص 361.

الحشر. لغة بما لها من نظائر بلا إنكار، وهي في جملة القرآن ثابتة دون إدبار وصادرة بانتظام وإكبار، فتجد في القرآن العجب العُجّاب، هو كلام المدبّر الوهّاب لا تنتهي عجائبه؛ ولا تنفد كلماته. ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ الكهف.

ــ **للاعتبار:** أيّها الحضور، نصّت الأبحاثُ والدّراساتُ، وبما أسقطناها من الإحصائيات، على دفعات كانت لها الصّدارات؛ بأنّ أصحابها في تلك الدّفعات حصّلوا محفوظاً في القرآنيات، ولهم نصيب في الرّياضيات، وتمكّنوا في تعليمهم لغة المحاورات. أوَ ليس هذا مدعاة للاعتبار؛ بأن نعيد لمنظومتنا التّربوية تلك الأنظار، بمتعلّقات العصر من أفكار، لنعلوَ من هذا المستوى المنهار. إصلاحاتٌ ما بلغت مداها في الإبصار، لضعف مبنيّ على سوء الإقدار، أوَ ليس حان وقت ردّ الاعتبار. لمنظومة تدريسيّة تُعلي المقام، وتزيل عنها متعلّقات الأوهام، وبما ألبسوها من سقط الأسقام، وخرافات تدريسها باللهجات، بحجّة هي لغة الأمّ بلا سقطات، ويريدون إلهاءنا بالفذلكات التي عفا عليها زمن الأربعينيات. أوَ ليس حان وقتُ ردّ الاعتبار، يا من تصنعون القرار.

ــ **الخاتمة:** أيّها الجمع الكبير، يا أهل العلم والفضل، لقد جمعناكم في هذا اللقاء الجامع للأصول، لقاء نرومه أن يكون كشفاً للتكامل والتّفاعل بما تنتجونه من أنوار، وما تقترحونه من أفكار، وما تربطونه من صلات بين علوم العربيّة الأمّات، وأنّ كلّ العلوم لها صلة بالقرآن، بل ومن العلوم التي تنطلق من القرآن ونذكر علمَ الفقه وأصولَه وعلمَ الحديثِ وفروعَه... ثمّ لا ننسى أثر كلام العرب المتمثّل في الشّعر الجاهليّ والإسلاميّ، فكثيراً ما يشكل عليهم من الألفاظ القرآنيّة التي درجوها ضمن باب سمّوْه بغريب القرآن، كما أنّ غيرَ العرب ما كانوا ليفهموا عن القرآن مَقصدا ولا حُكما إلاّ أنْ يفهموه بمنطق العرب في لغتهم، وطرائقهم في الفهم والبيان. وللتّفسير اللّغويّ أهمّيّة مَكينة في ديننا الحنيف، فالله تعالى اختار نبيّه عربياً، وأنزل إليه كتابه بلسانٍ عربيٍّ مبين، ولا تجوز قراءته تعبُّدًا بغير لغته. كما

لا يمكن العدول عنها في تفسيره لأنّه تُعرَفُ معانيه من خلال معاني لغتــه. قــال أحمد بن فارس: "إنّ علم العربيّة كالواجب على أهل العلم، لئلا يحيدوا في تــأليفهم وفُتياهم عن سنن الاستواء، وكذلك الحاجة إلى علم العربيّــة؛ لأنّ الإعــراب هــو الفارق بين المعاني". أو بمعنى آخر، فإنّ الإعراب يتأتّى بعد الفهم، وهو إبانة عــن إبانة.

التسويق اللغويّ السّياحيّ بالعربيّة= تطوير لآلياتها♥

ــ **الدّيباجة:** إنّه من الموضوعيّة أن نقول بأنّ اختيار موضوع هذا الملتقى كان اختياراً نوعياً يتمشّى وواقع اللغة الاجتماعيّ الذي يمسّ اجتماعيّة اللغة، على اعتبار أنّ طرح هذا الموضوع للمناقشة يكون رفداً لمقام اللغات في السّوق الاجتماعيّة والاقتصاديّة والهوياتيّة، من خلال العمل على تطوير مضامين اللغات التّسويقيّة ووسائطها التّواصليّة في ميدان السّوق الاستعماليّ؛ وبخاصّة سوق السّياحة الذي له بابان: باب داخليّ يتعلّق بأهل اللغة، وباب خارجيّ يمسّ غير أهل اللغة؛ وكلا البابين إذا وقع حُسن استغلالهما يقدّمان نفعاً للغة، وهذا ما تنصّ عليه أهداف هذا الملتقى المغاربيّ الدّاعيّة إلى وضع معالم منهجيّة وإبستيمولوجيّة لسياسة لغويّة للعربيّة تجعلها تنال موقعاً في **الاستعمال السّياحيّ**، وهذا من خلال التّفكير في آليات الحديث في المتن اللغويّ الملبّي للواقع والاستعمال الوظيفيّ، وفي إنجاز مشروعات من مثل: معاجم/ قواميس/ أدلّة/ مسارد... تكون مصاحبةً للاستعمال في السّياحة، إلى جانب تكوين مُرشدين سياحيين يُحسنون أداءَ العربيّة في التّواصل السّياحيّ، وفي الخِدْمات الملحقة لاكتساح أولويّة العربيّة في الاستعمال، مع استعمال لغات العولمة في مقاماتها الضّيّقة.

ويدخل الموضوع الذي اخترته في هذا الميدان؛ بالتّركيز على أهميّة التّسويق اللغويّ بالعربيّة لتنال وضعها الاجتماعيّ في قطاع السّياحة، وهو قطاع مهمّ وحسّاس يعمل على التّأثير اللغويّ فلا يقلّ قيمة عمّا يقدّمه قطاع الإعلام في تطوير آليات اللغة العربيّة رغم بعض الحوادث اللسانيّة التي يحدثها. ولكنّنا ننظر إلى الأمر من زاوية القيمة المضافة التي يقدّمها قطاع الإعلام لتطوير آليات العربيّة

♥ ــ أُعِدَّت المقالة للملتقى المغاربيّ حول (التّسويق اللغويّ والتّنميّة السّياحية –رهان اللغة العربيّة–. تلمسان: 5–6 نوفمبر 2019، تنظيم وحدة بحث. واقع اللسانيات وتطوّر الدّراسات اللغويّة في البلاد العربيّة. التّابعة لمركز البحث العلميّ والتقنيّ لتطوير اللغة العربيّة/ CRSTDLA.

وتلك النّقلات الإعلاميّة التي عملت على ازدهار العربيّة. من هنا لا يقلّ قطاع السّياحة شأناً في ما يمكن أن يكون عضداً لتطوير آليات العربيّة إذا أحسنّا توجيهه في خدمة الشّأن العامّ، واللغة العربيّة لغة الهُويّة من الشّأن العامّ. وهذا القطاع السّياحيّ الاستراتيجيّ له آفاق واعدة لما يعرفه من حركات متناميّة، ولما يقدّمه من تبادل المصالح المرسلة بين السّاكنة، وبين السّاكنة والأجانب؛ وهو يتنامى يومياً عبر التّحسينات التي تقدّم في الخِدمات، وعبر الدّعايات والإعلانات؛ لأنّه قطاع مُربح إيكولوجيّ، يدرّ عملات للوطن، ويُعرّف بالوطن للخارج، ويعمل على تطوير البنية القاعديّة والثّقافيّة، ويمسّ جوهر الاستقطاب في الاقتصاد. هذا القطاع السّياحيّ يقوم بمهام التّطوير في الدّاخل وفي الخارج، فإذا كانت لغتنا العربيّة الوسيلة الاتّصاليّة نكون قد خدمنا الجانب الاقتصاديّ مصحوباً بالجانب اللغويّ ولهذا وسمتُ موضوعي **التّسويق اللغويّ السّياحيّ بالعربيّة= تطوير لآلياتها.** وأرى في هذا الموضوع النّفعيّة التكامليّة بين خدمة السّياحة باللغة الوطنيّة، فهي خدمة مزدوجة تعطي تحسيناً وتحصيناً لآليات المصلحة العامّة الجامعة بين الذات الهوياتيّة، والنفعيّة العامّة، وكذلك تفعل الأمم الرّاقيّة، فلا تسوّق سياحتها إلاّ بلغتها بل هي العمدة ففي منتوجها السّلعيّ، وفي الخدمات العامّة، فهل نتعظ؟

1ــ مدلول مصطلح (التّسويق اللغويّ): من فِعْل (سوّق) الرّباعيّ؛ يدخل في مصطلحات البيع والشّراء، كما يعني نقل البضائع/ الشّراء/ المقايضة/ إرسال بضاعة... ويكون من مُنتج إلى مُستهلك. وهو عملية اجتماعيّة يحصل بموجبها الأفراد والمجموعات على ما يحتاجون من بضائع ويتمّ تحقيق ذلك من بيْع/ إنتاج/ تبادل السّلع/ المنتجات ذات القيمة مع الآخرين. وهناك أنواع أخرى للتّسويق من مثل التّسويق الشّبكيّ/ الهاتفيّ وما يتعلّق بوسائل التّواصل الاجتماعيّ. وعموماً فإنّ **(التّسويق اللغويّ)** يأخذ أبعاداً أخرى تتمثّل في قضايا الإعلان، والتّخطيط اللغويّ واستعمال اللغات الوطنيّة/ توظيف اللغات الأجنبيّة، التّوجّه السّياسيّ اللغويّ من وسائل التّهيئة اللغويّة... وما يربط ذلك بمُعطيات الهيآت العاملة على السّياسة

اللغويّة، مثل المجامع اللغويّة والمجالس اللغويّة العاملة على حماية اللغات وتطويرها. ومصطلح **(السّوق اللغويّة)** مسكوكة لغويّة دالّة على سوق الاستعمال العفويّ أو التّطبعيّ لخطاب لغويّ مُوجّه لمُتلقين قادرين على تقييمه ومَنْحه سِعراً معيّناً. وهذا السّعر يخضع للتّراتب الاجتماعيّ للغة المستعملة، وما تحمله اللغة من فوائد تجعل المستعملين يتنافسون عليها بمدلول الرّأسمال اللغويّ الحامل للفائدة وكذلك جعل القوانين تشكّل الأسعار التي تُدرّ لصاحبها الرّأسمالَ والقدرةَ على استخلاص فائض القيمة النّوعيّ؛ ضمن آليات التّفاعل والتّواصل في البنيات الاجتماعيّة. علماً أنّه لا توجد **سوق/ بورصة** إلاّ بوجود كفاءة ورأسمال، ولا رأسمال إلاّ بفائض ربح بين كفاءة وأداء؛ واللغة هدفها التّداول والتّنوّع والتّبادل.

وكذلك فإنّ اللغة تتّسع لكلّ عمليات التّواصل؛ باعتبارها سوقاً ضخمة تحمل كلّ الممارسات اللغويّة الوضعيّة، ولا يحصل فيها إلاّ نمط لغويّ تداوليّ يقبله السّوق.

فاللغة لا تُفرَض على السّوق، بل السّوق يفرِض اللغةَ الجيّدةَ والرّائجةَ والحاملةَ لمضامين ممارسات لغة السّوق وفق قيمتها في سّوق التّداول بمثابة الجانب السّلعيّ.

ويدلّ المصطلح في اللسانيات الاجتماعيّة على اختيار اللغة المعتمدة في الاستعمال الجمعيّ السّياحيّ وبخاصّة اللغة المنطوقة. وهنا تلعب السّوق اللغويّة دوراً في الطّرائق التي يختلف فيها الحديث، وفي المستويات اللغويّة للتّواصل، وما يتعلّق برهانات التّهيئة اللغويّة، وجدلية التّخطيط اللغويّ، وتحدّيات السّوق اللغويّة بما لها من تعدّد لغويّ. وهذا ما كان زمن المقايضة السّلعيّة؛ فقد فرضت لغة Langua-Franca نمطها كوسيلة تواصل في تجارة طريق الحرير، وطريق الملح، وكما كانت العربيّة أيام ازدهار الأندلس هي لغة التّبادل السّلعيّ العربيّ والأوربيّ، وكذا ما نشاهده اليوم من تنميط الإنكليزيّة في الطّيران المدنيّ، وفي عالم السّياحة وفي مجال المال.

وقد وقع تركيز إشكاليّة هذا الملتقى المغاربيّ على آحاديّة لغويّة، علماً أنّه لا يمكن أن تعيش اللغة الواحدة (العربيّة) وحدها في بلاد المغارب؛ وهي غير وظيفيّة

في كثير من أبعادها، وكذلك لا يمكن أن تكون بعيدة عن التّأثّر والتّنافس في السّوق اللغويّة المغاربيّة، مع جدليات الحاضر والمستقبل العولميّ، إلى جانب التّركيز على كيفيات استدراك سلوكيات التّواصل بلغات الهُويّة الاثنتين (2) اللتين تعرفان الانكماش الهُوياتيّ، والانكسار المعرفيّ، والانحصار الهيمنيّ، أمام استقواء الفرنسيّة في بلاد المغارب كلغة لها سوق إقصائيّ وتنافسيّ للغات الهُويّة، وما يأتي به الحاضر من فرض تواصل عولميّ في لغة السّياحة؛ وعمادها اللغة الإنكليزيّة فقط في ظلّ انتفاخ خطاب العُروبة والمُزوغة، وهو انتفاخ غير مُجدٍ؛ لأنّ الانجذاب اللغويّ نحو الفرنسيّة استقوى والتّعامل مع فرنسا يزداد، أضف إلى ذلك الجاليات المغاربيّة التي تعيش في بلاد الفرنكفونيّة؛ وكلّ ذلك يعمل لصالح الفرنسيّة، ويزداد الأمر عجباً عندما نتعامل مع كلّ أجنبيّ –مهما كانت جنسيته– بالفرنسيّة على اعتبار أنّها لغة التّواصل الخارجيّ دون غيرها من اللغات، وهي عقدة نفسيّة آمنّا بها –نحن المغاربة– فأصبحت من الأنا الدّاخليّة والخارجيّة. بالفعل هناك كثير من المفارقات والتّناقضات في مسألة استعمال العربيّة في قطاع السّياحة، وإنّ العربيّة فيه تجد نفسها داخل منظومة من التّناقضات اللولبيّة على صعيد التّناقض بين التّنظير والتّطبيق كما تقول الباحثة (أمل شفيق العمري) "وإذا ما أراد أحد الباحثين دراسة وضعيّة العربيّة داخل المنظومة السّياحيّة أو التّربويّة فإنّه سيجد نفسه أمام ظاهرة مُحاطة بكثير من التّناقض؛ تناقض بين ما هو مُسطّر في النّصوص القانونيّة والخطابات الرّسميّة من مبادئ وأحكام تُعلي من شأن العربيّة، وبين ما نشهده في الواقع التّربويّ والتّعليميّ من تهميش وعداء باطنيّ أحياناً للغة العربيّة على صعيد التّطبيق والممارسة في المؤسّسات الحكوميّة والتّعليميّة. وبما أنّنا في طور تطوير السّياحة العربيّة، فلا يمكن للفعل السّياحيّ أن يؤدّي دوره المأمول اقتصادياً وثقافياً وتربوياً إلاّ إذا كان مُتخصّصوه –على اختلاف رتبهم– ابتداءً من المُضيف في أيّ مُؤسّسة سياحيّة، وانتهاءً بالمَسؤولين في القطاع يحملون من المَهارات التّقنيّة والمَعرفيّة ما يتيح لهم الإجادة، وتقديم المنتج السّياحيّ على أجمل

صورة، من النّاحيتين: النّاحيّة المعرفيّة والنّاحيّة المهنيّة[1]". وهذا ما يؤسف له رغم موقع العربيّة من مراسيم وقوانين، ولكن هناك عوائق على مستوى التّكوين الذي يتمّ بلغات أجنبيّة، ويضاف إليها بعض السّلوكات الانجذابيّة تجاه الأجنبيّة بشكل غير مقبول.

2ـ اللغة والاقتصاد: ترتبط اللغات بالاقتصاد؛ أي الاهتمام بالإنتاج والمردوديّة والرّبح والبزنسة والتّواصل والتّبادل لخلق أسواق لغويّة عن طريق استعمال اللغات الوطنيّة، أو اعتماد التّرجمات رغم كلفتها. ولهذا **تُعتبر اللغةُ عملةً قابلةً للتّبادل والسّيولة**؛ واستعمالها يُقوّي من رفع فوائدها وتعلّمها يُدرّ عُملة فكريّة وماديّةً وثقافيّةً، ويجلب لها الزّبائن الذين يطلبون ودّها لتعليمها أو التّرجمة منها، وتكون اللغة الأقوى بالتّرجمة منها، وتكون اللغة الأضعف بالتّرجمة إليها، فلا تدرّ لها العُملة المطلوبة. وإنّ اللغة والنّقود في مسار متكامل في نمو الاقتصادات اليوميّة لأيّ بلد، وأنّ اللغة المشتركة فاعل اقتصاديّ في الإنتاج الصّناعيّ، وبدره يحتاج إلى لغة واحدة موحّدَة وموحِّدة، وعن طريقها يمكن أن يتواصل جميع أعضاء المجتمع الذين يشاركون في العمليّة الاقتصاديّة و"لهذا تصرّ كلّ الأمم على ربط السّوق باللغة المشتركة؛ بوصفها جانباً ضرورياً من جوانب التّطوّر الاجتماعيّ.

علماً أنّ المستعمرات الأقلّ نجاحاً في السّوق هي تلك التي خرجت من طوق الغربنة وأنّ التي خرجت من شرنقة الغربنة ازدهرَ اقتصادُها بازدهار لغاتها، وكان المكوّن الثّنائي فيها: تنميّة اقتصاديّة= تنميّة لغويّة. وهذا الأمر في الأساس يتطلّب القضاء على التخلّف اللغويّ من أجل تحويل لغة ما إلى وسيط مناسب للاتّصال الحديث؛ تتّخذ شكلاً من أشكال المقاربة التّواصليّة وركيزتها تطويع المفاهيم الغربيّة بوضعها في تعبيرات محليّة، وبشكل خاصّ التّرجمات. وبكلّ هذا تكون اللغة القوميّة رصيداً مادياً للمجتمع، وتزداد بقدر ما تتّخذ من سمات وظيفية تآلفيّة في المجتمع[2]". وهكذا نرى اللغات تُسهم في رفع الاقتصاد الوطنيّ من جانب التّقليل من النّفقات في الدّاخل، وإكساب العُملة من الخارج، مع ما يصاحب ذلك من

التّوجّهات القوميّة للتقليل من النّفقات والتّنافس حول الجودة والنّجاعة، والدّيمقراطيّة وحقّ المواطنة والطموحات الفرديّة والجماعيّة، دون الحديث عن مكتسبات القيمة الجمعيّة التي تخلقها اللغة الوطنيّة الجامعة؛ من حيث ربح القلاقل الاجتماعيّة المفكّكة للاقتصاد والمستنزفة لإمكانيات البلد عند استعمال الأجنبيات. ولهذا تعمل الأمم على استغلال الجانب التّسويقيّ للغة؛ فتقوم على تسويق لغتها، وعلى نوعيّة المنتوج الذي تحمله، وطريقة ترويجه، والمكان الذي يروّج فيه، وكلفته والأشخاص المسوّقين لهذا المنتوج اللغويّ؛ وهذا ما يسمّى بالمدّ اللغويّ الذي يُعطي للغة صفةَ التّوسّع، وصفةَ الدّخل الماديّ في التّعليم أو في التّرجمة أو في النّشر. وتفعل الأمم الرّاقية على إحاطة لغاتها بأرمادة من القوانين العاملة على حمايتها بعد ضبط الجانب الإداريّ للسّياسة اللغويّة، والتّركيز على معاضدة المدرسة والإعلام بالتّوعيّة والتّحسيس بالموضوع الذي تكون خاتمته **الاعتزاز اللغويّ للغة الأمّة.**

3ــ السّياحة والتنميّة المستديمة: في البداية يجب الحديث عن دور السّياحة في تثوير الجانب البشريّ من أجل التّغيير وقبول الآخر، فماذا تقدّم السّياحة من تغيير في النّمط الثّقافيّ للمجتمع؟ تلكم هي إشكاليّة المنطلق، فهل نحن على استعداد للضيافة؟

1/3ــ يجب العلم بأنّ الفرق بين الحديقة الغنّاء والصّحراء ليس هو الماء، بل الإنسان العامل على خدمة المكانين، ليس إلاّ. ولهذا إنّه من الضّروريّ بمكان أن تكون لدينا توعيّة بأهميّة السّياحة لأنّها تعتمد أولاً وقبل كلّ شيء على الخدمات التي يقوم بها البشر، لا على توفير الهياكل التي تبهر الأنظار، ولكن تجد الخدم عليها يُهرّبون النّاس. ولا بدّ في هذه النّقطة من التّركيز على خلق ثقافة سياحيّة تقبل بالآخر، وتبشّ في وجه الأجانب، وتلبّي الخدمات، وتكون في الخدمة بحكمة (الزّائر ما دام عندنا فهو مَلِكٌ).

2/3ــ لقد تمكَّنتِ السّياحةُ من تجاوز الكثير من الأزمات، وأثبتت التّجارب المعاصرة أنّها صناعة مُربحة، وتنمو باستمرار، فهي صناعة متطوّرة مرتبطة بالرّغبة الإنسانيّة في المعرفة وفي تخطّي الحدود. كما لم تعد صناعة السّياحة كما كان في الزّمان الماضي؛ بحمل حقيبة صغيرة والسّفر إلى بلد ما لقضاء ليال في فندق، أو أن يتجوّل زائر في بعض المعالم الأثريّة، ومن ثمّ يتبضّع في الأسواق الشّعبيّة، ويترك بضع الدولارات... لكن الأمر الآن تغيّر، فتعدّت السّياحة هذا الإطار الضيّق، لتدخل بقوّة في معالم جديدة كصناعة خامّ/ نصف خامّ/ كاملة التّجهيز، وأضحت تدرّ على الدّولة عُملة قويّة بمليارات الدولارات، وبتحريك الاقتصاد عن طريق الفرق المتتاليّة للسّياح ودورات الوكالات التي تتعامل مع مختلف الشّركات؛ وكلّ ذلك يعمل على غليان اقتصاديّ يعمل على تحريك دورة الحراك السّلعيّ، فهناك تغيير للنّمطيّة القديمة، وهذا ما نراه في بلاد لا تملك البترول، وتعيش على السّياحة، ولها اقتصاد قويّ، ويكفي أن نذكر: تونس+ مصر+ تركيا+ المغرب+ تايلندا+ أوزبكستان+ إسبانيا... دون الحديث عن بعض البلدان التي لها معالم ذات العلاقة بالجوانب الرّوحيّة، من مثل: السّعوديّة+ الفاتيكان+ الهند.

ونحن في بلاد المغارب، أمام ما نملكه من معالم سياحيّة: جبال/ صحراء/ هضاب/ بحر/ محيط... وتستمرّ السّياحة سنوياً، ويمكن أن تتماوج في فرق حسب المطالب السّياحيّة، فبلادنا يمكن طيلة السّنة تحقيق السّياحة بأشكالها: الثّقافيّة/ الدّينيّة/ التّرفيهيّة/ سياحة المغامرات/ العلاجيّة/ سياحة التّسوّق/ سياحة حضور المؤتمرات/ الرّياضيّة... وهذه كلّها تقوم على فكرة الاستدامة في توجيه عمليات لاستحداث تركيب المنتجعات السّياحيّة الدائمة؛ والتي تصلح لكلّ الأماكن والفصول بهدف تكوين قاعدة اقتصاديّة فعّالة يتحقّق بموجبها تنامي حركة الاقتصاد والخدمات السّياحيّة الدّولية/ الدّاخليّة. وأمام هذا التّناميّ في الاقتصاد، فإنّه يقع الاهتمام لدى الشّعوب في التّنافس على برامج مستديمة تلبّي احتياجات العصر دون

التّضحية بقدرة الأجيال المستقبليّة على تلبية احتياجاتهم. وبذا تكون التّنميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة في الدّولة أحد العوامل التي يخطّط لها على كلّ الآماد لإحراز التّقدّم في نوعيّة الحياة ومستوياتها، وتحقيق الرّخاء للمواطنين، ولا يمكن تصوّر أن يتحقّق كلّ ذلك كهدف نهائيّ، إلاّ بتحقيق الأهداف المرحليّة في القطاعات الإنتاجيّة والخدماتيّة على اختلافها، وبخاصّة القطاع السياحيّ. وهو هدف في حدّ ذاته مطلوب الآن عند الدّول التي انتقلت بالسّياحة الاستكشافيّة إلى السّياحة الإدماجيّة المتكرّرة، والتّصنيع السّياحيّ المتجدّد، مهما اختلف الزّمان والمكان والظّروف السّياسية، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة والبيئيّة. ورغم ذلك فإنّه يمكن تحديد أطر عامّة لمختلف الأهداف للسّياسة السّياحية التي تضعها الدّولة للقطاع السّياحي، وللتنمية السّياحيّة بوجه خاصّ؛ مستهدفة الأهداف الاقتصاديّة والاجتماعيّة والبيئيّة والأمنيّة؛ وهذا بغية استقطاب اليدّ العاملة، وتحسين ميزان المدفوعات، ورفع الوعي والمستوى الاجتماعيّ والحضريّ للمواطنين. وهذا سبيل من سبل التّنميّة الكاملة الدّائمة التي تعمل على النّمو الاجتماعيّ، والرّفع من مستوى وعيهم، وتعليمهم وتقدير تاريخهم وجغرافيته. ويتعاظم كلّ هذا بتقدير فرص التّمتع بالسّفر والسّياحة والتّرويح بالنّسبة للسّائحين الأجانب والمواطنين.

4ــ السّياحة والحاجة والإعلان واللغة: رُباعيّةٌ تراتبيّةٌ استلزاميّةٌ تجمع بين أهميّة السّياحة وحاجيات السّائح، واللغات التي تُقدّم بها السّياحة.

1/4ــ السّياحة: فعل معاصر يكون بديلاً للبترول والنّفط، وله مظاهر الاحتكاك ونقل الثّقافات وتبادل المعلومات، والتّعرّف على الأماكن والمُنجزات، ومكان للتنزّه والمُغامرات. وتشهد السّياحة كلّ يوم نمواً مرتفعاً، فهي صناعة العالم من العالم وإلى العالم، وتصبّ منتوجها في تنمية مستديمة لصالح السّاكنة والاقتصاد المحلّي.

ولذا تحتاج السّياحة إلى تخطيط سياحيّ تقديريّ مستقبليّ لضمان صيانة الموارد السّياحيّة، والاستفادة منها بشكل رشيد، وربط السّياحة بالقطاعات الأخرى لتحقيق أهداف التّنميّة الاقتصاديّة. ولنجاح التّخطيط السّياحيّ لا بدّ من معرفة كلّ

المعلومات والبيانات الخاصّة بالمواقع: متنزهات طبيعيّة، محميات بيئيّة، مراعي غابات، ظواهر جيولوجيّة جزر، شواطئ... وتصحبها مخطّطات سريعة/ متوسّطة/ طويلة الأمد، مع تقديم كلّ التّشجيعات للقطاع الخصوصيّ، وتفادي السّلبيات، والتّحكّم الجيّد في تنظيم المجال السّياحيّ بما يقدّمه من مداخيل ماليّة. وعند ذلك يمكن أن يكون قطاع السّياحة مُسْهماً بشكل مباشر في أهداف التّنميّة المستديمة.

2/4ـ الحاجة: وهي مُراعاة حاجات السّائح في البلد المزور، والحاجة أحياناً وليدة السّاعة فهي مُتغيّرة وبحسب كلّ سائح، فما أصعب تحقيق كلّ الرّغبات ولكن ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جلُّه فيكون العمل بالطّلبيات المُمكنة، بضمان منطق التّوافق والنّسبة الكبيرة للسّياح. ولكن العهدة في الأمر أنّ الزّائر للبلد له حاجات يريد الوصول إليها أو تصويرها أو تحقيقها أو رؤيتها، ويكون ذلك من صميم التّخطيط الذي يرومه في برنامج الزّيارة السّياحيّة.

3/4ـ الإعلان: ونقصد به أنّ المنتوج السّياحيّ مثله مثل أيّة سلعة تجاريّة تحتاج إلى دعاية/ ترويج بحسب ما تقتضيه متطلّبات السّوق من عَرْضٍ وطَلَبٍ وهذه العمليّة تستهدف الزّبون الأجنبيّ أكثر من الوطنيّ، ممّا يرهن نجاح أيّة حملة ترويجيّة تسويقيّة بجودة الخطاب السّياحيّ صياغةً وترجمةً في الآن نفسه ويستوجب تطوير وسائط الإعلام والتّواصل للترقيّة السّياحيّة في أكثر من لغتين بحسب الموقع الجغرافيّ للبلد. وهنا يقع التّنافس اللغويّ في تلبيّة رهانات العربيّة التي لا تزال تُراهن على أنماطها التّقليديّة، فهل يمكن أن تلبّي المطلوب؟

4/4ـ اللغة: وسيلة التّواصل التي تتمّ بين السّائح والمحيط العامّ، بداية من طوبونيميّة الألواح والشّارات والخرائط والأدلّة وما يستقبل به الزّائر في الحدود وإلى مختلف الأدلّة الأماكنيّة، وما يؤدّيه المرشد من لغة. فهنا تطرح تحدّيات أشكال التّواصل بين الفئات العمريّة الزّائرة، والرّغبات المتضاربة، وكيف يمكن إصابة هدف التّوافق اللغويّ وما هي اللغة المستهدفة... وفي كلّ هذا تطرح اللغة

انعكاسات المزور، كيف يلبّي طلبات الزّائر، ويكون في خدمته بلغة يفرضها عليه بل أحياناً تكون بحسب محيط لغات الهيمنة السّياحيّة، أو لغة البلد المستعمِر، أو بلغة البلد الأصليّة إذا توفّرت لها كلّ وسائل التّرجمة، وما يلحقها من أدلّة مساعدة.

5ــ اللغة العربيّة في قطاع السّياحة: نعرف بأنّ السّياحة قطاع مهمّ يدرّ على البلد تمويلاً يُضاهي أو يجاوز ما يدرّه البترول من دخل للخزينة ولتحريك الاقتصاد الوطنيّ، كما يعمل على تبليغ هويّة البلد للخارج إذا أحسن استثماره "تعدّ السّياحة واجهة البلد، وناقلة هويّته، وهي ميدان خصب بإمكانه أن يدرّ كثيراً من الأموال ويصبح مورداً اقتصادياً أساسياً إذا أُحسن استثماره، ومن بين الوسائل التي يحتاجها الخدمة اللغويّة؛ التي تعدّ عنصراً بالغ الأهميّة في مدّ جسور التّواصل مع الآخرين. وبما أنّ هذه الخدمة ستكون باللغة العربيّة؛ فمعنى ذلك أنّه لا بدّ أن يكون هناك نوع من التّخطيط لنشر اللغة العربيّة في هذا القطاع الحيويّ ومؤسّساته المختلفة ولا سيّما في المجال الخدماتي والفندقي ممّا يجعلها لغة من لغات السّياحة خصوصاً بعد أن أقرّت منظمّة السّياحة العالميّة/ World Tourism Organization (WTO) إدخال اللغة العربيّة في نشاطات وعمل المنظّمة[3]". وبرغم كلّ هذا فإنّنا لا ننكر أنّ العربيّة ليس لها مقامٌ عالٍ في قطاع السّياحة؛ ممّا أدّى إلى تهميشها واستبعادها من هذا القطاع الحيويّ الاقتصاديّ، وهي من جملة المشكلات التي تعانيها الدّول المتخلّفة كافّة، والدّول العربيّة خاصّة؛ بسبب طمس لغات الهُويّة، وغياب سياسة لغويّة مصاحبة بتخطيط تكامليّ في البلاد العربيّة. وإذا ذكرنا بعض الصّعوبات من باب التّلميح، فإنّ من الباحثين من حدّد جملة المضايقات التي تعانيها العربيّة في بلاد العرب، وهي:

1ــ عدم إعطاء الأهميّة الكافيّة للغة العربيّة في المجال السّياحيّ من قبل المسؤولين على مستوى الحكومات والإدارات السّياحيّة، وعدم الاهتمام بها من قبل العاملين في المؤسّسات السّياحيّة.

2ــ عدم وجود قوانين تُلزِم المؤسّسات السّياحيّة والفندقيّة بضرورة التّعامل باللغة العربيّة، ومحاولة إيقاف تراجعها في مجتمعاتنا العربيّة.

3ــ تقاعس بعض البلدان العربيّة من اتّخاذ الإجراءات والسّياسات الضّروريّة للحفاظ على اللغة العربيّة، ومحاولة إيقاف تراجعها في مجتمعاتنا العربيّة.

4ــ الاعتقاد السّائد والخاطئ لدى البعض أنّ اللغة الإنكليزية هي لغة السّياحة ولغة العلم، والعمل والتّواصل، ورمز الحداثة، والتّحضّر والمدنيّة، وأنّهم غير قادرين على استعمال اللغة العربيّة في تعاملاتهم وأدائهم لمهامهم اليوميّة في المنشآت السّياحيّة.

5ــ عدم توافر معاجم لغويّة عربيّة.

6ــ شيوع التّحدّث باللغات الأجنبيّة؛ ولا سيّما الإنكليزيّة والفرنسيّة في المؤسّسات السّياحيّة العربيّة مقابل انزواء اللغة العربيّة وهيمنة اللغة الإنكليزيّة بشكل مقلق على جميع الأعمال السّياحيّة والتّواصل السّياحيّ، واشتراطها في عمليّة التّوظيف.

7ــ اقتصار أنظمة الحجوزات الحاسوبيّة والتّطبيقات الإلكترونيّة المتّبعة في المؤسّسات السّياحيّة والفندقيّة على اللغة الإنكليزيّة.

8ــ التّوسّع في استعمال المصطلحات الإنكليزيّة في العمل السّياحيّ والفندقيّ بسبب وجود بدائل عربيّة لها، وسيطرتها على أسماء الوجبات، وقوائم الطّعام في المطاعم.

9ــ غالبيّة الصّفحات المتوافرة على شبكة الويب مكتوبة باللغة الإنكليزيّة.

10ــ ضعف استعمال اللغة العربيّة في معاهد ومؤسّسات التّعليم السّياحيّ والفندقيّ العربيّة.

11ــ قلّة كتب السّياحة باللغة العربيّة وندرتها؛ سواء المترجمة أم المؤلّفة المواكبة للتّطورات السّياحيّة العالميّة الحديثة؛ لأسباب تتعلّق بالمؤلّفين والمترجمين من جهة، وبإنتاج الكتب العلميّة السّياحيّة ونشرها وتوزيعها من جهة أخرى.

12ــ هيمنة اللغة الإنكليزيّة على المشهد العامّ في المؤسّسات السّياحيّة والفندقيّة، وسيطرتها على اللوحات واللافتات والعلامات الإعلانيّة وغير الإعلانيّة وأرقام الغُرَف الفندقيّة، وأسماء القاعات والمطاعم، والمحلات التّجاريّة التي تكتب باللغة الإنكليزيّة.

13ــ مجاهرة كثير من الفنادق والشّركات السّياحيّة العاملة في الوطن العربيّ بكتابة تقاريرها وصياغة عقودها، وإصدار تعليماتها إلى العاملين فيها –وإن كانوا عرباً– باللغة الأجنبيّة.

14ــ الشّيوع الواسع للأسماء الأجنبيّة في الحقل السّياحيّ والفندقيّ، والإقبال عليها، فثمّة أسماء مكتوبة بالإنكليزيّة لفظاً وكتابة Sheraton/ Plaza/ Crawn وبعضها كتبت بالعربيّة بلفظ إنجليزيّ مثل انتركونتيننتال وماريوت، والبعض الآخر كتبت بالإنكليزيّة وبلفظ عربيّ liwan [4]" تلكم هي جملة التّحديات التي تعانيها العربيّة في بلادها، وكيف يمكن أن تنال مواقع في خارج ديارها عند العرب الذين يديرون فنادق في غير أوطانهم. هي تحدّيات، يمكن رفعها إذا وقع الاهتمام بها عبر مراحل تخطيطيّة، وبسياسة لغويّة مبنيّة على الاعتزاز بلغة الهويّة.

ولكي تكون العربيّة سارية المفعول في هذا القطاع لا بدّ من رسم سياسة لغويّة لتنميّة اللغات المحليّة وتطويرها، واختيار أكثرها استعمالاً في مجال التّجارة والعلاقات الدّوليّة. واللغة الوطنيّة المرشّحة هي العربيّة التي تتجلّى استعمالاتها في القارات الخمس، ويضاف إليها ما تتوفّر عليه من تطهير لغويّ+ منتوج قاموسيّ+ معيار لغويّ+ تحديث معجميّ+ استبدال لسانيّ+ لغة وظيفيّة. وتحتاج الآن إلى إدارة مخطّطة وإلى دعاية موجّهة، وإلى تسويق داخليّ وخارجّي، وإلى سياسة مُوجّهة للعمل، ومن ثمّ اتّخاذ القرار. وأمام هذا الوضع المعياريّ للعربيّة، كيف السّبيل إلى جعلها مستعملة في هذا القطاع؟ وإنّنا ننظر إلى المسألة من جانب الاعتزاز اللغويّ، فقوّة الأمّة ترتبط بقوّة لغاتها، وتحتاج العربيّة الآن إلى جانب

حماية اللغة بالقوانين والتّشريعات وإقامة المؤسّسات، وهذا لا يكون إلاّ بالخروج من سياسة اللامبالاة، والكيل بمكيالين تجاه العربيّة. فكان يجب وضع تخطيط وتشريع صارم لاحترام استعمال العربيّة ليس بالقهر، بل بوضع معالم أوليّة بخصوص الرّعاية العلميّة في تطبيق ما هو موجود في هذا الباب. ولا يجب أن ننحاز في كلّ مرّة إلى اللغات الأجنبيّة على أنّه يقع عليها الطلب، ولدينا مثال **الدّولة التّركية** التي يدخلها سنوياً أكثر من اثني عشر (12) مليون سائح، ولا تسمع إلاّ لغتها في كلّ المعاملات، وهذه السّياسة تجعل للغة التّركيّة قيمة اقتصاديّة؛ يدفع الأجنبيّ أموالاً من أجل تعلّمها أو فهمها، ولا يعود إلى بلده إلاّ وقد أخذ مسكوكات تركيّة تعلّمها من جولته السّياحيّة.

لا ننكر أنّ مضايقات سوف تطرح على استعمال العربيّة في هذا القطاع الحسّاس، ولكن تعالِ نبدأ لوضع آليات العربيّة في هذا القطاع، لا ننكر أنّ صعوبات كانت حجر عثرة أمام التّعريب وكان ذلك أزمة على الجانب الثّقافيّ والاقتصاديّ، ولكن في كلّ هذا لا يجب أن نقف واهمين أمام هذه الصّعوبات فالشّعوب المتقدّمة لا تتعامل إلاّ بلغاتها وتفرضها في بلدها في كلّ القطاعات ويجب علينا الوعي بالمسألة اللغويّة بأنّ كماً معتبراً من المدوّنات أنتج في لغة السّياحة وأنّ الدّراسات الطّوبونيميّة قامت بكثير من قضايا التّعريف بالأماكن. وتنقصنا العزيمة التي نروم أن تأتي من الإعلام ليسهم في تريج الوعيّ اللازم لمشروع النّهوض اللغويّ، مع الرّغبة الأكيدة لدى الشّعوب العربيّة لتعميم اللغة العربيّة.

6ــ اللغة العربيّة ومُعوّقاتها في قطاع السّياحة: وهنا يمكن أن نعود إلى تلكم الصّعوبات التي ذكرت بخصوص المضايقات، ونضيف طرح رهان السّياسة اللغويّة على محكّ البحث؛ حيث ترتهن السّياسة اللغويّة بواقع اللغات المحليّة وربطها بالمحدّدات اللغويّة الجيولسانيّة المحيطة بنا في إطار لغة المُستعمر القائمة ولا تزال تفرض نفسها، وما يحيط بنا من لغات أخرى لها تأثير سياسيّ واقتصاديّ وإعلاميّ. **فما محلّ العربيّة في هذا المخاض؟** إنّ الحكمة تفرض حكامة سياسيّة

لغويّة عمادها **الوظيفة التّواصليّة** داخل أسواق اللغة. وهذا قانون من قوانين الحياة الاجتماعيّة؛ فاللغة التي تستعمل في السّياحة هي لغة المجتمع. وهنا نجد العائق الاستعماليّ في كثير من مقامات التّواصل السّياحيّ بحسب السّياح غير العرب وبحسب طبيعة المرشدين الذين تكوّنوا بلغة أجنبيّة. وتأتي **الوظيفة الإيديولوجيّة** التي تصحب أحياناً بالابتعاد القصديّ عن لغات الهُويّة، إن لم نقل هناك مرجعيات القوّة النّاعمة المعاديّة للواقع الاجتماعيّ اللغويّ، بدعوى التّفتّح على النّماذج الجاهزة في خطابات منافع غربيّة لغويّة فرديّة، باستعمال لغة التّربّح الاستعماريّة المحتقرة للغات الوطنيّة على اعتبار أنّها لا تزال تعيش التّرقيّ اللغويّ، فلا فائدة فيها وفي استعمالها في قطاع السّياحة وإلا سوف يقع الانغلاق الاقتصاديّ، وتكون الكارثة الاقتصاديّة تشتغل في هشيم اللغة الأمّ، وهذا عائق ثانٍ للعربيّة في هذا القطاع. وهناك **الوظيفة الثّقافيّة**؛ وتأتي بصورة مخادعة؛ أي إنّ وظيفة الكلام إنّما تجري بتأويلات وإشارات ثقافيّة لا عهد للعربيّة بها في باب السّياحة، وهي تخصّ اللغات الأجنبيّة فقط؛ فيحصل الانجذاب اللغويّ لصالح اللغات الأخرى، وهذا من مُضايقات العربيّة في السّياحة ثالثاً. وهكذا تلتقي هذه المُعوّقات، وتجري لصالح ترسيم واستعمال الأجنبيات في هذا القطاع، كما اشتعلت الأجنبيّة في القطاعات الأخرى، وتعمل على الهيمنة اللغويّة بنسج خيوط الوهم، واعتماد استراتيجيّة مُغلّفة بخداع المَغرورين. ويُقدّم الخطاب اللغويّ في كلّ مرّة باحتيال على هذه الوظائف اللغويّة التي تنسج فَذْلكات لا يدركها المُتحدّث ولا المُتلقي **وتبقى اللغة العربيّة محفوظة إلى إشعار آخر في سوق القِوامة، ومُهملة في سوق السِّياحة.**

7ــ موقع اللغة العربيّة في معاهد السّياحة: إنّ العربيّة شبه عدم في المعاهد المُعدّة للتّدريس السّياحيّ، وجسورها مع اللغات الأخرى مؤجّلة إلى لاحق من الزّمان، ووظيفتها تقنيّة في الإدارة لا في التّدريس، وتكاد تغيب على صعيد الممارسة اليوميّة، ونلحظ تناقضاً بين النّصوص المؤكّدة هميّة العربيّة كلغة هويّة وتواصل على الصّعيدين: الشّعبي والمؤسّساتيّ، إلاّ أنّ الممارسات تسير في غير

الاتّجاه التّشريعيّ، وهذا ما يخلق فجوة عدم الميل للعربيّة في سوق اقتصاد السّياحة، فبات أمرها في التّعليم وفي الشّابكة وفي الدعايّة، وما له علاقة بالمنتوج السّياحي مهزوزاً ولا تحمل قيمة مضافة مسايرة لهذا السّوق المهّم، **فما هو الحل؟**

يبدو لي من الضّروريّ أن تُعالج الأمور على مستوى التّدريس الإجباريّ للمواد العامّة التي لا تشكّل معضلة في التّواصل، وتترك بعض المواد ذات العلاقة بالتّرجمة، وما يشكّل تذبذب المصطلح إلى أجل لاحق حتى استكمال شروط النّجاح، لكن تكون العمليّة ضمن توافق بينيّ/ مهنيّ لتحقيق الجودة في السّياحة بلغة الوطن في أكثر التخصّصات، لأنّ بعض التّخصصات من قلب المجتمع الذي يستعمل لغة العامّة، من مثل: الّعريف بالأكلات/ الصّناعة التّقليديّة/ التّرشيد السّياحيّ... والجودة في استعمال اللغة الوطنيّة هي جودة في الخدمات السّياحيّة.

ولهذا نعيب على القطاع السّياحي انغلاقه على لغة أجنبيّة، وابتعاده عن اللغة الوطنيّة، وكذا انغلاقه في العمليّة التّربويّة على تأهيل سياحيّ متوارث لا يلائم حاجيات القطاع الوطنيّ، بل يركّز على انجذاب أجنبيّ كأنّه يخدم الآخر في لغته وفي طريقة التّقديم، لدرجة أنّ التّكوين لا يحمل في بعض الأحيان صفة الجزأرة ويقال للمتكوّنين عندما يحسن العمل C'est le travail des français/ Méthode française، وهذا يشكّل عقدة على خصوصياتنا المحليّة واللغويّة. وكان علينا أن نضمن يداً مُؤهّلة مِهْنيّة حول خصوصياتنا وبلغتنا، ونعطي صورة جيّدة لحسن أدائنا. ولهذا فالمطلوب من معاهد التّكوين الفندقيّ ألا تبتر العمليات السّياحيّة بالتّفرقة بين اللغة وبين المنتوج الوطنّي الذي يجب أن يبلّغ بذات لغتنا.

ولا بدّ من التّأكيد بأنّ العربيّة تعيش انحصاراً ضيّقاً رغم استعمالها في بعض المقامات كلغة ثانويّة، وحتى إذا استُعملت أو عُولمت كلغة ثانويّة، ما هي العربيّة التي تستعمل، **وعن أيّة عربيّة نتحدث؟** تلكم إشكاليّة أخرى تُضاف إلى مُضايقات تواصليّة، فلا يمكن أن نتحدّث إلى السّائح العربيّ بلغة محليّة، ولا يمكن أن نتحدّث للمواطن بلهجة سوقيّة، فهناك ثغرات في هذا الجانب كان على التّكوين التّربويّ

البتّ فيها إجرائياً، مع ما يصحب ذلك من المراجع العربيّة الكثيرة في هذا المجال كي لا تبقى العربيّة خارج التّغطيّة في هذا القطاع المدرّ للعملة الصّعبة، ولم نعمل على استثمار لغتنا فيه بما يؤهّلها لغة تواصل. والأجنبيّ عندما يزورنا يتعلّم الأجنبيّة ولا يتعلّم إلاّ كلمات لهجيّة مذمومة.

وأمام هذه المضايقات ألا يمكن البحث عن آليات استعمال أو تطوير العمليّة التّكوينيّة بالعربيّة في هذا القطاع؟ انطلاقاً من المُعوّقات يمكن العمل على تحديد مواصفات نموذج وظيفيّ للعربيّة في التّكوين السّياحيّ اعتماداً على البناء النّظريّ المؤسّس للعمليّة التّربويّة بأكملها يكون الإلحاح على حضور الثّقافة العربيّة داخل أيّ تكوين، وهو مظهر دستوريّ ومقوّم حضاريّ وتربويّ. ويكون ذلك عن طريق صياغة منهاج لغويّ وظيفيّ تخصّصي؛ باعتماد منهج لغات التّخصّص وإدماجها في المواد التّدريسيّة، والعمل في ذات الوقت على ضرورة السّمو باللغة العربيّة التي تتطلّب قدرة لغويّة+ كفاية معرفيّة+ مهارة تقنيّة+ مصطلحات حديثة وظيفيّة. والخروج من حصر البرنامج في ترجمة المصطلحات. وكان على البرنامج البحث عن عربيّة الاستعمال اللغويّ اليوميّ المهذّب والخروج من التّغريب ومبدأ الرّبح الماديّ، وهنا يمكن الإجابة عن موقع اللغة العربيّة في المكوّن السّياحيّ، فلا غرابة ولا صعوبة إذا وصلنا إلى "صياغة منهاج لغويّ يعترف للغة الضّاد بدور وظيفيّ تخصّصيّ لإدماجه في نسيج الميدان السّياحيّ، ومن أولى خطوات هذا المنهاج تحرير القدرة التّعبيريّة للعربيّة داخل قطاع السّياحة لاستيعاب تمظهرات هذا القطاع بجميع أبعادها. وبما أنّ السّياحة عرّفت حسب تعريف المنظّمة العالميّة للسّياحة على أنّها (انتقال الإنسان من بلد إلى آخر غير موطنه الأصليّ مدة لا تقلّ عن 24 ساعة ولا تزيد عن سنة لأيّة أغراض غير الرّبح أو امتهان حرفة معيّنة) أي أنّها برزت كفعل إنسانيّ عقب التّطوّرات الاقتصاديّة والاجتماعيّة للغرب المتقدّم، وخاصّة بعد تحديد أوقات العمل وظهور (الوقت الثّالث) والعطل السّياحيّة. إذن هي إحدى مكوّنات الحياة العصريّة النّاضجة الهادئة لأيّ شعب. لذا فالحديث

عن لغة سياحيّة عربيّة يظلّ رهيناً بمدى تطويع اللغة العربيّة لاستيعاب الواقع بكلّ مفاصله وبشكل لا يتنافى مع نظام العربيّة أصواتاً وصرفاً وتركيباً ودلالة، ولا يخفى على أي متخصّص في العربيّة قدرة هذه اللغة على احتواء أيّ جديد في العلم والفنّ؛ ففيها من الخصائص ما يمكنها من ذلك، وقد أثبت علماء اللغة القدماء والمحدثون ذلك[5]". هنا تكون الإجابة صريحة بأنّ العجز لا يكمن في اللغة، بل في صياغة المنهاج السّياحيّ المناسب لكلّ الفئات، والمتجاوب مع مختلف التّخصّصات، ومدى قابليته للتكييف وفق بنيات اللغة العربيّة التي لا بدّ منها في التّكوين، ومن ثمّ في الاستعمال. والقضيّة سهلة إذا تضافرت الجهود، ومع جهود القطاعات الأخرى سنضمن تكوين طلاب مُتخصّصين ومُرشدين سياحيين يحسنون أداء العربيّة ويتواصلون بها في مهامهم التّواصليّة، كما نضمن توفير المقاصد السّياحيّة لكلّ شريحة من شرائح المُجتمع السّياحيّ الذي نستهدفه، مع ضمان الصّفة الاعتباريّة للمُؤسّسات الدّستوريّة الحاميّة للهُويّة في مَفهومها العامّ.

8ـ مشروع المجلس الأعلى للغة العربيّة في لغة السّياحة: نصّب المجلس لجنة سَمّيت **لجنة لغة السّياحة**، وقد صمّمت مشروعها مع الشّريك الاجتماعيّ الخاصّ وهو وزارة السّياحة والصّناعات التّقليديّة، وما يتبع ذلك من: الدّواوين الوطنيّة للسّياحة+ مؤسّسات التّكوين+ الوكالة الوطنيّة للتنميّة السّياحيّة+ الجمعيات السّياحيّة+ مديريات السّياحة+ مؤسّسات التّسيير السّياحيّ والفندقيّ. على أن يتدخّل المجلس لدى مختلف الشّركاء، ويسهر على أداء العربيّة في هذه المؤسّسات ويكون المجلس عبارة عن منتج أفكار بخصوص الرّعايّة اللازمة لاستعمال جيّد للعربيّة، مستهدفاً في مشروعه التّفاني في خدمتها بخطط منهجيّة محكمة؛ لتعود العربيّة إلى وضعها لغة العولمة والتّجارة والعلم. وندرك جيّداً أنّ انتشار لغة قوّة لأهلها، وانحسارها مهانة وضعف لأهلها، ولذلك تبذل الأمم القويّة كلّ الجهد والمال لنشر لغاتها في أنحاء العالم؛ لأنّها تعتبر النّسيج الحيّ لحضارة مجتمعها وثقافته.

ومن باب التّنافس بين اللغات، ولمواجهة العولمة الشّرسة نروم أن تكون العربيّة بمكانتها ومرونتها وصمودها وانفتاحها هي التي "تحتلّ العربيّة المكانة اللائقة بها ضمن الفضاء السّياحيّ كونه أحد أهمّ متطلبات العصر، وبالأخصّ على مستوى المؤسّسات والمنشآت التي تقدّم خدماتها للسّياح الأجانب في بلادنا بالإنكليزيّة... ولقد أدركت العديد من الدّول بأنّ السّياحة في القرن الحاليّ ليست أكبر صناعة في العالم فحسب، بل إنّها ستكون الأكبر بين ما شهده العالم، وبفارق كبير حيث اهتمّت هذه الدّول بفتح أسواق جديدة إلى جانب التّقليديّة لأجل استمراريّة المدّ السّياحيّ طيلة العامّ وتقديم برامج سياحيّة بخدمات ذات نوعيّة عاليّة ومنافذ توزيعيّة مناسبة من شأنها زيادة فترة إقامة السّائح؛ فضلاً عن امتلاك وسائل متطوّرة للتّرويح السّياحيّ والفندقيّ[6]". وكانت مرتكزات المشروع قائمة على المحدّدات التّاليّة:

1/8ــ إجراء دراسة اجتماعيّة حول النّسيج اللغويّ في السّياحة في الجزائر.

2/8ــ مرافقة وزارة السّياحة والصّناعات التّقليديّة في إنجاز مشاريع ذات العلاقة بمكانة اللغة العربيّة في هذا الوزارة.

3/8ــ التّواصل مع مختلف الهيآت والدّواوين العاملة على ترقيّة السّياحة في الجزائر.

4/8ــ تشجيع أبحاث ذات العلاقة بلغات التّخصّص ونشرها في مجلات المجلس الأعلى المعتمدة دولياً.

5/8ــ إنتاج أفكار في حسن الأداء اللغويّ في لغة السّياحة، وتقديمها للوزارة الوصيّة.

6/8ــ إنتاج كتيّبات تعريفيّة بالمناطق الجزائرية السّياحيّة.

7/8ــ تقديم مشروع لإنجاز سلسلة من الكتب السّياحيّة للزائر الأجنبيّ؛ مشفوعة بصور ذات العلاقة بكلّ المعالم الأثريّة.

8/8ــ إنتاج سلسلة من البرمجيات النّاطقة تنصّبّ في المعالم الأثريّة/ الأماكن السّياحيّة، وتخزّن فيها اللغات السّت العالميّة، وتكون ناطقة باختيار إحدى اللغات المطلوبة؛ على اعتبار أن تقوم مقام المرشد السّياحيّ.

9/8ــ إنتاج أدلّة تقنيّة محمولة فيها كلّ المصطلحات الخاصّة بالسّياحة حسب المجالات المعروفة مع العمل على أن تكون ناطقة. ويجري إنتاجها مع الحرفيين وتسويقها مع المتعاملين في الجزائر على أن تباع بسعر مدعوم من الوزارة الوصيّة.

ولقد قدّمت لجنة لغة السّياحة في المجلس مشروعها المرتكز على تدبير سياسة لغويّة في جعل العربيّة لغة استعمال في كلّ المواقع ذات العلاقة بقطاع السّياحة. وكان منطلقها التّركيز على تدبير المتن اللغويّ السّليم+ تعميق البحث اللغويّ في مسكوكات لغة السّياحة+ زيادة البحث الثّقافيّ السّياحيّ وهذا بُغية تفعيل الصّفة الدّستوريّة للغة العربيّة، بالاستعانة بالحركات الجمعويّة والوكالات السّياحيّة، وما يتبعها من مُؤسّسات الفندقة. وأقدمت اللجنة على إنجاز قاموس أوليّ موسوم (القاموس السّياحي: السّياحة– الفندقة– الصّناعات التّقليديّة– الأطعمة– المسكوكات السّياحيّة) فرنسيّ– عربيّ– إنجليزيّ. منشورات المجلس 2018م. وبقيت الكثير من أفكارها قيد الانتظار؛ لأنّ الشّريك لم يستجب لأفكارنا، والوزارة عاشت هزّات في تغيير المسؤولين.

في هذا السّياق دفعت اللجنة بالعربيّة إلى رفع التّحدّي الدّستوريّ وإلى التّفعيل العلميّ لجعلها عنصراً في الاستعمال السّياحيّ رغم العثرات التي تعيشها في الاستعمال العامّ، وما يشوبها من ضعف الإيمان بها في التّواصل البينيّ، دون الحديث عن التّواصل مع الآخر الأجنبيّ. ومع هذا فإنّ اللجنة رفعت التّحديّ في إعداد مشروع لمن يُهِمُّه الأمرُ، وهذا من زاوية التّدبير الفعليّ للعربيّة في الحياة العامّة، ضمن آليات المعيرة التّقليديّة، والتّقنين لعربيّة السّياحة حسب الجوازات التي مسّت هذه اللغة من خلال ما أقرّته المجامع اللغويّة في قبول أساليب جديدة

فرضتها لغة الصّحافة والاستعمال العموميّ؛ تلبيّة للحاجات اللغويّة للمواطن/ للأجنبيّ عبر توظيف لغة هُويّة مُبسّطة فيها تمثّلات تكلّميّة غير سوقيّة، ويضاف إليها سلسلة من المسكوكات ذات العلاقة، وما يقابلها في النّطق اللهجيّ حالة ما يستدعي المقام ذلك، مع ما يقابلها في الفرنسيّة كتابةً لا نُطقاً. وهذا رهان السّوق اللغويّة الجزائريّة في إعداد خطّة مُؤسّسة من مُؤسّسات الدّولة قوامها التّجديد المُصطلحيّ؛ لإنعاش العربيّة في أفق سياسة لغويّة ترتكز على تعبئة المَوارد البشريّة والمَاليّة لتجسيد الاعتزاز بلغة الهُويّة.

ـ **الخاتمة:** إنّ اللغةَ عصبُ الحياة الاجتماعيّة، فلا يكون المجتمع دون لغة تكون وسيطة المعاملات بكلّ أشكالها، وأنّ التّسويق اللغويّ بالعربيّة يعمل على تطوير آليات اللغة العربيّة، وإنّه عندما يتعاضد القرارُ السّياسيّ بالعمل الجديّ، ولما يتعاقد منتج الأفكار مع صاحب القرار ستكون النّواتج مطمئنة لخدمة المواطنة اللغويّة. وفي هذا المنظور، وجب الحديث عن تحدّي تنامي الفرنسيّة أو تماهي استعمالها في السّياحة كلغة لها أولويّة في بلادنا المغاربيّة، وهذا ما يخلق ارتباكاً في المواقف على اعتبار أنّها عنصر إثراءٍ وغنًى، وفي ذات الوقت يُعتبر ذلك عنصر استيلاب وتبخيس وانكماش واختزال للهُويّة اللغويّة العربيّة. ويبقى تفعيلُ المأسَسة اللغويّة في بلادنا المغاربيّة ضمان نيْل العربيّة مقامَها في سوق السّياحة ولا يجب أن تُعالج المسألةُ بالحياد اللغويّ للدّولة؛ كي تبقى العلاقةُ وطيدةً بين الدّسترة والمأسسة للرّفع من الحقوق اللغويّة والثّقافيّة؛ باعتبارها عُنصراً لا يتجزّأ من عَناصر حُقوق الإنسان، ورَكيزةً من رَكائز المُواطنة.

ولهذا لا نبخس بضاعة من قال "من جدّ وجد" وعلينا التّماهي مع لغتنا العربيّة لتنال وضعها في كلّ أماكن الحياة، كلغة طبيعيّة/ طبعيّة، لا تلغي اللغات المحليّة إن لم نقل إنّها هي التي ترافقها. والاهتمام بها يُعلي من آلياتها، ويُعلي من القيمة المضافة للمجتمع في ازدهاره العلميّ والاقتصاديّ.

ــ **المقترحات:** لقد بَصُرْتُ بمجموعة من المقترحات أقدّمها للحضور، على شكل قسمين:

ــ **القسم الأوّل:**

1ــ الاهتمام بلغات التخصّص/ المِهَن/ الأغراض الوظيفيّة.

2ــ الانتقال بالسّياحة إلى خوض غمار تكنولوجيّة التّواصل عن طريق برمجيات التّرجمة الآلية وتكون العربيّة لغة عُمْدة.

3ــ تصميم برامج وكتب خاصّة بلغة السّياحة.

4ــ تصميم آليات برمجيّة ناطقة حاملة للمحتوى التّواصليّ في لغة السّياحة.

ــ **القسم الثّاني:**

1ــ مزيد من وضع القوانين والتّشريعات، وإقامة مؤسّسات تهتم بالتّخطيط اللغويّ، وتفعيلها بكلّ دقّة.

2ــ الابتعاد عن التّكرار عند التّقويم والتّعديل والإصلاح، والحديث عن استبدال اللغة، بل التّركيز على القيمة المعنويّة للغة.

3ــ تشكيل جهاز قضائيّ للبتّ في المنازعات اللغويّة، وربط اللغة بالاقتصاد وسيولة العملة.

4ــ حياد خدمة المتن اللغويّ للعربيّة؛ بما يتمشّى وواقع الاستعمال حسب كلّ القطاعات.

5ــ الاعتدال عند الاعتماد على بعض اللغات، واللهجات المحليّة تبعا لتأثير العولمة اللغويّة.

6ــ الاهتمام بالتعدّديّة اللغويّة، وإنزال مقام اللغات حسب الوظائف ومقامها الاستعماليّ في المجتمع، مع الخروج من التّسوّل الفكريّ.

7ــ تفعيل دور النّخبة والمؤسّسات على إعطاء اللغة الجامعة مقاماً جلياً في التّوظيف اللغويّ.

8ــ تقديم نماذج أجنبيّة لأُمَمٍ ناجحة بخصوص تعميم استعمال لغاتها الوطنيّة.

ــ الهوامش:

[1] ــ "اللغة العربيّة في المُكوّن السّياحيّ" أعمال المؤتمر الدّوليّ الثّالث للغة العربيّة. دبي: 2014 المحور العامّ للمؤتمر (الاستثمار في اللغة العربيّة ومستقبلها الوطنيّ والعروبيّ) المجلد الثّالث ص 31.

[2] ــ فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: أحمد عوض، مجلة عالم المعرفة، عدد 263. الكويت: 2000 سلسلة منشورات المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنّون والآداب، ص 35–74.

[3] ــ هاشم عماد الهياجي "العربيّة في مؤسّسات القطاع السّياحيّ: الواقع وآفاق" أعمال المؤتمر الدّوليّ الرّابع للغة العربيّة. دبي: 2015، كتاب المؤتمر، المجلّد التّاسع، ص 365.

[4] - هاشم عماد الهياجي "العربيّة في مؤسّسات القطاع السّياحيّ: الواقع وآفاق" أعمال المؤتمر الدّوليّ الرّابع للغة العربيّة. دبي: 2015، كتاب المؤتمر، الجزء التّاسع، ص 369.

[5] ــ أمل شفيق العمري "اللغة العربيّة في المكوّن السّياحيّ" أعمال المؤتمر الدّوليّ الثّالث للغة العربيّة. دبي: 2014 المحور العامّ للمؤتمر (الاستثمار في اللغة العربيّة ومستقبلها الوطنيّ والعروبيّ) المجلد الثّالث، ص 32.

[6] ــ عامر محمد أحمد الضّبياني "اللغة العربيّة ومُتطلّبات السّياحة والعصر" مقال في Google بتاريخ 13 مايو 2019.

واقع اللغة العربيّة في الإعلام السّمعيّ البصريّ الجزائريّ في ظلّ التطوّرات التكنولوجيّة♥

ــ **الدّيباجــة:** تُعدّ اللغة أحد الأركان الرّئيســة لحضــارات الأمــم والشّــعوب باعتبارها فاعلاً حيويّاً في بناء تلك الحضارات، وهي الوسيلة الرّمزيّة لِتَمَثُّلِ العالم. ويقع بها التّواُصل بهدف ترجمة ما يُنازع الأفراد من أفكارٍ وقيَمٍ وطموحٍ ومــاضٍ وحاضرٍ ومستقبلٍ. وفي راهننا على مستوى تكنولوجيات التّواصل حصل تطوّر في أنماط اللغات بصفة عامّة، ولم تسلم العربيّة من ذلك، فتعيش تحدّيات ومضــايقات وقد عملت وتعمل فيها على التّغيير في المبنى وفي المعنى بفضل قوّة التّأثير لهــذه الأجهزة السّمعيّة البصريّة، إن لم نقل: إنّ هذه التّغيّرات فعلت فعلها فــي فــرض أوضاع جديدة في النّسق اللغويّ للعربيّة، واستطاعت أن تُحــدث تغييــرات فــي الأسلوب وفي شكل اللغة أدّت في بعض الأحيان إلى نمطيّة جديدة، نمطيّــة اللغــة الثّالثة/ المستوى الثّالث ولكن لم تعمل على زحزحة نسقها القاعديّ رغم أنّ المعيار ناله بعض الحراك المتمثّل في الهُجنة المتفشيّة، من خلال التّداول لنمطيّــة هجينــة أساءت للعربيّة في بعدها النّمطيّ العاليّ. وهكذا يكــون العــالَم المعاصــر يشــهد مجموعــةً مــن التّحوُلات المتسارعة في مجال الاتّصــال وتقنيــة المعلومــات. ولا شكّ أنّ هذه التّحوّلات لها تأثيرٌ مباشــر في اللغة العربية، سلباً أحياناً وإيجابــاً في أحايين كثيرة، وفي ذات الوقت لا ننكر ما قدّمته الوسائل التّقانيّة مــن خــدمات للعربيّة في معيارها العالي الذي كان أحد أعمدة التّطوير اللغويّ في عصر (أبــي اليقظان، ومحمد العيد آل خليفة، والبشير الإبراهيميّ).

♥ ــ الكلمة التي ألقيت في النّدوة الوطنيّة حول (واقع اللغة العربيّة في الإعلام السّمعيّ البصريّ الجزائريّ في ظلّ التطوّرات التّكنولوجيّة) جامعة الحاج لخضر باتنة 1، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة في 11 نوفمبر 2019.

ــ **المقدّمة:** لقد استشعر المجلس الأعلى قيمة اللغة الإعلاميّة وأثرها في التّنوير والتّثوير والتّعليم والتّرشيد، ولذلك عمل على مطارحة دور وسائل الإعلام في نشر العربيّة عبر ملتقيات وأيام دراسيّة أذكر منها:

1ــ دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربيّة. ملتقى وطنيّ في 2002.

2ــ اللغة العربيّة في الصّحافة المكتوبة. ملتقى وطنيّ في 2008.

3ــ الإذاعة الوطنيّة وترقيّة أداء اللغة العربيّة في 2010.

4ــ معالم في لغة الإعلام. ملتقى متخصّص في 2010.

5ــ إخراج مدوّنة (حسن استخدام اللغة العربيّة في وسائل الإعلام) 2018.

وفي كلّ هذه الملتقيات نتجت عنها مدوّنات تشهد على الوضع الذي كان، وفي ذات الوقت تستشرف آفاق صناعة الإعلام الذي يشهد تحوّلات كبيرة ومتواصلة بفضل العديد من الابتكارات التّكنولوجيّة: من الرّوبوتات، إلى الذّكاء الاصطناعيّ فالحوسبة السّحابية، وصحافة الأنفوغراف والفيديوهات، ومختلف التّطبيقات، بل تلك المؤتمرات البُعديّة، ومتغيّرات السّاعة؛ حتى أضحت التّكنولوجيّة داخلة في تطوّر المشهد الإعلاميّ. وأمام ذلك المخاض التّقنيّ فإنّ المجلس يرى ضرورة دخول غمار الصّناعة التّكنولوجيّة الإعلاميّة التي تطرح العديد من أسئلة موقع العربيّة من المشهد الإعلاميّ، وكذلك تداعيات الإعلام والتّكنولوجيّة التي تدرّ أشياء جديدة في كلّ يوم. وفي ذلك نتجت أسئلة موقع اللغة العربيّة، من مثل: ما موقع اللغة العربيّة في هذه الوسائل؟ هل عملت الوسائل على تطوير العربيّة؟ وكيف كانت الممارسة الإعلاميّة في ظلّ الإعلام السّمعيّ البصريّ الجزائريّ؟ وهل يمكن الحدّ من تأثير انتشار وباء التّعدي على القيم اللغويّة، وكوليرا الأخبار الكاذبة بلغة مهترئة، وبالصّور المفبركة المسيئة للخطّ العربيّ، والمشاهد المزيّفة المسيئة للعرب وللمسلمين وللمعرّبين؟ ولماذا وقع السّكوت عن غزو اللغة الهجينة التي تنتصر في بعض مقامات الإعلام الأسفل؟ وفي ذات الوقت تعمل على الانحدار الشّاقولي للعربيّة، كما كنّا نسمع ما يعمل على فكّ عرى التّكامل بين اللغة الفصحى

وقواعدها، والدّعوة إلى التّلهيج والتّدريس بالعاميات... أسئلة وذهول تحتاج إلى إجابات مُشْفعةٍ بدراسات دقيقة عن إعلام بلا قيود، وعن مستقبل لغة الإعلام في وطننا الذي يئنّ من بعض المشاهد والكتابات التي تقصِم ظهر اللغة في الصّميم.

1ــ الأهمية اللغويّة لوسائل الإعلام: لا ننكر دور التّداخل بين اللغة والإعلام اللغة وضع من قبل الفقهاء والمدرّسين والتّربويين، وأما رجال الإعلام فهم جزء من الاستعمال. وفقهاء العربيّة يقولون: اللغة وضع واستعمال؛ فإذا تعارض الوضع مع الاستعمال، **فالاستعمال أولى**. وبهذا نرى تأثير وسائل الإعلام قد يفوق تأثير المدرسة بحكم عوامل كثيرة. ونعرف أهميّة التّلفاز واللويحات، والصّحافة والبرمجيات... وماذا تقدّم من توسّع للعربيّة. وكلّ تلك الوسائل يفترض أنّها تحمل رسالة خدمة المجتمع، ولها العديد من المنافع. فاللغة لا تنفصم عن خدمة الإعلام والإعلام جزء من اللغة؛ وكلاهما يخدمان بعضهما البعض؛ فالكلام الحصيف يكون بلغة حصيفة وبأسلوب راق؛ وذلك ما يعمل على توصيل الرّسالة بالتّمام. وإنّ وسائل الإعلام مؤسّسات تربويّة تمتلك القدرة علي القيام بدورها التّربويّ في نشر اللغة العربية، كنتيجة لتفاعل وسائل الإعلام مع الإجراءات التي اتّخذتها الدّول والمنظّمات بشأن تعليم اللغات، وبخاصّة اللغات الأمّ.

2ــ ــ وسائل التّواصل الاجتماعيّ وتدهور استخدام اللغة العربيّة: لا ننكر أنّ ما يعرف في مجال الإعلام من فسبكة/ facebook، وتوترة/ twitter، والوتسبة/ whatsapp، واللينكدإن linkedin، والأنستغرام/ instagram، والڤايبر viber والسكايب/ Skybe، واللويحة/ Tablette... وغيرها، هي منظومةٌ من الشّبكات الإلكترونيَّة تسمح للمشتركين بإنشاءِ مواقعَ خاصّةٍ بهم، ومِن ثَمَّ ربطهم من خلال نظام اجتماعيٍّ إلكترونيٍّ بأعضاء آخرين لديهم الهوايات والاهتمامات نفسُها. وهذه الشّبكات عملت في بعض أبعادها على أن تعرف العربيّة، بل كلّ اللغات القهقرى مع ما وفّرته من خدمات نوعيّة في حياة النّاس في بعضها من التّعدي على اللغات ولها بعض التّأثير في الهجين اللغويّ وأدّى إلى ضمور فصحى اللغات. ولم تسلم

العربيّة من سيادة العاميات، والكتابة بالحرف اللاتينيّ، وتضارب في المختصرات وشيوع الأخطاء... ولكن لا نبتئس ونحارب هذه الشّبكات بدعوى المحافظة على صفاء العربيّة، فإنّ ذلك يؤدّي بها إلى الانقراض، بل علينا مرافقة هؤلاء الغطّاسين والمدوّنين، وتوجيههم ودعوتهم إلى المحافظة على خصائص العربيّة، وسوف يأتي يوم تكون فيه العربيّة أحسن، وهي الآن تعرف التّحسّن وهي في الحقيقة مسألة مرتبطة بالانجذاب اللغويّ العالميّ تجاه لغات التّقانات المعاصرة، ومن خلالها عرفنا العربيزي+ الفرانكو أراب+ العرب آسيوي... وبواسطة المرافقة السّلسة/ القوّة النّاعمة في توعيّة الشّباب في الاستعمال العقلانيّ الإيجابيّ لهذه الوسائل لتكون أداة بناء لا هدم ويضاف إلى ذلك تثمين بعض الأساليب الجديدة المستعملة وتشجيع مستعملي الفصحى عبر هذه الشّبكات، وإقامة مسابقات (الأولمبياد) لإبراز مهارات استخدام العربيّة استخداماً سليماً.

3ــ ضرورة ثبات الإعلاميّ في خدمة العربيّة خدمة علميّة: علينا الخروج من التّباكي لراهن اللغة العربيّة المرتبط بمواقف مسبقة من الآخر، دون تقديم بدائل وحلول للتّكيّف لا المواجهة، ونحن نعيش عصراً فيه من يستطيع تسويق لغته، بقوّة وجدارة، يستطيع أن يسوّق منتجاتِه وبضائعَه، وهذا شقّ اقتصاديّ في العولمة؛ كان علينا خدمة لغتنا؛ وقد عرفت هذا المجد في طريق الحرير وطريق الملح، وفي ذات الوقت هناك مواقف إيجابيّة للشّق العولمي بأنّه لا يمنعك من الاندماج، ولا من الاستفادة من الحزم الرّمزيّة للشّابكة، كما لا يمنعنا من الصّوم والحجّ. فلنا الخيار خيار التّأثير أو خيار إحداث الأثر، وهل يمكن أن ننجي بأنفسنا وبهويّاتنا لمواجهة كلّ التّحدّيات الفاعلة على التّغيير. وهذا موضوع كبير يصعب أن نجد الإجابة السّريعة الشّافيّة الوافيّة في هذه النّدوة، بقدر ما نقول إنّ العولمة ليست خياراً؛ بل من مصلحتنا خوضها في أطر المحافظة على الخصوصيات وعلى الإعلاميين الثّبات لمواجهة التّحديات التي تجعل لهم موقعاً في وسائل التّواصل الحديثة، وبذات

العربيّة التي يجب تطويرها وفق معالجات حاسوبيّة تتمشّى وواقع العولمة وما يتطلّبه سوق الإعلام العالميّ.

4ــ في الموضوع: أتطرّق في كلمتي المختصرة إلى المشهد الوطنيّ الإعلاميّ وهو يمارس لغة الهُويّة بنوع من الاحترافيّة في بعض المقامات، وفي كثير من الأحوال دون الاعتزاز بها على أنّها لغة وليست هدفاً، ودون استراتيجيّة مبنيّة على قدسيّة مُتّفق عليها؛ وهي قدسيّة المعيار الموجود في كلّ اللغات. فَنُفاجأ بأرمادة إعلاميّة عربيّة وأجنبيّة تجرّ العربيّة إلى الانحدار في بعض أبعادها؛ بدعوى زحام السّباق المحموم بين الإعلام والتّكنولوجيّة على حساب النّمطيّة اللغويّة. ولهذا نروم منكم أيّها البحثة، ويا أصحاب مهنة المتاعب أن تبقوا على تبنّي المتاعب إلى غاية تحقيق المواطنة اللغويّة، دون التّفريط في مواكبة الإعلام للتّقدّم التّكنولوجيّ، ضمن مسيرة تغيير الأنماط التّقليديّة في العمل الإعلاميّ الذي يستوجب تحديث التّقنيات وأساليب العمل ونُشْدان حسن الأداء اللغويّ في العربيّة؛ وهي اللغة الجامعة التي لا يكون لنا مقوّم بدونها. ولهذا نحتاج منكم – أيّها الإعلاميّون– خوض التّغيير الذي أحدثته التّكنولوجيّة في العمل الإعلاميّ بخدمة العربيّة في مقام التّجلي، وفي ذات الوقت يستوجب الحذر من الانجرار وراء ما يهزم صفة المهنيّة في عملكمن وما يخدش قيم الأصالة، وكلّ متعلّقات الأصالة واللغة من الأصالة. ووراءكم معالجة التّحدّيات التّاليّة:

1/4ــ العمل على أن نعيش أبعاد العولمة بالمحافظة على الخصوصيات: وهذا فعلٌ نبيلٌ فلا نريد محاربة العولمة بقدر ما نريد الاندماج بالمحافظة على الدّين واللغة والقيم والعادات والتّقاليد وأنماط السّلوك الجمعيّ...

2/4ــ الاندماج في المؤسّسات الإعلاميّة الغربيّة: وهذا بُغية الاستفادة من التّحوّلات الرّقميّة لتفعيل رجال الإعلام الجزائريين بصورة أكبر وأكثر تأثيراً. وضرورة خلق توازن مِهنيّ وموضوعيّ بين من يصنع التّقنية ومن يصنع المحتوى الإعلاميّ، فالتّكنولوجيّة لا يمكن أن تصنع إعلاماً مهنياً، بل الصِّحافيّ

المهنيّ هو الأقدر على صناعته؛ مستعينا بالتّكنولوجيّة والتّقنيات الحديثة التي تُحْسِن الأداء، وتُنجزه بوقت أسرع، وتُوسّع في الخيارات في المحتوى، وفي خيارات الأساليب الإنشائيّة.

3/4ـ الاعتزاز بالمواطنة اللغويّة: وهي أسّ هذه النّدوة التي تدخل في إطار الاحتفائيّة باليوم العالميّ للغة العربيّة؛ وهي إحدى اللغات الستّ التي لها المكانة العالميّة، فكيف حالها في وطننا؟ ولا بدّ من جعلها من الثّابت الذي نعمل على تطويره باستمرار، إلى جانب الاستعمال الذي يعمل على تطويرها. ولن يكون لها موقع انمازيّ إذا كانت المدرسة تعمل على التّنميط والإعلام يعاكس التّنميط. والاعتزاز سبيل من سبل البقاء والعمل للحاق بركب اللغات العالميّة والعلمية، وهذا سبيل انتهجته اللغات التي كانت عَدَماً فأضحى لها الآن موقعٌ وريادةٌ، ونلحظ ذلك في بعض اللغات الآسيويّة التي لها التّرتيب العالميّ في لغات العلم والاقتصاد.

4/4ـ التّفريق بين المستويات اللغويّة: تكون عمليّة حسن الأداء بالتّفريق بين مستويات خطاب لغة الإعلام؛ فالصّحافيّ عليه أن يراعي الجمهور والمكان والحال والسّياق ومقتضى الحال، ويكون عبارة عن خطيب له منبر يُلبّي رغبات كلّ الذين تشرئب إليه أعناقهم. ولن يكون له التّصدّر إلا بالسّيطرة على فقه اللغة سيطرة تجعله ينتقل من مستوى لغويّ لآخر وبتراكيب مقبولة في اللغة، وهذا لا بدّ من رصيد معرفيّ يحمله الصّحافيّ، وهو عبارة عن موسوعة متنقّلة كان عليه أن يلمّ بجوانب لغويّة لما يصادفها من متغيّرات، وجمهور له هذا التّنوّع في التّوجّهات وفي تنوّع المستويات.

5/4ـ حسن الأداء في التّدفّق الإخباريّ: إنّ التّدفّق الإخباريّ كان تحت سيطرة وكالات الأنباء الكبرى في العالم، وفي المؤسّسات الإخبارية العملاقة؛ غير أنّ هذا ليس حكراً عليها فهناك تدفّق من فضائيات تمدّ المشاهدين بما يحترمه، وما يجعل منه الوجود، ويكون عبر إعلام وطنيّ له المِهْنيّة والمواثيق الأخلاقيّة الدّاعيّة إلى اعتماد التّحريّ والتّحرّز والتّحقيق الإعلاميّ. وهذا لا يكون إلاّ بالسّيطرة التّامّة

على لغة الهويّة التي تعالج كلّ المستويات بحرفيّة، وبمستوى من السّيطرة اللغويّة في مظانها القديمة والحديثة، وفي أساليبها وحكمها.

6/4ـ العمل على استدراك فجوة الرّقمنة وتحقيق مجتمع المعرفة: يجب العلم بأنّ التّكنولوجيّة ضرورة قصوى للإعلاميّ، وهي واسطة التّواصل لاستدراك ما فات، بل هي غمار نخوضها للوصول إلى بناء مجتمع المعرفة، وليكون لنا موقع في خريطة العالم. وكذلك أن نجعل التّكنولوجيّة وسيلة للوصول إلى مجتمع المعرفة، ونخرج من مقولة (التّكنولوجيّة هدف). ولن يكون للإعلامي محو الفجوة الرّقمية إلاّ باستعمال اللغة الأمّ ومنطقها في التّواصل.

7/4ـ محاربة المقولة الخاطئة (الخطأ الشّائع أفضل من الصّواب المهجور): مقولة لا يقولها إلاّ البسيط من الباحثين، أو من أولئك الصّحافيين الذي لا يحملون العُدّة العلميّة المقبولة؛ لأنّهم لم يكونوا في مستوى الرّفع من لغتهم، وينزلون باللغة العربيّة الرّاقيّة إلى البساطة والسّهولة والتّهجين في كلّ الأنشطة الصّحافيّة.

8/4ـ تحسين أداء لغة الإشهار: الإشهار استراتيجيّة إبلاغيّة قائمة على الإقناع؛ بتركيب لغويّ غايته التّأثير على المتلقّي بلغة متباينة وبمستويات مختلفة لأنّه يستقي مرجعياته من المحيط الاجتماعي؛ حيث يوظّف التّعدد اللغوي داخل المجتمع من: فصحى وعاميّة ولهجات محليّة ومختلف اللّغات الأجنبيّة. وفي كلّ هذا نرى بعض الوصلات الإشهاريّة تعمل على تشويه العربيّة بما يُخلّ بقواعدها وبجوازاتها، وهذا يضاف إلى باب الهُجنة التي تعرفها العربيّة. والإشهار يحتاج إلى توجيه بما يخدم السّرعة والاستمالة وحسن استخدام اللغة. والمهمّ أن تصل الرّسالة الإشهاريّة بذوق جيّد، وبما لا يخدش أذن السّامع، ولا يلوي عنق قاعدة اللغة، وبذلك يكون الإعلام يخدم المواطنة اللغويّة في أعلى تجلّياتها.

5ـ اللغة العربيّة ووسائل الإعلام في ضوء المأمول: في الحقيقة إنّ العربيّة تعيش بين مطرقة الفضائيات وسندان العولمة، وإنّه من المؤسف أن نخوض معركة العولمة عزلاً من أيّ سلاح؛ ليس الماديّ فحسب، بل السّلاح المعنويّ أيضاً الذي

يستمدّ قوّته، ويستعير عنفوانه من اللغة العربيّة الفصحى التي تقف الآن في الخطوط الدّفاعيّة للذود عن الهويّة والانتماء، وهذا المشهد كان حاضراً أيام المدّ الوطنيّ في أربعينيات القرن الماضي، وتبقى شواهد أصداء العربيّة قائمة في مدارس جمعيّة العلماء المسلمين التي عملت على التّطوير اللغويّ من خلال أصحاب المنابر آنذاك، وكانوا شواهد على تطوير قوائم العربيّة. وفي هذا المقام الرّفيع، والأمل فيكم جميعاً أن تعيدوا النّظر بتقديم ما تروْنه من اقتراحات ورُؤى علّها تُسهم في إعادة المياه إلى مجاريها، وتجعل اللغة العربيّة رافداً من روافد النّهضة العربيّة المنشودة. ومن جهتي أقترح ما يلي:

1/5ــ تقديم مشاريع في رفع المضايقات التّقنيّة: هي من المشاريع التي يجب أن يتعاون عليها اللسانيّ ورجل المعلوميات في المقام الأوّل؛ من مثل: رفع حواجز الشّكل+ التّرجمة+ الحوسبة+ وضع المنصّات+ تحسين طرائق التّدريس+ إنجاز المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة وبتضافر جهود المختصّين الآخرين لحلّ كلّ المضايقات.

2/5ــ احترام قواعد اللغة العربيّة: ليس المطلوب من رجل الإعلام أن يبالغ في التّقعر والتّفاصح، وإنّما يُطلب منه احترام قواعد اللغة والمعايير المنظّمة لها ممّا يضفي على أسلوبه مسحةً من الأناقة والجماليّة، وينأى به عن الإسفاف والرّداءة والقصور. وندعو إلى عربيّة تصنع وَحْدَة الفكر والعقل، وتكون فصحى مُبسّطة لها من الخصائص التي تجعلها تنبض بالمُرونة والعُمق والتي يحكم بصلاحها: **الاستعمال والذّوق والشّيوع.**

3/5ــ الاهتمام بلغة/ أدب الطّفل: بكلّ أسف إنّ العاميات هي الغالبة على برامج الأطفال ونسعى أن يقع الاهتمام بلغة وأدب الطّفل لترتقي اللغة العربيّة وتكون في مخيال التّلميذ ويعشقها ويتحكّم فيها؛ فيرتقي وتتطوّر. ويمكن أن نشير إلى مجموعة برامج ناجحة أَسْدَت للتلميذ قضايا علميّة وأدبية، ومكّنته من المهارات

اللغويّة: افتح يا سمسم+ مدينة القواعد+ لغتنا الجميلة+ كلمات ودلالات+ فرسان الشّعر...الخ.

ـ **الخاتمة:** كلّكم تعرفون بأنّ اللغة العربيّة هي التي رسمت لنا معالم حضارتنا وخلدت صفحاتها المشرقة في تاريخنا، وبفضلها انتقلت إلينا كنوز الأجداد ومآثرهم النّفيسة. ولكن يجب العلم بأنّ اللغة ليست كياناً مجرّداً عن أصحابها، بل مرآة صادقة تعبّر عن واقعهم يعتريها ما يعتريهم من قوّة وضعف، وهذا الذي حصل في العربيّة. ولكن رغم ما وصل إليه أهلها من وهن مؤقّت؛ تظلّ العربيّة أهمّ القلاع الحصينة المتأبيّة على الاستسلام، والآن تستنفر همم أهلها للنّهوض والتّقدم. **فهلاً كنتم أنتم أهلَها؟** هل عجزنا عن نقل الوعيّ باللغة العربيّة من مستوى النّخبة إلى مستوى الجماهير؟ أليس فينا رجل رشيد يخدم اللغة العربيّة، ويُسهم في الارتقاء بها من خلال نقد النّشاط التّلفزيونيّ وإخضاعه للسّياسة التّربويّة الشّاملة؟ ألا يوجد فينا غيور يقترح الأفكار لمن يصنع القرار، ويردّ للعربيّة الاعتبار؟ إخواني إنّ العربيّة أمانة في أعناقنا جميعاً علينا خدمتَها بخدمة الوطن، فهي لساننا الحيّ الذي لا يموت. وإنّنا ندعو إلى انتهاج سبيل الوسط والحكمة والتّبصّر في تطوير العربيّة ونرى أن التّطوير ضرورةٌ لحلّ القضايا العالقة في مسألة حُسْن التّحكّم في العربيّة وبخاصّة في ميدان التّدريس. وأختم بقولٍ للدّكتور إبراهيم بن سليمان الشّمسان: "لن نستعيد هُويتَنا إلاّ إذا تولّينا شؤونَنا بأنفسنا، وتحوّلْنا من الاستهلاك إلى الإنتاج ولن يكون ذلك إلاّ بتعلُّمنا للُغَتِنا، وباحترامنا لأنفسنا، وتقديسنا للعمل ما صَغر منه وكَبر، وهذه مسؤوليَّةٌ قوميَّة ليست على فرد دون فرد، وليست على حاكمٍ من دون محكوم، وكما تكونون يُولَّى عليكم، وما تقدِّموا لأنفسكم مِن خيرٍ تجدوه".

الدّرس النحوي: واقعه وآفاقه في المنظومة التعليميّة في الجزائر[♥]

ــ **الدّيباجة:** يسعدني أن أحضر معكم هذا المحفل العلميّ الذي يقيمه مشروع الدّكتوراه **(النّحو واللغة العربيّة)** وفي هذه البلدة الطّيبة (النّعامة) التي تشكّل مدخلاً للصحراء الكبرى، بما لها من معالم سياحيّة وتاريخيّة على غرار قلعة الشّيخ بوعمامة الشّاهدة العيان على مقاومة البطل بوعمامة دون الحديث عن بلدية (تيوت) وهي إحدى المعالم السّياحيّة.

أسعد أن أكون معكم للتّعبير عن خالص الشّكر لما أعطيتموه للمجلس الأعلى للغة العربيّة بهذه الدّعوة لحضور هذا الملتقى، وتزداد سعادتي بالتّعبير عن حسن اختيار هذا الموضوع ولما يُشكّل من أهميّة في قضايا نحو اللغة العربيّة، بلهَ الحديث عن القيمة المضافة التي تأتي من ورقات البحث التي تكشفها محاور الموضوع، وسترينا –بلا شكّ– عثرات تعليميات النّحو في المدرسة الجزائريّة، كما يمكن أن تُقدّم البدائل النّوعيّة لحلّ قضايا النّحو من تحويل التّنظير إلى التّطبيق والاستهداء بالنّظريات اللسانيّة، وما أقرّته المجامع اللغويّة في ميدان تيسير تعليم النّحو. ويبقى النّحو عمود اللغة العربيّة، ولا يمكن الاستغناء عنه مهما اجتهد المجتهدون، فهو السّبيل الأساس في الحفاظ على العربيّة من الفساد والخَطَل، وهو العامل الأوّل في المحافظة على وجودها ودوامها وتعليمه للنّاشئة من الضّروريات العلميّة، وتبسيط طرائق تدريسه وتيسيرها، وذلك ما يُسهم في استيعاب دروسه والاستفادة من أحكامه في الممارسات اللغويّة. لذلك بات من المؤكّد إيلاء الاهتمام بقواعده وبطرائق تعليمه للنّاشئة. ولكن الأمر الغريب والمريب، وما يدعونا للتأسّف أن تلاميذنا بعد إنهائهم اثنتي عشرة (12) سنة من الدّراسة، ليس في إمكانهم النّحويّ –إلاّ ما ندر– التكلُّم أو الكتابة دون لحن، كما أنّ معظم طلبة الجامعات

♥ ــ أعدّت الكلمة للملتقى الوطني حول (الدّرس النّحوي: واقعه وآفاقه في المنظومة التّعليميّة في الجزائر) المركز الجامعي (أحمد صالحي) بالنّعامة، يومي: 26–27 نوفمبر 2019.

هم على هذه الحال، فأين الخلل؟ لا بّد إذاً من بحث وتقويم وتقييم المشكلة التّعليميّة، فهل الخطأ في إعداد المتعلّم؟ أو في إعداد المدرّس؟ أو الخطأ في مفردات القواعد؟ أو في طريقة التّدريس؟ أو في البرامج والكتاب المدرسيّ؟ أو في كثافة المادة التّعليميّة؟ ... وإنّه لن نفلح في الوصول إلى الحلّ لسدّ كلّ الثّغرات إذا لم يقع التّكامل بين مُنتجي الأفكار وهم الجامعيّون، ومن يصنع القرار؛ وهم أصحاب الميدان (المعلّمون والمفتشّون).

ـ **المقدّمة:** أيّها الجمع الكريم، إنّ الغاية من هذا الملتقى هو تسليط الدّراسات الأكاديميّة والتّربويّة على منظومتنا التّربويّة؛ بُغية التّعرّف على مختلف الهَنَات والنّقائص التي تحتاج إلى علاج، ومن خلالها تقديم البدائل النّوعيّة التي ترقي مجال التّعليميات في الدّرس النّحويّ في الجزائر، والذي عرف انحلالَ المنظور البنوي في اللسانيات وانتعاشَ المنظور التّوليديّ الذي يطرح فكرة الجمع بين القواعد العالميّة وإبداعيّة اللغة. علماً أنّ المدرسة الجزائريّة عرفت عدّة نظريات في تعليميّة النّحو العربيّ ونذكر: 1ـ الطّريقة القياسيّة. 2ـ الطّريقة الاستقرائيّة. 3ـ الطّريقة الاستكشافيّة. 4ـ طريقة تدريس النّحو بما له من وظيفة.

وكلّ هذه الطّرائق لها ما لها من محاسن، ولها ما لها من نقائص، ومع ذلك عرفت المدرسة الجزائريّة من خلالها القهقرى في التّطبيق. ولم تصل إلى تدبير حسن استعمال العربيّة بصورة مقبولة، وهذه نتيجة حتميّة؛ لأنّ المعلّم والمتعلّم في المرحلة القاعديّة عرفا بعض القصور اللغويّ من مثل:

- اعتماد الصّنعة النّحويّة؛
- الابتعاد عن واقع الاستعمال العفويّ للغة؛
- الاهتمام بمجال التّقعّر اللغويّ في مستواه الرّفيع؛
- نسيان عامل اللغة على أنّها وسيلة تواصل إبداعيّة للمواقف التّواصليّة؛
- قلّة التّركيز على الممارسة والتّطبيق؛
- بناء الكتاب المدرسيّ بناءً لا يراعي الوضعيات الحواريّة التي تُكسِب المتعلّمَ التّراكيبَ التّواصليّة في المسموع وفي المكتوب. وهناك قضايا أخرى تعود إلى عدم

إكساب المتعلّم القدرة على بناء جمل وفق مقتضيات الحال والسّياق ومتعلّقات الخطاب. ولهذا، فالواقع التّعليميّ للنّحو العربيّ في مدرستنا يعرف تذبذباً في تطبيق نظريات التّعلّم ولم يصل إلى تبنّي نظرية لسانيّة تعمل على تبسيط النّحو العربيّ على أن يكون وظيفياً يراعي الهدف وآليات التّراتب الموضوعاتي والوضعيات التّعليميّة والاستكشافيّة. ولهذا أرى أنّه لا بدّ من السّير ضمن آليات الدّرس الاستكشافي في تعليم النّحو؛ باعتماد نظرية معرفيّة بمتطلّبات المقاربة بالكفاءات بما لها من تفتّح ضمنيّ وظيفيّ في انتقاء النّصوص والأساليب الأكثر استعمالاً على طريقتي الهدف الوظيفيّ، وكذلك النّصوص الطّبيعيّة.

1ــ أهميّة النّحو: ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ معرفة قوانين النَّحْو ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها، فهي التي تجعل القارئ قادرًا على التّمييز بين الألفاظ المتكافئة في اللفظ، وإنَّ ما قعَّده النّحاة لم يكن عملاً عشوائياً ترفيهياً؛ بل كان عملاً منظَّماً وهادفًا، جاء نتيجة استقراء طويل وشامل لنصوص اللغة العربيَّة كما وصلت إليهم، فقد رسم هؤلاء العلماء خطَّتهم في النَّحْو بعد أن جعلوا نصب أعينِهم الهدف الذي يرمون إليه، وهو عصمة اللِّسان من الخطأ، ثم تيسير العربيّة على من يرغب تعلُّمَها من المسلمين الأعاجم وبالمقابل هناك من يُقلِّل من أهميةِ النَّحْو بدعوى أنَّ اللغة قامت واستوت قبل أن يُوجَدَ النَّحْو، وإن تقويم اللسان يتمُّ عن طريق المحاكاة والمران المتواصل والسَّماع المباشر ويستشهدون بشعراء الجاهليّة وخطبائها الذين لم يعرفوا النَّحْو في حياتهم. وعلى العموم فإنّ الهدف الرئيس الذي نروم الوصول إليه هو الكشف عن فاعليّة تدريس النّحو بطريقة بيداغوجيّة بتوظيف مقاربات البحث عن مدى تفعيل المقاربة المنوال على أرض الواقع للوقوف على معرفة الصّعوبات والعوائق التي تعتري العمليّة التّعليميّة التّعلميّة. ومن خلال ما سبق بات تعلُّمُ النحو ضرورةً ملحَّةً لصيانة اللغة العربيّة من التّحريف والتّشويه، ولذا كان تعلُّمه وسيلةً لا يستغني عنه دارسُ هذه اللغة. ولهذا من الضّروريّ العناية التّامة بالنّحو لما له من أثر في الفهم والدّلالة والغاية وأنّ معرفة النّحو وسيلة لا غاية، ولهذا من الضّروريّ في تعليميّة النّحو الجمع بين النّظريّ والتّطبيقيّ للوصول إلى امتلاك ملكة اللسان العربيّ. وفي كلّ هذا يجب الفصل بين النّحو التّعليميّ (الوظيفيّ)

والنّحو المتخصّص، ولكلّ واحد منهما مرحلة؛ مرحلة تعليم النّحو التّربويّ الذي يوجّه للتّلاميذ في مراحل التّعليم الأولى وحتى لطلبة الجامعات في مرحلة التدرُّج، ومرحلة النّحو المتخصِّص الذي يتعلَّق بالبحث في أمور اللغة.

2ــ واقع تدريس النّحو في المنظومة التّربويّة: إنّ ما هو ملحوظ في المنظومة التّربويّة يجد النّحو لم يأخذ حظّه الأوفر، ولا أدلّ على ذلك من المستوى الّذي نلمسه لدى المتعلّمين، ولا سيّما في مرحلة التّعليم الابتدائي؛ إذ إنّها المرحلة الأساس لرصّ الكفاءة القاعديّة للمراحل التّعليميّة القادمة. وسنبين المسار التّعليميّ للمرحلة الابتدائيّة في تعليميّة النّحو:

.التّربية التّحضيريّة: تعدّ هذه المرحلة القاعدة واللّبنة المرصوصة؛ لأنّها تغرس في المتعلّم الأسس الأولى والمبادئ الّتي يخزنها المتعلّم في مراحله التّعليميّة أضف إلى الاستعداد الذّهني للمتعلّمين، وبخاصّة وأنّها مرحلة تعتمد على المشاهدة والمسارح التعليميّة. وهنا نشير إلى أنّ تعليميّة النّحو تكون ضمنيّة، وتقوم على:

- التّعرّف على شكل الكلمة؛
- إقامة العلاقة بين الكلمة وأجزائها؛
- إقامة العلاقة بين الجملة والجملة.

وحريّ بنا أن نذكر أنّ تعليميّة النّحو في التّربيّة التّحضيريّة تبدأ جذوره في نشاط (التّعبير الشّفاهي) من خلال:

- تركيب الجمل الاسميّة البسيطة؛
- تركيب الجمل الفعليّة البسيطة؛
- استكشاف الضّمائر. وما تمّ بالفعل التّعرف على هذا النّمط من الجمل في شكل **وصف.**

ولنا هذا النّموذج من التّعبير الشّفاهي في درس الضّمائر، وكيف للمتعلّم أن يكتشفه ضمنيا:

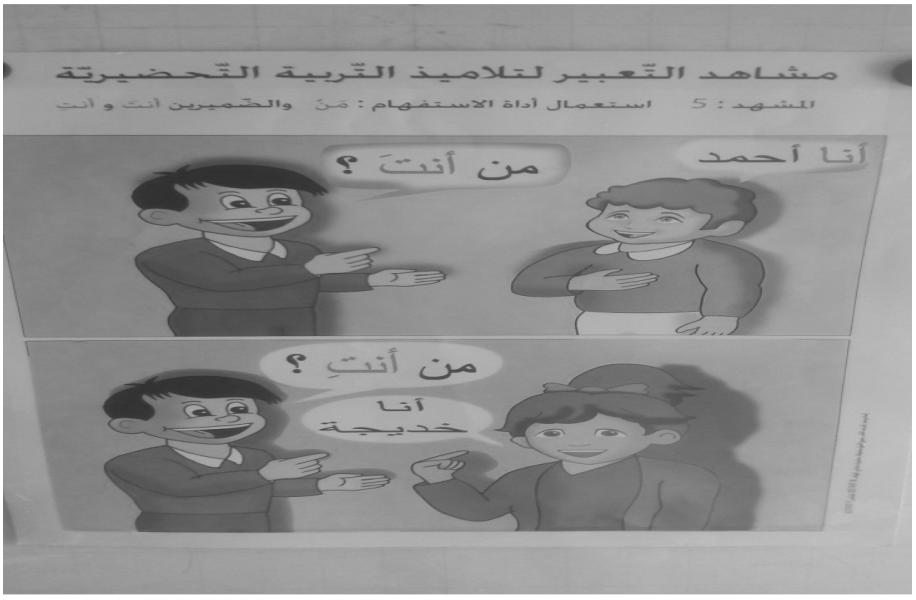
مشاهد التّعبير لتلاميذ التّربية التّحضيرية
المشهد : 5 استعمال أداة الاستفهام : مَنْ والضّميرين أنتَ و أنتِ
أنا أحمد
من أنتَ ؟
من أنتِ ؟
أنا
خديجة

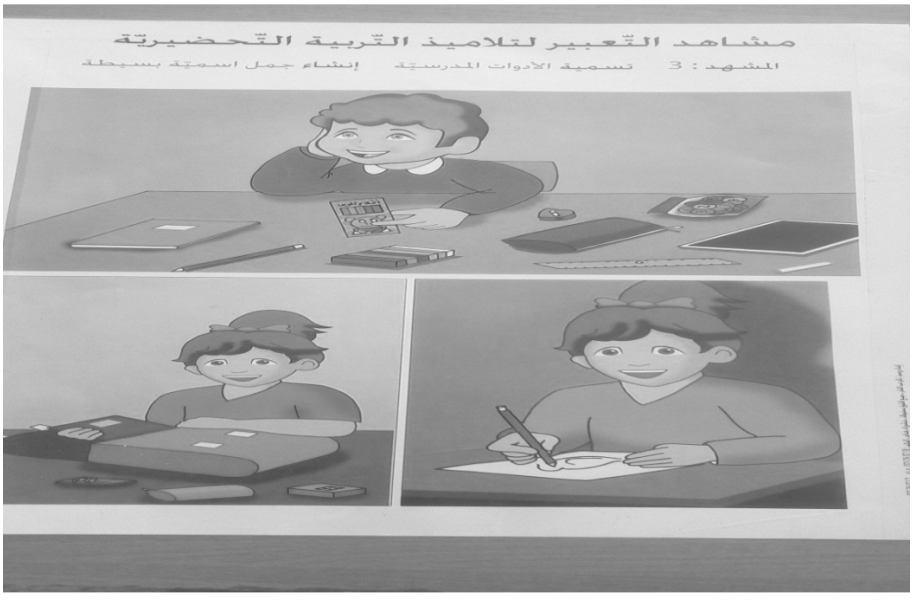
مشاهد التّعبير لتلاميذ التّربية التّحضيرية
المشهد : 3 تسمية الأدوات المدرسيّة إنشاء جمل اسميّة بسيطة

. **السّنة الأولى:** ترد تعليميّة النّحو في السّنة الأولى على شكل مشاهد أو مسرحيّة مشاهد وفي هذه الحالة يتعلّم المتعلّم القاعدة عن طريق الإنتاج/ التّعبير الشّفاهيّ، وهو عبارة عن مشهد فيقوم المتعلّم بالتّعبير عنه، ثم يستخلص تعبيراً يتوافق والمؤشّرات المحقّقة.

وهنا نستنتج أنّ النّحو لا يقوم على المصطلحات والتّلقين؛ بل يعتمد أساساً على (الاكتشاف الضّمنيّ) أي أنّ المتعلمّ يكتشف القاعدة ضمنيّاً دون أن يُسمّيها، ولنا أن نأخذ مثالاً في ضمير الملكيّة (عندي، لي) من هذه الصّورة. عندي قلم= لي كتاب

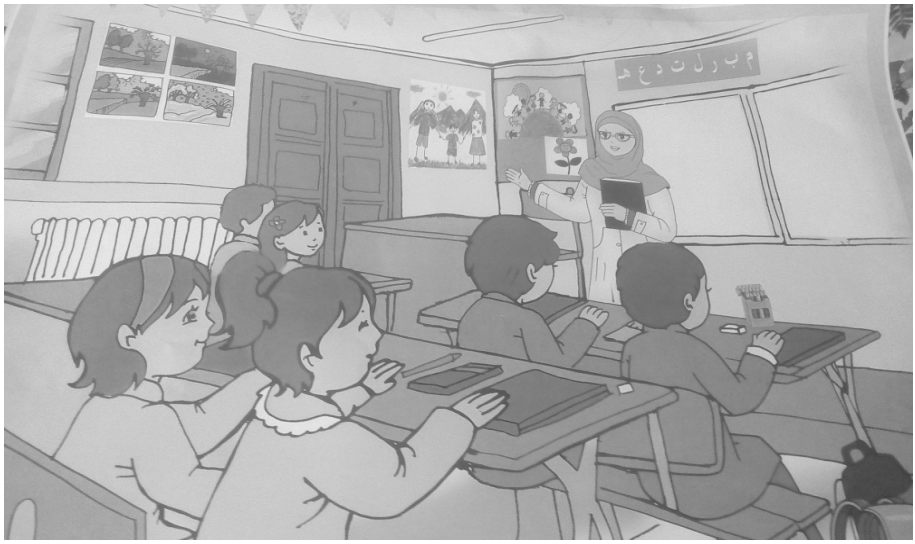

.**السّنة الثّانيّة:** وهنا نلحظ أن النّحو يبدأ ظهوره من خلال استعمال مصطلح (التّراكيب اللّغويّة) في دفتر الأنشطة الخاصّ باللّغة العربيّة، والّذي يعتمد على ما درّس في النّص المنطوق في بداءة الأسبوع، وكذا الأمر واقع في نصّ القراءة الّذي يكون في الحصّة الثّانية من حصّة القراءة؛ حيث يستطيع المتعلّم أنْ يكتشف الصّيغ والتّراكيب اللغويّة. والهدف منها:

- توظيف الصّيغ اللغويّة/ التّراكيب النّحويّة؛

– التمرّس عليها، وتحقيق الكفاءة الختاميّة، وربّما يتبعها التّقويم التّحصيليّ لتلك الحصّة. وهنا الاكتشاف يبقى ضمنياً. وهذا ما نلحظه في دليل الأستاذ، ومثال على ذلك:

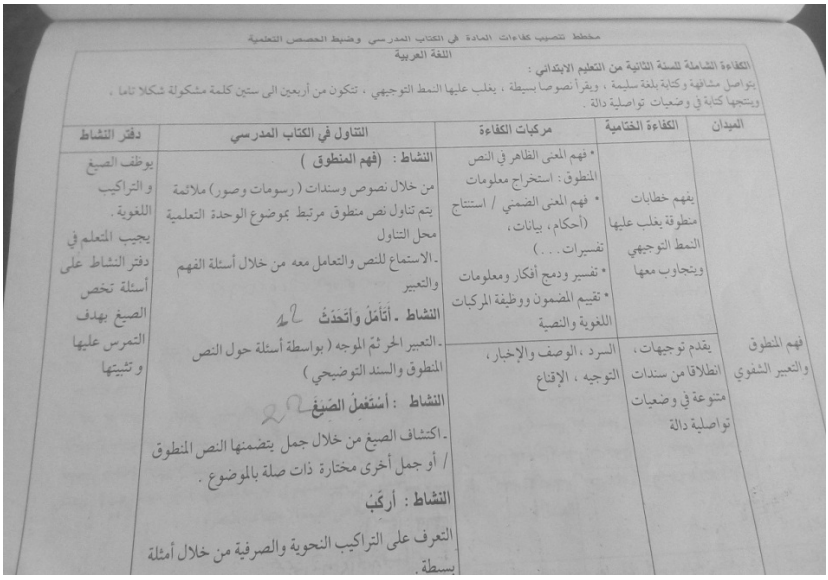

مخطط تنصيب كفاءات المادة في الكتاب المدرسي وضبط الحصص التعلمية

اللغة العربية

الكفاءة الشاملة للسنة الثانية من التعليم الابتدائي :

يتواصل مشافهة وكتابة بلغة سليمة ، ويقرأ نصوصا بسيطة ، يغلب عليها النمط التوجيهي ، تتكون من أربعين الى ستين كلمة مشكولة شكلا تاما ، وينتجها كتابة في وضعيات تواصلية دالة .

الميدان	الكفاءة الختامية	مركبات الكفاءة	التناول في الكتاب المدرسي	دفتر النشاط
فهم المنطوق والتعبير الشفوي	يفهم خطابات منطوقة يغلب عليها النمط التوجيهي ويتجاوب معها	• فهم المعنى الظاهر في النص المنطوق: استخراج معلومات • فهم المعنى الضمني / استنتاج (أحكام، بيانات، تفسيرات . . .) • تفسير ودمج أفكار ومعلومات • تقييم المضمون ووظيفة المركبات اللغوية والنصية	النشاط : (فهم المنطوق) من خلال نصوص وسندات (رسومات وصور) ملائمة يتم تناول نص منطوق مرتبط بموضوع الوحدة التعلمية محل التناول .الاستماع للنص والتعامل معه من خلال أسئلة الفهم والتعبير النشاط . أتأمّلُ وأتحدّثُ .التعبير الحرّ ثمّ الموجه (بواسطة أسئلة حول النص المنطوق والسند التوضيحي)	يوظف الصيغ والتراكيب اللغوية . يجيب المتعلم في دفتر النشاط على أسئلة تخص الصيغ بهدف التمرس عليها و تثبيتها
	يقدم توجيهات ، انطلاقا من سندات متنوعة في وضعيات تواصلية دالة	السرد ، الوصف والإخبار ، التوجيه ، الإقناع	النشاط : أستعملُ الصيغ .اكتشاف الصيغ من خلال جمل يتضمنها النص المنطوق / أو جمل أخرى مختارة ذات صلة بالموضوع . النشاط : أركّبُ التعرف على التراكيب النحوية والصرفية من خلال أمثلة بسيطة .	

.السّنة الثّالثة: أما في السّنة الثّالثة فيختلف الأمر فإنّها تقوم على المصطلح (تراكيب نحويّة) بمعنى تقدّم القواعد ضمنيّا، مع الإشارة إلى المصطلحات بمسمياتها، ويمكن للأستاذ أن يعطي القاعدة، وهذا على حسب مستوى المتعلّمين. لذا تعدّ هذه المرحلة حلقة وصل بين الطّور الأوّل (س1+ س2) والطّور الثّاني (س3+س4+س5). إذ إنّ القاعدة تقدّم على الشّكل الآتي:

– درس الحال: يعطى المثال: (عادَ الأبُ مسرعاً) دون التّطرّق إلى مصطلحات الحال وتعريفه وأحكامه النّحويّة.

– درس الصّفة: (الزّهرة الجميلة متفتّحة) والأمر نفسه هاهنا حيث إنّ الأستاذ لا يذكر الأحكام وإنّما ضمنيّا فقط.

.السّنة الرّابعة والخامسة: أما في هاتين المرحلتين فتعليميّة النّحو ترتقي قليلاً عن طريق:

- تقديم الأمثلة المرافقة للحصّة الأولى من النّص المنطوق؛
- شرح الأمثلة؛
- استنباط الخلاصة النّحويّة؛
- التّطبيق/ الاستثمار.

وتجدر الإشارة إلى أنّه لا يمكن التّحكم في شكل الظّواهر اللّغويّة بشكل صحيح إلاّ عن طريق الممارسة والتّكرار. فمن خلال المقاربة النّصيّة الجديدة؛ فإنّه يتمّ استثمار النّص لترسيخ هذه القواعد النّحويّة. وعليه، فإنّ وحدات أنشطة اللّغة مترابطة في ما بينها؛ إذا اختلّ واحد منها لا تحقّق الكفاءة الختامية للظّاهرة النّحويّة.

3ــ أسباب ضَعف تمكن المتعلّمين من النّحو: من خلال ما سبق يمكننا أن نستنتج أنّ الضّعف الحاصل لدى المتعلّمين في تعلّمهم أو تعليمهم النّحو/ القواعد يرتبط بالمثلّث التّعليميّ: **المعلّم/ المتعلّم/ المادّة المعرفيّة.**

1/3ــ المعلّم: يعدّ المعلّم قاعدةً ومحوراً رئيساً في العمليّة التعّليميّة التّعلميّة؛ لذا لا بدّ أن يكون عالماً بأصول كثيرة في التّعليم والتّدريس، وجهله بأصول ونظريات التّعليم يؤثّر سلباً على مستوى المتعلّمين:

- جهله بطرائق تعليميّة القواعد وكيفيّة تقديمها، وهنا خلل كبير نلحظه لدى المفتّشين؛ حيث لا يركّزون على طريقة تعليميّة القواعد؛ بل يركّزون على كيفيّة (اكتشاف الحرف) ففي الموسم الدّراسيّ برمّته لا يطالبون المفتّشين بكيفية تدريس القواعد؛
- عدم معرفة النّظريّات اللّسانيّة الحديثة، التي تسهّل عمليّة تعليميّة النّحو وبخاصّة نظريّة تشومسكي التي تقوم على التّشجير.

- النّسق السّريع للتّعليم: حيث تقدم الظّاهرة النّحويّة بسرعة؛ بحجّة ضيق الحجم السّاعي؛

- اختيار غير مناسب للأنشطة اللّغويّة في حدّ ذاتها؛ كأن يقع تدريس (الحال) و(كان وأخواتها) فيختلط على المتعلّم الفهم.

2/3ـ المتعلّم: ما يمكن التّعليق عليه بأنّ المتعلّم صورة للمعلّم؛ فلا يمكن أن يكون المتعلّم أحسن من المعلّم، فالتّجارة هنا تبور؛ لأنّ النّاقل للمعرفة والطّريقة والاستعداد لم تكن في منظور التّلميذ في عمليات التّدريس في ما مضى من تلك السّنوات التي كان يستمع إلى الملّم الذي لم يغذه بالمطلوب.

3/3ـ المادة المعرفيّة: إنّ المادة المعرفيّة توزّعت أسباب نقصها بين: الوزارة ممثّلة في: الكتاب المدرسي+ المنهج+ المنهاج) ثمّ تلحق بها الطّريقة التي تلقّن بها المادة، وتعود مرّة ثانيّة على المعلّم الذي يجسّد المادة. وما نلاحظه أنّ سلسلة من المتعالقات كانت سبباً في هذا النّقص، ولكن أهمّ حلقة في هذا المجال هو المعلّم وكما يقول المثل التّربوي (أعطني معلّماً فذاً أُعطك مدرسة ناجحة). لماذا قلت هذا لأنّ سبب القصور في معلّم لا يفهم المادة المعرفيّة، وإنّ أصعب ما يكون لدى المتعلّم أن تُعطى له أمثلةٌ بعيدةٌ عن محيطه، وهو مبدأ تقوم عليه المقاربة الجديدة في التّعليم؛ أي الاعتماد على الأمثلة الحسيّة الواقعيّة في تعليميّة القواعد.

4ـ الحلول والآفاق الكفيلة لتعليميّة النّحو: من خلال ما قيل يمكن أن نقدّم الحلول والآفاق التي تحمل في طياتها نظرة استشرافيّة لمستقبل ينمّ بتعليميّة النّحو للنّاشئة بطريقة سهلة ميسورة بما يلي:

- تكثيف الحجم السّاعي لنشاط اللغة العربيّة؛

- إثراء النّصوص المنطوقة التي تخدم التراكيب النّحويّة؛

- التّكثيف من الدّورات التّكوينيّة للمعلّمين، وبخاصّة في مجال تعليميّة دروس القواعد/ النّحو؛ لأنّها منعدمة تماماً؛

– إقامة العلاقة بين وزارة التّربية –وبخاصّة مصلحة التّكوين– والمؤسّسات العلميّة؛ للاستفادة من الخبرات؛

– تكوين المعلّمين تكويناً حديثاً يقوم على النّظريّات اللسانيّة الحديثة؛

– تكوين الأساتذة المُكوّنين في المجال اللّسانيّ الحديث والنّظريات التّعليميّة الخاصّة بتعليميّة النّحو، وليس الأنشطة الأخرى، رغم أنّ المفتّشين البيداغوجيين يركّزون على نشاط الرّياضيات ونشاط الإنتاج الكتابيّ؛ وهذا الأخير لا يتحقّق إلاّ بمعرفة الظّواهر الصّرفيّة والتّراكيب النّحويّة؛

– الاستفادة من خبرات المؤسّسات العلمية والمخابر اللّغوية كالمجلس الأعلى للغة العربيّة وجهوده في مجال تعليميّة اللّغة؛

– تكثيف الدّورات التّكوينيّة للأساتذة غير المختصّين في مجال اللّغة؛ لأنّ الطّور الابتدائيّ سببه الرّئيس اختلاف التّخصّصات؛ فكلّ المتخرّجين يلجونه، وهنا يؤدّي إلى ضعف تدريس النّحو.

العربية بين الماضي المُغدق والحاضر المُقلق♥

ــ **الدّيباجة:** لا أريد النّظر إلى الوراء إلاّ من باب الحيطة واستلهام الجيّد من الماضي؛ وبالفعل فإنّ ماضي العربيّة مشرق مغدق بما قدّمته العربيّة للعرب وللإنسانيّة جمعاء. لغة لها امتدادات كبرى قبل الإسلام وكانت لغة التّواصل في طريقيْن تجاريين بنسبة لغويّة مقبولة، كانت حاضرة في Lingua–Franca في طريق الحرير بآسيا، وفي طريق المِلح بأفريقيا، لدرجة أنّ الفاتحين لقارة أفريقيا لم يستصحبوا معهم التّراجمة على غرار فِعْلهم في دخولهم قارة آسيا؛ لأنّ العربيّة مستعملة قبلاً من قبل التّجار العرب، وأصبحت مفهومة في حدود قضاء المصالح المُرسلة. فقد نالت العربيّةُ أركانَ العالم في زمن وجيز لا يتعدّى قرناً، بل أصبحت لغة العالم بما ترجمته وبما أنتجته وأضافته للحضارة الإنسانيّة.

ــ **المقدّمة:** لا ننكر أنّ العربيّة لغة ناميّة مُتطوّرة، ولها مُميّزات تُمكّنها استقبال مستّحدثات الحضارة التّقنيّة، والإيفاء بمتطلّباتها، وتلبيّة حاجاتها الرّاهنّة، ولها صفات السّيادة والرّيادّة في مجال العلوم الإنسانيّة. والشّيء الذي تحتاجه الآن الإدارة الفاعلة، واستثمار التّراث العربيّ مع أوعيّة معرفية متفاعلة، بمعطيات الفكر الحضاريّ المعاصر. ويعني هذا الإفادة من التّجارب الغربيّة والآسيويّة النّاجحة؛ بالانغماس في الحداثة، والخروج من التّقليدانيّة والتّصوّرات الخاطئة. وفي كلّ هذا نروم الانطلاق من مُسلّمات الواقع؛ لأنّ الواقع اللغويّ يدفعنا إلى ذكر الافتقار العربيّ إلى الرّصيد المعرفيّ المكتوب والموثّق بمنهجيّة علميّة في مجالات شتّى، وما نقوم به الآن يرتكز على اللغات الأجنبيّة بدواعٍ مختلفّة، رغم ما نلحظه

♥– أعدّت المداخلة للملتقى الوطنيّ حول (واقع اللغة العربيّة محلياً ودولياً) بمناسبة اليوم العالميّ للغة العربيّة. جامعة عبد الحميد بن باديس، بمستغانم في 4 ديسمبر 2019م.

من مرونّة وسلاسّة في بيان مكنونات الأمـور العلميّـة والمقـدّرة علـى تمثيـل تفصيلاتها من خلال وفرة المادّة والأساليب والتّراكيب. ومع كلّ ما تحرزه يومياً نحتاج إلى إعادة النّظر في تلك الأعمال التي تتساهل في نمطيّة الفعاليات اللغويّـة وفي ضعف حركة التّدقيق والتّحكيم اللغويّ المبني على أصول وضوابط العربيّـة التي تسهم في مناقشّة الأخطاء الشّائعة وقضايا المضامين. ولهذا فرهـان العربيّـة الحالي تكون قويّة بقوّة أهلها وارتباطهم بلسانهم، مع اسـتثمار منتجـات الحداثّـة وطرح أفكار ومحاور مستجدّة؛ بشكل يحقّق التّنميّة اللغويّة المستديمّة، ولا يتـأتّى ذلك إلاّ بالاستناد إلى العمل التّنمويّ التّطوريّ للغة المبني على التّخطـيط اللغـويّ وفق سياسّة لغويّة رشيدّة.

1ــ العربيّة بين الماضي المُغدق والحاضر المُقلق: لا تحتاج العربيّة إلى تدبيج الكلام عن ماضيها المُغدق في كلّ مجالات الحياة؛ حيث أضحت لغة عالميّة عولميّة أفادت كلّ اللغات، بما أحيطت من علوم وما طوّرته من معارف العصور، فكانـت تعطي وتأخذ، وأضحت عالميّة بما تعطي فقط، وبخاصّة في قـارة أفريقيـا التـي اشتعلت فيها ولقّبت (لغة أفريقيا). لكن الحاضر أدّى إلى عمليات عكسيّة تمثّل فـي الفراغ القيميّ، وصاحبه غياب ثقافة الاعتزاز اللغـويّ، فـي ضـوء اضـمحلال الرّوابط القوميّة التي تبني الذّات وتصنع الوعيّ لدى العرب. وفي كلّ هذا أصـبح الواقع اللغويّ العربيّ مُقلقاً؛ وبخاصّة ما تُحدثه وسائل الإعلام من تأثير في صناعة الرّأيّ العامّ والذّوق الفرديّ، الأمر الذّي انعكس سلبياً على العربيّة التي تمثّل المرآة الحقيقيّة للفكر وللحضارة الإنسانيّة. وهنا بدأ يغيب أمنُ اللغة العربيّة اللغويّ، بـل أصبحت تُهدّد في ذاتها من حيث التّراجع عنها، **فما العمـل؟** نحتاج إلى طرح رؤيّة استراتيجيّة لاستثمار المرتكزات اللغويّة في المعرفة؛ "بوضع الأسّـس والأعمـال التّطبيقيّة المبنيّة على تخطيط لغويّ قويم، كما يتحتّم علينا الآن إدارة المعرفة عربياً من خلال الاستثمار في اقتصاديات اللغويات؛ بما يعزز المحتوى اللغويّ العربـيّ

في المنجزات الحضاريّة[1]" وكلّ هذا لا ينفي المرونّة في التّفكير والانغماس في صراعات المستّجدات من خلال الرّبط بين الماضيّ المُغدّق وحركة الحاضر المُشرّق، وأحياناً المُقلق؛ لتحقيق تفاعليّة تنمويّة متينّة، بمنهج العمل الجماعيّ وتطوير فعاليات التّفاعل مع مختلف التّخصّصات، وفتح مواقع وصفحات ومنتديات ومدوّنات لتعزيز الرّوابط الإلكترونيّة وتقنياتّها المتنوّعة، ورعايّة التّفكير العلميّ النّاقد من أجل تصليح المسارات، وتعديل الخطّط بما يتوافّق مع الأهداف وخصوصيّة اللغة العربيّة، وهذا بغية الارتّقاء بمباني العربيّة ومعانيها من خلال إحياء الأصول وتطوير الأدوات والأساليب. ولهذا علينا العِوَل على هذه العوامل.

1- العامل السّياسيّ: سلطة لغويّة إلزاميّة وتوفير الدّعم من أجل تحقيق المكتسبات الجديدة.

2- عامل التّثقيف: توسيع المدارك، وتطويع التّحديات، وتنظيم المبادرات الثّقافيّة.

3- عامل الإعلام من أجل إيصال الرّسائّل السّريعة المؤثّرة بما للإعلام من سلطّة نافذّة إلى عقول الجماهير، وتشكيل الرّأيّ العامّ وصناعة الاتّجاهات.

4- عامل رقمنّة المادّة اللغويّة العربيّة، وحوسبتها من خلال تحويل المعارف والمعلومات إلى بيانات رقميّة؛ لتوفير ذخيرة حيّة يمكن إدارتها إلكترونياً، بما يحسم نتائجها للسمو بالعربيّة.

5- عامل توسيع دائرة اللغة العربيّة في العالم الأزرق/ الافتراضي بالاستثمار في القدرات والمهارات الفذّة في إنجاز الأفكار المبتّكرة التي تنطلق من العربيّة ولذاتها. وكلّ هذا لا يكون متجذّراً إلاّ بالعمل على تحقيق الأمن اللغويّ.

[1] – حسن عمر دراوشة "المرتكزات اللغويّة لتنميّة العربيّة في ضوء معطيات الفكر الحضاريّ المعاصر" المؤتمر السّنويّ لعامّ 2018 لمجمع اللغة العربيّة الأردنيّ (اللغة العربيّة والفكر المعاصر: بين التّواصل والتّكامل). منشورات المجمع 2018 ص 537.

2ــ تحقيق الأمن اللغويّ: إنّ العِوَل في هذا الأمر على تفعيل دور الإعلام لما لتأثيره المزدوج بين الاختلال والإخلال للسيطرة على العقول وفق الحقائق. فأمن اللغة العربيّة يبدأ من أمن وسائل الإعلام "التي تحمل دوراً كبيراً في عملية التّحوّل الذّي انتاب اللغة، وبسبب العولمّة والانفتاح الثّقافيّ تعرضّ الخطاب الإعلاميّ لأزمّة تعدّد المصطلح، وتعدّد المدلول، مما ولّد هجيناً دلالياً نتّج عنه هيمنّة مدلولات جديدّة أدّت إلى تثبيت المعنى اللغويّ بين الدّال والمدلول".[2] وإنّ اللغة بفضل متغيّرات الإعلام بحاجّة ماسّة إلى أمن لغويّ يحمي التّراث والإنتاج المعرفيّ لتتمكّن اللغة العربيّة من مواكبّة العصر، بحاجة إلى أمن يحافظ على هويّتها ونشاطها وحيويتّها، أمن يحافظ على عدم ذوبانها في اللغات الأجنبيّة، أمّن يتركها على التّواصل وتقدير الجانب اللغويّ في المعيار. أمن يقيها من حرب المصطلحات، أمن حصين يُسهم في تأمين هويتنا وأصالتنا، ويفتح المجال لحمايتها من ازدواجيّة الدّال والمدلول. أمن يتحقّق من خلال الشّعور بالقدرة على تحقيق متطلّبات مستعملها، والاستجابّة لحاجاته من خلال الاستقرار والاستغلال اللغويّ الأمثل "يقوم مفهوم الأمن اللغويّ العربيّ أساساً على الحفاظ على سلامة اللغة العربيّة وصونها من العاديات والهجْمات التي تضربها في صميمها كلّ حين، فهو يسعى لحمايتها من سلطات العولمّة وتحول التّدخّل اللغويّ الأجنبيّ السّافر الذّي لا يكاد يترك مجالا إلاّ ونخله شئنا ذلك أم أبينا، ويهدف في مضمونه الخاصّ إلى ديمومّة اللغة العربيّة ومنحها القدّرة الكافيّة لمواكبّة تطوّرات العصر والتّقنيّة المتسّارعة، وأما في مضمونّه فإنّه يسعى للحفاظ على وجدان الأمّة وكيانها وهيبتها وقيمتّها التي غزتها المدنيّة الحديثّة".[3]. وإنّ السّلاح في هذا الوقت هو الكلمّة

[2] – ميس خليل أو زيادة "الأمن اللغويّ الإعلام، جدليّة العلاقة بين الدّال والمدلول". المؤتمر السّنوي لعامّ 2018 (اللغة العربيّة والفكر المعاصر: بين التّواصل والتّكامل) 25– 26 أفريل 2018. الأردن: 2018، منشورات مجمع اللغة العربيّة الأردني، ص 319.

[3] – عمر محمد أمين هزايمة، الأمن اللغويّ العربيّ. الأردن: 2005 ص 12.

الإعلاميّة التي لا تقّل خطورة عن أثر السّلاح في يدّ العسكريّ؛ بفعل مفعولها وتؤذي أفكارها دون أن تخلق تغيّراً في الأذهان. ولهذا، ندعو إلى التّحصّن بثقافة الأمّة وقيمها وحضارتها "فاللغة هي أمارة على شخصيّة الأمّة وذاتيتها الثّقافيّة ولا تتجلّى الذّاتيّة الثّقافيّة لتمثّل في التّراث الفكريّ والرّؤى الحضاريّة للمجتمع".[4] ومن هنا فإنّ مسألة الأمن اللغويّ قضيّة متعلّقة بالهويّة والانتماء في المقام الأعلى ولذلك من الأهميّة أن تضبّط بالوسائل التي تؤثّر على مستوى الحفاظ عليها، وأن توضع القوانين الصّارمّة لحمايّة اللغة من المخاطر التي تؤدّي إلى التّهلكة. ولهذا لا بدّ من إيلاء البُعد الإعلاميّ ما يستحقّه من أهميّة على الصّعيدين العربيّ والعالميّ لما له من دور مهّم ورئيسي في الحروب العسكريّة لا يقّل عن دور القوات المسلحّة في الحروب وكما يُقال"... فاللغة وسيلتنا الأساسيّة لنقل المعلومات في المجتمع البّشريّ ولكن اللغة قادرة على ما هو أكثر من ذلك؛ إذ يمكنها أن تصوغ العالم، أو بمعنى آخر إنها بمثابّة منشور تحليل الطيف الذي ننظّر إلى العالم من خلاله[5]".

3ــ مكانة العربيّة بين كبرى اللغات: مع كلّ ما تعيشه من مُضايقات وصُعوبات، وكثير من المُحاربات من أهلها ومن غير أهلها، فلها ماضي مُشرق ومُستقبل واعد، وهذا من خلال مُؤشّرات علميّة استدلّ بها الباحثون لقياس موقعها الحاضر. ويقول (الخليل النّحوي[6]) رغم كلّ مصائبها، لها **مؤشّرات** كثيرة توحي بقيمتها بين اللغات الكبرى، وهي:

---

[4]– شحادة الخوري "واقع اللغة العربيّة عربياً ودولياً" مجلة التّعريب. دمشق: 2001، 21، ص 30–31.

[5]– نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة. الكويت: 1980، المجلس الأعلى للثّقافّة، ص 223.

[6]ــ الخليل النّحوي "مكانة اللغة العربيّة اليوم بين اللغات الكبرى" محاضرة ألقيت بمناسبة اليوم العالمي للغة العربيّة. باريس: 18 ديسمبر 2017، مقرّ اليونسكو. (بتصرّف).

1ــ مؤشّر المكانة الوجدانيّة: باعتبارها لغة الدّين الجامع بين العرب والمسلمين، على اعتبار أنّها لغة أمّ ولغة الأمّ.

2ــ مؤشّر الوضع الدّستوري: لغة أم+ لغة الأمّة+ لغة رسميّة في اثنين وعشرين (22) بلداً عربياً+ لغة أجنبيّة رسمية أولى في اثني عشر (12) بلداً ولغة أجنبيّة رسميّة ثانية في ستة وعشرين (26) بلداً. وهو وضع له علاماته الكبرى بأنّ لها أبعاداً عالميّة كبرى.

3ــ مؤشّر عدد النّاطقين: للعربيّة وجود في القارات الخمس، ولها ما يزيد عن خمسمئة مليون (50000000) من العرب النّاطقين بها لغة أولى رسميّة+ يضاف إليها ما يقرب من المليارين (2 مليار) مسلم+ الآلاف من المستعربين والمستشرقين والباحثين... كمٌ معتبرٌ من البشر النّاطقين بها وأصحاب الدّراية والكتابة بخطّها المعياريّ. وفي الصّورة مقام العربيّة بعدد مستعمليها كلغة أمّ. ويبدو لي أنّها تعود إلى إحصائيات قديمة نوعاً ما.

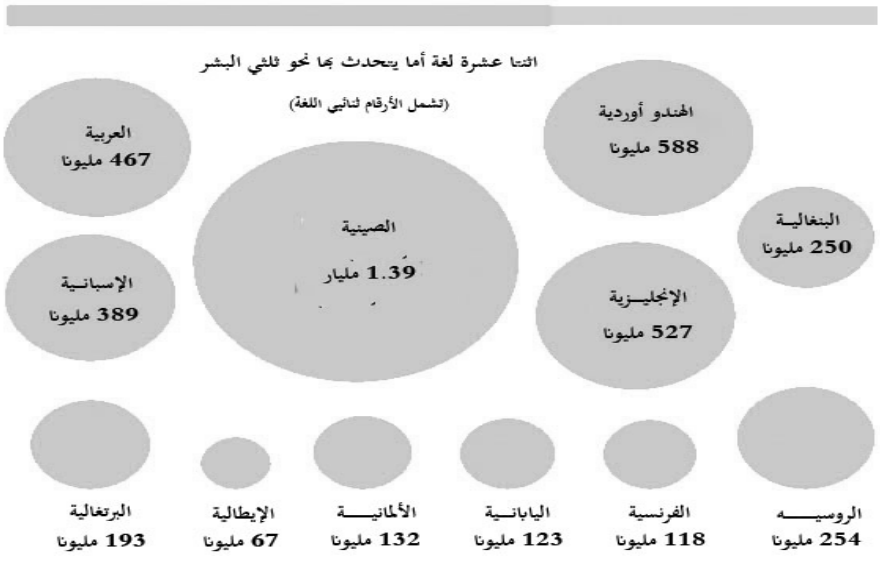

4ــ مؤشّر النّطاق الجغرافيّ: وهذا ما أشرنا له قبلاً، بأنّ العربيّة اشتعلت في القارة الأفريقيّة، ونالت في آسيا موقع اللغة الأمّ، واللغة الأجنبيّة الأولى، بلهَ الحديث عن موقعها التّعليميّ في البلاد المسلمة في آسيا الوسطى وألبانيا وجورجيا والقوقاز، وتلك الدّول التي خرجت من طوق الاتّحاد السّوفياتي. دون أن ننسى حضورها الجبريّ الدّينيّ في تلك الكتلة البشريّة الكبيرة في ماليزيا+ إندونيسيا+ الهند+ أفغانستان+ باكستان+ كشمير+ بنغلاديش. وبعض المسلمين في: الكمبوج+ الفيتنام+ بورما. وفي أمريكا اللاتينيّة لها موقع بنسبة كبيرة بعدد المهاجرين العرب، كما لها موقع علميّ في أوربا الحاليّة، بالمهاجرين وبكونها لغة اعتمد عليها في قواعد علومهم. وهي من اللغات التي تُصنّف الآن في المراتب المتقدّمة على غرار الأنكلوفونيّة/ الكمنولث والفرنكفونيّة واللوزوفونيّة والإسپانوفونيّة.

5ــ مؤشّر تعليم العربيّة خارج مواطنها: لها مواقع في كلّ جامعات العالم، دون الحديث عن بعض المدارس الخاصّة والثّانويات، وبعض الفروع التّابعة للدّول العربيّة، وهو أمر جدير بالتّنويه؛ حيث نجد العربيّة في كوريا الجنوبيّة كلغة أجنبيّة ثانيّة، وفي طوكيو في جامعاتها الكبرى، وفي الصّين بها 66 جامعة تدرّس العربيّة في أقسام الأدب العربيّ، "ولن يخفى على زائر الصّين أو الهند (وليستا من الدّول الإسلاميّة) أن العُملة الورقيّة التي يشتري بها المواطن والوافد خبزه وحاجاته اليوميّة مُحلاة بكتابة عربيّة ترمز إلى عراقة اللغة العربيّة في البلدين، وتمسّك بعض شعوبهما بحروف هذه اللغة، واحترام هاتين الدّولتين غير المسلمتين لخيار تلك الشّعوب في كتابة لغاتها بالحرف العربي". وأما في أروبا، فمقام أصوات العربيّة ظاهر في المالطيّة، وهي لغة كأنّها من أصول عربيّة، وحضور العربيّة في فرنسا قويّ، لدرجة أنّ الفرنسيين لا يستبعدون أنّ فرنسا سوف تصبح عربيّة في الخمسين سنة القادمة، بل سيحكمها رئيس عربيّ، وأنّ الاسم الأكثر تسجيلاً في الحالة المدنيّة في فرنسا سنة 2018 هو (محمّد). وفي بلاد بريطانيا وإيرلندا فإنّه يقع الطّلب على تعلّم العربيّة بشكل يتزايد باستمرار، وذات الشّيء في الدّانمارك

وإيطاليا وبلجيكا وألمانيا والسّويد واليونان. ودائماً يزداد الطّلب على فتح الأقسام العربيّة، وبناء المدارس، وتدشين المراكز الثّقافيّة، وفتح المكتبات... كما ينطبق الأمر على الأمريكيتين، وقارة أستراليا بذات الحميّة العلميّة التي تُعلي من مقام العربيّة عند غير أهلها.

6ــ مؤشّر الحضور الإعلاميّ: ما تتحكّم إليه من فضائيات وإذاعات وقنوات محليّة لَهُوَ من الكمّ المعتبر وكلّ يضخّ بالعربيّة بين المحليّات والهجين، وقليل ما يُذاع بالفصحى المعياريّة. والمهمّ في الأمر أنّ هناك أرمادة من المنابر الإعلاميّة العربيّة تعطي المادّة الإعلاميّة بالعربيّة بمستوياتها المختلفة، ويُضاف إليها أنّ كل الدّول الأجنبيّة لها أكثر من إذاعة/ قناة/ فضائيّة بالعربيّة، مع ما يُنشر على مستوى اليوتوب، وغير ذلك من وسائل التّواصل الاجتماعيّ.

7ــ مؤشّر الذّات اللغويّة: إنّ العربيّة لها ميزة الشّساعة لما لخصائصها وجذورها لا توجد في أيّة لغة أخرى ويكفي أنّ مختلف التّقليبات التي تأتي على كلماتها= الثّلاثيّ+ الرّباعيّ+ الخماسيّ (المجرّد والمزيد) يساوي 12302912 كلمة، واللغة الثّانيّة هي الإنكليزيّة تحتوي على 600000 كلمة، والفرنسيّة على 150000 كلمة، والإسپانيّة على 180000 كلمة، والرّوسيّة على 130000كلمة والصّينيّة على 500000 كلمة. وما يلاحظ أنّ الفرنسيّة التي نستعملها في بلادنا المغاربيّة تفوقها العربيّةُ بـ 82 مرّة فكيف تضيق العربيّةُ بما تحمله من زُخْم الكلمات التي يُمكن أن يخرج منها المعنى الحقيقيّ/ المجازيّ/ البلاغيّ، وما يتعلّق ذلك من دلالات حسب المجالات، ومصطلحات العلوم.

8ــ مؤشّر الحضور على الشّابكة: قبل سنة 2012، كانت العربيّة عدماً، ولكن الآن أصبحت تُنازع الإسپانيّة في الرّتبة الثّانيّة، بما لها من مواقع كثيرة، ومحرّكات بحث، وما يتبع ذلك من وسائل التّواصل الاجتماعيّ رغم المضايقات التّقنيّة في التّرجمة وفي البرمجيات السّريعة وفي بناء المنصّات، ويبقى مؤشّرها ضعيفاً مع كلّ الجهود التي تُبذل من رجال المعلوماتيّة واللسانيين. وإنّ الزّمان

كفيل بأن يجيبنا أنّ العاملين على تطويرها لا يزالون يعملون، وسيكون لها المقام العلميّ المطلوب. وهناك الآن تغطيّة محتشمة من قبل الأقمار الصّناعيّة العربيّة ولكن هناك بثّ عن طريق السّاتلات الغربيّة التي تتكفلّ بالعربيّة لأغراض اقتصاديّة وعلميّة. ويبرز الشّكل التّالي مقام العربيّة في الشّابكة كما يلي:

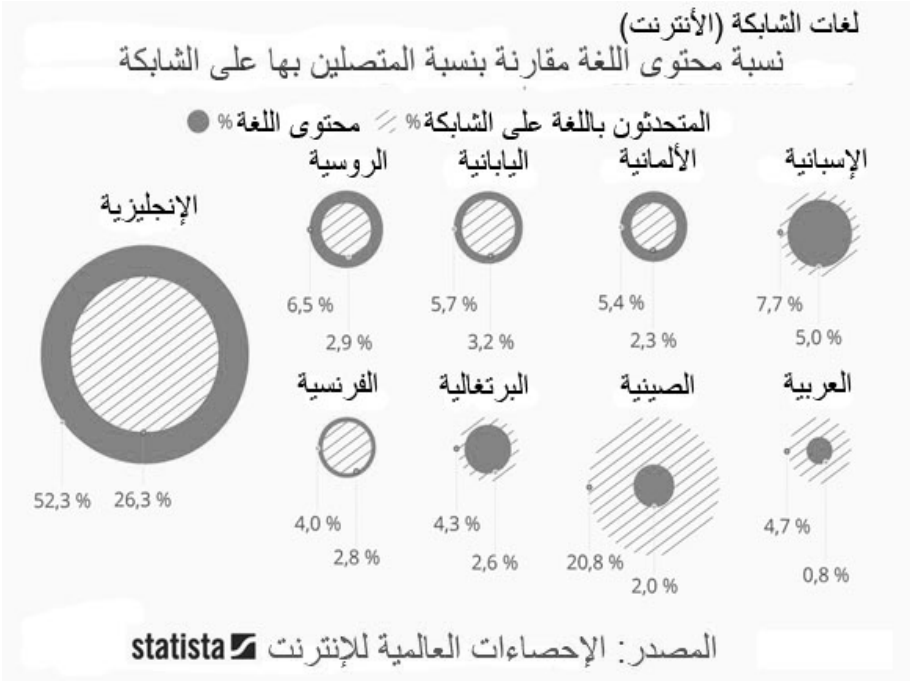

وفي إحصاء حديث تبرز لنا العربيّة في الرّتبة الرّابعة من حيث عدد المستخدمين:

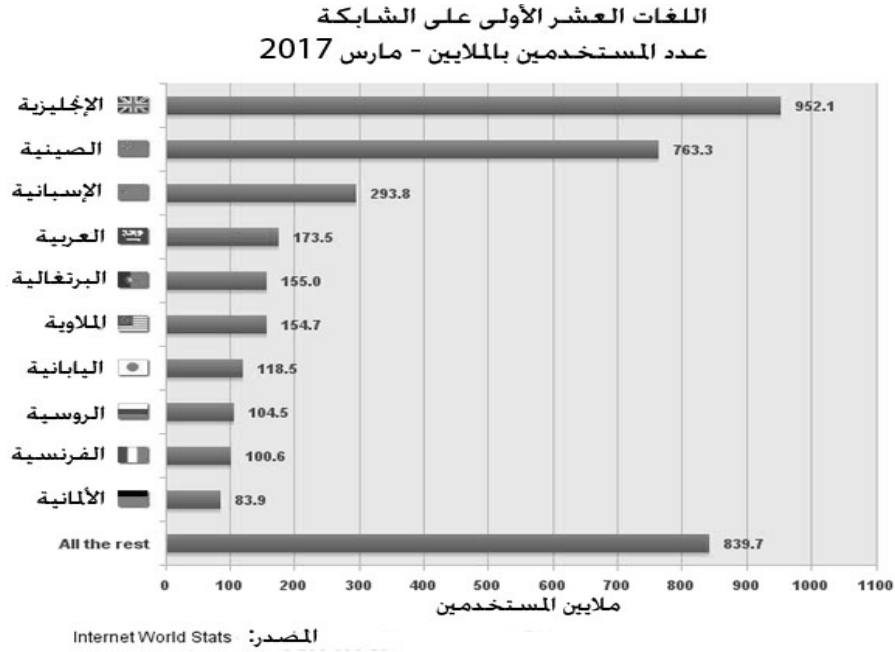

ـ **الخاتمة:** مهما تحدثنا عن مقام العربيّة فلا نَفِيها حقَّها تجاه ما قدّمته للحضارة الإنسانيّة، ولكن المقام يتطلّب منّا الحديث عن سَدَنَتِها، فما هو من واجبهم، وما هو المطلوب من مؤسّساتها. العربيّة بالفعل يعلو مقامها، ولكن يجب النّظر في قضاياها المعاصرة، ومن الأهميّة بمكان أن نتدارسَ في ما بيننا شؤونها وأحوالها. وعلينا جميعاً أن نشدّ على أيادي بعضنا لتجسيد الآمال المعقودة، وأن نضع بين هذا الجيل برامجَ ومشاريعَ كبيرة وعمليّةً؛ تُيسّرُ سُبُلَ استعمالها وتوظيفها والتّحدّث بها. ومن الضّروريّ أن نستفيد من كلّ ما هو جديدٌ في المجال التّكنولوجيّ والرّقميّ لخِدمة هذه اللّغة. وعلينا فتح نوافذنا على البحوث الجاريّة عند الآخرين، ونستفيد من الأساليب العلميّة التي خدموا بها لغاتهم. وها هو دور العلماء والمؤسّسات في تجسيد قضاياها بشكل علميّ، والعمل على تقديم الوصفات التي تعمل على ملاحقة الرّاهن، وإلاّ سنبقى نراوح مكاننا ونجترّ المقول، ونعيش في دوامة الأفول واللغات في تطوّر مذهول.

اللغة العربيّة في يومها العالميّ♥

ـ الدّيباجة: إنّه لحدث وطنيّ كبير، حدث شهر للغة العربيّة؛ بمناسبة اليوم العالميّ للغة العربيّة (18) ديسمبر من كلّ سنة. حدث الاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربيّة في الجزائر يدوم شهراً من 20 نوفمبر إلى 20 ديسمبر، وهذا بإقرار معالي وزير التّعليم العالي والبحث العلميّ الذي فتح للمجلس أبواب الجامعات والمخابر لإحياء المناسبة بما تستحقّه اللغة العربيّة من قيمة رمزيّة وعلميّة وحضاريّة. هي وقفات يحييها المجلس الأعلى مع مؤسّسات الدّولة، ومع بعض الفئات من المجتمع المدنيّ والجمعيات الثّقافيّة التي تعمل في خدمة الشّأن العامّ وبعض البلديات التي لها السّبق بالاحتفاء بهذا اليوم في جوّ علميّ رصين.

والحقيقة إنّ اللغة الوطنيّة ممارسة يوميّة، فهي تحيا بين ناطقيها ومتعلّميها ومعلّميها، وتحتاج منهم أن يهتاجوا لمن يهزمها ويطعن فيها، ويبعث الفشل في أنفس المتعلّمين، ويثير الفتن كي لا تنال موقعها. وللأسف نجد أمّة تهتاج لهزيمة في الرّياضة، ولكنّها لا تحرّك شعرة للهزائم الصّناعيّة وللإخفاقات الثّقافيّة واللغويّة. تلك أمّة نريد أن تفيق، ولا تزال تعزف على الفقر المصطلحيّ للعربيّة وعلى ضعف الجانب العلميّ، وعدم وجود الإبداع. وكان حقاً عليّ تذكيرهم بمقولة أحد زعماء الثّورة التّحريريّة الذي كان يُحفّز الشّعب والمسبّلين على ضرورة الثّورة وكانت حجّتهم قلّة السّلاح ولا نملك ما يملكه العدوّ، وأجابهم: تحوّلوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة. والسّلاح الأوّل هو أن تؤمنوا بالواجب وضرورة القيام به" وهنا أقول للذين يراهنون على انتظار استكمال العربيّة شروط نهضتها كي يعملوا من أجلها: لا يمكن أن يحصل ذلك إذا لم يكن لها إيمان ووجود واعتزاز واستعمال لهذه اللغة في أنفسنا وفي واقعكم

♥ الكلمة التي يلقيها رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة بمناسبة اليوم العالمي للغة العربيّة (شهر اللغة العربيّة) 20 نوفمبر– 20 ديسمبر 2019م. في جامعة اسطنبولي (يوم دراسيّ) بمعسكر بتاريخ 04 ديسمبر 2019.

ولا يوجد حبّ دون تضحيّة، ولا يوجد حبّ دون دفع المَهْر غالياً. وإنّ الإنسان هو اللغة، وإذا سلم تفكيرُه سلمت لغتُه، وإنّ معيار شخصيته وحجمها إنّما يرتبط بلغته زيادة أو نقصاناً بحسب ما يوليها من قيمة وحسن تدبير في تطويرها، والعمل على نشرها. كما أنّ قلب المواطن مع لغته تسكنه دائماً، وقد يكون ضدّها إذا كانت لا تخدمه، فإن ماتت لغته مات وانطفأ، فكلّ دولة تحيا بلغتها؛ وهي سيادتها واستقلالها. وأقول لهم: تعالِ نبدأ، تعالِ نشدّ الهمّة واشتدّي أزمة تنفرجي، وستأتي الوسائل والمصطلحات والإمكانيات، والطّريق تصنعه الأقدام. كونوا مع المُحبّين المُخلصين العاملين، كونوا مع المحبّين للغة الوطنيّة، لغة الهويّة وقولوا:

إنّي أحبّكِ كي أبقى على صلةٍ بالله والأرضِ والتّاريخِ والزّمنِ
أنتِ البلادُ التي تُعطي هُويّتَها من لا يُحبّكِ يبقى دونما وطنِ

إخواني: لقد نصّ الإعلان الصّادر عن القمّة العشرين لمجلس جامعة الدّول العربيّة الذي انعقد بدمشق سنة 2008 على التّوصيّة التّاليّة: "إيلاء اللغة العربيّة اهتماماً ورعايّة خاصّة باعتبارها مُواكِبة للتّطوّر العلميّ والمعرفيّ في عصر العولمة والمعلوميات، ولتصبح أداة تحديث في وجه محاولات التّغريب والتّشويه التي تتعرّض لها ثقافتنا العربيّة" هي توصيّة من توصيات كثيرات توصيات دون تطبيق وفعاليّة ويكفي أن يقع تنفيذ أوّل توصيّة تصدر في أربعينيات القرن الماضي ومفادها "تطبيق عمليّ لدساتير الدّول العربيّة في مادة اللغة العربيّة" وهذا كافٍ لتمكين العربيّة في بلدانها وعند النّاطقين بغيرها، والعودة بها لمكانتها التّاريخيّة؛ باعتبارها القادرة على استيعاب مجمل العلوم.

ـ **مقدّمة:** ستكون وقفات كثيرات في هذه المحاضرة بخصوص اليوم العالميّ للغة العربيّة عبر محطّات تستدعيها المناسبة، ونحن نحتفي بهذه اللغة الإنسانيّة العالميّة وقد كُتبت بحروفها الكثير من اللغات، وكانت لغةً عولميّةً عالميّةً في وقتها، بل لها الكثير من المسكوكات في Lingua–Franca، لغة التّواصل العالميّ آنذاك، وفي استعمالات خطاب السّوق التّجاريّ في طريقيْ: الحرير والملح. إنّ العربيّة قمّة جبل الجليد

المتعمّق في البحر؛ لأنّ وظيفتها الرّسميّة جعلتها أرفعَ الوظائف في مجالات الحياة العامّة الرّاقيّة، واختيارها في التّعليم أساس سياسة لغويّة لثباتها. وأما استخدامها المتدرّج فهو المشكل الذي لم تجعلها تنال مجال العلوم؛ لأنّ نظرتنا لها كانت نظرة خارجيّة من منطق التّحقير أو مرجعيّة اللغات الأخرى. وبسبب هذه النّظرة تتحوّل المسألة السّهلة إلى مشكلة لغويّة عقّدت أمر الاستعمال وغيّبت الجانب العملي الذي يعمل على تطويرها.

1ــ العربيّة أمّ اللغات: أو لغة كونيّة، وهذه دلالة عدم انقراضها، ولا تصاب بكوليرا اللغات في لاحق من الزّمان لما لها من خصائص ذاتيّة تجعلها تنال مواقع دائماً. وأثبتت دراسات الشّيفرات اللغويّة، وعلماء اللغة الكونيّ أنّ العربيّة في جيناتها أسرار لا توجد في اللغات الأخرى، وتبعاً لخريطة الجينوم اللغويّ؛ فإنّ **اللغة العربيّة هي أمّ اللغات**، وهي اللغة الوحيدة المرجع لكلّ لغات الأرض، وعليها تُقاس. فإذا "أراد عالمٌ من علماء اللغة دراسة حيويّة لغة ما وعمرها واحتماليّة حياتها لمدّة زمنيّة أطول أو قرب موتها واندثارها، كان في أصوات أبجديّتها باءً عربية أو راءً عربية أوقافًا عربية أو حتى سينٍ عربيّة، فإن وجدوا في أبجديتها هذه الأصوات أو بعضها، توقّعوا لها طول العمر وبقائها حيّة لمدّة زمنيّة أطول من غيرها التي لا تحتوي على تلك الأصوات" وذهب هؤلاء العلماء إلى أكثر من ذلك باعتمادهم على القرآن الكريم ككتاب فيه اللغة العربيّة خالية من الشّوائب ليصبح المرجع الأساس في دراسة اللغات، حتى أنّك تجد لدى كلّ باحث في علم اللغة الكونيّ في جامعة لندن مصحفاً يستعمله في أبحاثه". وتأمّل أنّ اللغة العربيّة لغة غنيّة في مفرداتها ومعانيها ومضامينها التّعبيريّة فهي تحتوي على 12 مليونا و302912 ألفًا كلمة، حسب الدكتور منهد عبد الرزّاق الفلوجي صاحب معم الفردوس وهو معجم إنكليزيّ عربيّ الذي صنّف فيه أكثر من ثلاثة آلاف جذر لغويّ استخرج منها أكثر من 25 ألفًا من الكلمات الانكليزية ذات أصل عربيّ وتمّ له ذلك من خلال ضبطها وتشابهها الصّوتي، ودراسة معانيها وشكل حروفها وسياقها واستخدامها النّحويّ، في حين أنّ اللغة الرّوسيّة مثلا لا تحتوي على

أكثر من 130 ألف كلمة وهي لغة شحيحة المفردات تماماً، بينما اللغة الفرنسيّة مثلا تحتوي على 150 ألف كلمة تقريبا، واللغة الانكليزية التي تفاخر بعالميتها عدد كلماتها تحتوي ما بين 400 ألف و600 ألف كلمة. وهذه الغزارة في المفردات العربيّة تشير بشكل دقيق إلى أنّ هناك مئات الآلاف بل ملايين من الكلمات العربيّة التي لا يوجد لها ما يرادفها في أيّة لغة أخرى على الأرض. وتعتبر اللغة العربيّة اللغة الوحيدة من بين لغات الأرض التي بها ميزة أن يكون لمسمّى واحد أوّل لفظة ومفردة أكثر من كلمة فلو عدنا إلى كتاب (الرّوض المسلوف، في ما له اسمان إلى ألوف) لكاتبه العلامة الفيروزآبادي، لوجدنا أنّ للأسد ما يزيد عن ألف اسم وللكلب ما يزيد عن 70 اسما وللأفعى ما يزيد عن 200 اسم، وكلمة داهيّة مثلا لها 400 اسم حتى قيل إنّ كثرة أسماء الدّاهية من الدّواهي. وهذا الغِنى جعل علماء اللغة الذين تابعوا المكتشفات الأثريّة لمخطوطات اللغات السّامية كالكنعانيّة والآراميّة والسّريانية والعبريّة والمؤابيّة والأكاديّة والبابليّة والأشوريّة والسّومريّة والسّيناويّة والحبشيّة، يعتمدون على المعاجم العربيّة لفكّ رموزها وترجمتها وقراءتها، وعلى ذلك اعتمد مثلاً مترجمو (ملحمة جلجامش) إلى العربيّة من الآكاديّة التي تشبه بمفهومها اللفظيّ والصّوتيّ اللغة العربيّة. كما لا يمكن نكران مقام العربيّة في فترة العصر الذّهبيّ الإسلاميّ في الأندلس وأصبحت لمدّة طويلة من الزّمن لغة العلم الأولى على مستوى العالم، وقد دوّنت بها الكتب والمخطوطات العلميّة، واهتمّ بها الدّارسون والباحثون. وبرغم الإنكار الذي يمارسه البعض على لغتنا العربيّة حظيت بمقام اللغة العالميّة من بين ستّ (6) لغات اعترفت بها الأمم المتّحدة في سنة 1973م واعتبرتها لغات عالميّة حيّة؛ لأنّها لغة القرآن، والقرآن كلام الله، ووعدنا الله بحفظه. ونعتقد جازمين أنّ اللغة العربيّة باقية وستعود لسؤددها وريادتها لتكون من جديد لغة كونيّة، ولغة العلم بامتياز.

2ــ عالميّة العربيّة: إنّ العربيّة بما تملك من منطق وثراء ومعجم ونظام صوتيّ واستعمال من النّخبة، وقرب دوارجها من معيارها... أهّلها لتكون لغة الحضارة منذ القدم، فلم تتلاشى ولم تتقرض، وكتب لها الزمان البقاء رغم عوارض الظروف. تعدّ

العربيّة اللغة الأمّ واللغة الوطنيّة باعتبارها مستخدمة بشكل واسع في التّواصل اليوميّ وينظر إليها كرمز للأصالة، باعتبارها تربط الحاضر بالماضي، وهي في تعايش مع اللغات النّاشرة Langues Véhiculaires ولها العديد من الممارسات الاجتماعيّة حسب المقامات التي تكون فيها. إنّ العربيّة لم تفرض نفسها سنة 1973م بمالها ولا بما تملك من مستعمرات، ولا بعدد النّاطقين بها، ولا بما يصنع بها... بل فرضت نفسها لغة عالميّة بتاريخها وحضارتها وقدمها وانتشارها، وبما تملك من دين أعطاها زخماً لا ينتهي فحملت الإعجاز الذي أمدّها بالرّوح الذي لا ينفد.

3ــ العربيّة الفصحى وقانون المعيار: يطعن البعض في قانون المعيار الذي تحتكم إليه العربيّة وكأنّه خاصيّة العربيّة دون غيرها من اللغات، ونحن نعلم أنّه لا توجد لغة دون قانون ومعيار ولكن من يطعن في هذا يرى أنّها تعيش المضايقات في التّواصل اليوميّ بسبب عائق المعيار الذي يستدعي نمطاً عاليَ المستوى، وهو نمط مفتقد في محيطنا اليوميّ، بسبب طغيان النّمط الدّارج العفويّ، وهو أمر طبيعيّ؛ لأنّه مستوى لغويّ محيطيّ/ عاميّ وهو مقبول في مقامات. ولكن ما يجب أن نعلمه أنّ الدّوارج/ المحكيات ليست لغةَ أيّة دولةٍ عربيةٍ بعينها، خلافاً للعربيّة الفصحى لغةِ الأمّةِ العربيّة. فالدّارجة/ المحكية عموماً لهجةُ منطقةٍ أو إقليمٍ وأحيانًا لهجةُ مدينةٍ أو قرية. وقد تختلف بين شمال القُطرِ المعني وجنوبِه وبين شرقه وغربه ووسطه، كما قد تتطابق مع لهجةِ المناطق المُحاذيةِ للدول المجاورة.

لست هنا في صدد الحديث عن إلغاء الدّوارج، بل هي صيرورة نفعيّة سريعة مطلوبة في مقاماتها؛ فهي لغات لها متلاغيها، ولها إبداع، وتستجيب لحاجات التّواصل اليوميّ، والتّعبير عن تفاصيلِ الحياة اليوميّة ووجدانِ النّاس وخلجاتهم وهي أكثر عفويّة. ولكن يجب أن نعلم أنّ هذه اللغات/ الدّوارج ليست لغة الدّول العربيّة مجتمعة ولا يمكن التّفاهم بها، كما لا نجدها لغة الرّواية/ الشّعر العالّي وما هي من الخطاب الرّفيع الذي يسترق السّمع. وما يجب علمه كذلك أنّ العربيّة المعياريّة ليست لغة نخبة دينيّة كاللاتينيّة التي كانت منقطعة عن حياة النّاس منذ العصر الوسيط. وإنّ العربيّة

لغة الدين والدنيا بالفعل، وهي المعياريّة أو المسماة بالفصحى، هي لغةُ الدولِ العربيّة الرّسميّة. إنّها لغةُ مناهجِ التّعليم والقوانينِ والتّشريعاتِ والقضاءِ والإعلامِ والمداولاتِ العموميّة. وهي فضاءُ التّقاطعِ القائم حاليًّا بين الدّول العربيّة، وحتى بين بعض الجماعات الإثنيّة. اللغةُ العربيّة المعياريّة ليست عالمَ إشاراتٍ من الدّلالات والمجاز والاستعارات قائماً في ذاته منفصلاً عن مجرى الحياة. إنّها كائنٌ حيٌّ تمتدّ جذورُه إلى لغاتٍ دارجةٍ ومحكيةٍ قديمة، وقد أصبحت معياريةً في تفاعلٍ مع الزّمان والمكان عبر التّطوّرات التّاريخيّة. ولكن يجب كشف الحقيقة أن الدّوارج لغاتٍ أخرى كما يدّعي البعض فليس صحيحاً أنّ العربيَ يدرسُ في المدرسةِ لغةً ثانيةً هي العربيّة الفصحى المختلفة جذريًا عن لغته المحكيّة، ألا وهي اللغة الأمّ. فالأطفال في أيّة دولةٍ في العالم يدرسون قواعدَ اللغة في المدرسة وليس في البيت. والعاميّة في جوهرها تحريفٌ للغة المعياريّة صوتيّاً وصرفيّاً، وأحياناً دلالياً. وغالبيةُ مفرداتِ العربيّة المحكيّة هي عربيةٌ صحيحة، أو هي لغةٌ فصحى غير مُعْربة. ومع انتشار التّعليم وتطوّر وسائل الإعلام وبرامج الأطفال وغيرها، أصبحت لهجاتُ العربِ من المحيط إلى الخليج أكثرَ قرباً من العربيّة الفصحى، وأصبحت هي بدورها أكثرَ قرباً من حياة النّاس اليوميّة.

إنّ العربيّة المعياريّة هي المخزون الحقيقي لمدوّنة العرب، وإنّ غناها يكمن في غنى مخزونِها المفرداتي، وفي تنوّعِ تراكيبها وأساليبها التّعبيريّة، وفي قدرتها التّوليديّة للدلالات والمجاز والاستعارات، وفي مرونتها الصّرفيةِ وآلياتِ الاشتقاق وذلك من قبيل تفعيل الأسماء والتّجريد من الأفعال، وعدم التّحرّج من جمع الكلمات ودمجها للتّعبير عن معانٍ جديدة . كما يكمن غنى اللغةِ المعياريّة في قدرتها على استيعاب تطوّرات الحياة، والانفتاح على ترجمة وتعريب أو استقبالِ تعبيراتٍ لغوية عن أفكارٍ جديدة، ومكتشفاتٍ علمية، وتقنياتٍ وتجاربَ إنسانيةٍ جديدةٍ سبقت العربيّة لغاتٌ أخرى إلى التّعبير عنها، أو تفاعلات إنسانيّة مع الحداثة قد تجدُ طريقها بداية إلى اللغة العربيّة المحكيّة. وبتلك المعياريّة جاءتنا علوم الشّريعة وعلم الكلام والتّصوّف والمنطق والجبر والهندسة والحساب والتّاريخ والجغرافيا والطبّ والصّيدلة وغيرها من العلوم، وكان

كلّ ذلك لساناً لأقوام العرب وغيرهم في أصقاع المعمورة، وتسرّبت إلى لغات أخرى قديمة وحديثة، اقترضت منها وتفاعلت معها قديماً وحديثاً، ونبضت بتاريخنا في السّلم والحرب، وفي الاستعمار والاستقلال، وفي الانتصار والانكسار .

4ــ اللغة العربيّة والانسجام الجمعيّ: ما من أمّة تخرقها التّعدّديّة اللغويّة الرّسميّة إلاّ وتجدها تعيش نخراً في مجتمعها، ولا يعني هذا إقصاء التّكلّمات اللغويّة وهي موجودة في كلّ المجتمعات ولكنّ ذلك لا يؤدّي إلى الخلاف الإلغائي لمجموعة لغويّة ما دام هناك لغة مشتركة تجمع الاختلافات والتّأديات، إضافة إلى عدم النّظر إلى التّسوية الحقيقة التّامّة بين لغات الوطن الواحد، وهذا غير موجود في أيّة منطقة في العالم، فاللغة يُنظر إلى وظيفتها العامّة التي تؤدّيها في المجتمع وإلى اعتماد قانون لغة الغالبيّة العدديّة للسّكان كلغة رسميّة، وهي تتنزّل في المرتبة الأولى، وأما اللغة الثّانيّة تتنزّل بقانون يقرب إلى الأغلبيّة لغة رسميّة ثانيّة وبقانون حروف لغة الغالبيّة المطلقة وكذلك اعتماد المبدأ المرن في إعطاء الأقليات حقها اللغويّ.

إنّ اللغة الرّسميّة تعود إلى أوضاع البلد، وإلى المرجعيات والخيارات الوطنّية لكلّ الأمم فالرّسميّة تابعة لخطاب الدّولة لا للرّقعة الجغرافيّة، ومن هنا نجد بعض الدّول تعتمد قانون التّضارب الوطنيّ باتّخاذ لغة العدو بالأمس، وهي عبارة عن تسوية قد تكون مؤقّتة؛ لأنّ المطالب الهوياتيّة تكون اللغة الأمّ رقم1، والتّاريخ المشترك رقم2 وهذا ما تجسّد في السّنغال ومالي؛ باتّخاذهم الفرنسيّة حلاً للمشكل وفي الموزمبيق اتّخذوا البرتغاليّة حلاً، وفي كينيا والهند الإنكليزيّة؛ وهي تدخل في دول ذات النّظم المختلفة، وهي تسوية رضيَت بها شعوبها اتقاءً للفتن. كما نجد الفرنسيّة لغة رسميّة في غير بلادها ونجد الصّربية لغة رسميّة في منطقة فويغودينا ذات الأغلبيّة الهنغاريّة والتّركية رسميّة في منطقة شرقيّ تركيا؛ حيث تقطن أغلبيّة كرديّة، والفارسيّة رسميّة في لورستان والإسپانيّة رسميّة في ولاية أوكساسا الاتّحاديّة المكسيكيّة؛ حيث غالبية الهنود أمريكيين... هو خيار رأته تلك الشّعوب ولكن الانسجام الجمعيّ لا يسود إلاّ باللغة المشتركة، وهذا ما تجسّد في كوبا+ الأورغواي+ كوريا الشّماليّة فنجد شعوبها

تعيش انسجاماً لغوياً؛ لأنّها تجمعها لغة واحدة، وكذلك المالديف+ جزر مارشال+ جزر مدواي+ جزر ويك، ونجد لجان الاتّحاد الأوربيّ تستخدم تسع (9) لغات ذات مرتبة رسميّة وهذا منذ 1995 وهناك 11 لغة رسميّة في هذا الاتّحاد. والمهمّ في الأمر أنّ التّطبيق العمليّ للسياسة اللغويّة يستدعي الخلط بين الأنظمة الممثّلة للتطرّف بربط بعضها، وهذا بدوافع برغماتيّة لخدمة السّلم الاجتماعيّ للمجموعات مختلفة اللغات من أبناء الشّعب الواحد؛ حيث يصبح المبدأ الإقليميّ مقرّراً لعمليّة التّوصّل إلى توازن عادل وممكن. وخلاصة القول **إنّ الانسجام الجمعي لا يحصل إلاّ باللغات الوطنيّة التي تعمل على زيادة اللحمة الوطنيّة.**

5ــ اللغة الوطنيّة المشتركة والتّنمية البشريّة: في العادة بأنّ اللغة المشتركة هي التي تعمل على التّنميّة البشريّة؛ حيث إنّ القمّة على اتّصال بالقاعدة، والعكس يصحّ من خلال لغة مشتركة وتسمى **لغة الأمّة**. ومفهوم كلمة (الأمّة) يعني بها ذلك الكيان الأوسع والشّامل في الانتماء الحضاريّ والثّقافيّ المشترك. وهكذا فالعربيّة مجال مشترك ومثال يحتذى؛ فهي الوحيدة التي يأتي عليها مصطلح **(اللّغة الأمّ+ لغة الأمّة)** بحكم أنّها لغة الأمّ والأمّة لا تُعامل معاملة اللّغات الأخرى، فلها التّفضيل؛ لما لها من قاسم مشترك، ولا بدّ أنّ الجانب السّياسيّ يُغلِّبها على اللّغات الوطنيّة واللّغات الأجنبيّة وهذا يستدعي تدبيراً عقلانياً يراعي التّعدّد اللغويّ بحسب المقام والذي يحافظ على التّماسك والتّعايش. ومع ذلك فنجد أحياناً بعض الفئات تطرح أسئلة الهُويّة والخصوصيات اللغويّة والثّقافيّة والحضاريّة والقوميّة والرّوحيّة، فهنا نرى اللّغة الأمّ– لغة الأمّة تأتي في صدارة تلك الأسئلة. ففي واقعنا الجزائريّ هناك لغة مشتركة في التّفاهم بين مُكوّنات الأمّة بمختلف أداءاتها اللغويّة والوظيفيّة ولكن نطرح هنا سؤال التّنميّة الشّاملة، فهل التّنميّة الكاملة المتكاملة تأتي من اللغات المحليّة أو من اللغات الأجنبيّة؟ إنّ التّنميّة الشّاملة تأتي بنفع عامّ لا شكّ في ذلك، وتفضي إلى تنميّة القدرات الذّهنيّة، والرّفع من المستوى التّعليميّ والخبرة والثّقافة والوعي، بل إلى زرع الثّقة بين المسؤول والمسؤول عليه، بين الرّاعي والرّعيّة، بين المسيّر والخادم، ليحصل المزج

الكلّي بين العقول التي تفكّر وتخطّط وبين السّواعد التي تبني وتعمل. وهكذا، لا يمكن أن تحصل التّنميّة البشريّة في غياب التّواصل البينيّ الذي لا يكون إلاّ بلغة مشتركة وهذا ما نلمسه بين المريض والطّبيب، فغياب التّواصل اللغويّ يزيد من عقدة المرض وإذا حصل التّواصل البينيّ يحصل نصف الشّفاء. ولذا فنروم أن تكون اللغة المشتركة ركيزة أساساً في التّنميّة الجمعيّة، والتي تعتمد: الرّأسمال البشريّ+ الرّأسمال المعرفيّ+ توطين المعرفة[1]. وتوطين المعرفة باللغة المشتركة عامل قويّ لمزيد من الإنتاج وبذلك تساوي العربيّة لغة التّنميّة.

ينمو الرأسمال المعرفيّ بقدر نمو الثّقافة الجامعة، والوعي الجمعيّ، ولا تحقّقه إلاّ اللّغة الوطنيّة المشتركة القادرة على تعميم التّعليم، وإنتاج المعرفة ونقلها وتبسيطها وتوطينها وتعميق جذورها في المجتمع؛ لأنّ المعرفة لا تستورد كلّها، بل يمكن استيراد بعضها، وما دام أنّه يستورد بعضها فإنّه عالة على الآخرين أو في حكم غير الموجود فالمعرفة تُستنبت في بيئتها وفي عقول أبنائه بلغتهم المشتركة لأنّ استيراد المعرفة مُكْلِفة جداً، ثمّ هي متطوّرة دائماً، فما هي المعرفة التي تُستورد؟ وكذلك فإنّ استيراد المعرفة يمكن أن تحصل بصورة سطحيّة، وما هو ليس متجذراً يكون سهل الاقتلاع والزّوال؛ بمعنى توسيع تلك اللّغة في وطنك على حساب اللغات الوطنيّة؛ ويعني ذلك تبعية لغويّة، كما يعني خلق نخبة وفئة تتقن اللغاتِ الأجنبيّةَ وتعتمد فقط على الأجنبيّة.

إنّ استيراد المعرفة يكمن في خطرين: **خطر** التّماهي مع لغة واحدة تأخذ منها ويدخل هذا في الاستعمار اللغويّ. و**خطر** الأخذ من كلّ اللّغات (العلم يوجد في كثير من اللغات، فأيّة لغة يؤخذ منها؟) وهنا يحدث الانشطار او الانفصام الشّخصيّ للمجتمع الذي يستورد المعرفة، والطّريق الأمثل هنا هو نقل المعرفة إلى اللغة الوطنية المشتركة؛ بتكثيف حركة التّرجمة وفق برامج مخطّطة تواكب حركة الإنتاج المعرفيّ والرّقع من عدد البعثات، وهضم المعرفة العلميّة بلغاتها الأصل ثمّ ترجمتها وصدق بيرم التّونسي الذي قال: "إذا علّمتَ شخصاً بلغته نقلت العلم إلى تلك اللّغة، أما إذا علّمته بلغة أخرى فلم تزد على أنّك نقلت ذلك الشّخص إليها". وإنّه ليس هناك من

وسيلة لتعميم المعرفة وتطوير سلوك المجتمع إلاّ استعمال اللغة الوطنيّة المشتركة حيث التّنميّة بعمومها لا تحصل إلاّ بتماسك اجتماعيّ، والمجتمع المنسجم لغوياً هو الأقوى، وغير المنسجم يصبح منحلاً ويساعد على خلق جوّ من التّبعيّة، بل ومن الشّرخ الجمعيّ الذي يؤدّي إلى ما لا تحمد عقباه وهذا بسبب غياب الانسجام الفكريّ والثقافيّ والسياسيّ بين المجتمع. وكلّما حدث انسجام وتناغم بين النّاس ازداد تحقيقُ التّنميّة والوحدة اللغويّة، وارتفعت نسبة الانسجام الجمعيّ. ولهذا فإنّ اختيار اللغة الرّسميّة للوطن تراعى فيه مجموعة من الشّروط التي لا تُحدِث الخلل في المجتمع ولا تُنزل اللغات الوطنيّة منزلة واحدة، فلكلّ لغة حمولة وثقافة وإرث وتراث وحضارة، فيقع الاختيار بين أثقل اللغات الوطنيّة، ولا يمكن التّسوية التامّة بين اللغات الوطنيّة، فإذا قبلنا بهذا؛ فإنّنا لا نقيم فرقاً بين **البعوضة والفيل**، أو نروّج لديماغوجيّة عمياء بعيدة عن الواقع. ويجب التّأكيد بأنّ اللغات الوطنيّة ليست على درجة واحدة من الكفاءة والتّجربة، وبالتّالي ليست كلّ اللغات الوطنيّة صالحة للقيام بكلّ الوظائف وإذا كان ذلك كذلك، فلماذا يتسابق النّاس لتعلّم لغة دون أخرى، ولهذا فإنّ اختيار اللغة الرّسميّة للوطن لا تؤخذ هكذا بل هناك مبرّرات تأخذها الشّعوب، وهي:

1ــ أن تكون اللّغة الأكثر انتشاراً من حيث الاستعمال والأكثر تجذّراً في وجدان المجتمع.

2ــ أن تكون حاملة للمعرفة أو مؤهّلة لذلك أكثر من غيرها.

3ــ أن تكون ذات حمولة ثقافيّة ورمزيّة وتاريخيّة وحضاريّة عميقة، وتجربة طويلة.

4ــ أن تكون الأكثر من بين اللغات المستعملة قدرة على مواجهة اللغات الأجنبيّة والوقوف في مواجهتها نِداً للنِّد، وذلك حتى لا يسهل افتراسها والقضاء عليها، كما حدث لعدد من اللغات الصّغرى في أفريقيا وغيرها من البلاد حين عجزت تلك اللغات عن الصّمود في وجه لغات الاحتلال من مثل الفرنسيّة والإنكليزيّة، فانتهت إلى الخضوع التامّ والاستسلام الكامل.

5ــ أن تكون صالحة للتّواصل بين أكبر عدد ممكن من أبناء الشّعوب العربيّة الإسلاميّة؛ لأنّ كلّ بلد عربيّ هو جزء لا يتجزّأ ماضياً وحاضراً ومستقبلاً من هذه الأمّة.

6ــ أن تكون صالحة للاستعمال في التّعليم والإدارة والاقتصاد والإعلام، وكلّ مرافق الحياة العامّة والخاصّة.

7ــ أن تكون مُؤهّلة للاستعمال لتستعمل في توطين المعرفة وإنتاجها وتوليدها.

8ــ أن تكون بمثابة الأمّ الحاضنة للجميع والبيت المشترك الذي يسكنه الجميع وكأنّهم أفراد أسرة واحدة متضامنة، ويتساوى فيه الجميع دون إحساس أحد منهم بالتّهميش أو النّقص أو الإبعاد. ومن المأثور عن الفيلسوف الألماني (مارتن هيدجر) أنّه كان يقول: اللّغة هي بيت الإنسان الذي يأوي إليه ويقيم فيه[2]". مرّة ومراراً أقول: إنّ اللغة الوطنية المشتركة هي البيت المشترك، فلها مقامها ووظائفها التي تقوم بها وكان علينا صونها والعمل على حمايتها بكلّ ما أوتينا من جهد وقوانين. وأما اللغات الأجنبيّة نحتاجها عند الضّرورة، ونلجأ إليها في ربط المجتمع بالعالم الخارجيّ لمواكبة التّطوّر ومعرفة الحاجات الملحّة والإفادة منها، شرط أن تتمّ إعادة إنتاج ما يستفاد من اللغات الأجنبيّة إلى اللغات الوطنيّة بإعادة التّعبير عنها باللغة الجامعة. ونقول: بأنّ التّنميّة الشّاملة تكون باللغات الوطنيّة، **ولم يثبت عن أمّة في العالم ارتقت بغير لغاتها الوطنيّة.**

6ــ العربيّة أمن سياسيّ لبلادنا: إنّ الأمن في الإسلام مطلب شرعيّ وحياتيّ ويجب أن يعمّ الجميع ما داموا مسالمين، وقد ورد ذكره في القرآن أكثر من 400 مرة بمختلف مشتقاته. وغاية الرسالات السّماوية كلّها هي إقامة الأمن والسّلام الاجتماعيّ بين بني الإنسان. وقد ذكر رسول الله ﷺ هذا المعنى بقول: "المسلم من سلِم المسلمون من **لسانه** ويده، والمؤمن من أمّنه الناس على دمائهم وأموالهم" متّفق عليه. ولقد أصبح الأمن الهاجس الأوّل لكثير من الدّول، ونريده أن يخرج من مفهومه العسكريّ؛ ويكون مفهوماً اجتماعياً يشتمل على جوانب متعدّدة: علميّة وتربويّة ولغويّة وتنمويّة، فضلاً

عن المعدّات العسكريّة، نريده أمناً غذائياً ومائياً وحدودياً، نريده أمناً يحفظ لمجتمعنا أمنه في تلبيّة حاجاته اليوميّة، ويحافظ على ثقافته وتراثه وتحقيق العدالة الاجتماعيّة نريد أمناً يجمع بين الأمن الاقتصاديّ والثقافيّ والعسكريّ. ولا يمكن للمؤسّسات العسكريّة أن تكون آمنة في غياب الأمن اللغويّ، ونعني به تلك اللغة التي تتواصل بها المؤسّسات في إطار البحث عن ممارسة التّحديث التّوافقيّ الاجتماعيّ الثّقافيّ، كما لا يكون التّحديث السّياسيّ مجدياً إلاّ بتوطين المشروع اللغويّ في إطار جلد الذات، عن طريق عمليات التّحسين وإيقاظ الضمائر وحفز الهمم في مسألة الهويّة اللغويّة. ولا بدّ من الحسم فيها بدل التّردّد في اتّخاذ خيار يتيح الانخراط في الدولة الحديثة بلغات أجنبيّة. ونحن ندعو المشتغلين بالبحث العلميّ إلى البحث في مجالات التوجه اللغويّ الوطنيّ الديمقراطيّ، واقتراح الوقائع والإجراءات تخطيط سياسة لغويّة وطنيّة خارج الجدل وخارج فصل الدين عن الدولة، وخارج أفكار الخلاف. ولذا، على الباحث السّياسيّ أن ينظر للمسألة اللغويّة نظرة استقرار ورفاهيّة، وديمومة الحياة، وأن يحمل هذا الهم "ويبذل الجهد الإضافيّ لحلّ الكثير من العقد التي نحملها ضد بعضنا البعض ولا نعمل على التّماهي مع الآخرين، أو اعتماد نماذجهم؛ لأنّ لكلّ بيئة خصوصيّة ما أنّ لكلّ نفس خصوصيّة.

7ــ الظواهر المهدّدة للأمن السّياسي+ مهدّدات للأمن اللغويّ: يمكن الإشارة في هذا المجال إلى التّكامل بين السّياسة واللغة، ولكي لا نقع في ثقافة الفراغ، لا بدّ من تشغيل وتفعيل المؤسّسات ونبذ الخطاب الشّعبويّ، والخروج من ثقافة الخلاف؛ لأنّه مصدر التّعصّب والجهل وعدم الدّليل ونتيجته الفشل والاقتتال، لكن يجب ملامسة ثقافة الاختلاف، ومن مبادئها الودّ والمحبّة وتغذية الأخوة؛ لأنّ الاختلاف يدخل في دائرة الحوار والكلام والاستماع للآخر؛ لأنّ الأصل في الكلام هو الحوار، والحوار أصل الاختلاف، والاختلاف يدخل في الآراء الاجتهاديّة، ويدخل في باب البرهان والدّليل وهذا كلّه يعني لا إقصاء للغات المحليّة، ولا الاستغناء عن اللغات الأجنبيّة، ولكن في

إطار المنفعة المؤدّية إلى الحفاظ على تناسق المجتمع في إطار مفهوم الاختلاف للتّعايش والتّسامح والوصول إلى نتيجة واحدة من أبواب مختلفة.

وفي مسألة اللغة؛ فإنّ المقاصد واضحة، ومن بينها التّدافع نحو لغة الجماعة بدل لغة المجموعة التّدافع في من يقدّم الأفضل، ومن يكون الأحسن، التّدافع في حسن التصرّف والتّفكير في الشّيء برؤية وتأمّل، وهذا التّفكير يقتضي النّظر في الأسباب ومن ثمّ اتخاذ تدابير واحتياطات لازمة لعدم الانزلاق والانحراف نحو تدمير الشيء[3]". وآليات التّدبير اللغويّ هو اعتماد فقه الاختلاف وإدارة الاختلاف وفقه الائتلاف، ورفع المُلام عن أعلامها ودفعهم نحو الإجماع والإنصاف في ما يخدم الشّأن اللغويّ العامّ. وبحسن إدارة ثقافة الاختلاف تنتفي الظّواهر المهدّدة للأمن السّياسيّ فيحصل الأمن اللغويّ بقوّة ناعمة، لا تحتاج إلى خطاب وعظ، بل يلازمها خطاب وعي قائم على التّماهي في الهويّة في مفهوم نظام الأمّة وهيبتها وقوّتها.

8ـ الاستعمار اللغويّ: سيكون حديثنا عن تلك الذّهنيات التي لحقتنا نتيجة الاستعمار اللغويّ المقيت الذي حاربنا في لغاتنا، فما تزال بعض الذّهنيات تابعة للانجذاب اللغويّ، ولا تنظر إلاّ من زاوية لغة فرنسيّة واحدة؛ فكأنّ العالم مختصر فيها، ولا يبقى إلاّ بها. ولذلك افتقدنا القدرة على أن نكون نحن، ولبسنا لباس الغير علّنا نكون، وهو بخس ذاتي، فنسعى بقوانا للانفصال الذي أوصى لنا به الكولون ونفضّل الهجرة والاهتجار؛ لأنّ الغير أغرانا، فنركب بواخر الموت لتنقلنا إلى الضّفة الأخرى والآخر يسحرنا، ونستأجر لغته ونترجّاه أن يقبل، فأصبح الأجنبيّ يُملي ما يُريد ونقبل دون مناقشة ما يُريد، ولا نرى إلاّ بعين الآخر. فحصلت أزمة في المواطنة اللغويّة فالأزمة أزمة ألسن، وأزمة الفرنسيّة المعبودة، فكيف نتدبّر الأمر؟ نتدبّر الأمر عندما نخرج من حالات العنف اللغويّ، باستصغار اللغات الوطنيّة، ونعلم أنّ العربيّة رأسمال الجزائريين، فلا تأهيل لهم بدون تأهيلها والنّهوض بها وبمكانة ألسن الهويّة، إضافة إلى تملّك اللغات والثّقافات العالميّة وكان علينا العمل على تجديد منتها وتطوير أدوات البحث والتّعليم، والنّهوض بمكوّناتها، ولا بدّ من تثمين الذّات العاملة على المتون

اللغويّة والعمل على التّرجمة، وتوفير الدّعم السّياسيّ؛ لأنّ الدّعم المجتمعيّ ثابت وكائن. لا يمكن الخروج من الاستعمار اللغويّ إذا لم نعِ قول ابن حزم الأندلسي: "إنّما يفيد للغة الأمّة وعلومَها وأخبارها قوّة دولها ونشاطُ أهلها. وإنّ اللغة يسقط أكثرها بسقوط أهلها ودخول غيرهم عليهم" ولم نتمثّل قول هومبلوت Humblodt "اللغة هي لهجة لها جيش وبحرية La langue est un dialecte avec armée et une marine". نريد الخروج من الاستعمار اللغويّ على اعتبار أنّه استعمار ثقافيّ يتركك دون امتلاك المعارف إلاّ عن طريق لغة وسيط وهي لغته التي لا يعطيك إلاّ ما تجاوزه الوقت. نريد أن نعلم جميعاً بضرورة تجاوز السّيادة المنقوصة التي أضرّت بالعربيّة وهي مهمّشة ولا يحقّ لها اقتحام العلوم. هو عنف فرنكفونيّ يريد إخضاعنا لمنطق لغته فقط، وهذا نوع من التّجريد من المواطنة، وبذلك يجرّد النّاس من لغتهم ويهدم ثقافتهم هو استعمار نزع أملاك النّاس، وربّما لا ندري الفرق بين الفرنسيّة كلغة، والفرنكفونيّة كحركة أو إيديولوجيّة تسعى لتحقيق مصالح استعماريّة وتوسعيّة ثقافيّة واقتصاديّة، بغرض الإلحاق والسّيطرة والتّمكين للفرنسيّة في غير موطنها ومحاربة اللغات المنافسة لها. الفرنكفونيّة تنظيم سياسيّ تشترك فيه عدّة دول ناطقة بالفرنسيّة ألفت بينها رابطة لتحقيق مصالح مشتركة، وهي منظّمة تضرب جذورها في أعماق طبيعة الاستعمار الفرنسيّ قبل أن تستنزف خيرات الشّعوب. نريد الخروج من الاستعمار اللغويّ لتحقيق مواطنة لغويّة في إطار لغات الهويّة التي تعطي لنا القيمة والنّديّة.

متى نعلم أنّ الفرنسيّة تفقد إشعاعها تدريجيّاً أمام عولمة لغوية متوحشّة، وهذا ما يهدّد بقاءها خلال هذا القرن، متى نعلم أنّ الشّعب الذي يملك مفتاح سجنه هو من يتحكّم في لغته أمام مستعمره متى نعلم أنّ دوگول/ De Gaulle قال: "إنّ الفرنسيّة اخترقت الشّعوب العربيّة وغير العربيّة فحقّقت أكثر ما حقّقته الجيوش". متى نعلم أنّ بقاء الأمّة مرهون بامتلاك لغتهم، متى نعلم أنّ الوضع اللغويّ المعاصر لا يعكس إلاّ السّقوط بسبب سقوط أهل اللّغة العربيّة في أماكنهم أو تنقّلهم من ديارهم واختلاطهم

بغيرهم. وإنّ الوضع اللغويّ المعاصر لا يتمشى ومبادئ العدالة اللغويّة القائمة على النّظام اللغويّ التّرابيّ ولا على النّظام التّراتبيّ، وما قام على استثمار النّهوض باللّغة العربيّة وانتشارها في تطوير أبعاد العدالة اللغويّة. متى نعلم أنّ قيمة الدّولة من هيبة الدّولة، وهيبة الدّولة في دولة المركز. متى نعلم عندما نستعيد قوّة الدّولة أيام عبد الملك بن مروان الذي جمع بين العصبيّة العربيّة والمال العربيّ والقرار السّياديّ. متى نعلم أنّ غلبة تصنع القرار اللغويّ/ السّياسيّ متى نعلم أنّ غلبة الدّول العربيّة يكون بالسّيادة والاقتصاد والإنتاج والتّبادل والتّنمية والرّأسمال فنتكلم عن الأسواق اللغويّة، وتوفير الخدمات اللغويّة، وتقدير الكلفة اللغويّة لتعميم اللّغة أو للتّخطيط أو للتّرجمة. واللّغة كلّما استعملت ارتفعت فوائدها وزادت هيبتها وقلّت كلفتها... وإنّه لم يعد مقبولاً لا أخلاقياً أو سياسياً أن تترك الدّولة لغتها وشأنها، ولم يعد مقبولاً أن ينصّ في الدّساتير العربيّة على ترسيم العربيّة دون التّخطيط والتّشريع والتّغريم، ودون إصدار الأحكام في المنازعات اللغويّة ودون استشارة النّخب الوطنيّة، أليس مهزلة أن يحصل غياب التّخطيط الاستراتيجيّ البعيد المدى الذي يضع السّياسة اللغويّة التي يحميها الشّعب وتعمل النّخبة على تحقيقها وتذود عنها؟

وإنّه من المُؤسف أن نشهد تراجعاً في الاختيارات المستقبليّة، وتفقد وظائفها وتتآكل مقاماتها فليست العربيّة محترمة في بيئاتها وعند متكلّميها، فأهلها ينظرون إليها بالنّقص والازدراء، ويقولون: إنّها لغة غير علميّة، وليست لغة الاقتصاد والمال والشّغل والتّواصل العالميّ، ويقولون: العربيّة الفصحى ليست لغة الفطرة والتّعليم الشّامل والمعرفة والرّقمنة، ولم تعد مستعملة إلاّ في أدبياتها وهي مهمّشة في بيوت ناطقيها فلا ينشأ عليها الطّفل، ولا تنتقل بصورة عفويّة، ولا تلقن تلقيناً صحيحاً.

9ــ الاستثمار في ميدان التّربية والتّعليم: إنّ الشّعوب التي نهضت مُؤخّراً كان شغلُها الأوّل هو الاستثمار في التّربيّة والتّعليم، وهو استثمار في التّنميّة المستديمة لمواجهة تحدّيات تدريس اللّغات الوطنيّة، وكان ذلك ضرورياً ومُستعجلاً، وهذا بربط التّنميّة التّربويّة بالتّكنولوجيّة المعاصرة مع الاحتفاظ بالأصالة في بُعديها الرّوحيّ

والأخلاقيّ، وتعزيز بُعْد اللّغات الوطنيّة التي لا تحصل التّنميّة بدونها وهذا بُغية إعداد مُجتمع متماسك أصيل مُتكيّف مع المُتغيّرات والنّمو المُستمرّ. ولذلك كان تعليمُ اللّغة الوطنية جزءاً من الاستثمار في الرّأسمال البشريّ، ولكي يكون ذلك ناجحاً في العربيّة علينا رفع المُعيقات التّاليّة أولاً:

1ــ تواكُل أهلِها على من يخدمها دون غيرهم.

2ــ ضعف المشاريع، وعدم متابعة تطبيقها إنْ وُجدت.

3ــ عوائق في السّياسة اللّغويّة والتّربويّة.

4ــ رفع النّخبة يدها عن الإسهام في تحسين الوضع الاجتماعيّ.

5ــ عدم تشجيع المبادرات.

6ــ عدم تفتّح العربيّة على الشّركات والأنشطة ذات العلاقة بالمال.

7ــ قبول الهيمنة اللّغويّة من قبل اللّغات الأجنبيّة.

وبعد رفع هذه المُعيقات، علينا استكناه تجارب استثمار الأمم في لغاتها، من مثل: العمل بنظام تقديم المنح للأجانب لتعلّم العربيّة، وضع الطّالب مع الأسرة لمدّة (Emersion linguistique) ليتعلم اللّغة كما هي عند ناطقيها الأصليين وفتح المخابر اللّغويّة بما لها من أدوات حديثة في الدّيداكتيك، وتعليم العربيّة بنظام مُكثّف (مخابر الأصوات) وجعل المتعلّم يتعلّم اللّغة عن طريق النّدية اللّغويّة وإلزام كلّ الشّركات باستعمال اللّغة الأمّ، وإقحام المسجد في هذه المسألة، إلى قناة الأعلام التي تعمل على نشر العربيّة. وكلّ ذلك يتمّ بنظريّة علميّة، وبتخطيط على الآماد الثّلاث بغية استكناه كلّ ما له علاقة بالوعيّ الجمعيّ. ولكي نقوم بإصلاح وضعنا التّربويّ، ونجعله موضع استثمار يحتاج منّا إلى إصلاح الخطاب الثّقافيّ وإلى بناء استراتيجية توحيد الخطاب الثّقافيّ الذي يقوم على هيكلة المعتقدات والتّعاطي مع الغزو الثّقافيّ الخارجيّ. ومن هنا، فإنّه من الضّروريّ بمكان الاهتمام باستخدام اللّغة العربيّة في كلّ التّعاملات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسّياسيّة والفنيّة وفي كلّ المجالات، والعمل على الدّعاية للعربيّة، وكذلك الاهتمام بالفنّون الشّعبيّة سعياً إلى تحقيق نظام جامع مترابط

ومتواصل؛ من أجل تحقيق التّعامل البينيّ واضحاً ومبنياً على قِيَم وأخلاق ومواطنة وتوحيد توجّه الأجهزة الثّقافيّة بعيداً عن الإفراط والتّفريط. ولكي يحصل ذلك كذلك نحتاج إلى نظريّة عربيّة لغويّة تربويّة تعمل على تطوير مفهوم التّعليم؛ ليعود إلى أصالته كرسالة وإلى مفهومه الحقيقيّ لبناء الإنسان بما يجعله قادراً أن يبني ويُعمِّر.

ولنبدأ الاستثمار في **لغة الطفل**، والعبرة في ديننا الحنيف، عندما جعل الرسول ﷺ فداء الأسرى من كفّار قريش بتعليم عشرة (10) أطفال من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، وكان ذلك بدل الفداء بالأموال، بل أعلى ذلك من شأن العربيّة ورخّص من قيمة المال التي تقدّم في الفديّة. ومن هنا نرى أهميّة الاستثمار في تربيّة أطفال اليوم وهم رجال الغدّ، هم ثروة الأمم والشّعوب، ولهذا تُوَجّه إليهم العنايةُ الخاصّة؛ لأنّ قوّة الأمم تُقاس بمدى التّحكّم في الأطفال، ومنحهم درجات الوعي والرّفاهيّة، وقال (بندتو كروتشي) "اذكروا دائماً أنّنا إذا وفّرنا لأطفال الأمّة وشبابها الفرصة لتنميّة قدراتهم وإذا استطعنا أن نقدّم لهم المعرفة الكافيّة التي تمكّنهم من إدراك ما يجري حولهم بكلّ ما فيه من حسنات وسيئات، فقد أوجدنا جيلاً من الشّباب يستطيع أن يقود بلاده نحو مستقبل أفضل فالشّباب هو الحاضر وهو المستقبل، وهو ثروة البلاد التي لا تنضب[4]" فلا شكّ أنّ الاستثمار في الجيل الجديد يمثّل قيمةً رمزيةً وثروةً كبيرةً، وبخاصّة إذا كان ذلك في صالح النّظرة المستقبليّة؛ حيث إنّ مستقبلهم سيعتمد على المعرفة والتّقانة أكثر من اعتمادنا نحن على التعليم التقليدي؛ لذلك يجب على مدارسنا إعداد تلاميذ لهذا المستقبل بشكل جيّد؛ لأنّ قدراتهم العقليّة سوف تُعلِي من القّوة الاقتصاديّة للبلد. ولهذا فإنّ الاهتمام بلغة الطّفل هو استثمار في التّنميّة البشريّة المعاصرة، ونعلم بأنّنا نُعدّ جيلاً جديداً له مُعطياته وتطبيقاته التي يتعامل بها، فهو طفل رقميّ، وسوف يأتي المستقبل باختراعات عجيبة. فكان لا بدّ من الاستعداد لهذه الاختراعات بالتحكّم في برامج المُحاكاة الافتراضيّة، واستخدام التّقانة لتحسين التّعليم؛ كي نضع تجسيراً رقمياً غير متقطّع، ويقع الاستثمار بقوّة في الألعاب اللّغويّة، أو في كتب القصص المبنيّة على الشّخصيات، أو في ألعاب الفيديو التي تخصّهم، أو في الدُّمى التّعليميّة... وكم تعمل كلّ

تلك الوسائل الرّقميّة على إكساب الطّفل لغةً سهلةً جيّدةً؛ حيث تجعله ينغمس في تلك اللّعبة، ويتكلّم مثلما يتكلّم الصّغار الممثّلون "ماذا يمكن للألعاب حقاً أن تعلّمك؟ هناك مثال معروف جيّداً في فنلندا، لقد لاحظ الباحثان أنّ الصّبيان الفنلنديين يتحدّثون الإنكليزية أفضل من البنات الفنلنديات، وسبب هذه الملاحظة التي وثقتها العديد من الدّراسات هي أنّ الصّبيان يلعبون ألعاب فيديو أكثر؛ ولأنّ الألعاب باللّغة الإنكليزية فإنّ اللاعبين أصبح لديهم مفردات أكثر. والنّقطة هنا هي أنّ الصّبيان لم يجلسوا ليتعلّموا الإنكليزية، بل تعلّموها وهم يستمتعون[5]". وإنّي أرى الفرصة ذهبية في الاستثمار في هذا المجال، ومراعاة تلك الابتكارات القادمة خلال الأعوام التي تفاجئنا بالمزيد، كما أنّ التّطبيقات المعاصرة على مستوى الهاتف النقّال Mobile learning apps بما له من تطبيقات التّعلّم والبرمجيات الأخرى التي تتطوّر باستمرار تُمكِّن الأطفال والتلاميذ من اكتساب معارف بيانية؛ تكسبهم التّعامل مع الواقع الافتراضيّ وهم الذين يلعبون ويُبْحِرون بسهولة في هذه الأجهزة التي لا تُفارقهم. ولهذا أرى بأنّ مستقبل التّعليم الرّقميّ ضرورياً، وعلينا الاستثمار في الأبحاث ذات العلاقة بالأعمال المسليّة والتعامل مع الأشياء الحقيقية. وأنوّه بحقّ بتلك الجهود التي يقوم بها (نبيل علي) في البرمجيات العربيّة في معالجة اللّغة العربيّة في التّشكيل الآليّ، وفي الصّرف الآليّ، وفي بناء قواعد البيانات المعجميّة. وكذلك جهود الأستاذ (نهاد الموسى) الذي يسعى إلى نهضة لغويّة، نهضة يستثمر من خلالها في المُستجدات الجديدة الخاصّة بالشباب، وجهود بعض المؤسّسات ذات العلاقة بالبرمجيات التّعليميّة. وما أحوجنا إلى أمثال هؤلاء وإلى أولئك الذين نذروا أنفسهم في خدمة الغرب، وهربوا من مجتمعهم الذي لم ينصفهم، نحن بحاجة إليهم للعودة إلى أوطانهم لخدمته. نحن بحاجة إلى باحثين معلّمين يحملون مفاتيح المعرفة والعلوم، باحثين مختصّين في لغة الأطفال وأدب الأطفال في عصر العولمة.

إنّ النّظرة التّربويّة الحديثة إلى الطّفل يجب أن تكون من باب أنّه منظومة مفتوحة قابلة للتّعلّم والنّمو، ففي داخله كنز مدفون ومهارة ووجدان وقيم، يحتاج إلى مدرّس

ناجح لإخراجها إلى واقع الإبداع. ومن هنا تتبيّن لنا أهميّة إسناد تعليم هذه النّاشئة إلى كفاءات جدّ عالية في العلم وفي التّربيّة مثلما تفعل (كندا) فلا تُوظّف دكتوراً من أعلى طراز في التّعليم الابتدائيّ إلاّ إذا أُخضع للتّجريب التّربويّ ومتطلّبات علم النّفس والممارسة المهنيّة لسنوات، لكن توظّف ذات الدّكتور بسهولة إذا أراد ممارسة التّعليم في الجامعة. ولهذا نحتاج إلى معلّم له ثقافة عربيّة تقوم على العلوم والأخلاق والقيم النّبيلة والأصالة وقبول الآخر. إلى معلّم يُلقّن هذا الجيل أفكار هذا الجيل، إلى معلّم يصنع هذا الشّباب وفق آمالهم ورغباتهم، وذلك ما يجعلنا ندخل مجتمع المعرفة مثل البشر المتقدّم، ونرفع لعنة البلاد المتخلّفة.

وعلينا أن نفيد من فعل هذه الدّول، فنجدها تُنفق وتستثمر بسخاء على المرحلة القاعديّة، ولا تهمّها الأموال؛ لأنّها سوف تدخل في العائد الاقتصاديّ في لاحقٍ من الزّمان. فهي تستثمر في البشر؛ بالعمل على نمو الوعيّ الثّقافيّ المجتمعيّ، عن طريق الصّناعات الثّقافيّة والاهتمام بالحِرَف اليدويّة، ولا تقبل بهجرة الكفاءات فتعمل على ترضيتها للإفادة منها، لا تهجيرها. ولهذا يجدر بنا مراجعة منظوماتنا الفكريّة بهدف تحرير الثّقافة العربيّة من الاستلاب الحضاريّ عبر صناعة الثّقافة الوطنيّة، باحترام الهُوية والخصوصيّة، وحبّ الوطن، والدّفاع عن المواطنة، مع رعاية القائمين على خدمة العربيّة.

10ــ نشدان مجتمع المعرفة باللغة العربيّة: لا يمكن لأمّة معاصرة أن تبقى لغتها بعيدة عن بورصة الاستعمال اللغويّ، ولا بدّ من قياس اللغة بحسب قياس التّنميّة البشريّة في الإبداع والطّلب. فاللغة عرض وطلب، ولا يمكن أن تحصل التّنميّة البشريّة بلغة أجنبيّة. ولهذا تعمل الأمم الحديثة التي عرفت الاستدمار أو التّخلّف بمنهجيّة **بيع المعرفة عن طريق الاستثمار في البشر الذين تعدّهم لاحتضان لغتهم** والعمل على تصنيفها في سلّم التّقدّم العالميّ، وفق نمطيّة اللغات الحيّة التي أصبحت منتجة للمعرفة. فما هي الوَصْفات التي عملت بها تلك الأمم الفقيرة وأضحت قويّة ومصنّفة ضمن العمالقة الكبار بلغاتها. لا توجد وصْفة واحدة، ولكنّها تجمع على

الاستثمار في ميدان التّربيّة والتّعليم، فهناك تجارب ناجحة من مثل "تجربة فنلندا التي كانت أفقر دولة في أوربا في الخمسينيات من القرن الماضي، ثم أصبحت الدّولة الأولى في التّنميّة البشريّة في آخر ذلك القرن وكوريا الجنوبيّة، التي كانت أفقر دولة في آسيا، وثالث أفقر دولة في العالم وأصبحت اليوم سابع أغنى دولة في العالم، وتحتلّ الرّتبة السّابع عشرة (17) في سلم التّنميّة البشريّة لعام 2015 متقدّمة بذلك على دول أوربيّة عريقة في الصّناعة والاستعمار مثل فرنسا التي تحتلّ الرّتبة الثّانيّة (22) وإيطاليا التي تحتلّ الرّتبة السّابعة والعشرين (27)[6]". وعندما نقول التّنميّة البشريّة فنعني بها الاستثمار في النّمو الاقتصاديّ الذي يصبُّ اهتمامه على زيادة الانتاج القوميّ في البلاد ومعياره معدّل دخل الفرد. وبعبارة أخرى أنّ الهدف هو نمو الثّروة الفكريّة بحيث يكون معدّل الزّيادة السّنويّة فيها أعلى من معدّل الزّيادة السّنويّة في عدد السّكان. وهم يعتمدون معيار تقويّة الفرد في المعرفة بما يرافقها من الصّحة وطول العمر والمستوى المعيشيّ اللائق بالكرامة الإنسانيّة. ولأجل ذلك تُحدِّد البرامج الإنمائيّة في هذه البلاد خططاً تقضي على الفقر والمرض والأميّة والتّلوّث. ومن بعد ذلك يتبع ببرامج تعليميّة قويّة في اللغات الوطنيّة فقط، دون الانغلاق على التّعدّد اللغويّ النفعيّ الذي لا يكون على حساب اللغات الوطنيّة. وإذا نظرنا إلى ترتيب الدّول العربيّة في تلك التّقارير نجدها بعيدة عن المراتب المطلوبة، وهذا بسبب قلّة الاستثمار في التّنميّة البشريّة، ومن هنا بقينا في السّؤال الكبير الذي طرح أوائل القرن التّاسع عشر **لماذا تأخَّر العرب وتقدَّم غيرهم؟** فتغيب الإجابة الواضحة رغم الكثير من المال الذي يرصد للتّربيّة والتّعليم، لكن دون تخطيط لغويّ في هذا الميدان، مع ما يلحقه من سوء التّسيير.

ولتحقيق مجتمع المعرفة بلغاتنا الوطنيّة لا بدّ من العمل على تحقيق شروط النّهضة القائمة على ضبط السّياسات التّنمويّة التي تنتهجها الحكومات المكلّفة بتدبير الشّأن العامّ ببرامج محدّدة في الزّمان والمكان، وتوفير مناخ ديمقراطيّ يقوم على مبدأ الحريّة والمساواة، تُحترَم فيه حقوقُ الإنسان الطّبيعيّة، ويسود التّعاون والتّكامل بين مكوّنات

المجتمع أفراداً ومؤسّسات، ويكون نشر تعليم إلزاميّ ذي جودة باللغة الوطنيّة المشتركة، وعلى نفقة الدّولة، في جميع أنحاء البلاد ومختلف المناطق بحيث يَتَسَاوَي جميعُ الأطفال، ذكوراً وإناثاً، في المدن والأرياف، في فرص الالتحاق بالمدارس إضافة إلى توفير الخِدْمات الصّحية، واستخدام أحدث التّقنيات في الإنتاج الزّراعيّ والصّناعيّ وفي الخِدْمات.

تؤكّد تقارير التّنميّة البشريّة أنّ من اللازم أولاً إيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التّنميّة البشريّة. ويُعرَّف مجتمع المعرفة بأنّه ذلك المجتمع الذي يتبادل المعلومات بسرعة وسهولة، ويتمكّن من استيعابها بيُسر، والإبداع فيها، وتنميّتها. ولا يتمّ ذلك بالسّرعة المطلوبة والسّهولة المرغوبة إلاّ عن طريق اللغة الوطنيّة المشتركة. ووجود لغة وطنيّة مشتركة يساعد على تبادل المعلومات بسُرعة، فإذا كنّا نستخدم لغة وطنيّة مشتركة في مصنع جرى تبادل المعلومات بسُهولة، أما إذا كنّا نستخدم عدة لغات في المنشأة الواحدة، أدّى ذلك إلى تباطؤ تبادل المعلومات. ويشبّه الاقتصاديّون اللغةَ المشتركة بالعُملة التي تيسّر تبادل السّلع في المجتمع إذا كانت عُملة واحدة، أما إذا وجدت عدّة عُملات في الوقت نفسه؛ فإنّ عملية التّبادل تكون أصعب وأبطأ. نعم إنّ اللغة الوطنيّة المشتركة تيسّر تكوين مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التّنميّة البشريّة ولهذا ينبغي تعميم هذه اللغة في التّعليم والإعلام والحياة العامّة. ولكن اللغة العربيّة مُهْمَلَة في أوطانها، وإذا أردنا تحقيق التّنميّة البشريّة لا بُدّ من إعادة الاعتبار للغة العربيّة في المجتمع العربيّ فهذه اللغة ضرورة وليست ترفاً.

الهوامش

[1]ــ عبد العلي الودغيري، لغة الأمّة ولغة الأمّ عن واقع اللّغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثّقافيّة. بيروت: 2014، دار الكتب العلميّة، ص 19-37.

[2]- عبد العلي الودغيري، لغة الأمّة ولغة الأمّ عن واقع اللّغة العربيّة في بيئتها الاجتماعيّة والثّقافيّة. بيروت: 2014، دار الكتب العلمية، ص 35.

[3] ــ عبد الرّحيم خطوف، آليات تدبير الاختلاف في الفكر الإسلاميّ المعاصر. الرّباط: 2015 منشورات الزّمن وزارة الثّقافة، ص 25.

[4]ــ أبو شنب/ ميساء أحمد، تكنولوجيا تعليم اللغة العربيّة في الحلقة الأولى من التّعليم الأساسيّ. دمشق: 2008 وزارة الإعلام، ص 50، وما فوقها.

[5]ــ مؤسّسة الكويت للتّقدّم العلميّ، مجلة العلوم. الكويت: 2015، المجلّد 31، العددان: 1+2، ص 24.

[6]ــ ينظر علي القاسمي، دليل التّنميّة البشريّة لسنة 2015، ج1.

هل تموت اللغة العربيّة♥؟

الدّيباجة: تشير الدّراسات إلى أنّ اللغة العربيّة لغة نطقت بها قبيلة جُرْهُم التي انتسب إليهم إسماعيل عليه السّلام، وكانت هناك أعراب بائدة تنطق العربيّة ويتواصلون بها في محافلهم. ولمّا علا كعبهم حملوا لغتهم إلى الحواضر والبوادي وقاصيّة الدّور، فأشاعوها إشعاعاً كبيراً في التّجارة، ونبتت نباتاً حسناً فانتشرت بأخلاق التّجار العرب الذين كانوا صادقين في عهودهم وفي مقايضاتهم ووفائهم للعقود، وهذا قبل نزول الوحي بهذه اللغة. ومن القارات التي اشتعلت فيها قارة أفريقيا لما نالته من أماكن عن طريق استعمالها الكبير في طريق الحرير كلغة Lingua–franca وهذا قبل الإسلام، وازدادت بعد الإسلام استعمالاً وإشعاعاً باعتبارها لغة التّواصل بين العلماء خاصّة، ولغة التّجارة عامّة. فتواصل بها العلماء بين بغداد والفسطاط ودمشق وقرطبّة والقرويين والقيروان وبجايّة وتلمسان ويعضد هذا العمل الخلفاء الذين عملوا على استجلاب العلماء إلى الحواضر الإسلاميّة الكبرى وشكّل ذلك عولمة ومُثاقفّة مُتكافئّة كانت قاعدة للعلوم في الأندلس وأوربا. مثاقفة نوعيّة بلغة عربيّة سليمّة في المراصد وفي الرّياضيات والهندسّة وفي علوم الفلك.

ــ **المقدّمة:** إنّ اللغة هي الأداة الفعّالة في بناء الإمبراطوريات، فاللّغة بأهلها قوةً وضعفاً، كما أنّ اللّغة ملتحمة أشدّ الالتحام بالعقيدة والتّراث والعُرف لأنّها مؤسّسة اجتماعيّة، واللغة القوميّة وطن روحيّ يؤدّي دور من حُرِم وطنه على الأرض واللّغات الوطنيّة تحتفظ بهُوياتها وتذوب داخل الهُويّة الجماعيّة وتتكامل معه حفاظاً على الهُويّة الجمعيّة للوطن الواحد، وهذا ما يُجنّب الوطن الصّراع والتّشتّت وهو مخرج له دلالة الهويّة والمكان، وقد فَصَلَ الأجداد في مفهومه

♥ــ أعدّت الكلمة للملتقى الوطنيّ حول (الجامعة الجزائرية في خدمة اللغة العربيّة) بمناسبة اليوم العالميّ للغة العربيّة. جامعة حمّة لخضر بالوادي، في 16 ديسمبر 2019.

الجمعيّ الواسع. ولكن ماذا لو فقدت الجماعةُ البشريّةُ لغتَها؟ فهل سيكون لها البديل النّوعيّ؟ وهل ترضى الجماعة بها؟ وهل يعملون جميعهم من أجلها؟ وهنا يشعر الإنسان بالقيمة التّاريخيّة والتّراثيّة للغته. إنّ اللغة انتقال ماديّ للمذاهب والممارسات بشتّى أمثالها من عصر لآخر بواسطة الأصوات الّتي ألفها الشّخص ولا يرى غيرها بديلاً. وإنّه لثقافتي وللغتي الحقّ في الوجود، ولا يحقّ لآخر أن ينكر عليها ذلك إنّها رابطة العقل في خريطة الحياة والوجود. وكان يجب أن ندرك بأنّه في حياة العربيّة حياة لنا؛ فهي اللّغة الجامعة وهي المشترك، ولا معنى للّغة الأنا الّتي تذوب في الأنا الجمعيّ.

1ــ سؤال الموضوع: يطرح العنوانُ سؤالَ **هل تموت اللغة العربية؟** على غرار ما عرفته الكثير من اللغات التي كانت وأصبحت من التّاريخ، لغات لها العلم لكنّها انقرضت، لغات أتى عليها حين من الدهر أصبحت عدماً، لغات لها المرونة وما عادت، لغات أتى عليها ما أتى على لُبَدٍ، لغات معاصرة أتت عليها كوليرا اللغات فلم تعش إلاّ يسيراً، لغات متّفق عليها في الحرب، انفضّت الحرب وما عادت، رغم ما كلّفته من أموال خياليّة من أجل صناعتها لتكون لغة العالم... وهكذا تعيش اللغات موتاً يأتي عليها، فقد يكون قسْرياً وعهْدياً واغتيالاً أو انْتحاراً أو إبادة، وهناك موت اللغات الذي يأتي عن طريق الاستدمار الحضاريّ؛ فإنّه يعمل على قتْل لغة المستعمِر، ويفرض على المستعمَر لغته في العلم والثّقافة والتّجارة ويترك من لا يتقنها بلا عمل ولا مأوى، وهذا ما تفعل فرنسا في أيّ بلد دخلته. كما تموت اللّغة بالتّلوّث اللغويّ، أو بالتّسمّم؛ حيث تَدخلها ألفاظ أجنبيّة تُحدِث فيها الوَهْنَ، وتعمل على قتلها التّدريجيّ. ويُعلّمنا التّاريخ أنّ اللغات الهشّة أكثر اللغات ميلاً/ قبولاً للموت، وفي هذا المجال نجد تصنيف اليونسكو في الأطلس اللغويّ يقسّم اللغات إلى:

- لغات مُتحضّرة وعددها 576؛ هذه غير مرشّحة للموت؛
- لغات مُعرّضة للخطر وعددها 525؛ يعني مرشّحة للموت؛

– لغات هشّة وعددها 598. مضمون موتها.

وفي هذا التّصنيف نجد العربيّة في اللغات الهشّة؛ بمعنى لغة مضمون موتها. **تلك مسألة خطيرة** ولهذا عندما خرجت هذه الدّراسة استنفرتِ الأممُ المتّحدة أركانَها، بمعيّة الدّول العربيّة في الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة لتفنيد محتوى الدّراسة، بتخصيص اليوم العالميّ للغة العربيّة (18 ديسمبر) من كلّ سنة وهذا في سنة 2012م. **ولماذا 18 ديسمبر؟** لأنّه اليوم الأوّل الذي استُخدمت فيه العربيّة في الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة الموافق 18 ديسمبر 1973م. وعندما نقرأ هذا التّصنيف نراه لا يخلو من نظرة إقصائيّة للعربيّة في الوقت الذي تنصّ أغلبُ الدّراسات على أنّ اللغات التي صنّفت لغات أُمميّة والتي تنجو من الاندثار هي: الإنكليزيّة، الصّينيّة الإسبانيّة، **العربيّة**، وتنحسر الفرنسيّة والرّوسيّة في لاحق من السّنوات. ومع ذلك فإنّ بعض الأعراض المرضيّة إذا علقت بلغة من اللغات سوف تُهدّد بقاءها، وهي:

1ــ "حين يصبح انتشارها محدوداً.

2ــ حين تفقد وظائفها كوسيلة اتّصال في الحياة الاجتماعيّة، ولا تُستعمل في الحياة اليوميّة.

3ــ حين لا يكون لها مردود على المستوى الاقتصاديّ.

4ــ حين يقلّ عدد مُتكلّميها، وبالتّالي يتقلّص انتشارها، فاللّغة وفقاً لكثير من علماء اللّغة والّتي يقلّ عدد من يستخدمونها عن 2500 شخص لا يُكتب لها الاستمرار، فلا تلبث أن تتلاشى؛ إذ إنّ هذا العدد القليل من المتحدّثين بها سرعان ما تدركه المنيّة فتدفن معه اللّغة". إضافة إلى مُحدّدات مُعاصرة هي:

1. عدد المتكلّمين بها نسبة إلى حجم السّكان.
2. دورها في المحتوى الرّقميّ.
3. نسبة استعمالها في القطاع العامّ.
4. توارثها للأجيال.

5. درجة التّوثيق.
6. توفر آليات التّسجيل والتّلقين والحفظ.
7. مقامها في التّعليم.

2ــ معالم بقاء اللغة حيّة: نعيش عالم الصّراع اللغويّ الذي يفضي في النّهايّة من تكون له الكلمة في قيادة العالم، وبأيّة لغة؟ كلّ هذا يدخل في عالم اليوم المتغيّر، في عالم اللغات الطّبيعيّة التي تبقي على لغة وتقتل لغة. ولكن الذي يهمّنا في الموضوع الإجابة عن سؤال العنوان **(هل تموت العربيّة؟)** كان علينا تحديد معالم بقاء أيّة لغة، فإذا توفّرت في لغتنا العربيّة لا شكّ أنّها ستكون باقيّة، وإذا لم تكن فاعلم بأنّها آيلة للزّوال، فما هي هذه المعالم؟ وبناء على سيْرورة اللغات والبحث اللسانيّ الحديث، يضع البحثة المعايير العلميّة لبقاء اللغة عبر مسارها وسيرورتها كما يلي:

م1ــ منطق اللغة الطّبيعيّ: يعني استعمال اللغة استعمالاً طبيعياً في نسقها وصَوْرَنتها وشكلها العفويّ المتمثّل لخصائصها وبُناها، وتطابق المعنى على المبنى. وهذا ما يُلمس في اللغات الطّبيعيّة؛ بحيث تجد مبانيها كما تلاغى بها الأوّلون بشكل يؤدّي الغرض المطلوب، والمرتبط بثقافة المجتمع الذي يستعمل اللغة حسب المواقف، دون أن يقع الخلل في المجاز/ الإيجاز/ التّرادف/ صُوَر التّبليغ... فتلمس مظاهر متناسقة تعضد بعضها البعض، وتؤدّي المعنى حسب المقام والحال ومقتضى الحال.

م2ــ منطق قِدَم اللغة: يقع الإجماعُ على أنّ اللغة القُدمى أكثر بقاءً وثباتاً من اللغة الحديثة، فكلّما توغّلت اللغةُ في الماضي حصل لها غوْرٌ وانغراسٌ في الحاضر، وهي غير مُرشّحة للزّوال؛ بحكم جذورها وثبات صورها ونَحْت حروفها في القبور، والمحافظة على كيانها القديم ليصبح حاضراً في كلّ وقت، ويخضع فقط لحالات التّكيّف. وهكذا اللغاتُ القديمةُ لا تتزعزع أمام الطّارئ لأنّها مُحصّنةٌ بماضيها التّليد.

م3ــ منطق ثقافة اللغة ودينها: كلّ لغة/ تكلّم لغويّ يحمل ثقافة، بعض اللغات تحمل ديناً مقدّساً وهنا ترتبط اللغة بالثّقافة كوجه مُعبّر عن خُصوصيّة، وظواهر يؤمن بها المجتمع في ثقافته، وهناك الثّقافة التي ترتبط بالدّين الذي تحمله تلك اللغة، فيحصل التّقديس للغة بحكم التّقديس للدّين، وأنّ الدّين يفهم أصلاً بتلك اللغة وثقافتها، فيقع الرّبط بين اللغة والثّقافة والدّين، وهنا تبقى اللغة راسخة لا تتزلزل أمام عوادي الزّمان إلاّ بانقراض الدّين أو أهلها.

م4ــ موت اللغة بموت آخر متّحدّث بها: من الطّبيعيّ أنّ اللغة لها مُرسِل ومُستقبِل، وهي الوسيط بينهما، فتتواصل اللغة بوصول الرّسالة الكلاميّة بين طرفين، فلا تموت اللغة إلاّ بآخر متلاغٍ لها. وهنا يحصل أن تموت اللغة إذا لم تتواصل بين الأجيال، ولم تنقل حلقاتها من الأوّل للثّاني، وهكذا دواليك. فالنّقل اللغويّ له أجهزته المعروفة التي تنقل اللغة وثقافتها عبر الزّمان والمكان. ونشهد يومياً لغات تموت بآخر مُتلاغيها؛ وهذا على مستوى أمريكا الجنوبيّة التي أصابها كوليرا اللغات، فتتهاوى اللغات الوطنيّة بعدم نقلها ابن عن أب.

م5ــ إجادة اللغة من قبل أهلها: وهذا عامل طبيعيّ، فإنّه مرتبط بحسن النّقل ولهذا فالتّحكّم في اللغة الأمّ من طبْعه أن يحفظ لها المتنَ الذي يكون قاعدةً لتبليغها سواء على المستوى المحليّ أم العالميّ. والعُهدة هنا على المُعلّمين والنُّخبة والمُثقّفين في حسن الإجادة بحسن الحَكامة، ويقول (طه حسن) "إنّ المثقّفين الذين لا يجيدون لغتهم ليسوا ناقصي الثّقافة فحسب، بل في رجولتهم نقصٌ كبيرٌ ومهينٌ". وإنّ امتلاك اللّغة الوطنيّة يعني امتلاك النّقود، وبدون النّقود لا مجال لك في الحياة.

م6ــ منطق الاعتزاز الوطنيّ باللغة الرّسميّة/ الوطنيّة: هي سمة تدرك لدى أصحابها الذين يعملون على الافتخار بموروثهم اللغويّ مهما ضعفت لغتهم، وهذا ما نجده في أهل اللغة البرتغاليّة التي تقود مجموعة (اللوزوفونيّة) ويفتخرون بلغتهم رغم أنّهم يقرّون بأنّ للبرتغاليّة موقعاً ضعيفاً في أوربا وفي العالم، ولكن يرون بأنّ هجران لغتهم هي الفناء، ولا يمكن للإنسان أن يهجر لغته بسبب علميّ، وإلاّ لماذا

لم تترك الشّعوب لغاتها وتذهب إلى اللغة الإنكليزيّة. فَسِمة الاعتزاز ترْك الإنسان يعمل على تطوير لغته واستنبات العلم فيها، علماً أنّ موروثنا يقول "تعلّمك للغة أجنبيّة قيمة مضافة للغة الأمّ، واستعمال لغتهم في مجتمعك نقلك أنت لذلك المجتمع وهي زيادة في قيمة اللغة الأجنبيّة". وإنّ قوّة اللغة من قوّة أهلها في الاعتزاز والاستعمال والإغداق عليها، وفي اقتصادها، وقوّة اللغة كذلك من ثقلها السّياسيّ والثّقافيّ والعلميّ والتّقنيّ والاقتصاديّ ومن شواهد التّاريخ.

م7ــ الاستثمار في اللغات الوطنيّة: إنّ الاهتمام باللّغة الوطنيّة تظهر في كميّة الاستثمار فيها، وفي القوّة الاقتصاديّة لمتكلّميها، وفي القوّة السّياسيّة لأصحابها وكما يقال، فإنّ التّعليم باللّغات الأجنبيّة ينقل الأفراد إلى تلك اللّغات، وأما التّعليم باللّغة الوطنيّة؛ فيعني نقل العلم إلى كلّ الأمّة، كما أنّ عزل اللّغة الوطنيّة عن الاستعمال قتلٌ لها، والاستهانة بها احتقار لسياسة البلد واستقلاله.

م8ــ نقل اللغة من الآباء للأبناء: هنا يقع الحديث عن توريث اللغة ونقلها عبر الأجيال، ويكون عن طريق البيت؛ بتثبيت خصائصها في حالتها الدّارجة/ المحكيّة وفي المدرسة للحفاظ على سيرورة اللغة في فقهها اللغويّ، وفي معجمها؛ أي في صورتها المعياريّة.

م9ــ سيرورة اللغة عبر الزّمان: يعني الامتداد الزّمانيّ للغة، ويعني لغة الأجداد التي نطق بها الأوّلون؛ وهي صورة تقتضي الإجابة عن كثير من المفارقات التي نجدها ظاهرةً بين اللغات، مثل التّذكير والتّأنيث/ العدد/ صوَر مخياليّة ثقافيّة/ ألفاظ الألوان... وهنا تجيب المسكوكة اللغويّة أحسن إجابة (هكذا نطق الأوّلون) والحكم الزّمانيّ كفيل بربطها بالماضي وغير اصطناعيّة.

م10ــ سيرورة اللغة عبر المكان: اللغة الطّبيعيّة تظهر في منطقة، ثمّ يقع امتدادها عبر المناطق القريبة ثمّ البعيدة، بأثر الطّلب. وهذا ما يدخل في منافسة اللغة التي يقع عليها الاستعمال خارج مواطنها لعلميّتها أو لغرض آخر كالدّين والتّجارة...

م11ــ اللغة وقانون السّوق: تخضع اللغة لقانون العرض والطّلب، وهنا يقع الطّلب على لغة ما ويُصرَف النّظرُ عن لغة أخرى. فاللغة عُملة يُطلب ودُّها بقيمتها التي تقدّمها في شتّى مجالات الحياة الاجتماعيّة، وهي محصلة جهود الباحثين العاملين على تطويرها في العلوم وفي الإعلام وفي الاستعمال العامّ. ولا مَندوحة من هذا أن تكون اللغة خاضعةً للطّلب في فترة ثمّ تركد، وفي فترة يزداد ميزان السّوق عليها.

م12ــ علميّة اللغة ومنتوجها الماديّ: لن تموت اللغة التي تحمل العلم الذي يُدِرّ بصورة دائمة وسائل حديثة يجعلها لغة ولُودة مُبدعة، وفي كلّ ساعة هناك الجديد الخارق، وهناك مقابل لغويّ يرافق الجديد ولن تموت اللغة إذا كانت تعيش مع ألفاظ الارتفاق، ومع الحياة الاجتماعيّة التي يعيشها الشّخص في يومياته ومساره المهنيّ. ولهذا، فاللغة ترتبط بالعلم، وتزداد وجاهةً بازدياد الجديد، بل يحصل لها الغمر الاستعماليّ في كلّ مسار الشّخص عندما تحمل له الجديد. وقد يحصل أن يعيش الانتقال اللغويّ من لغته إلى تلك اللغة التي تُدِرّ عليه وسائل ونشاط ملبٍ للحداثة.

م13ــ دور اللغة في عولمة الماضي والحاضر: وهنا يأتي الباحثون ليقولوا إنّ اللغة بما لها من دور في عالم الأمس واليوم، فلا نريد الحديث عن الحاضر ونكران الماضي، ولا تكون اللغة باقيّة إلاّ بربطها بين المعطيين في حمولتها الفكريّة وفي ما تنتجه في المُعاصرة. تلك هي الصّورة الحقيقيّة لنمطيّة لغة لها الماضي والحاضر. ولهذا نجد قياس الحاضر على الماضي في مسألة اللغة ضرورة تفرضها مستويات اللغة، لمواصلة نسج المنوال وفق ترابطات الأحداث ومتغيّرات الأبحاث.

3ــ مقام اللغة العربيّة من المُعطيات المذكورة: أمام هذه المُعطيات التي يضعها الباحثون المُعاصرون لعدم موت اللغات، **فما موقع العربيّة في هذه المُعطيات؟** يمكن أن نقول إجمالاً بأنّ العربيّة تتوفّر فيها بعض المواصفات بالتّطابق

الكامل، وبعضها بنصف التّطابق، والبعض الآخر في شبه العدم. ولا بدّ من استنطاق المنطق اللغويّ الذي تحتكم إليه العربيّة ليقول لنا ما يلي:

إنّ اللغة العربيّة لها صفات انمازيّة في التّجريد والاختزال، وفي تجسيد الفكر في موضوعه الدّقيق الموافق للمحسوس، فكان لها بعض الجبريّة والانفصال، ومع ذلك استوعبت المنطق وعلوما قديمة دون مشكلة، ولا نقول إنّ العرب كانوا السّباقين في كلّ شيء، كما لا ننكر تأثّرهم بجالينوس Galien وبطليموس Ptolémée ومعارف اليونان، وفضول الفرس، ولاهوت الثّقافة الهنديّة، وترجمات أجنبيّة؛ ولكن كلّ ذلك صبغوه بصبغة الحميّة الإسلاميّة، إضافة إلى الابتكار الذّي حدث في القرون الوسطى وكانت لغتهم العربيّة معجزة انطلقت من العدم وصار لها وزن أمام الرّومانيّة والفارسيّة والإغريقيّة يقول (جورج سارتون/ Georges Sarton) في كتابه (تاريخ العلم والإنسيّة الجديدة) "إن قلّة من اليونان هم الذّين بلغوا فجأة مثل هذه القيّم الشّاذّة، وذلك ما يُسمّيه بعض الكُتّاب (المعجزّة الإغريقيّة) غير أنّ المرء قد يستطيع أن يشير إلى **(المعجزّة العربيّة)** ولكن بمعنى آخر؛ فإنّ إقامة حضارة لها ذلك المدى الموسوعيّ العالميّ في أقلّ من قرنين من الزّمن أمر من الميسور وصفه، ولكن من المتعذّر تعليله بشكل تامّ". وفي المجالات الاستكشافيّة التي عرفتها عصور الازدهار العربيّ، وكان لها دور في أوربا فنقلتها من عصر الضّعف إلى عصر الأنوار. وفي كلّ ذلك كانت التّرجمة تُسايّر المستجّد، وتُلبّي رغبات الباحثين عن فيلولوجيّة اللغات وعوامل المنطق اللغويّ إلى جانب السّعي إلى التّفقّه في الدّين الإسلاميّ.

لقد أحدث العرب انقلاباً علمياً في مسائل التّجريب، واختراع المصطلحات والمفاهيم المناسبّة، ونجحوا في الإطار الفلسفيّ، وفي فروع الكيمياء، وفي الطّب وفي إحصاء العلوم، والرّياضيات، وكلّ ذلك كان محلّ دراسة دقيقة جعلت الغرب يأخذ عنهم في عصر النّهضة، حيث كانت اللغة العربيّة اللغة الوسيط بين علوم الفلسفّة الإغريقيّة إلى العلوم العربيّة الحديثّة بوسم **لغة العرب.** ولقد أسهّم العرب

بذكائهّم وترجماتّهم في تطوير العلوم بالنّقد والتّحليل والتّحريّ والتّحرّز العلميّ الذي أخذت به أوربا، ونجحت في علمها عندما خرجت من قهر الكنيسة. لقد أصبحت العربيّة لغة علميّة عولميّة؛ بما نالته من إشعاع وبما ناله خطّها من استعمال في كثير من اللغات العالميّة (خطّ معولم). كما لا يمكن أن نخفي أنّ قرطبة كانت عاصمة يقصدها العرب وغير العرب لأخذ العلوم بالعربيّة، وكانت من المراكز التّدريبيّة في العلوم التّجريبيّة، وفيها ظهر علم الجبر والهندسّة والفلسفّة... ولم تتل العربيّةُ هذه المكانة بالانسداد؛ بل بالانفتاح على اللغات والعلوم التي تحملها تلك اللغات، وبسلوك العلماء الذّين لا تحدّهم الحدود؛ بل كانوا يطلبون العلم في كلّ مضارب الكون، إضافة إلى سلوك الأمراء الذّين يتسابقون على استقطاب أكبر عدد من العلماء. وأمّا اللغة اللاتينيّة "... فانتشرت عبر الغزوات والحروب الّتي شنّها الرّومان، في حين تغلّبت الإنكليزيّة على الفرنسيّة في الولايات المتّحدة لأنّ الفرنسيين كانوا بمفردهم دون عائلاتهم، وفي أذهانهم المكوث مدّة قصيرة للتّجارة والعمل، ثمّ العودة[1]". ويشير التّاريخ بأن "الإسپانيّة قد انتشرت انتشاراً هائلاً في أمريكا اللاتينيّة، وأصبحت لغة شعوبها جزءاً أصيلاً من ثقافتهم، بعدما حضر المستكشفون في القرن السّادس عشر، وبعدها جاء الغزاة الّذين نهبوا البلاد وأبادوا معظم أبناء الأمم الّتي كانت تسكنها، ثمّ المستوطنون، فالأفارقة الّذين نزحوا مع بقايا السّكّان الأصليين، وشكّلوا مجتمعات حديثة اتّخذت الإسپانيّة لغة يوميّة[2]".

4ــ اللغة العربيّة في الحاضر: حسب ما درسنا ورأينا؛ فإنّ العربيّة في الماضي عرفت الازدهار المُغدق، وكيف حالها في الحاضر المُقلق؟ لا أريد أن أعيش في الماضي، ولا أريد النّظر في المرآة العاكسّة ما هو ورائي؛ بل أنظّر إلى

[1]- محمد محمد داود، اللغة كيف تحيا؟.. ومتى تموت؟ القاهرة: 2016، دار نهضة مصر 2016 ص 32- 33.

[2]- محمد محمد داود، اللغة كيف تحيا؟.. ومتى تموت؟ ص 33.

المرآة التي تُهديني معالم الطّريق إلى التّحديث وإلى المعاصرّة. وأعلم أنّ تحديات كبرى تنتظرنا من خلال عولمة الإنكليزيّة، وهناك تقانات تفتقر إليها العربيّة وهناك فجوات رقميّة، وهناك مشاهد دوليّة ضدّ الإسلام ولغة الإسلام. كما أعلم أنّ حبّها لدى العرب بدأ يأفل وربّما يشيع قليلاً، ولكن لا يُبصر كثيراً، فما هي وصفات العودّة إلى السّاحة العالميّة، وإلى أيام مجد الأمّة العربيّة؟

ليس عيباً أن نعود قليلاً إلى الماضي المجيد لبناء حاضر متين، حاضر يتقوّى عبر وصفات الأجداد الذين كانت لهم المقامات العُلا، وبهم نالت العربيّة الدّرجات الكبرى، ليس عيباً أن نعود إلى جوهر الأمر لمّا كانت العربيّة مُشعّة عالميّة عولميّة، فنالت الرّيادة، وليس ذلك صعباً أن نستعيد مجدنا الأثيل إذا ارتقينا لمستوى لغتنا الأصيلة. وهذا عبر وصفة حديثة بصُرت بها وأنا أعدّ مقالات لتقديمها في مناسبات عالميّة للغة العربيّة، وهي:

1- كشفّ ضباب المستقبل، وعثرات التّغيّر عن طريق الإبداع من جديد بالعربيّة في ذاتها وبذاتها ولا مانع من قياس الحاضر على الماضي للاعتبار.

2- النّظر في التّجارب النّاجحّة للأمم التي تقدّمت بلغاتها، واستجلاء معالم التّجلي والتّقدّم.

3- التّبصرة بمعالم التّغيير نحو الأفضل بأفق ومنهج جديد، وفق مقتضيات الدّرس اللسانيّ المعاصر.

4- الاحتكام إلى الدّراسات الميدانيّة ذاتّ العلاقّة بقياس إحياء اللغات، والدّفع بها لمكانة أرقى.

5- الاحتكام إلى المكانّة الوجدانيّة والدّينيّة والفّكريّة للغة هي قدرنا.

6- الاحتكام إلى المرجعيات الحضاريّة والدّستوريّة في ضرورة استعمال اللغات الرّسميّة والوطنيّة من باب التّميّز والإبداع، فلا قيمة لأمّة خارج لغاتها.

7- الاحتكام إلى صيغة اللغة الأمّ ولغة الأمّة الجامعة التي هي عدّة النّاطقين وسلطان الحاكمين.

8- الاحتكام إلى النّطاق الجغرافيّ لهذه اللغة التي اشتعلت في كلّ القارّات وهي لغة رسميّة في ستين (60) بلداً عالمياً.

9- النّظر في منطق عدد النّاطقين والدّارسين، وعدد الجامعات التي تدرس فيها بغضّ النّظر عن مكانتها في القارّة الأفريقيّة ورتبّها الأولى.

10- الاحتكام إلى منطق عالميّتها بين اللغات السّت في الأمم المتّحدة، وفي وكالاتها الإحدى والعشرين (21).

11- الرّجوع إلى أقوال الأجانب المُنصفين، وما قالوه في هذه اللغة التي تُظلم عند أهلها وتُنصّف خارج أهلها.

1/11ــ تقول الدّراسات المُنصفة بأنّ جامعة السّربون عندما بدأت تدرّس الطبّ كانت تدرّسه بالعربيّة بدءاً من سنة 1258م، ودام الحال 400 سنة.

2/11ــ قال الأمريكي (دڤيد جستس/ Davide Justes): "إنّ الجملة الألمانيّة عشّ من الصّناديق والفرنسيّة تتابع من الموجات المُتقلّبة أحياناً، والمتلاطمة أحياناً واللاتينيّة قطع مبعثرة محيّرة، والإنكليزيّة سيّارة لم تُجمع أجزاؤها جمعاً كاملاً وهي أجزاء طاغيّة وإن كانت متجانسة، وهي ملائمة لأن تكون لعبة لطفل إن كنت لا تعرف كيف تسيّرها. **والعربيّة لعبة قطار ملتزم بالسّير على الشّريط؛ وهو مُرتّب ترتيباً دقيقاً في أجزائه، وقاطراته المتشابهة حين تسير باطمئنان. ولكي تكتمل الاستعارة بهذه القاطرات ربّما تحمل جواهر ثمينة**".

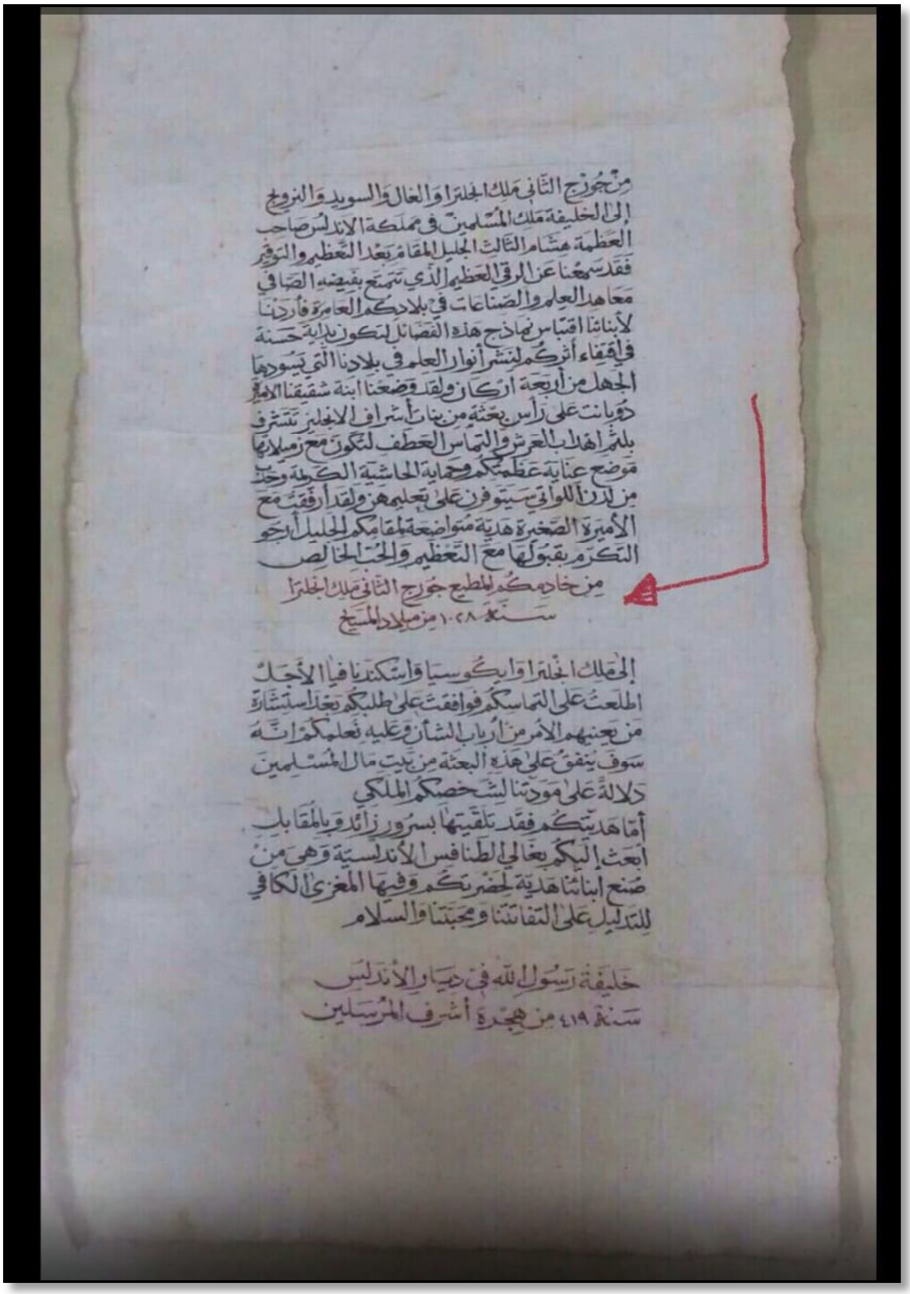

من جورج الثاني ملك الجلترا والغال والسويد والنروج
إلى الخليفة ملك المسلمين في مملكة الاندلس صاحب
العظمة هشام الثالث الجليل المقام بعد التعظيم والتوقير
فقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي
معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة فأردنا
لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة
في إقناء أنظاركم لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يسودها
الجهل من أربعة أركان ولقد وضعنا ابنة شقيقنا الأميرة
دوريانت على رأس بعثة من بنات أشراف الانجليز تتشرف
بلثم أهداب العرش والتماس العطف لتكون مع زميلاتها
موضع عنايتكم وحماية الحاشية الكريمة وخذ
من لدن اللواتي سيتوفرن على تعليمهن ولقد أرفقت مع
الأميرة الصغيرة هدية متواضعة لمقامكم الجليل أرجو
التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص

من خادمكم المطيع جورج الثاني ملك الجلترا
سنة ١٠٢٨ من ميلاد المسيح

إلى الملك الجلترا وايكوسيا واسكندنافيا الأجل
اطلعت على التماسكم فوافقت على طلبكم بعد استشارة
من يعنيهم الأمر من أرباب الشأن وعليه نعلمكم أنه
سوف ينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين
دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي
أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد وبالمقابل
أبعث إليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهي من
صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي
للتدليل على التفاتنا ومحبتنا والسلام

خليفة رسول الله في ديار الأندلس
سنة ٤١٩ من هجرة أشرف المرسلين

3/11ــ إقرار من الملك (جورج الثّــاني/ Georges II) لإشــعاع مؤسّســات الدّولة العربيّة الإسلاميّة.

هي محاسن تُذكر من قبل الغربيين في صالح العربيّة، إن لم نقل إنّها محاســن العربيّة التي تأتي من النّزيهين الغربيين.

12- المعيار الإعلاميّ الذّي تحتكم فيه اللغة بما ينبثق عــن 2000 فضــائيّة و12000 قناة إذاعيّة ولكن فيها المنطق السّائد هو التّهجين اللغويّ المنحــرف، ولا ننسى إعادة الصّحف الصّادرة يومياً لا أسبوعياً شهرياً، وكلّها تضخّ بالعربيّة فيهــا بعض الضّعف.

13- معيار حضورها في الشّابكة برتبّة جدّ متقدّمة بين الثّانيّة والثّالثة، وعــدد المواقع الكثيرة ومحرّكات البحث العربيّة والمعرّبة.

14- معيار الاستعمال العفويّ، وهو يخصّ لغة العوام، وأما المعيار اللغويّ في المستوى الأعلى فوجوده قليل، ولكن يتنامى باستمرار، وكلّ يوم تراها تحتّل مكانة في مستوى الاستعمال، وكلّ هذا يعطي انطباعاً جيّداً علــى أنّ مســتقبل العربيّــة سيعرف الازدهار، ولها آفاق واعدة تبشّر بمكانّة عالميّة، وهذا ما تنبّهت إليه الأمم المتّحدة عندما **جعلتها لغة عالميّة**، ولذلك رأت الأبحاث أنّ كوليرا اللغــات التــي سيقضى على معظم لغات العالم خلال هذه الألفيّة **لن يصيب العربيّة** لما تتحكّم إليه من حضارة ودين وعلم وتطوّر.

5ــ اللغة العربيّة لغة أمميّة: في وجيز من القول: إنّ العربيّة مرّت بمراحــل قبل أن تُكلّل بالاعتراف الأمميّ كلغةً عالميّة، وهي مراحل عسيرة؛ فمنذ المــؤتمر العامّ لليونسكو سنة 1948 والدّعوات تتوالى على أن تكون اللغة العربيّة لغة العمل الرّسميّة للمؤتمرات الأمميّة مثل الإنكليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة والرّوسيّة... ومنذ ذلك الوقت والطلب يُجدّد في كلّ سنة. وفي سنة 1973 أصدرت الجمعيّة العامّــة للأمم المتّحدة قرارها 3190، القاضي بإدخال العربيّة ضمن اللغات الرّسميّة ولغات العمل في الأمم المتّحدة وبدأت تتحقّق أجزاء هذا الطّلب؛ إذ استعملت أوّل مرّة فــي

الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة من 01 سبتمبر إلى 31 ديسمبر 1973م، وأُدرجت في جدول الأعمال في سنة 1974 بناءً على طلب حكومات الدّول العربيّة ومنها الجزائر. ووقع التّصديق على الإقرار في الأمم المتّحدة، وكذا في اليونسكو؛ لتعزيز مقامها في التّرجمة منها وإليها، إلى أن تمّ اختيار **الثّامن عشر (18) من ديسمبر** يوماً عالمياً للاحتفاء باللّغة العربية تماشيّا مع قرار الأمم المتّحدة؛ وهو ضرورة الاحتفاء باللّغات الستّ المستعملة عالمياً، وكلّ لغة لها مناسبتها الخاصّة بها وبميسم يُخلّدها.

لقد اختارت كلّ دولة ما يناسب رمزيتها للاحتفاء بلغتها في العالم، فكان اتّفاق الدّول العربيّة على **الثّامن عشر (18) ديسمبر**؛ تيمّناً باليوم الأوّل الذي استعملت فيه في أروقة الأمم المتّحدة. ومنذ سنة 2012م أصبحت اللّغة العربيّة لغة رسميّة في هيأة الأمم المتّحدة وفي الوكالات التّابعة لها؛ وعددها إحدى وعشرون (21) وكالةً، وذلك إقرار من اليونسكو بأهميّة اللّغة العربيّة، وما تمثّله من منظومة لغويّة ذات حضارة إنسانيّة لا تتوفّر عليه لغة أخرى، إضافة إلى ما تشكّله من امتدادات جغرافيّة في القارّات الخمس.

تعود أهميّة اللّغة العربيّة إلى أنّها اللّغة الوطنيّة الرّسميّة لاثنتين وعشرين (22) دولةً عضوةً في الأمم المتّحدة، ويتكلّمها لغة أمّ أكثر من خمسمائة (500) مليون نسمة، ويستعملها ما يقرُب من المليارين (2 مليار) من ساكنة المعمورة في صلواتهم بصفّة يوميّة، وتستعملها اثنتا عشرة (12) دولة لغة أجنبيّة رسميّة أولى وستّ وعشرون (26) دولة لغة أجنبيّة رسميّة ثانيّة، وهي أيضاً لغة رسميّة في المنظّمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم (الألكسو) وفي المنظّمة الإسلاميّة للعلوم والثّقافة (الأسيسكو) وفي منظّمة الاتّحاد الأفريقيّ، بالإضافة إلى أنّ كثيراً من اللّغات الإسلاميّة تستعمل حروفها للكتابة مع تكييف بسيط علماً أنّ حروفها تستجيب لكلّ الأصوات الطّبيعيّة، وهذا ما جعلها تتبوّأ المكانة العالميّة بين لغات العالم.

إنّ تخصيص **الثّامن عشر (18) من ديسمبر** من كلّ سنة للاحتفاء عالمياً باللغة العربيّة دليل إقرار القيمة العلميّة والحضاريّة التي تحملها هذه اللغة التي خدمت الإنسانيّةَ، وكتب بها العربُ وغير العربِ بل دوّنت بها السّجلات الدّينيّة لمختلف الأديان، فهي لغة البشريّة بصفة عامّة، فأَنْعِمْ بها من لغة!

6ــ العربيّة لا تموت: صحيح بأنّ اللّغة كائن مُتحرّك مُتغيّر، تنمو وتتطوّر وقد تختفي حيناً من الدّهر أو حتّى تموت وتندثر، ولكن يجب التّصريح بالوجوب بأنّه تموت اللّغة العربيّة عندما يتوقّف أهلها عن التّحدّث بها، أو عندما يحتكّ النّاطقون بها بمجموعة من السّكان يفوقونهم عدداً، وتموت اللّغة العربيّة إذا بقيت دون تدوينها، وتموت فعلاً بآخر بموت آخر النّاطقين بها؛ أي إذا ذهب الأصل ولم يبق فرعاً فهل يمكن أن يحدث هذا؟ يستحيل رغم أنّ الموت الحضاريّ للغة ممكن إذا لم تكن منتجة، فهي مثل حبّة قمح لا تعطي السّنابل الكثيرة، ويأبى زمان تصبح عقيماً فتموت، ولنا مثال في أنّ التّتر دخلوا العراق ولهم لغتهم الأصليّة، وكانوا الأكثريّة، ولكنّهم ذابوا في الإسلام، واعتنقوا لغة الإسلام؛ لأنّ حضارة الإسلام أقوى.

يجب العلم بأنّ العربيّة عظيمة بعظمة الدّين الإسلاميّ، وثقلها من ثقل الكلام الرّباني ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ النّحل. وإنّ العربيّة تشكّل هُويّة الأمّة الدّينيّة والثّقافيّة التي تميّزها عن باقي الأمم، وإذا حافظت الأمّة العربيّة على لغتها ستكون أكثر الأمم تقدّماً وتطوّراً. وهذا ما يجب أن نستوعبه بأنّ العربيّة جزء من الحياة العامّة.

إنّ **العربيّة لا تموت**، وهذا باتّباع وصفة النّهوض، وضرورة التّخطيط المرحليّ الذي يقوم على:

1. العمل بنظام الازدواجيّة الغالبة؛ توظيف العربيّة إلى جنب لغة أجنبيّة كلغة يُستفاد منها.

2. العمل بالمشاريع الكبرى والطّويلة ذات الأبعاد الحضاريّة في تطوير العربيّة.

3. تهيئة لغويّة حديثة للعربيّة، تبدأ من تيسير نحوها.

4. العمل على ازدهارها باستعمالها الفصيح في العلوم وفي التّكنولوجيّة.

5. جعْل العربيّة مشروعاً اقتصادياً ومورداً للاستثمار العربيّ العالميّ.

6. تصحيح أوضاعها التّربويّة، بتكوين مُكوّنين أكفاء يعملون على تعليمها تعليماً معاصراً.

7. العمل على نشرها خارج أرجائها، وعلى أن تعود إلى مجدها ولما وصل إليه الدّين الإسلاميّ.

8. فتْح المشاريع التّقانيّة بالعربيّة في الاختصاصات العلميّة.

9. إيلاء الأهمية للتّرجمة، والإغلاق على عمليات التّرجمة، لتنال العربيّةُ موقعَها في العلوم والنّانوتكنولوجيّ.

10. معاصرة الإسلام للنّهوض اللغويّ وتصحيح أوضاعه اللغويّة، بعدم السّير في طريق الهجين اللغويّ.

11. مُؤازرة القرار لإجراءات التّطوير؛ لأنّه يجعل العربيّة شأناً عامّاً.

12. مَزيد من قيام المؤسّسات والمجامع والهيآت العاملة على المحافظة على العربيّة بسنّ سياسة لغويّة تقوم على التّراتب اللغويّ.

13. مَزيد من التّشريعات، ومن القوانين العاملة على احترام اللّغة العربيّة؛ فهي من الاحترام العامّ وتطبيق القانون.

وأمام هذه النّتيجة المنطقيّة، لا بدّ من التّجنيد العامّ تجاه:

1- مُقاومة الاعتقاد السّائد أنّ تعلم اللّغة الأجنبيّة مفتاح المستقبل والوظيفة العاليّة.

2- مُطالبة الوزارات المعنيّة بوضع تصوّر للتّحدّيات التي تواجه العربيّة واقتراح برامج لحلّها.

3- إعادة النّظر في تدريس اللّغة العربيّة في كلّ المراحل.

4- إعادة تأهيل معلّميّ العربيّة عبر دوْرات مكثّفة وشاملة تهدف إلى إتقان تعليم العربيّة بطرائق ووسائل حديثة.

5- تكثيف الأنشطة والمسابقات اللغويّة لامتلاك ناصيّة اللّغة.

6- تعميم تدريجيّ للعربيّة في العلوم؛ وبخطط تقويميّة تقييميّة تحت سلطة التّطبيق العلميّ والسّياسيّ.

7- إنشاء مراكز للتّرجمة في كلّ جامعة تقوم على نقل العلوم إلى العربيّة.

ـ **خاتمة:** لا نيأسُ من الحاضر، ولا نبقى نستدعي الماضي دائماً، أو الرّكون إلى الدّين الإسلاميّ على أنّه حامٍ للعربيّة، ولا نستغيثُ ونُهوّل الأمرَ، بقدر ما أقول إنّ مصير لغتنا في يدنا، وعلينا أن نعمل بخُطى حثيثة رصينة ومضمونة وبتخطيط علميّ، وبمشاريع محليّة وقوميّة وعالميّة، والمشاركة في جعْل العربيّة مزدهرةً عبر الحياة الثّقافيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة والإعلاميّة، والعمل بجدارة على تصفيّة الهواء اللغويّ للعربيّة؛ لتكون عربيّة فصيحة سهْلة مُيسّرة، وجعْل غير العرب يُحبّونها ويطلبون ودّها بل يعملون على الاندماج داخلها، لأنّ للعربيّة ذوقاً لا مثيل له في اللّغات. ويجب أن نعلم بأنّ العربيّة تُنادينا، وعلينا أن نُرَغِّبَ فيها ونُعليَ من قيمتها في الاستعمال العفويّ والعلميّ والثّقافيّ، ونُعزّزَ وجودها في المدارس وفي الجامعات وفي مراكز البحوث وفي التّقانة، وفي ما وصلت إليه الصّناعات المُتطوّرة. لا نيأس من الحاضر المُقلق، فعندما تستحكم حلقة الحياة علينا، سوف ندخل في عصارة الفكر، وذلك ما يجعلنا نفكّر في روزنة أمل جديدة ومن خلالها نرى كوّة فيها شعاعات نور تفتح لحظات المُبتغى وإن ضاقت نافذة النّور، ومن ماتَ فيه الأملُ عجزَ عن مبتغاه وإن كانت الشّمسُ في رابعة النّهار فالأمل مَطيّة الحياة؛ ومن ركب الأملَ نالَ مرادَه، ومن تخلّف عنه عجزَ عن تلمّسِ مواضع قدميْه، ومما يُنسب للفقيه محمد بن إدريس الشّافعيّ تـ 204هـ قوله:

ضاقتْ فلما استحكمتْ حلقاتُها فُرِجتْ، وكنتُ أظنّها لا تُفْرَج

لا تربطوا العربيّة بالمناسبات♥

ــ **الدّيباجة:** تعيش العربيّة مناسبات قارّة، وأياماً عاليّة، حتى يطفح الكيل زائداً وكلّما تطلّ تلك المناسبات، نرى استنهاض الإعلام في أعلى المقامات، ونبدأ في نسج الكلام على غير العادات، ونسمع ما يُقال من عبارات بارعات، بعضها تليق بالمقامات، وبعضها تجود بها قرائح أصحاب الهامات، بلْهَ الحديثَ عن أحلى كلام من شعر يُقال عَلَناً ينقله الإعلام. وما إن تنقضي المناسبةُ، إلاّ وتعود الأمورُ إلى حالتها القديمة، وقليل من يحفظ الودّ بالوصيلة، وكثير من يعمل على القطيعة ويعود الرّوتين بالاستزادة، وكأنّنا نعمل للمواسم، وإذا انقضت تزول المراسم، فلا حلّ علينا بمتابعة المهام بالتّواصل، ولا نحن لها على استعداد للتّكامل. نربط العربيّة بالمناسبات وننشط كثيراً في إحياء المهمّات، ونطفئ أنوارها بنهاية الحفلات. وتلك مصيبتنا أيّها الحضور فماذا نحن فاعلون في هذا المنظور؟

ــ **المقدّمة:** من هذا المقام أقول لكم: ما رأيكم أن نجعل العربيّة شعارنا الدّائم وهمّنا الوافي؛ ليكون لها المقام العالي، في تقديمها بما لها من صعوبات ومضايقات، ما رأيكم أن نقول: إنّ العربيّة تعيش مضايقات في التّواصل اليوميّ بسبب عائق المعيار؛ الذي يستدعي نمطاً عاليَ المستوى؛ وهو نمط مفتقد في محيطنا اليوميّ، بسبب طغيان النّمط الدّارج العفويّ، وفي الحقيقة هو أمر طبيعيّ لأنّه مستوىً لغويٌّ محليٌّ/ عاميٌّ، وهو مقبول في مقامات، وغير مقبول في أحوال وهذا ما يجب التّفطن إليه في الاستعمال اللغويّ المطلوب لكلّ مستوى من المستويات اللغويّة. ما رأيكم أن نُجليَ المسألةَ بالحُجّة لنقول: إنّ اللغة الانقباضيّة لها مقاماتها، وأما خطاب الأُنس أو اللغات المحكيّة فلها متلاغيها، ولها إبداع

♥ ــ أُعدّت الكلمة للملتقى الوطني الذي ينظّمه قسم اللغة العربيّة وآدابها، بجامعة الوادي بتاريخ 16 ديسمبر 2019م.

وتستجيب لحاجات التّواصل اليوميّ والتّعبير عن تفاصيلِ الحياة اليوميّة، ووجدانِ النّاس وخلجاتهم، وهناك التّخليط بينها، وهذا ما أدّى إلى انكسار المعيار، أو صعوبة العربيّة على قول بعض المسيار. ما رأيكم أن نقول: إنّ الدّارجة لا بدّ منها؛ وهي أكثر عفويّة، ولا يعني أنّها أدَقّ أو أصدق؛ فالصّدق ممكن بأداتيْ التّعبير معاً، والكذب والصّدق ممكنان بهما أيضاً. ولكن يجب أن نعلم في أنّ هذه اللغات/ الدّوارج ليست لغة الدّول العربيّة مجتمعة، ولا يمكن التّفاهم بها، كما لا نجدها لغة الرّواية/ الشّعر العاليّ، وما هب من الخطاب الرّفيع الذي يسترق السّمع ولكن هي جزء من خطاباتنا ولا يمكن الاستغناء عنها، ولها مقاماتها التي نحتاجها إجباراً. ما رأيكم أن نقول إنّ ازدهار العربيّة لا يكون إلاّ باستعمالها والانغماس في داها ولذاتها، وما يبعدنا عن الفصاحة ضُعف التّواصل مع ما يصاحبه من السّلوك اللّغوي المُعاصر المدعوم بالهُجنة، أو ما تحمله اللغة المرئيّة على مستوى واجهات المحلّات، أو ما نقرأه في لغة التّواصل من ركاكة، وينضاف إليها الخمول العلميّ وعدم التّبحّر في خصائص العربيّة في أعلى سياقاتها. وعلينا أن نقول إنّ آفتنا الكبرى في القياس على الأجنبيات، مع ما لها من شيوع وانجذاب في ذواتنا، وما هو سارٍ في مجاري حياتنا الاجتماعيّة وكان ذلك سبب الانفصام اللغويّ بين لغة العامّة ولغة الخاصّة، بين المكتوب والمنطوق. وكان علينا أن نقول: إنّ للمدرسة دوراً كبيراً في عدم زرع بذور العربيّة الجماليّة، وغرس تنميّة الانتماء إليها في نفوس التّلاميذ؛ للوصول إلى إفهامهم أنّ العربيّة تتجاوز قوّة التّواصل؛ إنّها تشكّل هُويّة وكياناً، وقاسماً مشتركاً رئيساً بين العرب والمسلميّن. وإنّ فقدان هذا التّرابط يؤدّي إلى الغربة اللغويّة، ولعلّ المُتبصِّر في الأمر يرى هذا الشّرخ نتيجة إهمال العربيّة من أبنائها وعدم مبالاة البعض بقُدسيّة هذه اللغة. إنّنا لم نكن في مستوى تبليغ هذه اللغة المعجزة التي جعلها المولى معجزتَه على يدّ محمّد ﷺ في قوم اشتهروا بفصاحتهم، فكان التّحديّ عظيماً ولو بآيّة واحدة من الكتاب العظيم لا يستطيعون احتذاء مناويلها ومسكوكاتها.

كان يجب جلد الذّات لما وصلنا إليه من إهمال للغتنا؛ وقد وصل الإهمال ذروتَه حين وقع التّسامح اللغويّ في كلّ شيء، واشتعلت اللّهجاتُ بين العرب لتصل إلى غربتها بين أقرانها فبعد أنّ كانت العربيّة لغة النّثر على كلّ الصُّعد في كلّ العلوم، صار ديوان العرب يجلس باستحياء على رفوف المعارض فقط. أمّا في الاستعمال فقليل وجوده، وإن كان موجوداً فبعضهم خارج لغة المعيار. وهذا أمر واقع، فكيف نرأب الصّدعة؟ وكيف يلتئم شمل العربيّة؟ كان علينا أن نقول: إنّ العربيّة تحتاج إلى وصف جديد لتنمو مجدّداً، تحتاج إلى الرُّجوع إلى منبع القرآن والاعتزاز به في التّواصل، وإلى الاستعمال المعياريّ العضويّ في لغة المدرسة وعلى الدّربة الجماليّة في حسن الأداء. تحتاج العربيّة إلى تعزيز الوعيّ اللغويّ وإلى تكثيف التّكوينات اللغويّة، فضلاً عن اتِّخاذ إجراءات حكوميّة صارمة تجاه الشّركات والوزارات الخارقة لجمال معيار العربيّة.

كان علينا أن نقول: إنّ العربيّة مطواعة تفتّح صدرها لخادمها وعاشقها وعاملها ولكلّ من يعمل جاداً في محرابها، وهذا ما أثبتته قدرتها على البقاء على البقاء والوجود على مرِّ العصور وذلك بما تملكه من مُرونة، وحيويّة مُذهلة، وقُدرة عاليّة على التّطوّر والتّكيّف دون أن تفقِّد مقوّماتها الأساسيّة. إنّ العربيّة حقاً لغة موسوعيّة المعنىّ، مكنزيّة المفاهيم، لا ينضبّ معينُها من اختراع مسمّيات جديدة ومن توليف تركيبات خلاقة وبناءة. كان علينا أن نقول: إنّ العرب هم الذين يقبرون لغتهم الولودة، وينادون باستبدالها بالأجنبيات في التّدريس، ويرون بأنّ الطبّ لا يمكن أن يكون بالعربيّة؛ وهي ليست من ميدانه. وعلينا تنبيه الغافلين بأنّ الطبّ في فرنسا كان يدرّس بالعربيّة من سنة 1492 إلى غاية القرن التّاسع عشر وكتاب (ابن سينا) المرجع في ذلك. هي فكرة ترفضها معظم الحضارات والتّقانات في العالم، وبالتّالي تجاهل اللغة العربيّة في معظم عمليّات تدريس الطِّبّ والاقتداء بالمنهج الأجنبيّ وتغيير منهج عقل الطّالب من اليسار إلى اليمين بعد أن قضى ما يقرب من عشرين (20) سنّة من عمره من اليمين إلى اليسار، وهذا رمي بالجهل

للغة العربيّة، ونظرة تنقيص لها؛ فإنّ معنىّ ذلك أنّ الطّالب سيستقبل المعلومات الطِّبِّيَّة بالأجنبيّة ويحوِّلها في عقله إلى العربيّة ليفهمها جيِّداً، حيث إنّها لغة حضاريّة وحياته اليوميّة الّتي لا غنى عنها، ثمّ عند التّعبير أو الكتابة أو الحديث تحدّث العمليّة بشكل عكسيّ في الدِّماغ، فيفكّر الطّالب بالعربيّة ويقلّبها إلى الأجنبيّة وهذا بجهد كبير جداً، ألا نُعفيه هذا الجهد ليوظّفه في شيء إضافيّ أحسن؟

ــ **اللغة العربيّة المعياريّة:** إنّ العربيةَ المعياريةَّ هي لغةُ الدولِ العربيّة الرّسميّة، أو لغتُها الأولى في دولٍ معينة .إنّها لغةُ مناهجِ التّعليم والقوانينِ والتّشريعاتِ والقضاءِ والإعلامِ والمداولاتِ العموميّة. وهي فضاءُ التّقاطعِ الرّئيس القائم حاليًّا بين الدّولة العربيّة والقوميّة العربيّة. إنّ العربيّة المعياريّة عالم من الإشاراتٍ ومن الدّلالات والمجاز والاستعارات، وإنّها كائنٌ حيٌ تمتد جذورُه إلى لغاتٍ دارجةٍ ومحكيةٍ قديمة، وقد أصبحت معياريةً في تفاعلٍ مع الزّمان والمكان والتّطوّرات التّاريخيّة. وليس صحيحاً قول من يقول: إنّ العربيَ يدرسُ في المدرسةِ لغةً ثانيّةً هي العربيّة الفصحى المختلفة جذرياً عن لغته المحكيّة، ألا وهي اللغة الأمّ. إنّ الأطفال في أيّة دولةٍ في العالم يدرسون قواعدَ اللغة في المدرسة وليس في البيت. والعاميّة في جوهرها تحريفٌ للغة المعياريّة صوتياً وصرفيّاً وأحياناً دلاليّاً أيضاً. وغالبيةُ مفرداتها عربيةٌ صحيحة، أو هي لغةٌ فصحى غير مُعْربة.

ــ **ما يجب وعيُه:** ليست العربيّة لغة نخبة دينيّة أو علمية كاللاتينيّة التي كانت منقطعة عن حياة النّاس، وليست العربيّة الدّارجة في العديد من المناطق العربيّة بأبعد عن اللغة المعياريّة كما أبان الواقع اللغويّ المعاصر اقتراب ملامح لغةٍ محكيّة جديدة تسمّى بلغة الإعلام (اللغة البيضاء) وهي مجرّدة من اللهجات مع أنّها دارجة رفيعة، وتتميّز بقربها من الفصحى المسكّنة حذرًا من الغلط في التّشكيل. وإنّ اللغةَ العربيّة المعياريّة، هي اللغةُ التي يُشرَّع بها، وتُكتب بها محاضرُ اجتماعاتٍ ويُفترض أن تكون لغةُ الفضاءِ العموميّ؛ تعبّر عن الأشياء

والصّيرورات والعلاقات والسّياقات وتصوغ الأفكارَ المجرّدةَ بدقّةٍ تُمكِّنها التّواصل السّليم.

إنّ العربيّة المعياريّة هي لغةُ الشعرِ العربيّ المتأصل في ذاكراتنا الجماعيّة ولغةُ الأدبِ والفكرِ والدينِ والشّرعِ، ولغةُ النّثرِ في عصور التّنوير، وهي لغةَ العلومِ الدّقيقة مثل الرّياضيات والفيزياء والهندسة التي تميزت فيها تجربة التّعريب بالنّجاح. إنّها لغة ديوان العرب المعاصر وفيه الغثّ والسّمين والمبدع والمقلد ونقرأ في متونها رواياتٍ عربيةً تُدوِّن تفاصيلَ الحياةِ المحليّة في المجتمعات العربيّة المختلفة بلغةٍ يفهمها العرب جميعاً، وهي قابلةٌ للترجمة إلى لغات أخرى. وقد اتّجهت الرّوايّة إلى إدماج اللهجة المحليّة في مقاطعها المشهديّة الحواريّة أو السّرديّة إضفاء التّنوّع اللغويّ اللهجيّ وما كان ذلك خرقاً للمعيار. ولهذا لا غنى عن العربيّة المعياريّة التي نتعلّمها في مدارسنا في بناء الدّولة والمجتمع المدنيّ والتّواصل البينيّ.

دعونا نقول: إنّ العربيّة لا تحتاج إلى يوم لغة الضّاد ونكتفي، لا تحتاج إلى 18 ديسمبر ونسكت، تحتاج إلى أن تكون لغةً يوميّةً وفي جميع الميادين، ليست بلغة المناسبات، تحتاج العربيّة إلى إيمان حقيقيّ بقدرتها، وتحتاج إلى فكّ أسرها وتيسير معيارها بما يتوافق والحداثة البلاغيّة تحتاج العربيّة إلى كلّ الأيام وعبر السّنوات وإلى مزيد من إنزالها كلّ المقامات. وعند ذلك أقول لكم: لا تخافوا على العربيّة فهي محيط بعباب زاخر لاشيّة فيها. أيّها المحنّطون أطلقوا العربيّة من ضعفكم وارموا بها للطّلاب فسوف يلتقطونها ويعملون على حمايتها وتطويرها، **لا خوف على العربيّة** التي أضحت ديناصوريّة ولغة قدمى، فأين البيزنطيّة؟ وأين الرّومانيّة؟ وأين الفارسيّة القديمة؟ وأين الهنديّة؟ وأين اللاتينيّة؟ وأين تلك اللغات التي عاصرتها وماتت أو تلاشت، وبقيت العربيّة ثابتة رغم عوادي الزّمان. **لا تخافوا على العربيّة**، بل الخوف إذا بقيتم في مسلككم هذا، تدافعون عنها بغباء، مثل ذلك الدبّ الذي أحبّ صاحبه، وفتح رأسه بالحجر لمّا حطّ عليه الذّباب.

ــ **لا خوف على العربيّة:** أنا جدّ متفائل بمستقبل العربيّة التي تنال الانتشار مع التّعليم وتطوّر وسائل الإعلام، وبرامج الأطفال، وتظهر ملامح تقارب لهجات العربِ من المحيط إلى الخليج أكثرَ قربًا من العربية الفصحى، وأصبحت بدورها أكثرَ قرباً من حياة النّاس اليوميّة. ولذلك تجدني غير خائف على العربيّة، ولست قلقًا عليها، حتى لو استمرّ الجحود من قبل أهلها فهي قطار كاسح لكلّ المضايقات ولكن من حقّي أن أقلق قليلاً بتلك البرامج/ المدارس الأجنبيّة التي تعمل على تغيير الذّهنيات في هذا الجيل، وتلصق بالعربيّة صفات ليست فيها. ولكن هناك نخبة ساكتة لا تريد حماية لغتها العربيّة، وهذه مجازفة تؤدّي إلى شرخ لغويّ، وإلى انشطار في تماسك المجتمع.

ما رأيكم أن نقول قولاً قرآنيّاً إعجازيّاً وهو مناط التّحدي، باحثون بحثوا وقاربوا ولم يصلوا فأين يكمن السّر؟ يكمن في هذه اللغة القرآنيّة التي تحمل دلالاتٍ واسعةً لا نهايةَ لها؛ حيث تتبدّل في كلّ زمان وعلى مرّ الأجيال، وما أُوتيتُمْ من العلم إلاّ قليلاً. لغة تتّسع دلالاتها في إعجاز قديم ومعاصر، وأن الاكتشافات الحديثة مناط التّدبّر في العربيّة من حيث ما تحمله من إعجاز لذوي الألباب، أفلا يتدبّرون/ يتفكّرون، وأنّ الله أنزل القرآنَ بهذه اللغة وحفظه؛ سيجعل فيه الآيات والبراهين والأدلّة لكلّ زمان ومكان من غير أن تقوم عليه الحجّة، وأنّ العلم التّجريبيّ يُثبت حقيقةً لغة القرآن التي تباين العقيدة واقع العلم والتّجربة والتّقنيّة الدّقيقة ببيان القرآن الكريم في الواقع المعاصر. وبذا، فلغة القرآن لا تتغيّر، ولكن الدّلالات التي تحملها كلّ كلمة في القرآن تتّسع وتتّسع إلى يوم الدّين، **فلا خوف على العربيّة.**

لا خوف على العربيّة لأنّها لغة العامّة، وليس لغة الخاصّة على غرار الأجنبيات، فلها سدنتُها، وهناك من يسدّ ثغورها، ولهذا علينا ربح الوقت؛ لأنّي لا أرى بديلاً من العربيّة للتّواصل في ما بيننا وبين الخارج، وعلى مستوى المؤسّسات. **لا خوف على العربيّة** ولا أندب حظّها وهي بخير لما لها من غنى وتنوّع. والحقيقة إنّ غنى العربيّة لا يُعبّرُ عنه بكثرة المترادفات أو كثرة الألفاظ

التي تدلّ على الشّيء ذاته مثل المترادفات الكثيرة للأسد والسّيف... فهذه ليست دليلاً على ثراء اللغة، فثراؤها هي راسب من رواسب اللهجات العربيّة المختلفة التي ذابت في لغة المعيار. وإنّ غنى العربيّة يكمن في غنى مخزونِها المفرداتي وفي تنوّعِ تراكيبها وأساليبها التّعبيريّة، وفي قدرتها التّوليديّة للدّلالات والمجاز والاستعارات، وفي مرونتها الصّرفيّةِ وآلياتِ الاشتقاق، وذلك من قبيل تفعيل الأسماء والتّجريد من الأفعال، وعدم التّحرّج من جمع الكلمات ودمجها للتّعبير عن معانٍ جديدةٍ، وقدرتها على استيعاب تطوّرات العصر.

لا خوف على العربيّة بما لها من رجال، يعملون على الانفتاح اللغويّ، ومجاراة الحداثة وإنتاج المصطلح المُوحّد، وجَعْلها لغةً علميّةً على غرار اللغات العلميّة الرّاقيّة، ولكن يجب التّنبيه إلى ضرورة العمل بالتّسامح اللغويّ الموروث من مراحل سابقة، وهو ضرورة التّنازل عن حراسة حدود الصّحيح والخطأ بالمعنى الشّكلي، ولم يعد من مكان للتّعصب بشأنها بصيغة (قُلْ ولا تَقُلْ). إنّ التّسامح اللغويّ لا يعني خرق الحدود، بل خرق الشّكليات، وقبول ما يجري على ألسن النّاس في العربيّة المعياريّة ذاتها، ما لم يمسّ شروط الصّحيح لغة. وما هي المشكلة التي تَحُلّ علينا إذا قلنا: التّكوين المِهَني، بدل المِهْني، أو استعملنا أكثر من مضاف قبل المضاف إليه...

لا خوف على العربيّة فهي قادرة على تلبيةِ هذه الشّروط وتجاوزِ الكثير من المضايقات وأملي في اللسان العربيّ القوي الذي يحميه القرآن والفصحى والحديث وتلك الخطب والرسائل والمقامات والقصص والرّوايات، وما أنتجته علوم الشّريعة وعلم الكلام والتّصوّف والمنطق والجبر والهندسة والحساب والتّاريخ والجغرافيا والطبّ والصّيدلة وغيرها من العلوم. **لا خوف على العربيّة** فهي لسان العالمين وفيها لغات العالم، وبها كَتَبَ العربُ وغير العربِ، ولا جديدَ يعمل على تخلّفها، بل كلّ الأمور في صالحها، فهي تسير الهُوينى، ولكن بخُطى مضمونة، فلا قَلَقَ عليها وأجْهرُ بالقول **(لا خوف على العربيّة رغم استذكارها في المناسبات فقط).**

صُنافات اللغات ومقام العربيّة فيها♥

ــ **توضيح:** هي صُنّافات عالمية تُقاس بها اللغاتُ الطّبيعيّة والاصطناعيّة بالنّظر إلى علميتها أو تصنيفها أو تطوّرها أو تقدّمها، أو بقائها أو انقراضها، وإلى أيّ مدى يمكن علاج ضعفها، وتقديم البدائل النّوعيّة للحفاظ على اللغات من الانقراض أو الخطر. وهي صُنّافات فيها ما هو من الثّابت، وفيها ما هو من المُتغيّر. وتُعدّ مِحْراراً قياسياً للغات الرّسميّة/ الوطنيّة، ومن خلال موقعها الوطنيّ/ الدوليّ، ومدى قابليتها للرقيّ/ التّطوّر، وكذا فعاليتها الوطنيّة/ التّراثية/ العلميّة.

ــ **معنى صُنّافة اللغات:** هي عبارة عن مقترحات توضيحيّة تصنيفية لقياس اللغات، وهي مقسّمة حسب نظام خاصّ، وعلى أساس معيّن يبيّن العلاقات بينها ويميّز بعضها عن بعض. وجاءت في شكل تحمل اقتراحات تنضوي تحت عنوان **الصُنّافة.** وتحوي المطلوب العلميّ لكلّ عنوان؛ بغية ترشيح موضوعيّ من قبل مالئ الخانات، برقم واحد (1) للمكان الإيجابي في نظرك لا غير، وفي المكان السّلبي تترك الخانة فارغة؛ كي يتسنّى للدارس جمع النّتائج المحصّل عليها من الخانات العشر (10) ومن ثمّ العمل على بناء دراسة موضوعيّة إلى حدّ ما؛ تكون دعماً في الدّراسة ذات العلاقة باللغات، وعلى ضوئها يمكن بناء منظومة لغوية تخصّ الاستعمال اللغويّ المفيد، أو بناء منظومة التعامل اللغوي بناءً على معطيات الصُنّافة.

ــ **التّأكيد على الموضوعيّة:** في الحقيقة تقدّم هذه الصُنّافات أو بعضاً منها كاستبانات لمن يريد دراسة اللغة بغرض العمل على وصفها، ومن ثمّ تقديم مقترحات تخصّ ضرورة الاهتمام بها، أو الابتعاد عنها بغرض ربح الوقت، ودون

♥ ألقيت هذه المداخلة بمناسبة الإحتفاء باليوم العالمي للّغة العربيّة 18 ديسمبر بالمكتبة الوطنيّة الحامة يوم 18 ديسمبر 2019

التّعطيل إذا كانت اللغة تدخل في باب الخطّ الأحمر، ولا يرجى منها فوائد، أو لا يمكن أن تنال مكاناً في الكتلة اللغويّة؛ لتصبح لغةً لها مواصفات علميّة، أو ما يجعلها تقدّم فوائد لأهلها أو للنّاطقين بها من غير أهلها. ولهذا، من الضّروريّ التعامل بموضوعية مع هذه الصُنّافات؛ سواء في وضعها كاستبانة، أم في ملء خاناتها بصورة مباشرة؛ للوصول إلى النّتائج التي تُبنى عليها الدراسات أو المشاريع أو ما يتعلّق ببناء سياسة لغويّة، أو وضع سياسة تربويّة، وهذا ما يدخل في باب تخطيط السّياسة اللغويّة.

ــ **صُنّافة تطبيقيّة على اللغة العربيّة:** لماذا اللغة العربيّة بالذات؟ بُغية التّعرّف على موقعها الوطنيّ والقوميّ والعالميّ، وموقع إشعاعها من عدمه، وكيف يقع الردّ على من يقول إنّها في خطر، أو في طريق الانقراض. وتأتي هذه الصُنّافة لتؤكّد أو تُفنّد تلك المقولات التي تجعل العربيّة في موقع التّخلّف أو في موقف الندّيّة. إضافة إلى مَقولات ذات العلاقة بالفقر التّقنيّ والتّواصل السّليم عبر تقانات العصر وما تعرفه من قوّة أو اندحار في عالم اللغات المعاصر. وهذا بغية توضيح كلّ الرؤى ذات العلاقة **بمقام العربيّة** في راهنها، وفي مستقبلها، وما يدخل في باب الاهتمام بها كلغة الأمّة العربيّة لساناً، وكلغة المسلمين إيماناً.

ــ **منهجية التّعامل الموضوعيّ مع كلّ الصُنّافات:**

1ــ كلّ صنّافة عبارة عن قياس درجة اللغة من حيث قيمتها/ أهميّتها/ انقراضها/ عالميتها/ قزميتها/ تقدّمها/ رسميّتها/ وطنيّتها/ قبولها لدى أهلها/ قبولها عند غير أهلها/ رفضها/ موتها/ تأخّرها...

2ــ هي صُنّافة علمية تقاس بها كلّ اللغات، وتوضع اللغات محلّ تنويه/ نقد/ تقدير/ الدّعوة إلى التّغيير/ التّخلّي عن اللغة/ التمسّك بها.

3ــ الصُنّافة معيار علمي إحصائيّ توضع فيها كلّ اللغات: الرّسميّة/ الوطنيّة/ الأجنبيّة/ العلميّة/ الأدبيّة/ الضّعيفة/ الكبيرة/ القزمة... بغرض استعمال النّتائج في القرارات الرّسميّة.

4ــ أحياناً يقع تكرار ما له علاقة بالموضوع، وهذا من مقتضيات الصُــنّافات اللغويّة.

5ــ نتائج كلّ صُنّافة يمكن اعتمادها منطلقاً لدراسة ظاهرة لغويّة.

6ــ كلّ الصُنّافات لها عشر خانات، وكلّ خانة لها مقابل رقميّ هو 1.

7ــ كلّ صُنّافة تجاوزت ستّ (6) نقاط فهي تدخل في باب المقبول.

8ــ كلّ صُنّافة تحصّلت على سبع (7) نقاط تحتاج إلى تعزيز.

9ــ كلّ صُنّافة تحصّلت فوق ثمان (8) نقاط؛ فهي في باب الجيّد أو الممتاز.

10ــ كلّ صُنّافة أحرزت على معدّل خمس (5) نقاط فهي بين بين.

12ــ كلّ صُنّافة أحرزت دون الوسط؛ أربع (4) نقاط، فتدخل في باب ما يُعاد فيه النّظرُ.

12ــ كلّ صُنّافة حصلت على ثلاث (3) نقاط ودونها فهي في الخطّ الأحمر.

صُنّافة رقم= 1 العربيّة ومقامها القوميّ

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	لغة علميّة	
2	لغة وظيفيّة	
3	لغة عالميّة	
4	لغة دينيّة	
5	لغة المتن اللغويّ	
6	لغة أمّ	
7	اللغة الأمّ	
8	لغة دوليّة	
9	لغة رسميّة	
10	لغة الاتّصالات	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 2 العربيّة والمحافظة على المتن القديم

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	وجود حروفها على الرّسوم والخزف والصّناعات النّسيجيّة	
2	تأدية القسم الوطنيّ	
3	حفظ التّراث والإبداع فيه	
4	إبداع وتوليد المصطلحات	
5	السّرد القصصيّ ونقل حكايا الجدّات	
6	توارث التّسميات القديمة	
7	الاهتمام بالمتن القديم ومدى استيعابه	
8	درجة العجز اللغويّ عن تطوير المتن القديم	
9	درجة القُرب من المتن القديم	
10	درجة فهم واستيعاب وشرح المتن القديم	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 3 اللغة العربيّة في خطر

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	بقاؤها في المتن القديم	
2	عدم استعمالها وحمايتها	
3	إصابة النّاطقين بها بالعجز	
4	عدم علميّتها	
5	تقلّص حمولتها المعرفيّة المعاصرة	
6	الوهن العالق بعدم تأهّلها وعلميتها	
7	ضعف البحث العلميّ فيها وبها	
8	عدم وجود مؤسّسات تعمل على حمايتها	

9	التّسامح اللغويّ في متنها وفي خصوصياتها	
10	ضعف تدريسها	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 4 اللغة العلميّة

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	استعمالها في مختلف مراحل التّعليم	
2	استعمالها في البحوث الأكاديميّة وفي النانوتكنولوجيّ	
3	قبول المختصرات ولغة الإشارات والإشهارات	
4	المرونة اللغويّة القابلة لمنطق اللغات الطّبيعيّة	
5	اعتمادها لطرائق التّعليم المعاصرة	
6	اعتمادها التّنميط المصطلحيّ	
7	التّعامل العلميّ بالترجمة الآلية	
8	درجة توظيف البيانات والحسابات والإحصاءات والتّشجيرات	
9	درجة اعتماها في وسائل التّواصل الاجتماعيّ	
10	درجة اعتمادها في مصطلحات الأدويّة والصّناعات الحديثة	
11	المجموع=	

صنافة رقم= 5 العربيّة وسوق اللغات

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	الوزن السّياسي المعاصر	
2	الاستعمال العالميّ عبر البزنسة	
3	الاستعمال العالميّ في الشّبكات	

4	التّداول العالميّ في أنظمة المواصلات/ السّياحية	
5	المنتوج العالميّ التّقنيّ	
6	المصطلح العالميّ العربيّ المُعولم	
7	عولمة خطّ اللغة العربيّة في اللغات	
8	وجود مفرداتها في Lingua Franca	
9	مقامها في الهجنة المعاصرة أمام اللغات	
10	درجة طلبها من غير أهلها	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 6 رسميّة اللغة العربيّة

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	لغة وطنيّة قديمة	
2	لغة رسميّة قديمة	
3	عدد الدول المستعملة لها رسمياً يفوق 10 دول	
4	لغة الخطاب الرّسميّ	
5	لغة المدرسة والإعلام	
6	لغة الشّارع والمحيط العامّ	
7	لغة الإدارة	
8	لغة الإبداع الأدبيّ والعلميّ	
9	لغة الأغلبيّة النّاطقة	
10	لغة الامتداد الجغرافيّ يتجاوز مئة ألف مربّع	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 7 مستقبل اللغة العربيّة

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	الانتشار العالميّ في بلدان العالم	
2	كثرة عدد المستخدمين لها في العالم	
3	كثرة عدد اللغات التي تستعمل حروفها	
4	الشّعبيّة التي تُحظى بها في الخارج	
5	كميّة المعلومات المنقولة للجيل الحاضر	
6	درجة استخدامها في الشّابكة	
7	مقامها في التّجارة العالمية والمصالح المرسلة	
8	درجة تطوير متنها اللغويّ	
9	درجة استعمالها للوسائل التّعليميّة المعاصرة	
10	درجة تعليمها لغير العرب في الخارج	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 8 الخصوصيات القويّة للغات

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	ناحية القِدَم	
2	ناحية البُعد المكانيّ	
3	الجانب الدينيّ	
4	لغة علميّة في الماضيّ	
5	لغة علميّة في الحاضر	
6	لغة كَتَبَ فيها كلّ البشر	
7	لغة طبيعيّة	
8	لغة مقدّسة عند أهلها	

9	لغة قابلة للتّكيّف	
10	لغة أبجديّة	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 9 لغة غير جاذبة

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	نفور أهلها من الاهتمام بها	
2	عدم قابليتها للنسَق والمعيار	
3	صعوبات جمّة في تعلّمها	
4	لغة ضيّقة تخصّ التّراث والدين	
5	ليس لها الامتداد العالميّ	
6	عدم ملاحقة آليات العصر	
7	ليس لها الامتداد في المكان وفي الزمان	
8	صعوبات في تعاملها مع التّقانات المعاصرة	
9	مناهج تعليمها قديمة وغير قابلة للتطوير	
10	لغة قزميّة	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم 10 (20)= استشراف اللغات ومقام العربيّة

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	لها مستقبل زاهر	
2	من اللغات التي تنقرض هذا القرن	
3	مقامها بين لغات العلم	
4	لغات المستقبل: عربيّة وحدها	
5	لغات المستقبل: عربيّة + إنكليزيّة	

6	لغات المستقبل: عربيّة + فرنسية	
7	لغات المستقبل: عربيّة + إسپانيّة	
8	انقراض العربية خلال قرن	
9	بقاء العربيّة مع انقراض لغات الذّبابة	
10	عولمة العلوم بالعربيّة	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 11 عالميّة اللغة العربيّة

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	لغة أمميّة	
2	لغة الوكالات الأمميّة	
3	لغة ديبلوماسية	
4	لغة العلاقات التّجارية الدوليّة	
5	لغة لها البُعد الديمغرافي يفوق 100 مليون	
6	لغة القارات الخمس	
7	لغة أجنبية أولى	
8	لغة أجنبية ثانيّة	
9	استعمالها في غير مواطنها بما لا يقلّ عن 10 دول	
10	لغة قديمة يتجاوز 5 قرون	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 12 اللغة العربيّة ومحيطها العامّ

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	لغة لا تحتاج إلى مترجم	
2	لغة تعليم أهليّ	

3	لغة اختياريّة في التّعليم	
4	لغة ذات برامج متقدّمة في التّلقين	
5	لغة فعّالة وجاذبة	
6	لغة مقبولة في المحيط استعمالاً	
7	لغة الاعتزاز الوطنيّ	
8	لغة الاستعمال العامّ في المحيط	
9	لغة النّشيد الوطنيّ	
10	لغة الرّموز الوطنيّة والتّاريخيّة	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 13 اللغة العربيّة والاستعمال الدوليّ

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالمحيط الدوليّ	العلامة واحد (0/1)
1	لغة الطيران المدنيّ	
2	لغة العمل لدى المنظّمات العالميّة غير الأمميّة	
3	لغة الأحلاف العسكريّة	
4	لغة الأسواق والاتّحادات المشتركة	
5	لغة البرامج التّعليميّة العالميّة	
6	لغة يُطلب ودّها من الأجانب	
7	لغة اختراق دوليّ	
8	لغة شبكة المعلومات	
9	لغة الإشهار للماركات العالميّة	
10	لغة المختصرات والإشارات العالميّة	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 14 عالمية اللغة بحسب موقعها العالميّ

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	يفوق العدد 40 % من ساكنة العالم في عدد مستخدميها	
2	رتبتها في العشرة الأوائل من اللغات في الاستعمال	
3	رتبتها في العشرة الأوائل في وجودها في الشّابكة	
4	رتبتها العالميّة ضمن قطبين: الكبار1+ الكبار2	
5	لغات المنظّمات الدوليّة	
6	اليونسكو	
7	الألكسو	
8	الأسيسكو	
9	عالميتها بحسب انتشارها في العالم في الرّتبة العشرة الأوائل	
10	رتبتها في العشر الأوائل من أقدم اللغات	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 15 العربيّة عند غير أهلها

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	مقامها في شرق آسيا	
2	مقامها في الأمريكيتين	
3	مقامها في أورپا	
4	درجة تداولها في آسيا	
5	درجة تداولها في الغرب	
6	القيمة العلمية لشهاداتها في الدّول الأجنبيّة	
7	امتداد في المؤسّسات الأجنبيّة	
8	مقامها الرّمزيّ عن الأجانب	

9	مقامها العلميّ عند غير أهلها	
10	تنافس للرتب الأولى خارج مواطنها	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 16 مقام العربيّة عند أصحابها

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	درجة رتبتها في الهُوية الوطنيّة	
2	درجة الاهتمام بها كلغة تراث وعلم	
3	درجة حماية خطّها	
4	درجة حمايتها بالقوانين	
5	درجة ربطها بالاقتصاد	
6	درجة ربطها بالتّخطيط في مشاريع الحكومات	
7	درجة التّخطيط للسّياسة اللغويّة	
8	درجة التّخطيط للسّياسة التّربويّة	
9	درجة التّنافس اللغويّ مع الأجنبيات	
10	درجة حمايتها بالقوانين ضد التّهجين	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 17 انقراض اللغات

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	وجود الأمراض المعديّة	
2	وجود الحروب	
3	التّهجير	
4	المؤثّرات الاجتماعيّة التّحقيريّة	
5	الضمّ القسريّ	

6	تفضيل الأجنبيّة عن الوطنيّة	
7	سوء تدريسها	
8	انعدام الرّوابط اللغويّة تجاه اللغة الأمّ	
9	الكوارث الطّبيعيّة	
10	الانصهار في اللغات الأجنبيّة	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 18 انقراض العربيّة

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	عدم تدريسها	
2	عدم استعمالها في مختلف مستوياتها	
3	عدم توريثها شفاهياً للأبناء	
4	وضعها في متحف التّاريخ ومحافل التّراث والأمجاد	
5	عزلها عن كلّ وسائل التّقانات	
6	عدم استعمالها لأقلّ من مئة ألف (100000) ناطق	
7	عزلها عن خطّها الذي عُرِفت به أوّل مرّة	
8	إبعادها عن الاحتكاكات اللغويّة العاملة على التّأثير	
9	القبول الطّوعيّ بالأخطاء اللغويّة، وما يلحق بها من تهاون أهلها	
10	عدم الاهتمام بها كلغة وطنيّة/ رسميّة والسّعيّ لاستبدالها	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 19 العربيّة خارج مواطنها

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	نظرة الشّباب المهاجر للعربيّة	

2	تدريسها في غير مواطنها	
3	طرائق تبليغها للأجانب	
4	مقامها مع لغة بلد المهجر	
5	درجة توظيفها في التّواصل في المهجر	
6	مقامها بين الجيل الثّالث	
7	درجة ربط الهُويّة اللغويّة بالدين	
8	درجة الابتعاد والتّخليّ اللغويّ	
9	درجات التّسامح اللغويّ	
10	مقام الاحترام للغة الوطن الأمّ	
11	المجموع=	

صُنّافة رقم= 20 عوامل الجذب اللغويّ

الرقم	موضوعات ذات العلاقة بالعنوان	العلامة واحد (0/1)
1	وقوع الطّلب على اللغة	
2	الرّكام المعرفيّ والعلميّ والتّاريخيّ والأدبيّ	
3	تواجدها خارج مواطنها	
4	الحمولة الثقافيّة	
5	الأهمية المعاصرة	
6	إقامة المؤسّسات	
7	إنجاز البحوث الأكاديميّة	
8	الإبداع المتواصل	
9	انتشارها في الشّابكة	
10	سرعة الاستجابة للتّقانات المعاصرة	
11	المجموع=	

اللغة العربيّة في يومها العالميّ♥

ـ **الدّيباجـــة:** نشكر الملحقيّة الثّقافيّة بالسّفارة السّعوديّة على هذه المبادرة بإحياء اليوم العالميّ للغة العربيّة في يومها العالميّ، والمملكة العربيّة السّعوديّة مسـؤولة كرسي الثّقافة العربيّة في هيأة اليونسكو. مبادرة كريمة تستحقّ التّنويه، ونشكر كلّ الذين هيّؤوا هذا المحفل العلمي من سعادة سفير المملكة، والملحق الثّقافيّ، وطـاقم السّفارة، ورئيس جامعة الجزائر الثّانيّة، والمحاضرين الذين سـوف يغنـون هـذه النّدوة بما يقدّمون من أفكار، كما نشكر أولئك الذين سوف يشنّفون أذاننـا بشـعر يناسب المقام. ونشكر كلّ الحضور الذّين سيدعّموننا بأفكارهم ونقاشـهم. ونهنـئ أنفسنا على هذه الشّراكة الثّلاثيّة التي نأمل أن تتواصل على صعد أخرى.

إخواني باسم زملائي في المجلس الأعلى للّغة العربيّة أحسّ أنّني في يوم جديـد يوم يحمل رمزيّة اللّغة العربيّة في يومها، وهو عنوان هذه الكلمة، ورمزيّـة لغـة التّراث والإبداع والحضارة الإنسانيّة، ورمزيّة الحضور من محاضـرين وسـدنة العربيّة الذين هبوا لحضور النّدوة، فأجدني سعيداً في هذا المحفل الذي يشّده رمـز العربيّة وتحدّي الرّقمنة.

إخواني، أجد نفسي عاجزاً للحديث عن القيمة الفعليّة للعربيّة في عيدها العالميّ بدءاً من القيمة الرّمزيّة لمليار وثماني مئة (800) مليون من ساكنة العـالم، ولغـة رسميّة لستين (60) دولة عالميّة، ولغة خمسمئة (500) مليون لغة فطـرة، ولغـة قُدمى قديمة لحضارة إنسانيّة تضرب في أعماق التّاريخ، لغة ماتت مثيلاتها وتشتّت شجرات بعضها شَذَرَ مَذَرَ، وبقيت العربيّةُ ديناصوريّةً لا تنقـرض. لغـة عجيبـة محفوظة بامتدادها وفكرها وحمولتها الإنسانيّة، والموسِّعة للآفاق، ولخدمة السّـلام والتّنميّة المستديمة. فما هو العقار غير الطّبيعيّ الـذي جعلهـا قديمـة معاصـرة

♥—أعدّت الكلمة للنّدوة التي أقامتها الملحقيّة الثّقافيّة بالسّفارة السّعوديّة. فنـدق..... بتـاريخ 19 ديسمبر 2019.

وقوامها في ازدياد، واستعمالها في انتشار، وتنال مواقع في الشّابكة مُنافِسة لغة الفرنكة Lingua-Franca المعاصرة، وتشير الدّراسات المستقبلية بأنّ العربيّة ستكون إحدى القطبيات اللّغوية التي يُطلب ودُّها من كلّ الدوّل، وستكون لها منافع اقتصاديّة كبيرة من الإقبال على تعلّمها وتعليمها.

ـ **العربيّة في يومها العالميّ:** لا نتحدّث عن الماضي، ولا نبكي الحاضر في يوم الاحتفاء، بل علينا أن نقول الحقيقة التي قد لا يعلمها الجميع، وهي حقيقة علميّة عندما ترى هذه اللغة التي تعيش الازدياد المُفرح، ولكن يكثر عليها النّقد والنّبش، وتُرمى ببعض النّعوت المسيئة أو الدّاعيّة لليأس، فيشدّك الذّهول بأولئك الذين ينظرون إلى الكأس اللغويّ للعربيّة ولا يرونه فارغاً، ولذلك فالوضع يبعث على الاطمئنان لأسباب معاصرة ومهارات تخوضها، ومشاريع تُنجز في تلّمس الحلول وتدارك الأضرار. لغة تراها اليوم تدخل مجالات النّطاقات الاسميّة/ domains names من الذّكاء الصّناعيّ، التي تستعمل كلّ خطوط اللّغات الرّسميّة العالميّة؛ وعددها واحد وثلاثون (31) لغة رسميّة. وتسمع أخباراً سارة عنها في أوربا، حيث يزداد استعمالها وتدريسها في فرنسا وبريطانيا وألمانيا وكلّ أوربا الشّرقيّة. وفي آسيا تعدّ من اللّغات الأجنبيّة الأولى مع تلك الكتلة البشريّة في كلّ من ساكنة: الهند والصّين وماليزيا وإندونيسيا، وتتعجّب من ذلك الاهتمام الكبير من المؤشّرات التّربوية والتّجاريّة والدّيبلوماسيّة والأمنيّة بهذه اللّغة، ويعملون على دراستها لوضع استراتيجيّات التّعامل مع الدّول العربيّة، ولفهم تعاليم الدّين الإسلاميّ الذي يزداد الدّاخلون فيه يومياً وبقوّة ناعمة، وبخاصّة من كبار علماء الغرب، والشّيء المطمئن أنّ أوربا العجوز بدأ يدخلها العرب بلغتهم وبنمط ثقافتهم فأصبح لها الكثير من تغيير أنماط السّلوك اللغويّ في استعمال العربيّة ضمن المجموعات الأوربيّة، وبخاصّة لما أصبحت لها مكانة بين اللّغات العلميّة والعالميّة وفي المؤسّسات الدّوليّة. هي نجاحات وإنجازات تتحقّق يومياً، وتضاف لها القيمة التّربويّة والتّاريخيّة كما ثبت في ما مضى من الزّمان. بالفعل للعربيّة قيمة معنويّة

تتحقّق ضمن تصنيف اللغات، فلها ما يقرب من الصّدارة بين اللغات الرّسميّة. هو مكسب ورصيد للعربيّة وللعرب ضمن استراتيجيّة الشّأن اللّغويّ، وفي متطلّبات السّوق والموقع الحضاريّ للعرب. وهذا ما أهّلها تنال التّقدير العالميّ كلغة رسميّة للأمم المتّحدة ووكالاتها الواحدة والعشرين (21) هو تقدير دوليّ واعتراف بالقيمة الحضاريّة للغة القرآن لما لها من مواصفات وذخيرة واستعدادات للتألّق والازدهار والعِلْميّة. ومع كلّ ما يُقال من كلام مُنافح نقول: إنّنا أمام تحدٍ كبير لثبات العربيّة في دائرة العولمة التي تأتي على دحْر اللغات فهل العربيّة مرشّحة للموت أو للبقاء؟ تلكم أسئلة أجابت عنها معطيات الرّاهن أنّ اللغة التي لها ما لها من الزّمان والحمولة والمكانز والتّراث وتناقلها بين الأجيال، وصمودها عبر الزّمان، لا يمكن أن يحصل فيها ما حصل للغات الأخرى. ومع ذلك خذوا حذركم، بالتماس أسباب النّهوض اللغويّ وتدعيم مسارات المشاريع التي تُنجز في الوطن العربيّ، فهي مُبشّرة بالتّفاؤل، أبشروا بأنّ العربيّة بخير.

ــ المجلس الأعلى للغة العربيّة ودوره في العمل على النّهوض بالعربيّة: لقد سطّر المجلس الأعلى للّغة العربيّة خريطة طريق هذه السّنّة تحت شعار (تحدّي الرّقمنة) وأنجز كلّ ملتقيّاته وندواته وأيامه الدّراسية تحت هذا الشّعار، وعالج مواضيع ذات العلاقة بالمكتبات الرقميّة+ وضْع المنصّات+ منجزات في اللّسانيّات الحاسوبيّة+ الألعاب اللّغويّة+ التّرجمة بريد اللغات... إضافة إلى تسطير برنامج اليوم العالميّ للغة العربيّة تحت ذات الشّعار على أكثر من خمسة عشر (15) موقعاً بميسم **(شهر اللّغة العربيّة)** والأمور تمّت على مستوى جمع المادة اللّغويّة وتجسّدت بعضُ اللّقاءات، وتأجّل بعضُها إلى بداية السّنة القادمة.

حضرات السيّدات والسّادة؛ إنّ هذا الاحتفاء أصبح واجباً علينا، ويُجسّده المجلس بصورة عاديّة منذ سنة 2012 وهذه السّنة يجرى بصورة استثنائيّة، فلا نكتفي بالاحتفاء، بقدر ما يقع التّركيز على تحقيق أهداف لغة الضادّ في الحياة العامّة ونحن نبحث في حلول المضايقات الدّاخليّة والخارجيّة لقضايا ظلّت عالقة. وكان

وعينا عملياً بكلّ التّحدّيات المعاصرة التي قدّمنا فيها وجهات نظر، وحلولاً لمن يهمّهم الأمر وأشركنا مختلف الشّركاء الاجتماعيين. ونُبشّر أنفسنا بأنّ ازدهار اللّغة العربيّة بدأت ثمارُه تظهر والزّمن كفيل بحلحلة الكثير من القضايا، ومع ذلك يتوجّب علينا العمل لرفع كلّ التّحدّيات والمضايقات بالصّبر والاجتهاد والعلميّة والفعاليّة والوعي الحضاريّ، حتى نتجاوز المخاطر، ونتغلّب على الصّعاب.

ـ **العربيّة والمضايقات:** إنّ المضايقات التّقنيّة موجودة في كلّ اللغات، وليست عورات، وما هو من النّقيصة سوء تخطيط مشاريع النّهوض، ويمكن أن تُحدث التّأخير، أو الحِجْر على العربيّة، واحتكار القرارات كي لا تنال الديمقراطيّة اللّغويّة مكانها، وتبقى أمور التّطبّع الثّقافيّ يعيش القهقرى دون الخروج من التّقليدانيّة القاتلة، والرّيع اللغويّ القائم على اللاعدالة اللغويّة التي تتنكّر للعربيّة. وإنّ العربيّة اليوم تحتاج إلى **قوّة ناعمة**؛ تُفعّل فيها المدرسة بقوّة إعلام؛ يحارب التّلوّث اللغويّ، ويعمل على التّحرّر من الهيمنات المقرفة عنوة، ولن يكون إلاّ بتخطيط لغويّ صارم، وتصحبه الفاعليّة والنّجاعة. لسنا في موقف العداء اللغويّ أو إشعال حرب اللّغات؛ بقدر ما نريد إعادة الأمور إلى نصابها، والأخذ بالمنفعة العموميّة في تراتب اللّغات الأجنبيّة، فحيث وُجِدت المصلحة العامّة فتمّ شرع الله، فندعو إلى عربيّة فرنكيّة/ Lingua-Franca تأخذ مَهمّاتِها بين لغة تتمثّل الآن وتُعاش بصفتها لغة الامتياز والفرص، وفي ذات الوقت تمثيل الدّستور والمشترك القانونيّ وهي التي تعمل على الخروج من الالتباسات القانونيّة التي تهزّ الانسجام الجمعيّ. وتبقى المسألة عند النّخبة في إبداع الأفكار ولا تتحوّل المسألة اللغويّة إلى انطباعات المُتطفّلين. وهذا ما يجعلنا نُخطّط لموقع الفصل الذي لا بديل لنا وهي لغة النّد للنّد، هي العربيّة الفصحى. ولهذا يتعيّن علينا جمع الجهود في التّراث المدوّن ورقمنته ومواصلة البحث في المشاريع الكبرى، وتعزيز مكانتها سياسياً وتدريسيّاً وإعلاميّاً وإشهاريّاً، وهذا هو السّبيل الذي يؤدّي بنا إلى مجتمع المعرفة الذي تُصبح فيه اللّغة العربيّة عمليّة علميّة تكون في السّوق الدّوليّة تُباع وتُشرى.

وكذلك لا بدّ من تأكيد قضيّة مهمّة، وهي قوّة اللغة أو انتشارها لا يحصل إلاّ بقوّة أصحابها وبتحديد مكانهم في الخريطة العالميّة؛ وذلك ما يحدّد القوّة السّياسة. وإنّ ندوتنا هذه نروم منها أن تُجيب عن جاهزيّة العربيّة للعيش في عالم جديد، وتقدّم الأعمال التي تتنبّأ به الأبحاث النّزيهة من مستقبل واعد ولموقعها الرّفيع بين لغات العالم العملاقة، نحتاج إلى أبحاث لسانيّة وفي المعلوميّات، وإلى تخطيط النّهوض اللغويّ العموديّ والأفقيّ؛ وهو تخطيط الاستراتيجيّة اللغويّة على الآماد الثّلاث في مجال معالجة الوضع الرّاهن وتفعيل الاستمرار والعمل على الانتشار، فلا بدّ من استنهاض شامل للبقاء والانتشار ولا بدّ من النّأيِ بها عن الصّراعات الإيديولوجيّة، وتأثيرات الأجنبيّ الذي يراهن على بقاء لغته لمصلحته لا غير.

أيّها الجمع الكريم، إنّ العربيّة أس التّوحيد، وبدون العربيّة لا يحصل لنا الانطلاق، **وما من أمّة تقدّمت بغير لغاتها**، ولا يكون الانفتاح على لغات العلم دون استيعاب اللغات الوطنيّة في سنّ مبكّرة. إنّ العربيّة رأسمال مال لا يستغنى عنه، والمساس بها مساس بالنّظام العامّ، وحتى اللّغة السّفلى هي مستوى من مستويات اللّغة العليا، لها مقاماتها، ولا بدّ أن تكون حيث يجب أن تكون، وبين المستويين تفاهم واضح غير منقطع، ولا يُقاس هذا على اللّغات اللاتينيّة اللّغة الأمّ الجامعة التي تلاشت. ولهذا فإنّ تعميم استعمال العربيّة ضرورة تفرضها آليات العصر والحداثة والمجتمع، فهل يُعقل أن تدرّس دول صغيرة مثل: فنلندا وكوريا والڤيتنام... العلوم بلغتها، كما تدرّس إسرائيل ذلك بالعبريّة، ألم تقم العبريّة وتحيا بفضل العربيّة؟ فكيف يمكن للعبريّة أن تضطلع بالعلوم وتعجز عن ذلك العربيّة رغم كونها من نفس الفصيلة اللّغويّة.

ــ **الخاتمة:** إنّنا في هذا الاحتفاء في يوم استثنائيّ، يوم له امتداد في أعماق التّاريخ، يومُ اللّغة العربيّة العالميّ، يومُ اللّغة الصّامدة المنتصرة رغم ما دارت حولها أيام الفرح والتّنقيص. هذا يومٌ يؤكّد قوّتَها ومناعتَها يؤكّد دورَها في العيش ضمن مستجدات التّقانات المعاصرة. يومٌ يُعيدنا إلى ما سالَ من أجله المداد

وكثُرت حوله الكتابات؛ لإبراز مقوّمات وخصوصيات العربيّة. كتابات تتعزّز يومياً بإنجازات الشّباب المحاميّ عن العربيّة بعلم وصدق وباحترافيّة. شباب يحمل مشاريع النّهوض باللّغة الجامعة. فَأَنْعِمْ بهم من شباب! إعلاميّون يستعملون العربيّة بامتياز، وعن طريقهم عرفت العربيّة أساليب لم تكن في عهودها، وكان لها موقع حَسَن وأحسن، فَأَنْعِمْ بهم من إعلاميين! باحثون يستنهضون العربيّة في آدابها وعلومها، ويعملون على شيوع استعمالها في الحياة العامّة والخاصّة، وفي مختلف المجالات باحثون يقدّمون أفكاراً وإبداعاً لمن يصنع القرار، فَأَنْعِمْ بهم من باحثين! وأنْعِم بكم أيّها الحضورُ أجمعين!

تم إخراج وطبع بـ :

الإنمـــاء
للطباعة والنشر والتوزيع

المنطقة الحضرية قطعة 1- عين النعجة رقم 1 جسر قسنطينة - الجزائر
ها : 07.71.52.50.50 /05.50.54.83.07

البريد الالكتروني: inma.book@yahoo.com